

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



رجب سنة ١٣٩٦ هـ

تموز (يوليو) سنة ١٩٧٦ م

بقايا الفصحاح

الأستاذ شفيق جبوري

من طرائف الأمور أن تعيش في لغة العامّة لفظة وهي غاية في الغرابة ، وأن تموت هذه اللفظة الغريبة في لغة الخاصّة أي في لغة الأدب ، فإن لفظة : فلان مبرطم تستفيض في أحاديثنا ونكاد لا نرى لها أثراً في كتابات هذا العصر . ماذا تريد العامة بقولها : فلان مبرطم ؟ إذا قال أحداً : ذهبت إلى فلان فوجدته مبرطماً أراد بذلك معاني كثيرة ، فالمبرطم العابس ، المتقبض ، المضبان ، إذا حيّاه أحد فلا يردّ عليه التحيّة . أفراينا خصب معاني هذه المادّة في لغتنا ؟ فلنبحث الآن عن بعض معانيها في معجم الفيروز اباذي .

يقول صاحب القاموس المحيط : « البرطمة الانتفاخ غضباً ، وتبرطم تنضب من كلام ، وبرطمه غاظه » . أفلا نرى تشابهاً بين معنى هذه المادّة في اللغتين الفصحى والعامّة ؟ ولكنها في لغة العامّة أخصب دلالةً وأفسح آفاقاً ، ولا أبالغ إذا قلت : إن هذه المادّة في لغة العامّة لا تكاد تقوم مقامها مادة أخرى في الدلالة على معناها في مصطلحات العامّة ، ولكن من الذي يستعملها في كتابته إذا كان كاتباً ، أو في شعره إذا كان شاعراً

وإذا استعملها أحد فلا ينبغي من ناقد يرميه بالميل إلى استعمال الغريب الذي يحتاج إلى شرح وتفسير ، وقد تكون لفظة المبرطم شائعة في دمشق مثلاً ولا تكون شائعة في بلد آخر من بلاد العرب ، ففي كل بلد مصطلحات خاصة للعامة في لغتها يفهمها أهل البلد ولا يفهمها أهل بلد آخر .

وقد وردت لفظة المبرطم في أبيات رواها صاحب الحماسة البصرية ونقلها الدكتور صلاح الدين المنجد في كتابه « الحياة الجنسية عند العرب » :

مبرطماً برطمة الغضبان

من هذا كله نستنبط أن مادة البرطمة تنطوي على الغضب وما يصحب هذا الغضب من عبوس وانتفاض وتجهّم وما شابه ذلك .

وإذا انتقلنا من الألفاظ الدالة على ظواهر النفس كالغضب مثلاً فقد نستطيع أن نعرّف بالفاظ تدلّ على الملابس . ونحن نعلم أن الملابس قد تتغير من عصر إلى عصر ، ففي الأيام التي نعيش فيها ملابس لم يعرفوها في الماضي ولذلك لانعلم لها أسماء في لغتنا لأن الأسماء توضع عادة لمسميات معروفة ، وفي الأيام التي عاشوا فيها في الماضي ملابس لانعرفها في الحاضر ، وقد تبهم علينا أسماء بعضها وإن كنا نجد لها تفسيراً في كتب اللغة .

من الألفاظ الشائعة في لغة العامة لفظة : الشاشيّة ، فقد يحتاج أحدنا إلى تغطية إريق ماء بغطاء خفيف أو شيء آخر من بعض الماء أو قد يحتاج إلى أن يضع على رأسه مثل هذا الغطاء بعد أن يبلّ بالماء أو بالخل ، والأمثال في ذلك كثيرة . والخلاصة قد يحتاج أحدنا إلى مانسيه : الشاشية ، وكلنا يعرف ماهي الشاشية ، ولكن قد يجوز أثناً لانعرف أن هذه المادة فصحة ، فقد وردت في شعر البحري في هجائه الحارثي :

يامن رأى الدامر يحتال في شاشية شوهاء مغبرة

وإذا تركنا الملابس وجئنا إلى المآكل ءثرنا على الفاظ تعيش في
بعض القرى ، ففي القرية التي أعيش فيها تتناير يخبزون فيها الخبز ، وإن
كانت هذه التناير أخذت تقل يوماً بعد يوم ، وأخذ أهل القرية يشترون
خبزهم من الأفران وشتان ما جودة خبز التناير وجودة خبز الأفران ،
فمن خبز أهل القرية ما يسمونه : القرنية ، وهي لجودتها تؤكل بعد خروجها
من التنور بلا آدم . وقد وجدت هذه اللفظة في بعض كتب الأدب القديمة
ولكني آسف على أنني لم أدون في دفتري مكانها ، على أنا نجد في القاموس
المحيط : « القرن بالضم : الخبز يخبز فيه القرني ، خبز غليظ مستدير » . وقد
استعملت هذه اللفظة على المجاز ، فالقرني أيضاً الرجل الغليظ .

أفراينا كيف تعيش في لغة العامة طائفة من الألفاظ الدالة على المآكل
وهي فصحة مثل القرنية ، وكيف تموت في لغتنا ألفاظ قديمة تدل على
المآكل ونحن لانعرفها على حقيقتها مثل اللوزينج وهي معربة .

وإذا فرغنا من المآكل والملابس فلنتقل إلى لغة العيون .
من أقوال العامة : فلان عينه تغزل ، وهم يريدون بذلك على ما اعتقد
كثرة حركتها وقلة استقرارها . فالعين التي تغزل هي العين الحائرة التي
وصفها المتنبي في قوله :

أدرن عيوناً حائرات كأنها مركبة أحداقها فوق زئبق

وقد جاءت هذه المادة في شعر البحري في هجائه لابن المغيرة :

مالعينك تغزلان إذا ما رأنا في الرؤوس رأساً صليعا

ولم أهتم إلى الصلة بين المعنيين : الفصيح والعامي ، فلم أجد في

اللغة غزل بمعنى حار أو تحريك أو ما مائل ذلك ، وإنما الغزالة : الشمس لأنها تمتد حبالاً كأنها تغزل . ومغازلة النساء محادثتهن والامم الغزل ، فهل من صلة مجازية بين هذا الغزل وبين العين التي تغزل ، ولا ريب في أن للعين شأنًا كبيراً في مغازلة النساء ، وعلى كل حال فلنترك لعلماء اللغة تعليل هذا الأمر .

وما دنا نشير إلى العين التي تغزل فلا نرى بأساً بالإشارة إلى العين التي تبصص . فهذه المادة : بصص ، شائعة في لغة العامة ، وقد يجعلون لها معنى خاصاً فإذا قالوا : فلان يبصص فكانهم يريدون بذلك أنه يسترق النظر إلى شيء ، إما إلى مجتمع نساء وإما إلى غير ذلك ، ولا يبعد معنى هذه المادة العامي عن المعنى الفصيح في اللغة ، فالْبَصَّاة العين لأنها تبصص ومعنى بَصَّ يبصص بصيصاً برق ولمع . ومن معاني بصص يقال : بصص الجرو فتع عينيه والكلب حرك ذنبه .

وقد جاءت هذه المادة في شعر البحتري في بعض قصائده في مدح المهدي بالله .

وبَصَّبَصَ أَهْلَ الْعَيْثِ حِينَ هَدَاهُمْ أَخُو سَطَوَاتٍ مَا يُبِيلُ سَلِيمُهَا
والخلاصة ان بصص العامة أصلها فصيح والمعنيان الفصيح والعامي متشابهان أو متقاربان ، وفي بعض بلاد العرب كفلسطين ومصر يقولون : بَصَّ بالأمر أي انظر .

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور أ. ل. كيرفيل
نقله إلى العربية الأستاذ مرشد خاطر
وأحمد حمدي الحباط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٣١ -

الدكتور حسني سبيع

10566 point d'application, point d'attaque

١٠٥٦٦ نقطة تطبيق ، نقطة صولة

وأرجح المنطلق في اللفظة الثانية .

10568 point blanc pultacé des cryptes amygdaliennes ,
amas caséux blanchâtre dans les cryptes des a-
mygdales .

١٠٥٦٨ نقطة بيضاء متلبؤية لسياء اللوزة ، رُسُوبٌ سَهْوِي ،

كُومٌ جُبْنِيَّةٌ مُبَيَّضَةٌ في سياء اللوزتين .

وأفضل بَقْعَةٌ يضاء حَرِيرِيَّةٌ أو تَلِينِيَّةٌ (١) لمغاور (٢) اللوزتين ،

راسب مغاري ، كتل متجينة مبيضة في مغاور اللوزتين ، كما

جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٣) .

(١) ان المقصود من (pultacé) ما كان على هيئة الحريرة أو
التلينة (bouillie) لا على شكل اللب . ففي لسان العرب الحريرة الحسا من
الدمم والدقيق ، وقيل هو الدقيق الذي يطبخ بلبن ، والتلينة حساء يعمل من
دقيق أو نخالة ويجعل فيها عسل ، سميت تلينة تشبهاً بالبن لياضها ورقتها .

(٢) الصفحة ٢٨٧ من المجلد الخامس والثلاثين الصفحة ٦٠٧ من هذه المجلة .

(٣) (exsudate filling the cryptes of the tonsils , plug of)

caseous matter in the cryptes of the tonsils .

١٠٥٧٤ نقطة الألم العصبي 10574 point névralgique

والنقطة المؤلمة، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي^(١)

10577 point de rosée ou de condensation

١٠٥٧٧ نقطة ندى أو نقطة تكاثف

وأفضل نقطة النداء أو نقطة التكاثف. لأن ما تعنيه

اللفظة^(٢): درجة الحرارة التي يتكاثف فيها بخار الماء

ليكون الندى.

10578 point de solidification, point de prise

١٠٥٧٨ نقطة التصلب، أو تجمد، نقطة تماسك

وأفضل نقطة التصلب، نقطة التماسك

١٠٥٧٩ ذو رؤوس، ذو بررات 10508 Pointé, éc couvert de pointes

وأرجع ذو شوك أو شوكه وشاك^(٣).

١٠٥٨٠ ذروة القدم 10580 pointe du pied

وأفضل طرف القدم^(٤) أو نهايتها أو طرف أصابع القدم

أو نهايتها، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي^(٥).

(١) (painful point).

(٢) لفظة (dew point) في معجم وبستر Webster's Third New

International Dictionary.

(٣) في تاج العروس الشوك من النبات ما يندق ويصلبرأسه، الواحد قبهاء.

وأرض شاكّة كثيرة الشوك وشجرة شاكّة كثيرة الشوك.

(٤) في لسان العرب: طرف كل شيء متناه.

(٥) (the tips of the toes, tip toe).

10611 Pollen

١٠٦١١ لتَقَح ، عُبَار الطَّلَع

وأقر جمع اللغة العربية في القاهرة لِيقاح . وفي معجم
الألفاظ الزراعية لقاح ولتَقَح ، وأرجع لتقاح (بالفتح)
ولتَقَح والطلّح .

10616 Polyclinique, policlinique

١٠٦١٦ عيادة عامّة

أو عيادة شاملة في اللفظة الأولى وعيادة البلدية أو المدينة
في اللفظة الثانية ، وقد أهملتها اللجنة .

10617 Polydactylie, plydactilisme

١٠٦١٧ تَمَعَ (زيادة عدد الأصابع)

وقد أقر جمع اللغة العربية اللفظة ، ودرجت على ترجمتها
بالعَنَش^(١) وأفضل تخصيص لفظ الزَمَعان ترجمة للمشي المتقارب
الخطى ، أو بخطى قصيرة (démarche à petits pas) .

10618 Polydipsie

١٠٦١٨ سُهَاف ، شِدَّة العطش

وأقر جمع اللغة العربية في القاهرة : العطاش في مصطلحات
علم الطب الباطني وجاء في الشرح : داء يصيب الانسان فيشرب

(١) في القاموس المحيط : الأعنَش من له ست أصابع .

(٢) في القاموس المحيط : الزَمَع شبه الرعدة تأخذ الانسان والزيادة في
الأصابع وهو أزمع ، والدهش الخوف ، وقد زمع كفرح والأزمع الداهية والأمر
المنكرج أزامع ، وككتف من إذا غضب سبَّقه بوله أو دمعه .

الماء ولا يرتوي . كما أن مجمع القاهرة أقر الشفاه - البَحَر (١)
 بين مصطلحات علم الأمراض ومتفرقاتها وجاء في الشرح :
 عَرَضَ لا يروى صاحبه من المعش . .

10619 Polygala de Virginie

١٠٦١٩ بُولِغَالَة فُرجِينِيَا مُسْتَدْرِة فُرجِينِيَا

وفي معجم الألفاظ الزراعية للمرحوم الأمير مصطفى الشهابي
 بُولِغَالْتَن ، مستدرة ، وجاء في الشرح : (الأولى معربة
 قديماً في المفردات ، قال ابن اليطار معناه مكثر
 اللبن ، والثانية من وضعي وهي مترجمة تشير إلى ما اشتهرت
 به هذه النباتات من اكثار الدر في الضأن والبقر . جنس
 نباتات عشية من فصيلة المستدرات فيها أنواع كثيرة
 وأنواع للترين) .

10620 Polynévrite, névrites multiples

١٠٦٢٠ التهابُ أعصابٍ كثيرة ، التهاب أعصاب مُتَعَدِّدة
 التهاب أعصاب متعددة والتهابات عصبية متعددة (بصفة الجمع)

10625 Polyol

١٠٦٢٢ كثير الغَوَل ، غَوَلٌ كثير القِيَم

وأفضل تعريب اللفظة بوليول

(١) في لسان العرب : وأما البَحَر فهو داء يورث السل ، وأبحر الرجل إذا
 أخذه السل ، وَرَجُلٌ بَحِيرٌ وَبَحِيرٌ مَسْلُولٌ ذاهب اللحم . وجاء في اللسان في موضع
 أخسر : ويقال أيضاً بَحِيرٌ إذا اشتد عطشه فلم يَرَوْ من الماء والبَحَر أيضاً
 داء في الابل .

- ١٠٦٢٨ وشك النفس الحروري 10628 Polypnée thermique
 بُهر حروري
 وأفضل تواتر النفس الحروري
- ١٠٦٢٩ داء سَلِيلِي أو مُرَجَلِي 10529 Polypose
 وأفضل داء السَّلِيلَات أو الاعتلال السَّلِيلِي
- ١٠٦٣٠ التهاب جذور كثيرة 10630 Polyradiculite
 وأفضل التهاب عِدَّة جذور أو التهاب الجذور المتعددة .
- 10631 Polyradiculonévrite, syndrome de Guillain et
 Barré, cellulo - radiculo - névrite, plexite aiguë,
 Schwannite
 ١٠٦٣١ التهاب جذور وأعصاب عديدة ، تناذر غيلن وباريه ، التهاب
 جذور وخلايا وأعصاب ، التهاب صغيرة حاد ، التهاب غمد شوان .
 وأرجح التهاب عدة جذور وأعصاب ، أو التهاب الجذور
 والأعصاب المتعددة ، لزمة غيلن وباريه ، التهاب الخلايا والجذور
 والأعصاب ، التهاب الصغيرة الحاد ، التهاب غمد شوان .
- ١٠٦٣٢ قَرَط السِّمَن ، انْفِضَاج 10632 Polysarcie
 وأفضل الضُّخْم (١) أو الجَسَامَة واللُّحَامَة ، إذ أن ماتعنيه

(١) في لسان العرب : الضُّخْم القليظ من كل شيء ، والضُّخَام بالضم
 العظيم من كل شيء ، وقيل هو العظيم الجرم الكثير الاعم .
 في لسان العرب : وقد جَسُم الشيء أي عظم فهو جسيم وجُسام .

اللفظة كما جاء في معجم "دورلان"^(١) كثرة اللحم لا السمين
أو البدانة^(٢)، واللفظة انقضاج معانٍ أخرى^(٣)

١٠٦٣١ كثير الكبريتور 10933 Polysulfure

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة متعدد الكبريتور

١٠٦٣٣ زَبَب ، غزارة الشعر 10634 Polytrichie, politrichose

وأفضل كثرة الشعر أو كثاتته^(٤) تاركاً الزَبَب^(٥)
ترجمة لـ (hirsutisme).

١٠٦٣٥ بُوَالَة (غزارة البول) 10635 Polyurie

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة بُوال

١٠٦٣٦ كثير القيم 10636 Polyvalent, ente

متعدد التكافؤ كما أقوها مجمع اللغة العربية في القاهرة.

(١) Dorland's Illustrated Medical Dictionary (twenty — fifth edition) .

(٢) الصفحة ١١٣ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) في لسان العرب : انقصجت القَرْحَة : انقتحت وانفضج بطنه
استرخت مرلته، وكل ما عرض كالمشدوخ فقد انفضج، رجل عِفْضاج ومِنْضاج
وهو العظيم البطن المسترخيه، إلى أن قال : وتفضج بدنه بالشَّحْم تشقق ، وهو أن
يأخذ مأخذه فتتشق عروق اللحم في مداخل الشحم بين المضابع .

(٤) في لسان العرب : كَثَّ الشيء كثانة أي كثف وكثت اللجة تكث
كثاً وكثانة وكثونة ، لجة كثة وكثاء كثرت أصولها وكثفت .

(٥) الصفحة ٨٦ من المجلد الثاني والأربعين من هذه المجلة .

- ١٠٦٤٣ pomme d'Adam ثَفَّاحَة آدَم
والصَّحِيج الحَرْقَدَة (١)
- ١٠٦٤٤ pomme de pin ثَفَّاحَة الصَّنَوْبَر ، غُرُوط الصَّنَوْبَر
والشَّائِع كُوز الصَّنَوْبَر ، وَهُوَ الْأَفْضَل
- 10645 Pommelière, tuberculose des bovidés, ou bovine
١٠٦٤٥ سُلُّ الْبَقَرِيَّات ، سُلُّ بَقَرِي
والدَّاء اللَّوْلُوِي ، كَمَا جَاءَ فِي التَّرْجُمَةِ الْإِنْكَلِيزِيَّةِ مِنَ الْمَعْجَمِ الْأَصْلِيِّ (٢)
- 10651 Ponction, piqure v. paracentèse
١٠٦٥١ بَزَلْ ، وَخَزْ ، أَنْظَرْ ثَقْبَ
وَأَرْجَحْ ، بَزَلْ ، وَخَزْ ، بَطْ ، شَقْ (٣) تَارَكَآ ثَقْبَ
تَرْجُمَةُ لِـ (perforation) الْفَقْطَةُ (١٠٠٣٧) .
- 10660 ponction thoracique, pleurale
١٠٦٦٠ بَزَلْ صَدْرِي ، بَزَلْ جَنْبِي
وَأَرْجَحْ بَزَلْ جَوْفِ الصَّدْرِ وَبَزَلْ الْجَنْبَةِ أَيْ جَوْفِ الْجَنْبَةِ
- 10663 ponctionner
١٠٦٦٣ بَزَلْ ، وَخَزْ
بَزَلْ فَقْطْ ، تَارَكَآ وَخَزْ تَرْجُمَةُ لِـ (piquer) .
- 10666 pondérable
١٠٦٦٦ وَزُونْ ، وَازِنْ ، يُمْكِنُ وَزْنَهُ
أَفْضَلُ الْاِقْتِصَارِ عَلَى وَزُونِ وَوَازِنْ

(١) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ : الْحَرْقَدَةُ عَقْدَةُ الْحَنْجُورِ وَالْجَمْعُ الْحَرَاقِدُ .

(٢) (pearl disease) .

(٣) الصَّفْحَةُ ٨ مِنَ الْمَجْلَدِ الثَّامِنِ مِنْ هَذِهِ الْمَجْلَةِ .

10670 Pontage (chirurgie des nerfs)

١٠٦٧٠ تجسير (في جراحة الأعصاب)
وأرجع الجسر أو الوصل لا التجسير^(١) لأن المقصود
وصل بين قطعتي العصب أو بين عصيين

10674 Pore, v. canal sudoripare متشع ، انظر قناة عرقية
وأرجع مُم (بصيغة المفرد)

10674 pore de la peau مسام الجلد ، مناتح
وأرجع مُم الجلد

10676 pore gustatif, du gout مسام ذوقية ، مسام الذوق
مُسم الذوق

10677 Porencéphalie تجوف الدماغ ، توهّد الدماغ
وأفضل تجوف الدماغ^(٢)

10681 Porphyrinurie, hématorporphyrinurie
١٠٦٨١ بيلة بروفينيه ، بيلة دموية بروفينية
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب (porphyrin)

(١) في تاج العروس : جَسَرَ الرجل يَجْسِرُ عقد جَسراً . وجَسْرُهُ
نَجْسِراً شَجَعَهُ .

(٢) في لسان العرب : الوَهْدَةُ الهُوَّةُ تكون في الأرض ومكان وَهْدٍ
وأَرْضٌ وَهْدِيَّةٌ كذلك والوهدة النقرة المنتشرة الأرض أشد دخولاً في الأرض
من الغائط ، وليس لها حرف عرضها رحان وثلاثة لا تثبت فيها شيئاً .

بالفرفيرين ، وجاء في التعريف : خضاب ينتج عن تحلل
الهيموجلوبين المرضي ، وتصبح ترجمة اللفظة بـ « فرفيرينية »
دموية ، فرفيرينية .

١٠٦٨٢ بَرْقَرَة ، رَهْكَ 10682 Porphyrisation

وأفضل السَّحَق والدَّق والرهك وكما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

١٠٦٨٣ كُرَّائِي 10683 Porracé, ée

وأفضل أخضر كُرَّائِي كما جاء الترجمة الألمانية من
المعجم الأصلي (٢) .

10690 portée visuelle, étendue de la vue

١٠٦٩٠ مَدَى البَصَر ، مَسَّع الرُّؤْيَا

وأفضل مَدَى البَصَر ، مَجَال الرُّؤْيَا

١٠٦٩١ حَامِل العِصَابَة أو العِصَاب أو الرُّبْق 10691 porte - lacs

وأرجع حامل الأنشطة أو الحبال (٣)

10691 porter (se)

١٠٦٩١ ثَقِيل ، إِنْتَقَلَ ، بَدَّل حالة الصحة من جيد أو رديء

وأفضل نَقَلَ ، أَقْلَى ، تَمَتَّع بصحة (جيدة أو سيئة)

(١) (porphyrisation, tritumation) .

(٢) (lauchgrün) .

(٣) الصفحة ٦٥ من المجلد الخامس والأربعين من هذه المجلة .

10692 Porter à terme ١٠٦٩٢ حمل تامّ (قبالة)

وأفضل حمل التام (قبالة)

10693 porte - tampon ١٠٦٩٣ حامل السبيخة

وأرجع حامل القطية ، شأن مافعلته اللجنة في لفظة

(tompon) اللفظة (١٣١٤٦) وليس للسبيخة هذه

الدلالة (١) .

10695 porteur de germes actif

١٠٦٩٥ حامل جراثيم فاعيل ، مؤثر

وأرجع ناقل الجراثيم الناشط أو النشط (٢)

10696 porteur de germes passif

١٠٦٩٦ حامل جراثيم متفعل ، متأثر

وأفضل ناقل الجراثيم المتفعل

10697 porteur de germes permanent

١٠٦٩٧ حامل جراثيم دائم أو مستمر

وناقـل الجراثيم الزمن كما جاء في الترجمة الانكليزية

من المعجم الأصلي (٣) .

(١) في لسان العرب: والقطية قطعة كساء أو ثوب ينشف بها الماء، والسبينع

من القطن ما يسبخ أي يلف لتغزله المرأة .

(٢) سبقت اللجنة أن استعملت حامل ترجمة لـ (enceinte) (اللفظة ٤٨٥٩)

(٣) (chronic germ carrier) .

10699 porteur hôte intermédiaire

١٠٦٩٩ حامل الثوري الوسيط

ناقل ، حاضن^(١) لأنه ثمة خطأ مطبعي والصحيح :

porteur, hôte intermédiaire وكما جاء في الترجمة

الانكليزية من المعجم الأصلي^(٢) أيضاً .

10700 Poser des ventouses (sèches), ventouser

١٠٧٠٠ وَضَعَ حَاجِيمَ (جافة) حَتَجَمَ

وأفضل حِجَامَة جافة ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من

المعجم الأصلي^(٣) .

10701 position cadavérique des cordes vocales

١٠٧٠١ وَضَعَ جِيفِي للأوتار الصوتية

وأقر بجمع اللغة العربية في القاهرة الرَضْعَة ترجمة

لِ (position) وهي الأفضل . وتكون الترجمة :

الرَضْعَة الميتة أو الهامدة لأوتار الصوت .

10703 position de Crouzat Walcher (les jambes pendantes)

١٠٧٠٣ وَضَعَ كروزا - والشر (الساقان مدلتان)

والصحيح وضعه كروزات - والخر (كما تلفظ بالألمانية)

والاقتصار على وضعة والخر ، كما جاء في الترجمة الانكليزية

(١) الصفحة ٨٩ من المجلد الثاني والأربعين من هذه المجلة .

(٢) (intermediary carrier) .

(٣) (dry cupping) .

من المعجم الأصلي وكما هو وارد في المعاجم الأخرى^(١)

10704 position de déflexion (obs.) présentation en déflexion

١٠٧٠٤ وَضْعُ انْبِسَاطٍ (قبالة) اِعْتِلَانِ انْبِسَاطِي

وَضْعَةُ الانْبِسَاطِ وَجِيئة انْبِسَاطِيَّةٌ كَمَا أَقْرَأَهَا مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْقَاهِرَةِ .

10705 position genu - cubitale وَضْعُ رُكْبَتِي زَنْدِي

وَوَضْعَةُ الرُّكْبَةِ وَالْمِرْفَقِ كَمَا جَاءَ فِي التَّرْجُمَةِ الْإِنْكَلِيزِيَّةِ مِنَ الْمَعْجَمِ الْأَصْلِيِّ^(٢) .

10706 position genu - pectorale وَضْعُ رُكْبَتِي صَدْرِي
(وَضْعُ السُّجُودِ)

وَوَضْعَةُ الرُّكْبَةِ وَالصَّدْرِ ، كَمَا جَاءَ فِي التَّرْجُمَةِ الْإِنْكَلِيزِيَّةِ مِنَ الْمَعْجَمِ الْأَصْلِيِّ^(٣) .

10707 position (dite) obstetricale وَضْعُ قِبَالِي

الرَّضْعَةُ الْقِبَالِيَّةُ (الْمَسَاءَةُ أَوْ كَمَا يُطْلَقُ عَلَيْهَا) وَكَذَلِكَ وَضْعَةُ الظَّهْرِ وَالْمَصَالِبَةِ لِلسَّرِيرِ ، وَشَقُّ الْخِصَاءِ فِي أَثْنَاءِ الْمَخَاضِ ، كَمَا جَاءَ فِي التَّرْجُمَةِ الْإِنْكَلِيزِيَّةِ مِنَ الْمَعْجَمِ الْأَصْلِيِّ^(٤)

(١) (Walcher position) .

(٢) (knee- elbow position) .

(٣) (knee - chest position) .

(٤) (dorsal, cross - bed or lithotomy in labour) .

- ١٠٧٠٨ وَضْعُ اسْتِرْخَاءٍ 10708 position de relâchement
وضعة الارتخاء أو الفتور
- ١٠٧٠٩ وَضْعُ انْخِرَاجِ الْمَثَانِي 10709 position de la taille
وَضْعَةُ خَزْعِ الْمَثَانَةِ أَوْ الشَّقِ الْخَصْوِيِّ ، كَمَا أَقْرَاهَا جَمْعُ
اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْقَاهِرَةِ ، أَوْ الْوَضْعَةُ الظَّهْرِيَّةُ الْعَجْزِيَّةُ
كَمَا جَاءَ فِي التَّرْجُمَةِ الْإِنْكَلِيزِيَّةِ مِنَ الْمَعْجَمِ الْأَصْلِيِّ^(١).
- ١٠٧١١ وَضْعُ بَطْنِي ، اسْتِلْقَاءٌ عَلَى الْبَطْنِ ، انْبِطَاحٌ ، انْكِبَابٌ 10711 position ventrale, décubitus abdominal ou ventral
وَأَفْضَلُ الْوَضْعَةِ الْبَطْنِيَّةِ ، انْبِطَاحٌ لَا اسْتِلْقَاءٌ^(٢)
- ١٠٧١٤ مَرْكَزُ إِسْعَافٍ ، مَسْعُوفٌ ، مُسْتَشْفَى سِيَّارٍ 10714 Poste de secours, ambulance
مَرْكَزُ إِسْعَافٍ ، ثِقَالَةٌ ، مَرْكَزُ الْإِسْعَافِ الْأَوَّلِيِّ
كَمَا جَاءَ فِي التَّرْجُمَةِ الْإِنْكَلِيزِيَّةِ مِنَ الْمَعْجَمِ الْأَصْلِيِّ^(٣)
- ١٠٧١٨ قَصُّ النِّخَامَةِ الْخَلْفِي 10717 Posthypophyse
وَأَفْضَلُ الْقَصِّ الْخَلْفِيِّ لِلْغَدَةِ النِّخَامِيَّةِ ، وَكَمَا أَقْرَاهَا جَمْعُ
اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْقَاهِرَةِ
- ١٠٧١٨ فِي عَقِبِ الْمَوْتِ (بَعْدَ الْمَوْتِ) 10718 Post mortem (après la mort)

(١) (lithotomy or dorso - sacral position) .

(٢) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ : وَاسْتَلْقَى نَامَ عَلَى ظَهْرِهِ .

(٣) (first - aid station, first - aid post) .

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة بعد الوفاة

١٠٧٢٠ بتعد البَضْع ، عَقِب البَضْع 10720 Post - opératoire

وأفضل بتعد الجراحة

١٠٧٢٤ ما يَطْبَخ في قِدْر ، طَيِّع ، طَبَخَة pot - au - feu 10724

والصحيح السَّلاَقَة وبخاصة سَلاَقَة اللحم^(١)

١٠٧٢٥ شَرُوب ، شَرِيب 10725 Potable

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة شَرِيب

10726 Potage à la farine de céréales, soupe à la farine

١٠٧٢٦ حِساء بدقيق الحبوب ، حساء بالدقيق

حِساء بدقيق الحبوب حِساء بالطَّحِينَ أو حَرِيرَة^(٢)

١٠٧٢٧ حِساءٌ بَدَسَم 10727 Potage au gras

ولعلها الحَزِيرَة^(٣)

١٠٧٢٨ حِساء بِالْحَضَر 10728 Potage aux herbes

وأرجح بالقول

١٠٧٢٧ حِساء بدون دسم 10727 Potage maigre

وأفضل حِساء غير دسم

(١) معجم لاروس .

(٢) في لسان العرب : والحزيرة الحسا من الدسم والدقيق .

(٣) في لسان العرب : والحزيرة والحزير الحسا من الدسم والدقيق وقبل

الحسا من الدسم .

10734 potassium (carbonate acide de) bicarbonate
de potassium

١٠٧٣٤ البوتاسيوم (قحبات) الحامضة ثاني قحبات البوتاسيوم

وأرجع البوتاسيوم (كربونات) الحامضة ثاني كربونات البوتاسيوم

10735 Potassium (carbonate neutre de)

١٠٧٣٥ البوتاسيوم (قحبات) المعتدلة

وأرجع بوتاسيوم (كربونات) الحامضة وثاني كربونات

بوتاسيوم في الأولى ، بوتاسيوم (كربونات) المعتدلة في الثانية^(١)

10749 potentiel d'action consécutif ou tardif (courbe
oscillo graphique) .

١٠٧٤٩ متكنون العمل التالي أو المتأخر (منحني المخطط التوساقي)

وأفضل الفعل أو الأثر الكامن التالي أو المتأخر كما جاء في

الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي^(٢) (المخطط الذبذبي)^(٣)

10750 potentiel d'action de plaque motrice

١٠٧٥٠ متكنون عمل اللوحة المحركة

الأثر الكامن أو الفعل الكامل للوحة الحركة

10751 potentiel d'action de pointe (courbe oscillographique)

١٠٧٥١ مكنون عمل الأسنة أو الأسنان (منحني المخطط التوساقي)

الذروة أو القمة الارتفاع الرئيسي في المخطط الذبذبي

كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي^(١) .

(١) الصفحة ٦٣٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) (after potential oscillographic tracing) .

(٣) الصفحة ٤٩٣ من المجلد التاسع والاربعين من هذه المجلة .

(٤) (spike main deflection of the oscillographic tracing) .

10752 potentiel hydrogène, pH, symbole de la concentration
d'iones acides H

١٠٧٥٢ مكنتون الهيدروجين : أ. هـ .

رمز التركيز من شوارد الهيدروجين الحمضية
الهيدروجين الفعال ب. هـ رمز التركيز للهيدروجين الحامض
الأثر هذا وأقر جمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة
لـ (potency) بالفعالية وجاء في التعريف : هي قوة
تأثير المادة للحصول على نتائج خاصة مثل فعالية الدواء .

10753 Potion, mixture ١٠٧٥٣ جرّوع ، مزيج

والشائع ترجمة اللفظة الأولى شراب وأفضل شراب
جرّوع يشرب بمجوعات .
وأقر جمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة الثانية بمزّوج .
وقد جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي
(draught, draft) وأقر جمع اللغة العربية في القاهرة
ترجمة الثانية بشربة ، وجاء في الشرح : مقدار كبير من
الدواء يؤخذ دفعة واحدة ، هذا وتطلق الشربة في بلاد
الشام على الدواء المسهل .

10754 potion gazeuse ١٠٧٥٤ جرّوع غازي

وأفضل شراب غازي أو شربة غازية لأنه لا يتجرع عادة بل
يشرب دفعة واحدة ، وشراب فوّار كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي (١) .

للبحث صلة

(١) (saturation or effervescing potion or draft) .

كتاب الدلائل في غريب الحديث لأبي محمد قاسم بن ثابت العوفي السمرقاني

الدكتور شكري الفخام

مخطوطة الرباط - لم تصل إلينا مخطوطة الرباط سليمة تامة الأجزاء ،
فقد أبت يد الحدثان إلا أن تذهب بسفرها الأول ، وبقي لنا سفرها :
الثاني والثالث ، وجدا في مكتبة الزاوية الناصرية بمدينة تمكروت (١) . ثم
نقلا إلى الحزاة العامة بالرباط (مخطوطات الأوقاف) .

خط النسخة مغربي ، يجمع بين الصعة والوضوح والجمال ، وضبطت
كلماتها بالنقط والشكل المغربيين فأتقن ضبطها ، وتضم كل صفحة في المخطوطة
(٢١) سطراً ، وقد جعل النسخ بين كل فقرتين دائرة تفصل بينها ،

(١) الزاوية الناصرية : أنشئت بمدينة تمكروت (تمكروت) ، من وادي درعة ،
جنوبي المغرب الأقصى ، وعرفت لذلك بزاوية تمكروت . وكانت تشمل على
نحو عشرة آلاف مخطوط ، كلها من غريب الكتب وتقيسها ، ثم عبث بها العابثون ،
فتمزقت شراً ممزقاً ، وعثر على أشلائها تعرض في الأسواق بأيدي الوراقين والسامرة
(الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ١ : ٩ - ١٠ م ، ٢١ م ، الزاوية الدلائلية
لمحمد حجي : ٥٦ - ٦١) .

ونقطت الدارة في وسطها ، اشعاراً بمعارضة النسخة ومقابلتها بالأصل (١) .
وتدل التعليقات في حواشي المخطوطة على أن النسخة منقولة عن أصل جيد ،
مقروء ، مقابل بعدة نسخ أصول . وتلك التعليقات نوعان : فإذا كان التعليق
استدراكاً لكلمة أو كلمات سقطت - ويسمى ذلك المستدرك : اللحق (بفتح
اللام والحاء المهملة) - أثبت الناسخ في موضع السقط من السطر خطأ
صغيراً صاعداً إلى فوق ، ثم يعطفه بين السطرين عطفاً يسيرة إلى جهة
الحاشية التي يكتب فيها اللحق ، ثم يكتب عند انتهاء اللحق المثبت في
الحاشية كلمة : « صح ، صغيرة . » وتلك هي الطريقة المختارة في تخريج
الساقط (٢) . أما إذا كان التعليق في الحاشية شرحاً وتفسيراً ، أو فائدة ،
أو تنبيهاً على غلط ، أو اختلاف رواية ، أو نسخة ، أو ضبط ، أو نحو
ذلك بما ليس في الأصل ، فقد أثبت الناسخ على الكلمة المقصودة في النص
علامة كالضبة أو التصحيح ، ايذاناً بذلك (٣) . فكانت العلامة (هـ)
المثبتة فوق الكلمة تدل على التخريج في الحاشية اليمنى ، وكانت العلامة
(ص) للتخريج في الحاشية اليسرى .

(١) علوم الحديث لابن الصلاح : ١٦٥ - ١٦٦ ، فتح المغيث ٢ : ١٥٧ - ١٥٨

(٢) الاطلاع : ١٦٢ - ١٦٤ ، علوم الحديث : ١٧١ - ١٧٣ ، فتح المغيث ٢ :
١٧٢ - ١٧٣ ، وقد يثبت الناسخ أحياناً عند انتهاء اللحق كلمتي : « صح ، أصل »
(٢ : ١٠٤ ، ١١٤ ، ٢٨٥ ، ٣ : ٤ ، ٢٣ ، ٩٧ ، ١١٦ ، ١٢٥ ، ١٣٨ ، ١٦٤ ،
٢٣٩ ، ٢٨٦ ، ٢٩٦) أو : « أصل ، صح » (٢ : ١٠٧ ، ٣ : ٢٣٩) ، أو :
« أصل » (٢ : ٣٠١ ، ٣ : ١١٩) .

(٣) الاطلاع : ١٦٤ ، علوم الحديث : ١٧٣ - ١٧٤ ، فتح المغيث ٢ :

فكان التخريج في طريقتيه طرور صفت بيض الحدود^(١)

ويظهر التعقيب في أسفل الصفحات اليمنى ، لضبط أوراق المخطوطة ، خشية أن تزيح عن مواضعها ، ويبدو أن التعقيب في النسخة متأخر عن وقت النسخ ، قام به قارئ خشي على النسخة أن تحتل أوراقها ، يدل على ذلك أن التعقيب جاء في أوراق زاحت عن مواضعها (٢ : ٣٠١ - ٣٠٤ ، ٣ : ١١ - ١٢) ، والتزم الناسخ عند ختام أحاديث الصحابي أو التابعي التي شرح غريبها ولغاتها ألا ينتقل إلى أحاديث من يليه حتى يفصلها عن سابقتها بمثل قوله : « انتهى حديث أبي بكر رضي الله عنه ، يتلوه حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه » .

السفر الثاني من المخطوطة - عدد صفحات السفر الثاني (٣٠٦) صفحة ، وقد جاء في أول صفحة منه : « كتاب شرح الحديث ، بلغاته ، وأمثاله ، وشاهده ، تأليف : أبي محمد قاسم بن ثابت بن حزم السرقطي ، رواية ابنه ثابت [بن] قاسم ، رضي الله عنهم »^(٢) ، وتحت : « ملك لله تعالى ، به سيد محمد بن ناصر ، بقرش »^(٣) . وجاء في جانب الصفحة الأيسر :

(١) الاملا : ١٦٥ ، فتح المغيث ١٧٦ : ٢

(٢) كتب العنوان بخط كاتب مشرقى غير محسن ، لذلك حرفت كلمة : « بلغاته » إلى : « بلغاة » وأضيف إلى : « حزم » كلمة : « حازم » .

(٣) محمد بن ناصر الدرعي : ينتهي نسبه إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، هاجر أجداده إلى درعة في صدر القرن العاشر الهجري ، وولد محمد بن ناصر ونشأ بقرية اعلان في درعة ، ثم انتقل إلى تلمكروت في عام ١٠٤٠ هـ وأقام في زيارتها فنسبت إليه . كان مشاركاً في فنون من العلم كاللغة والعربية والكلام والتفسير =

« مصنف الكتاب من تلامذة الامام الحافظ أحمد بن شعيب النسائي ، صاحب السنن^(١) ، يظهر ذلك من مطالعة كتابه هذا ، إذ يخرج عنه الحديث فيقول : حدثنا أحمد بن شعيب النسائي ، . ووسمت الصفحة الأولى في أعلى الجانب الأيسر بختم نقشه : « مخطوطات الأوقاف - الخزانة العامة بالرباط ، وفي وسط الختم رقم : « ١٩٧ ب » ،^(٣) .

أما الصفحة الثانية التي يبدأ بها الكتاب ، ففيها في الحاشية اليمنى ختمان : واحد منها : ختم خزانة الرباط السابق ، والثاني ختم منقوش فيه : « مكتبة الزاوية الناصرية - تمكروت » ، وفي وسطه رقم : « ٣٢٣ ص » ، وقد وسمت به الصفحة الرابعة أيضاً في حاشيتها اليمنى^(٣) .

= والحديث والتصوف ، توفي سنة ١٠٨٥ هـ ، وإليه ينتسب الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري مؤلف كتاب : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الاستقصا ١ : ٩ م ، ٧ : ٤٣ ، ١٠٥ - ١٠٦ ، الزاوية الدلائية : ٥٦ - ٦١) .

(١) هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي الحافظ ، كان امام عصره في الحديث ، استوطن مصر ، له من المصنفات : السنن الكبرى ، والصغرى ، وهي أحد الكتب الستة ، وله خصائص علي ، ومسند علي ، ومسند مالك ، توفي بمكة ، وقيل : بالرملة ، في سنة ٣٠٣ هـ (وفيات الأعيان ١ : ٧٧ - ٧٨ ، المعبر ٢ : ١٢٣ - ١٢٤ ، تذكرة الحفاظ ٢ : ٦٩٨ - ٧٠١ ، حسن المحاضرة ١ : ١٦٣ ، فهرست ابن خير : ٥٨ ، ١٠٧ ، ١١٠ - ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٤٥ - ١٤٨ ، ٢٠٩ ، وانظر مصادر ترجمته الأخرى في الاعلام للزركلي ١ : ١٦٤ ، المستدرك الثاني : ٢٣ ، ومعجم المؤلفين ١ : ٢٤٤ - ٢٤٥) ، قرأ عليه قاسم بن ثابت وأبوه بمصر (ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، ٤٠٣ ، بغية الملتبس : ٤٣٤ ، نفح الطيب ٢ : ٤٩ ، الديباج المذهب : ١٠٢ ، مجلة مجمع اللغة العربية ، مج ٥٠ : ٥١٧) .

(٢) أثبت الختم نفسه ، ولكن دون ترقيم ، في الصفحات : ١٥ ، ٥٥ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٦٧ ، ٢٠٧ ، ٢٢٣ ، ٢٦٥ ، ٣٠٦) .

(٣) أثبت الختم نفسه ، دون ترقيم ، في الصفحات : ١٦٤ ، ٢٥٠ ، ٣٠٦

ويبدأ المخطوط في مطلع الصفحة الثانية : « بسم الله الرحمن الرحيم .
وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم .

وقال : في حديث النبي ﷺ أنه أتى بعلافة شاة ، فأكل منها ثم
صلّى ، ولم يتوضأ^(١) .

يرويه سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر^(٢) .
قوله : بعلافة شاة ، يريد : بشيء يسير كان قد فضل منها . قال الراجز :

أحمل أُمّي وهي الحُمّالة
ترضعني الدرة والعلالة
ولا يجازي والد فعالة^(٣)

قال أبو زيد : العلالة : اللبن بعد حلب الدرة تنزله الناقة^(٤) ، والأم
تعلل صيهاً بشيء من المرق واللبن^(٥) . وأنشد :

-
- (١) الفائق للزحشرى ٢ : ٤١ ، النهاية في غريب الحديث والأثر (علل) ٣ : ١٤٠ .
(٢) ذكر في تهذيب التهذيب (٤ : ١١٢ ، ٦ : ١٤) أن السفيانيين : سفيان
الثوري ، وسفيان بن عيينة ، قد روي عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، وذكر
في لسان الميزان (٣ : ٥٣) أن سفيان بن عبد الله بن زياد بن حدير قد روى
عنه . ونرجح أن المراد هنا هو سفيان الثوري (ت ١٦١ هـ) - انظر ترجمته في
تهذيب التهذيب ٤ : ١١١ - ١١٥ ، وسبقت الترجمة لعبد الله بن محمد بن عقيل ، وجابر
ابن عبد الله (مجلة مجمع اللغة العربية ، مج ٥١ : ٢٤٣)
(٣) ورد الرجز في كتاب العين ١ : ١٠٠ ، والمحكم لابن سيده ١ : ٤٥ ،
ولسان العرب وقاج العروس (علل) .
(٤) أورد العبارة صاحب التاج (علل) ، وجاء في كتاب الأبل للأصمعي (الكنز
اللفوي : ٨١ - ٨٢) : « وأما العلالة فلبن ينزل بعد لبن ، وأصل ذلك من
قولك : نهل البعير وعلّ » .
(٥) قال صاحب العين (١ : ١٠٠) : « والأم تعلل الصبي بالمرق والحبز ليحتزىء =

وقال الذي يرجو العلالة ورعوا عن الماء ، لا يطرق وهن طوارقه
فما زلن حتى عاد طرفاً ، وشيئته بأصفر تفرجه سجلاً أياقته (١)
وأخبرنا أبو الحسين عن أحمد بن يحيى عن ابن الاعرابي (٢) قال : التلة
والتعل والاهو : واحد ، وأنشد :

= به عن اللبن ... والعلالة : بقية اللبن ، وبقية كل شيء ... « ونقله ابن سيده في
المخصص (١ : ٢٨) وكان قاسم بن ثابت وأبوه أول من أدخل كتاب العين للخليل
ابن أحمد إلى الأندلس (مجلة مجمع اللغة العربية ، مج ٥٠ : ٥١٩) ، وفي المحكم
١ : ٤٥ ، واللسان (علل) قريب مما في كتاب العين .

(١) قال في اللسان (ورع) : وترع الابل عن الحوض : ردّها فارقت ،
قال الراعي :

وقال الذي يرجو العلالة ورعوا عن الماء ، لا يطرق وهن طوارقه

وتجد الشاهد نفسه في المحكم ٢ : ٢٥١ - ٢٥٢ والتاج (ورع) . ولم يرد
البيتان في شعر الراعي المجموع (ط. دمشق) . والطرق : هو الماء الذي يكون في
الأرض ، فتبول فيه الابل وهو مستنقع . يقال له : طرق ومطروق (غريب
الحديث لأبي عبيد ٤ : ٤٣٥) . والأياتق : جمع الجمع ، المفرد : ثاقه وجمعها أيتق
وجمع الجمع أياتق .

(٢) أبو الحسين محمد بن ولاد التميمي ، أخذ عن أبي علي الدينوري وعن محمود
ابن حسان وغيرهما بمصر ، ثم رحل إلى العراق ، وأقام بها ثمانية أعوام ، ولقي المبرد
وثعلبا . وكان حسن الخط ، صحيح الضبط . قرأ على المبرد كتاب سيبويه ، وله
كتاب المنق ، والمقصود والمدود . وعدّه الزبيدي في الطبقة الثانية من النحويين
واللفويين المصريين . توفي سنة ٢٩٨ هـ (طبقات الزبيدي : ٢١٧ ، ط ٢ ، بقية
الرواة : ١١٢ ، معجم الأدباء ١٩ : ١٠٥ - ١٠٦ ، الاعلام للزركلي ٧ : ٣٥٩ ،
معجم المؤلفين ١٢ : ٩٥) وقد صرح القاسم بن ثابت باسمه في كتابه الدلائل حين
قال : « وكان أبو الحسين محمد بن ولاد النحوي يقول في قول خنساء :

وقائلة والنمش قد فات خطوها لتدركه : يالنف نفسي على عمرو =

غينا فافئنا النار تعة يارقاص مرقال تحب وتعتق
لها من رديف كان لدنا ردافه وذو رقع من خمر عانة متأق
لها : أي من اللهو ، وذو رقع : يريد زقاً ، وألهاه ذو رقع أيضاً . وقال
الأسود بن يعفر :

ألا هل لهذا الدهر من متعلل على الناس مها (١) شاء بالناس يفعل
وهذا ردائي عنده يستعيره ليسلبي نفسي ، أمال بن حنظل (٢) ،
واختتم السفر الثاني منه (س : ٣٠٦) بقوله : « وفي قول أبي مسعود
[عقبة بن عمرو الأنصاري] : كراهية أن يعلم ، ثلاث لغات : كراهية
وكراهة وكراهين ، قال أبو زيد : سميت أعرابياً من بني تميم يقول : أثبتك

= قال : معناه : قد فات خطوما الذي كانت تخطوه لتدركه ، أي لكي تدركه ..
(مخطوطة الظاهرية ، ط ٨١) .

— أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١ هـ) ، كان من الحفاظ والعالم وصدق
اللهجة ، والمعرفة بالغريب ، ورواية الشعر القديم ، ومعرفة النحو على مذهب
الكوفيين ، على ما ليس عليه أحد ، نظر في النحو ، وله ثمان عشرة سنة ، وصنف
الكتب وله ثلاث وعشرون — انظر مراجع ترجمته في حاشية : انباء الرواة ١ :
١٣٨ ، وحاشية : وفيات الأعيان ١ : ١٠٢ (تحقيق د. إحسان عباس) وفي
الأعلام للزركلي ١ : ٢٥٢ ، ومعجم المؤلفين ٢ : ٢٠٣ - ٢٠٤

— أبو عبد الله محمد بن زياد الاعرابي (ت ٢٣١ هـ) ، كان نحويًا فاضلاً كثير
السماع راوية لأشعار القبائل ، كثير الحفاظ ، ولم يكن في الكوفيين أشبه برواية
البصريين منه — انظر مراجع ترجمته في حاشية : انباء الرواة ٣ : ١٢٨ ، وحاشية :
وفيات الأعيان ٤ : ٣٠٦ ، وفي الأعلام ٦ : ٣٦٥ - ٣٦٦ ، ومعجم المؤلفين
١٠ : ١١ - ١٢

(١) رسمها الكاتب في النسخة : « مهمى » .

(٢) أنظر البيتين وتخريجها في : ديوان الأسود بن يعفر (صنعة د. نوري

حمودي القيسي - بغداد ، ١٩٧٠) : ٥٦ - ٥٧ ، ٨١ .

كرايين أن تغضب» (١). وجاء في أثره : « تم الشرح بحمد الله وعونه ، وصلى الله على محمد نبيه وعبداه ، وعلى آله وسلم تسليماً ، وزادهم شرفاً وتعظيماً . يتلوه في السفر الثالث ، إن شاء الله تعالى ، وقال : في حديث النعمان بن بشير رحمه الله ، وجاء في الحاشية اليمنى : « بلغت بالمقابلة بالأصل المنقول منه ، والحمد لله » (٢) .

السفر الثالث من المخطوطة - عدد صفحات السفر الثالث (٣٠٨) صفحة ، وقد جاء في أول صفحة منه : « كتاب الدلائل في معاني الحديث ، ونحته : « ملك الله تعالى ، بيد سيد محمد بن ناصر بقرش » ، يلي ذلك : « الحمد لله وحده . مؤلف هذا الكتاب ، على ما في اختصار نفح الطيب المسمى بتغريد المنديب على غصن الأندلس الرطيب ، هو : قاسم بن ثابت أبو محمد العوفي السرقسطي ، رحل مع أبيه ، فسمع بمصر من أحمد بن

(١) ورد الحديث في مخطوطة الظاهرية (٦٦ و) ، وعلق عليه في الحاشية : « قال الخطيئة شاهداً على الكرايين :

وبكرٍ فلاها عن نعيم ، غريفة مصاحبة على الكرايين فاركة»

قال السكري : « يريد بكراً سبأها ، فقطعها عن نعيم أهلها ، فصارت لغير بعليها ، مصاحبة له على الكراهية ، فاركة له . يقال : كراهة وكراهية وكرايين ، بمعنى واحد » (ديوان الخطيئة : ٦٦) وجاء الشاهد في اللسان والتاج (كره) .

(٢) أشير إلى المقابلة في تضاعيف السفر بعبارات متقاربة مثل : بلغت بالمقابلة ، بلغت بالمقابلة فالحمد لله على ذلك ، بلغت بالمقابلة فصع والحمد لله وصلواته على محمد وعلى آله وسلم تسليماً ، بلغت بالمقابلة بالأصل (ص : ١٢ ، ٩٠ ، ٧٧ ، ١٢٣ ، ١٤٤ ، ٢٠٣ ، ٢٢٨ ، ٢٩٠ ، ٢٨٧) .

شعيب النسائي ، والبزار ، وبمكة من [عبد الله بن] (١) علي بن الجارود .
والجوهري ، واعتنى بالحديث واللغة هو وأبوه فأدخلا للأندلس علماً كثيراً ،
ويقال : إنها أول من أدخل كتاب العين إلى الأندلس . وأُثِفَ (٢) قاسم
هذا في شرح الحديث كتاباً سماه : الدلائل ، بلغ فيه الغاية من الاتقان ،
ومات قبل إكماله ، فأكماله أبوه ثابت بعده . وقد روي عن أبي علي
البغدادي أنه كان يقول : كتبت كتاب الدلائل ، وما أعلم أنه وضع
بالأندلس مثله . وكان قاسم عالماً بالحديث والنحو والشعر ، وكان ، مع
ذلك ، ورعاً ناسكاً (٣) ، وأريد للقضاء بسرقة ، فامتنع من ذلك ،
فأراد أبوه إكراهه على ذلك ، فسأله أن يتركه ينظر في أمره ثلاثاً [فمات
في هذه الثلاثة الأيام] فيرون (٤) أنه مات في تلك الثلاث لأنه دعا لنفسه
بالموت ، وكان بحاج الدعوة . توفي في سنة اثنتين (٥) وثلاثمائة بسرقة ،
رحمه الله تعالى ، آمين ، آمين ، (٦) ، وفي زاوية الصفحة اليسرى ختم

(١) زيادة لا بد منها - انظر : نفح الطيب ٢ : ٤٩ ، وابن الفرضي ١ : ٤٠٣ ،
ربغية الملتبس : ٤٣٤

(٢) كتبت في المخطوطة : « واللف » بلامين ، وكذلك جاءت بلامين في تاريخ
ابن الفرضي ١ : ٤٠٣ ١٨ .

(٣) كتبت في المخطوطة : « نسكا » بغير ألف .

(٤) جاءت في المخطوطة بوار واحدة ، وكذلك جاءت في أصل ابن الفرضي
١ : ٤٠٣ ١٨ ، وفي ربغية الملتبس : ٤٣٥ ، وهي صحيحة المعنى ، ولكن نُشِرَ
ابن الفرضي جملها : فيرون ، يوارين . وكذلك جاءت يوارين في نفح الطيب ٢ : ٤٩
(٥) جاءت في المخطوطة : « اثنين » .

(٦) انظر : نفح الطيب ٢ : ٤٩ - ٥٠ ، وابن الفرضي ١ : ٤٠٢ - ٤٠٣ ،
فقد تابع المقرئ في الترجمة التي عقدها لقاسم ما جاء في كتاب ابن الفرضي .

نقشه : « مخطوطات الأوقاف - الخزانة العامة بالرباط » وفي وسط الحتم رقم « ١٩٧ ج » ، ووسمت الصفحة الثانية من المخطوطة بختمين ، أحدهما : ختم الخزانة العامة نفسه ، دون ترقيم (١) ، والثاني : نقش فيه : « مكتبة الزاوية الناصرية - تمكروت » وفي وسط الحتم رقم : « ٣١٨ ص » ، ووسمت به أيضاً الصفحة الرابعة (٢) .

ويبدأ السفر الثالث في الصفحة الثانية : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على النبي الكريم محمد ، وعلى آله وسلم تسليماً .

وقال : في حديث النعمان بن بشير رحمه الله قال : استعملني عمر بن الخطاب أو عثمان بن عفان على صدقات سعد هذيم ، وهم : عنزة ، وسلامان^(٣) ، وضئة ، والحارث ، وهم من قضاة ، فلما قبضت الصدقة قسمتها بين أهلها ، وأقبلت بالسهمين الباقيين إلى عمر أو عثمان ، فلما كنت يبلاد عنزة في حيّ منهم يقال لهم : بنو عند ، إذا أنا ببيت حريد ، جاحش عن الحي^(٤) ، فملت إليه فإذا عجوز جالسة عند كسر البيت ، وإذا شاب نائم في ظل البيت ، فلما قعدت فسلمت ترنم بصوت له ضعيف فقال :

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف حَجَرٍ إن هما شفياني

(١) وجاء مثله دون ترقيم في الصفحات : ٤٦ ، ٤٧ ، ١٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٨

(٢) ووسمت بالحتم نفسه دون ترقيم الصفحات : ٨٦ ، ١٨٦ ، ٢٦٨ ، ٣٠٨

(٣) أثبت فوقها كلمة « صح » صغيرة .

(٤) جاء في الحكم (٢٩ : ٣) واللسان (جحش) : « وجحش عن القوم : تنحى ، ومنه قول النعمان بن بشير : فيينا أنا أسير في بلاد عنزة إذا ببيت حريد جاحش عن الحي » زاد في اللسان : « والحريد » في قول النعمان بن بشير : الذي تنحى عن قومه وانقرده »

فقالا : نعم ، نشفي من الداء كله وقاما مع العسود يتدبران
نعم وبلى قالوا : متى كنت هكذا ليستغبراني ، قلت : منذ زمان
فما تركا من رقية يعلمانها ولا سلوة إلا بها سقياني^(١)
فقالا : شفاك الله ، والله مالنا بما حملت منك الضلوع^(٢) يدان^(٣)
ثم شق شقة خفيفة فنظرت ، فإذا هو قد مات...^(٤) .

وكان ختام السفر الثالث (ص : ٣٠٨) : « وفي حديث لعبد الملك
ابن مروان أن رجلاً وصف له ظبية سادها وشواها ، قال : ثم كشطت
عنها جلدها كالفُبطية البيضاء ، واستخرجت مثرها كالفرنية الحمراء .

الفرنية^(٥) : خبزة مسلكة مصبغة ، تشوى ثم تروى لبناً وسماً
وسكراً . وأهل الشام يتخذون الفرنية على صنعة كير الزجاجين ، يختبزون
فيه الفرنية^(٦) . ثم يليه : « كمل كتاب الدلائل على معاني الحديث بالشاهد
والمثل ، تأليف أبي محمد قاسم بن ثابت رحمه الله ، والحمد لله على عونه وتأييده ،
وصلى الله على محمد نبيه المصطفى ، وعلى أهله وذريته ، وسلم وشرف

(١) اثبت فوقها علامة التنبيه على اختلاف النسخ ، ليذكر في الحاشية : « شفياني »
فوقها « خ » صغيرة ، أي أن الرواية قد جاءت في نسخة ثانية : شفياني ، بدل :
سقياني ، لأن الحاء المعجمة ومز النسخة (فتح المغيث ٢ : ١٧٥) .

(٢) انظر الخبر والقصيدة وتخريجها في نوادر القالي : ١٥٧ - ١٦٢ ، وسمط
اللاي ٣ : ٧٣ - ٧٤

(٣) يقع الحديث في مخطوطة الظاهرية (و ٦٦) .

(٤) يقع الحديث في مخطوطة الظاهرية (ط ١٧٩) .

وكوم». وتحت ذلك: «بلغت بالمقابلة بالأصل المنتسخ منه»^(١)، والحمد لله على ذلك، وصلواته على محمد رسوله، وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً كثيراً.

— وإذا تجاوزنا ما جاء في الحواشي من استعراك يتصل بالسقط، فلمله يحسن أن يختار بعض الحواشي الأخرى التي لا تخلو من دلالة خاصة:

— جاء في (٢: ٦١): وقال: في حديث النبي ﷺ الذي برويه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا إذا اشتد البأس، واحمرّت الحلق، اتقينا برسول الله ﷺ، فلم يكن أحد منا أقرب إلى العدو منه، فكان التعليق في الحاشية: «تكرر هذا الحديث في حديث علي»^(٢).

— عرض قاسم بن ثابت (٢: ٦٧) لقول رسول الله ﷺ: اطلبوا الحوائج من حسان الوجوه^(٣)، وذكر وجهين في تفسيره، ثم قال: «وأما العامة فإنهم يابون إلا الوجه الأول، وقال فيه شاعرهم:

ودعاني إليك قول رسول الله ﷺ، إذ قال مفصلاً إفصاحاً:

إن أردتم حوائجاً من أناس فتوخوا بها الوجوه الصباحا

فلعمري، لقد تخبرت وجهاً مابه خاب من أراد نجاحاً»

فكتب أحد القراء في الهامش: «حاشية - ومنه أيضاً، لله دره:

(١) أشير إلى المقابلة في أضعاف السفر (ص: ٣، ٣٤، ٥٤، ٧٨، ٩٨،

١١٨، ١٥٨، ١٧٨، ١٩٨، ٢١٨، ٢٣٨، ٢٥٨).

(٢) انظره في حديث علي - المخطوطة ٢: ١٩٧.

(٣) رواء السيوطي في الجامع الصغير: «اطلبوا الخير عند حسان الوجوه»

وانظر طرقه ورواياته في شرح النواوي: فيض القدير ١: ٥٤٠ - ٥٤١.

لقد قال الرسول وقال حقاً : ، وخير القول ما قال الرسول ،
إذا الحاجات . . . فاطلبوها الى من وجهه حسن جميل
وكتبه أحمد بن سره (١) .

- وذكر قاسم بن ثابت (٢ : ١٧٦) كلمة سمالك بن حرب (٢) في أبي
زيد الطائي (٣) : أنه لقيه أسد بثني القرات فسلكه ، فصار شعرا أبي زيد
كله في الأسد ، فجاء التعليق في الحاشية اليمنى : قال أبو جعفر بن
النحاس (٤) في طبقات الشعراء له : في بعض الأخبار أن شعبة قال : قلت

(١) جاءت الكلمة مهمة في المخطوطة .

(٢) أبو المغيرة سمالك بن حرب الذهلي البكري الكوفي . توفي سنة ١٢٣ هـ
(تهذيب التهذيب ٤ : ٢٣٢ - ٢٣٤) .

(٣) أبو زيد حرمة بن المنذر ، وقيل : المنذر بن حرمة ، من قبيلة طيس ،
كان جاهلياً قديماً ، وأدرك الاسلام ، فعدّ في المخضمين ، وكان من المعشرين ،
فادم الوليد بن عقبة ، وكان مغرى بوصف الأسد . تجد ترجمته وأخباره في :
طبقات فحول الشعراء (تحقيق أستاذنا الشيخ محمود محمد شاكر) ٢ : ٥٩٣ - ٦١٥ ،
والشعر والشعراء ١ : ٢٦٠ - ٢٦٤ ، والأغاني ٥ : ١٣٣ - ١٤٠ ، ١٢ : ١٢٧ -
١٣٩ ، ومعجم الأدباء ١٠ : ١٩١ - ٢٠٩ ، وخزانة الأدب ٢ : ١٥٣ وما يليها ،
وانظر بقية المراجع في حاشية : الشعر والشعراء ١ : ٢٦٠ ، وفي الاعلام للزركلي
٨ : ٢٢٨ ، المستدرك الثاني : ٢٤٨ ، وقد جمع شعره الدكتور فوري حمودي
القيسي (بغداد ، ١٩٦٧) .

(٤) أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل الرازي النحاس النحوي المصري
(ت ٣٣٨ هـ) ، كان عالماً بالنحو حاذقاً ، وخرج إلى العراق ، ولقي أصحاب
المبرد ، وله تصانيف في النحو وفي تفسير القرآن جياة مستحسنة ، توفي بمصر - =

للطرماح^(١) : ماشأن أبي زبيد وشأن الأسد ، قال : انه لقيه أسد بالنجف ، فسلكه ، وذكروا أن عثمان بن عفان كان يدينه ويقربه ، وكان نصرانياً .
 - أورد القاسم (٢ : ١٨١) كلمة علي بن أبي طالب يوم الجمل التي يقول فيها : « ثم استخلف عمر ، رحمه الله ، فأقام واستقام ، ثم ضرب الدين بجراشه ... » وعقب بتفسير غريبه فقال : « قوله : ضرب الدين بجراشه : يعني أنه انتهى إلى ذلك ثم جثم ولم ينهض ، وسكن من غلوائه »^(٢) فأثبت الناسخ شبه علامتي تضبيب في مبدأ قوله : وسكن من غلوائه ، ونهايته ، ليعلق على ذلك بقوله : « ثبت المعلم - حاشية » .

- وحين روى القاسم (٢ : ١٨٢) كلمة الحصني يذكر فيها نجماً يعرف بسهم الرامي ، حيال القلادة ، جاء في الحاشية اليمنى تعريفاً بالشاعر الحصني : « قال الأصماني : اسمه محمد بن يزيد من ولد مسلمة بن عبد الملك ، ينسب إلى حصنه ، وقال ابن قتيبة : هو رجل من أهل الشام ، كان حسن المعرفة بمنابر النجوم ، وأنشد له في كتاب الأنواء ، من هذا الشعر :
 حتى إذا ما الحوت في حوض من اللو كرع
 ووازن الكف التي فيها خضاب قد نصع

= انظر مراجع ترجمته في حاشية : انباء الرواة ١ : ١٠١ ، والأعلام للزركلي ١ :

١٩٩ ، ١٠ : ٢٧ ، ومعجم المؤلفين ٢ : ٨٢ - ٨٣

(١) أبو بسطام شعبة بن الحجاج البصري (ت ٨١٦٠) ، لم يكن في زمنه مثله في الحديث ، وكان صاحب نحو وشعر ، قال فيه الأصمعي : لم تر أحداً أعلم بالشعر منه (تهذيب التهذيب ٤ : ٣٣٨ - ٣٤٦) .

- أبو نقر الطرماح بن حكيم ، من طيبي ، من شعراء الدولة الأموية وكان يرى رأي الخوارج ، انظر مراجع ترجمته في حاشية الشعر والشعراء ٢ : ٥٦٦ والأعلام للزركلي ٣ : ٣٢٥

(٢) جاء الحديث في مخطوطة الظاهرية (ر ٣) .

قال الدليل : عرّسوا قليس في صبح طمس^(١) ،

— جاء في الدلائل (٢ : ١٨٣) : « قال الشاعر^(٢) :

تضحى وقد ضمنت خمراتها غرقاً من طيب الطعم حلو غير مجهود
فوضع الناسخ علامتي تنبيه : أولاهما فوق كلمة تضحى ، لذكر في
الحاشية اليمنى الرواية الصحيحة :

« تصبح وقد ضمنت

وتصبح : جواب الشرط في البيت الذي قبله ، ، والعلامة الثانية فوق
كلمة : « غرقاً » لذكر في الحاشية اليسرى نقلاً عن : س : « في [كتاب]
العين : اللبن : عرق يتحلب في العروق حتى ينتهي إلى الضرع . وأنشد
بيت الشاه بن ضرار :

تصبح وقد ضمنت خمراتها عرقاً^(٣)

وسائر المغويين رواء غرقاً ، جمع غرفة ،^(٤) .

— ويروي قاسم (٢ : ٢٠٦) قول رسول الله ﷺ لعلي بن أبي
طالب : « أين درعك الخطمية ؟ » ويذكر أنها : « منسوبة إلى حطمة بن

(١) انظر مجلة مجمع اللغة العربية ، مج ٥١ : ٢٥٧ - ٢٥٩

(٢) هو الشاه يصف الابل ، وقيل :

إن تمس في عرفط ، صلع جماجه من الأساتق عاري الشوك مجرود

يقول الشاه في صفة الابل : مي ، على قلة رعيها وخبثه ، غزيرة اللبن .
وانظر : البيتين وتخريجها في : ديوان الشاه بن ضرار الغطفاني (ط : دار المعارف
بمصر) : ١١٧ ، ١٢٢

(٣) كتاب العين ١ : ١٧٣

(٤) في حاشية الظاهرية اليسرى (ط ٣) تعليق قريب مما هنا .

محارب، فيعلق الناسخ في حاشية الصفحة اليسرى : « ابن حبيب : حطمة ،
بفتح الحاء وسكون الطاء ، وعنه أيضاً : حطمة بتحريكها ، (١) .

— جاء في حاشية الصفحة (٢ : ٢٠٨) العليا تعليق لأحد القراء :

« والله در القائل :

هذا الكتاب لو يباع بوزنه ذهباً لكان البائع المغبوناً
ومن الخسارة (٢) أن تراني آخذاً ذهباً وأعطي لؤلؤاً مكنوناً
ثم كتب المعلق على حاشية الصفحة اليمنى جدولاً ، وزع فيه الأعداد
التسعة وفق ما يلي :

٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦

وهو توزيع يجعل مجموع كل ثلاثة أعداد من الجدول ، مذكورة في

(١) في حاشية مخطوطة الظاهرية (و ١٣) تعليق أكثر بسطا : « ابن حبيب :
حطمة ، بفتح الحاء وسكون الطاء ، وعنه أيضاً : حطمة : بتحريكها بالفتح . ابن
دريد : الحطم : رجل من عبد القيس تنسب إليه الدروع الحطمية ، عرفه ابن الكلبي ،
وقال الأصمعي : لأدري إلى [أي] شيء نسب » (مختلف القبائل ومؤلفها لابن حبيب
٣٩ ، وجمهرة اللغة لابن دريد ٢ : ١٧٢) ، وانظر : الفائق ١ : ٢٦٩ ، ولسان العرب
والتاج (حطم) ، والأنساب للسماعني ٤ : ١٩١ ، والاكمل لابن ماكولا ٣ : ١٦٦ - ١٦٧
مع حاشية الشيخ المحقق الأستاذ العلمي الجاني .

(٢) كتبت في المخطوطة بالصاد بدل السين .

سطر أفقي ، أو سطر مودي ، أو على أحد قطري الجدول ، خمسة عشر ، ثم كتب تحتها : « الله حفيظ لطيف قديم أزلي حي قيوم لا ينام ».

— يذكر قاسم (٣ : ٣) قول أبي زيد الأنصاري : « ويقال عند الدعاء على الرجل : ألحق الله بك الحوبة » فيضع الناسخ علامة التنبيه فوق كلمة الحوبة ليذكر في الحاشية : « س : من المصنف لأبي عبيد : أصابتهم خوبة : إذا ذهب ما عندهم ، فلم يبق شيء » ، كذا روي عنه : خوبة بالخاء المعجمة . ابن الأعرابي : خاب الرجل بخوب خوباً : إذا افتقر فقراً مدقعاً . والعرب تقول : اللهم إنا نعوذ بك من الخوبة ، قاله المطرز عن ثعلب ، (١).

— يروي قاسم (٣ : ١٧٢) بيت الفرزدق في الصقيع :

وأصبح مبيض الصقيع كأنه على سروات النيب قطن مندف

فيعلم الناسخ على النيب ، ليذكر في الحاشية : « أجود هذه الروايات كلها : النيب من الابل ، قاله س ، وهي حاشية لانجد ما يماثلها في مخطوطة الظاهرية ، ثم تليها في الصفحة نفسها حاشية ثانية قالها : س ، أيضاً ، وشاركت فيها مخطوطة الظاهرية (و ١١٧) وهي أن النهل جمع ناهل .

— في (٣ : ١٧٥) حاشيتان ، أولاهما ، نجسد مثلها في مخطوطة الظاهرية (ظ ١١٨) ، أما الثانية : فتتفرد بها مخطوطة الرباط ، تعليقاً على بيت نسب للبيد وهو :

بكي جزعاً من أن يموت وأجهشت إليه الجرثى ، وارمغل خنيثها^(٢)

ليأتي التعليق : « أنشده ابن الأعرابي لمبارك بن حصن الفقمي » .

(١) في مخطوطة الظاهرية (ظ ٦٧) الحاشية نفسها ، وانظر لسان العرب (خوب).

(٢) الجرثى ، كزَمْكى : النفس ، وارمغل الرجل ، بالعين المهملة والغين المعجمة :

شقي ، انظر اللسان والتاج في (جرثى ، ومعل ، خن) .

— يروي قاسم (١٨٣ : ٣) قول النابغة :

إذا نطقت حذام فأنصتوها فإن القول ما قالت حذام
ليأتي التعليق في الحاشية : « البيت للجم بن صعب بن علي ، يقوله
لزوجته حذام بنت جسر بن تيم بن يقدم بن عترة ، قاله ابن الكلبي ، وهو
تعليق بنجده في حاشية الظاهرية أيضاً (و ١٢٣) ، إلا أن البيت في
الظاهرية يروي :

إذا نطقت حذام فصدقوها

ليشار في الحاشية إلى أن رواية « فأنصتوها » وردت في نسخة .
وهذا ، إلى جانب أدلة أخرى ، يؤكد أن نسختي الرباط والظاهرية
قد نقلتا عن أصلين مختلفين ، ولكن كلاهما قبل بعدة نسخ أصول .
يؤيد ذلك ما نجده في بعض تعليقات الحواشي ، كقوله : « المعلم عليه إلى آخر
الحديث : ثبت في بعض الكتب ، ثم يقول في نهاية الحاشية : « لم يثبت
الملحق في الأصل ، وثبت حاشية كما كتبه بخط غ » (٣ : ٢٤٣ ، ٢٤٤)
والحاشية نفسها مثبتة في مخطوطة الظاهرية (و ١٥٣) ولكن دون تعليق .
وجاء في حاشية للظاهرية (و ١٥٠) : « سقط عند ع إلى آخر الحديث ،
وهو ساقط حقاً في نسخة الرباط (٣ : ٢٣٧) .

— أورد قاسم (٢٥٠ : ٣) بيت حميد بن ثور :

وصبأ منها كالسفينة نضجت به الحمل حتي زاد شهراً عديدها (١)

وعقب بتفسيره فقال : « قوله : منها : يعني من الابل ، أضمرها ولم

(١) انظر البيت وتخرجه في: ديوان حميد بن ثور الملالي (ط. دار الكتب ، ١٩٥١م)
صنع الأستاذ الكبير عبد العزيز اليمني .

يُجَرُّ لها ذكرًا^(١) ، به : يعني بولدها ... ، فجاء التعليق في الحاشية :
« س : هذا البيت أول القصيدة » .

- وتتطابق أو تتقارب حواشي نسختي الرباط (٣ : ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،
٢٥٧) والظاهرية (و ١٥٥ ، ظ ١٥٥ ، ظ ١٥٨) ، إلا أن نسخة الرباط
تحتفظ أحياناً بالرمز : « س » ، أو الرمز : « دغ » ، إزاء الحواشي .

- في (٣ : ٢٥٤) : « دغ » : نا ابن الميثم عن داود بن محمد عن ثابت
عن ابن الأعرابي .

- في (٣ : ٢٥٥) : « دغ » : أبو عمر النمري ، نا عبد الوارث ،
نا قاسم ، نا محمد بن عبد الله بن الغاز قال : نا أبو حاتم عن العتيبي قال :
حدثني أبو حفص قال : كتب عدي إلى عمرو يستأذنه ، وذكره .

* * *

أشار إلى هذه المخطوطة الأستاذ الدكتور محمود علي مكِّي في

(١) وكذلك جاءت في مخطوطة الظاهرية (ظ ١٥٥) ، أما في مخطوطة
امتنبول (و ١٥٧) فجاءت : « ولم يجر لها ذكر » . وكان تعليق الظاهرية في
الحاشية على شرح القاسم : « قوله : ولم يجر لها ذكر ، لأن البيت هذا أول القصيدة » .
قال في لسان العرب (نضج) : « ونضجت الناقة بولدها ونضجت وهي منضج :
جاوزت الحق بشهر ونحوه ولم تنتج ، أي زادت على وقت الولادة » ثم أورد بيت
حميد بن ثور شاهداً على ذلك . واستشهد الزمخشري في أساس البلاغة (نضج)
بالبيت نفسه منسوباً إلى الخطيئة .

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد^(١) وأعاد الحديث عنها في كتاب :
المقتبس لابن حيان الأندلسي^(٢) . ثم أشار الى المخطوطة الأستاذ عز الدين
التنوخى في كلمته التي تحدث فيها عن كتاب الدلائل^(٣) .

وهذا ثبت ماتضمنه السفران الثاني والثالث من المخطوطة :

- وقال في حديث النبي ﷺ (٢ : ٢) - حديث أبي بكر (٨٩ : ٢)
- حديث عمر بن الخطاب (١٠٤ : ٢) - حديث عثمان بن عفان (١٤٨ : ٢)
- حديث علي بن أبي طالب (١٧٦ : ٢)

وهنا تلتقى المخطوطة المغربية بمطلع السفر الثاني من المخطوطة الظاهرية .

- حديث الزبير بن العوام (٢١٤ : ٢) - حديث طلحة (٢١٩ : ٢)
- د سعد (٢٢٢ : ٢) - د أبي عبيدة بن الجراح (٢٢٨ : ٢)
- د عبدالرحمن بن عوف (٢٣٠ : ٢) - د أبي بن كعب (٢٣٣ : ٢)
- د أبي موسى الأشعري (٢٣٤ : ٢) - د حديث المقداد (٢٤٠ : ٢)
- د حديث العباس (٢٤١ : ٢) - د زيد بن ثابت (٢٥٠ : ٢)
- د عبد الله بن أنيس (٢٥٣ : ٢) - د حديث معاذ (٢٥٣ : ٢)
- د عمار (٢٥٤ : ٢) - د سلمان (٢٥٦ : ٢)
- د أبي أيوب (٢٥٧ : ٢) - د خوات (٢٥٨ : ٢)
- د زيد بن خالد (٢٥٨ : ٢) - د عبد الله بن سلام (٢٥٩ : ٢)

(١) المجلدان التاسع والعاشر (١٩٦١ - ١٩٦٢) : ٤٥٠

(٢) المقتبس (ط. القاهرة ، ١٩٧١) : ٣٣٥ ، (ط. بيروت ، ١٩٧٣) : ٤٩٣

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٢١ : ١٦ - ١٨ (كانون الثاني ، ١٩٦٦)

-
- حديث أبي ذر (٢ : ٢٦٠) - حديث عبد الله بن بسر (٢ : ٢٦٨)
 - د عبد الله بن مسعود (٢ : ٢٦٩) - د زيد بن أرقم (٢ : ٢٨٧)
 - د عمران بن حصين (٢ : ٢٨٩) - د حذيفة بن اليمان (٢ : ٢٩٠)
 - د أبي الدرداء (٢ : ٣٠٢، ٢٩٥) - د عوف بن مالك (٢ : ٢٩٧)
 - د وائل بن حجر (٢ : ٢٩٧) - د أبي حذيفة بن عتبة (٢ : ٢٩٨)
 - د عمار بن ربيعة (٢ : ٢٩٩) - د المغيرة بن شعبة (٢ : ٣٠٠)
 - الضحاك بن قيس (٢ : ٣٠٠) - د عقيل بن أبي طالب (٢ : ٣٠٥)
 - النعمان بن بشير (٣ : ١١٤، ١٢) - د أبي سعيد الخدري (٣ : ٤)
 - أبي هريرة (٣ : ٥) - د عقبه بن عامر (٣ : ١٠)
 - د حذيفة بن أسيد (٣ : ١٣) - د جابر بن عبد الله (٣ : ١٣)
 - د كعب بن مالك (٣ : ١٥) - د البراء بن عازب (٣ : ١٦)
 - د أبي برزة (٣ : ١٧) - د حسان بن ثابت (٣ : ١٩)
 - د عمرو بن العاص (٣ : ٢٢) - د عبد الله بن عمرو بن العاص (٣ : ٢٦)
 - د معاوية بن أبي سفيان (٣ : ٢٩) - د يزيد بن أبي سفيان (٣ : ٤٦)
 - د الحكم بن أبي العاص (٣ : ٤٩) - د مروان بن الحكم (٣ : ٥٢)
 - د عائشة (٣ : ٥٢) - د أم سلمة (٣ : ٦٣)
 - د فاطمة بنت قيس (٣ : ٦٤) - د أسماء بنت يزيد (٣ : ٦٥)
 - د حفصة (٣ : ٦٥) - د صفية (٣ : ٦٦)
 - د سودة (٣ : ٦٧) - د أسماء بنت أبي بكر (٣ : ٦٨)
 - د ابن عباس (٣ : ٧٠) - د عبد الله بن عمر (٣ : ٩١)

- حديث أنس بن مالك (٣ : ١٠٩) - حديث عبدالله بن الزبير (٣ : ١١٠)
- د الحسن (٣ : ١١٤) - د الحسين بن علي (٣ : ١١٤)
- تم حديث الصحابة [٦٦ صحابياً] ، يتلوه حديث التابعين [٨٥ تابعياً]
- حديث كعب الأحبار (٣ : ١١٨) - حديث عبيد بن عمير (٣ : ١٢٠)
- د نافع بن جبير (٣ : ١٢٤) - د سعيد بن المسيب (٣ : ١٢٤)
- د أبي الوقاص (٣ : ١٢٨) - د سعيد بن جبير (٣ : ١٢٨)
- د أبي مسلم الحولاني (٣ : ١٣١) - د محمد بن سيرين (٣ : ١٣٢)
- د محمد بن الحنفية (٣ : ١٣٣) - د ابن كعب بن مالك (٣ : ١٣٤)
- د القاسم بن محمد بن أبي بكر (٣ : ١٣٦) - د أبي سلمة بن عبدالرحمن (٣ : ١٣٨)
- د محمد بن علي بن الحسين (٣ : ١٣٩) - د مغيث (٣ : ١٣٩)
- د عبد الله بن شداد بن الهادي اللبي - د طاوس بن كيسان
- (٣ : ١٤٠) (٣ : ١٤٢)
- د شريع بن الحارث القاضي (٣ : ١٤٣) - د مسروق بن الأجدع (٣ : ١٥٣)
- د الأسود بن يزيد (٣ : ١٥٦) - د أبي وائل شقيق بن سلمة (٣ : ١٥٧)
- د أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل (٣ : ١٥٨) - د الربيع بن خثيم (٣ : ١٥٩)
- د مطرف بن عبد الله بن الشخير - د يزيد بن عبد الله بن الشخير
- (٣ : ١٦١) (٣ : ١٦١)
- د أبي عثمان عبد الرحمن - د أبي البخري (٣ : ١٦٣)
- ابن مل النهدي (٣ : ١٦٢)
- د أبي إياس معاوية بن قره (٣ : ١٦٤) - د عبيد بن أبي الجعد (٣ : ١٦٥)

- حديث بشير بن أبي مسعود (١٦٥:٣) - حديث الأحنف بن قيس (١٦٦:٣)
- الحسن البصري (١٧١:٣) - سويد بن متعة (١٨٩:٣)
- عمرو بن معديكرب (١٩٠:٣) - أبي مجلز لاحق بن حميد (١٩١:٣)
- عطاء بن أبي رباح (١٩١:٣) - أبي قلابة عبدالله بن يزيد (١٩٣:٣)
- مسلم بن يسار (١٩٣:٣) - عبدالله بن عتبة بن مسعود (١٩٤:٣)
- عطاء بن يسار (١٩٤:٣) - أبي الجوزاء أوس بن عبد الله (١٩٤:٣)
- عبد الله بن الصامت (١٩٦:٣) - مكحول (١٩٧:٣)
- إياس بن معاوية (١٩٨:٣) - عامر بن شراحيل الشعبي (١٩٩:٣)
- أبي الحجاج مجاهد بن جبر - عكرمة مولى ابن عباس (٢٢٩:٣)
- أبي الخطاب قتادة بن دعامة - إبراهيم بن يزيد النخعي (٢٣٩:٣)
- زيد بن علي بن الحسين (٢٤٤:٣) - عبد الملك بن مروان (٢٤٦:٣)
- عبد العزيز بن مروان (٢٥٠:٣) - سليمان بن عبد الملك (٢٥١:٣)
- عمر بن عبد العزيز (٢٥٤:٣) - هشام بن عبد الملك (٢٦٠:٣)
- مسامة بن عبد الملك (٢٦٢:٣) - الحجاج بن يوسف (٢٦٦:٣)
- عبد الكريم بن أبي أمية (٢٦٩:٣) - سعيد بن أبي عروبة (٢٧٠:٣)
- قرة بن خالد السدوسي (٢٧٠:٣) - عاصم بن أبي النجود (٢٧٠:٣)
- أبي الزناد (٢٧١:٣) - موسى بن سليمان الدمشقي (٢٧١:٣)

- حديث يحيى بن أبي كثير (٢٧٢ : ٣) - حديث محمد بن مسلم بن شهاب الزهوي (٢٧٤ : ٣)
- « سالم بن أبي الجعد (٢٧٩ : ٣) - « حميد بن هلال (٢٨٠ : ٣)
- « عمرو بن دينار (٢٨٠ : ٣) - « أبي هاشم الرماني (٢٨١ : ٣)
- « خفيف بن عبد الرحمن (٢٨٢ : ٣) - « حسان بن عطية (٢٨٢ : ٣)
- « سفيان بن عيينة (٢٨٣ : ٣) - « مالك بن أنس (٢٨٣ : ٣)
- « سفيان بن سعيد الثوري (٢٨٨ : ٣) - « شعبة بن الحجاج (٢٩٠ : ٣)
- « محمد بن اسحاق بن يسار (٢٩٢ : ٣) - « سلمة بن دينار (٢٩٤ : ٣)
- « عبد العزيز بن عبد الله بن - « مالك بن دينار (٢٩٥ : ٣)
- أبي سلمة (٢٩٥ : ٣)
- « الضحاك بن مزاحم (٢٩٦ : ٣) - « القاسم بن مخيمرة (٢٩٨ : ٣)
- « ابن أبي نجيع (٢٩٨ : ٣) - « عبد الله بن شبرمة (٢٩٩ : ٣)
- « ابن الرهين (٣٠٠ : ٣) - « أبي بكر بن عياش (٣٠٠ : ٣)
- « وكيع بن الجراح (٣٠١ : ٣)

أحاديث منثورة

- باب في الدعاء (٣٠٢ : ٣)

- ٣ -

مخطوطة استانبول - تضم مكتبة الأوقاف باستانبول السفر الثاني من كتاب الدلائل برقم ١٦٨٢ ، وعدد أوراقه (١٢٨) ورقة ، يضم إليها ثلاث ورقات مزيدة . وهو بخط مغربي* . عدد سطور الصفحة (٢٥) - سطوراً ، وكان الكاتب يفصل بين كل فقرتين بثلاث نقط (: :) . وقد جاء في وجه الورقة الأولى بخط مشرقى : « السفر الثاني من كتاب الدلائل ، في تفسير

مشكل الأحاديث النبوية ، مما عني بتأليفه : السرقسطي^(١) رضي الله عنه . وفي أسفل الصفحة إلى اليمين : « عدد أوراقه مائة وتسعة وعشرين ورقة - كذا - معها ثلاث ورقات صفار ، صح » . وفي أعلى الصفحة إلى اليسار : « ملكه من فضل الله تعالى عبده الفقير إليه : أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم ابن أحمد القيسي^(٢) » وتحت ذلك بخط أدق : « ملكه وما قبله من فضل الله تعالى : محمد بن محمد العمادي^(٣) » وبعده بخط مغاير جملة غير واضحة كتب بعدها : محمد بن علي .

تبدأ المخطوطة في (ظ ١) ، وقد وسعت الصفحة بنجم مرتين^(٤) ، ولم أتبن من نقشه إلا كلمتي : « صار ... محمد ... » وهذا مطلع المخطوطة : « بسم الله الرحمن الرحيم ، [و] صلى الله على محمد رسوله الكريم وسلم تسليما .

حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه .

وقال فيه : إنه وقف عند الجمرتين قمر سورة من السبع .

(١) أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم القيسي (٦٨٢ - ٧٤٩ هـ) ، من كبار النحاة ، أخذ النحو عن البهاء بن النحاس ، ولازم أبا حيان دهرًا طويلاً ، وله تصانيف حسان في اللغة والنحو - انظر مراجع ترجمته في الاعلام للزركلي ١ : ١٤٧ ، ومعجم المؤلفين ١ : ٢٧٨ - ٢٧٩ . وقد أثبت الزركلي في كتابه : الاعلام ، انموذجاً من خطه (الاعلام ١١ ، ق ١) .

(٢) لعله محمد بن محمد العمادي ، المولى أبو السعود (٨٩٨ - ٩٨٢ هـ) . انظر ترجمته في الاعلام للزركلي ٧ : ٢٨٨ ، ومعجم المؤلفين ١١ : ٣٠١ - ٣٠٢ .

(٣) رسم به أيضاً وجه الورقة ٢ ، وظهر الورقة ١٢٨ من المخطوطة .

نا إسحاق بن موسى الخزاعي قال : نا أبو الوليد الأزرقى قال :
 أخبرني جدي قال : أخبرني مسلم بن خالد عن ابن جريج قال : أخبرني
 عبد الله بن عثمان بن خثيم قال : أخبرني سعيد بن جبير أنه رمى مع ابن
 عباس ، فوقف عند الجمرتين قلد سورة من السبع ...^(١) .
 ويبدو أن الناسخ قد نقل عن نسخة تختلف في تجزئتها مما اتبعه ،
 فقد جاء في وجه الورقة ٣٤ : « هنا كمل الجزء الثالث ، وفيه من
 الأحاديث : ... » وقابل الناسخ بالأصل^(٢) ثم عاد فقابل النسخة بأكثر من
 أصل ، يدل على ذلك تعليقه على بياض وقع في الأصل الذي ينقل منه :
 « نظرت موضع البياض في أصل قرىء على البطليوسي فلم أجده فيه ... »
 وكذلك قوله : « نقصت هنا أحاديث ثبت في آخر الكتاب » (و ٨٩)
 ولما وفي الكاتب بما وعد واستدرك ما نقص تم ذلك بعنوان : « أحاديث لم
 تقع في الرواية التي ابتدأت الكتب منها واستدركتها هاهنا » (و ١٢١) .
 بدأ السفر بأحاديث الصحابة فذكر أحاديث واحد وستين صحابياً ،
 ثم تلاها بأحاديث التابعين (و ٦٨) فعدد منها أحاديث لسته وثمانين تابعياً .
 وكان ختام المخطوطة (ظ ١٢٠) ماجاء في حديث لعبد الملك بن
 مروان أن رجلاً وصف له ظبية صاها ... وجاء تحته : « كمل جميع كتاب

(١) وقع الحديث في مخطوطة الظاهرية في (ظ ٨٤) ، وفيها إسحاق بن محمد
 الخزاعي بدل : إسحاق بن موسى الخزاعي ، وفي الحاشية تعليقا عليه : « الصواب :
 إسحاق بن أحمد » . وهو في مخطوطة الرباط (٣ : ٧٠) : إسحاق بن أحمد الخزاعي ،
 وهو أحد الشيوخ الذين أخذ عنهم القاسم بن ثابت وأبوه بمكة (مجلة مجمع اللغة
 العربية بدمشق ، مج ٥٠ : ٥١٦) انظر ترجمته في العبر ٢ : ١٣٦ ، والوافي
 بالوفيات ٨ : ٤٠٣ ، وطبقات ابن الجزري ١ : ١٥٦ ، وشذوات الذهب ٢ : ٢٥٢ .
 (٢) كثر في الحواشي اثبات كلمة « بلغت » دلالة على المعارضة والمقابلة :
 « و ١٧ ، و ٢٠ ، ظ ٢٥ ، ظ ٣٠ ، ظ ٣٣ ، ظ ٣٦ ، و ٧١ ، و ٨٥ ، ظ ٨٩ ،
 و ٩٥ ، ظ ٩٩ ، و ١٠٥ ، و ١١٠ ، ظ ١١٦ »

الدلائل بحمد الله تعالى وحسن عونه ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على محمد سيد المرسلين ، وعليهم أجمعين ، وعلى آله وسلامه . وجاء في حاشية الصفحة : « فيه من الأحاديث » ، وفوقها أحرف تدل على العدد لم أهد إلى معرفتها . ثم استدرك في الورقات التالية (١٢١ - و ١٢٨) ما فاته من أحاديث أربعة عشر تابعياً سبق أن أورد قسماً من أحاديثهم . وأورد بعد ذلك في الورقة ١٢٨ ترجمة ثابت بن قاسم وترجمة أبيه قاسم مؤلف الكتاب ، وجده ثابت .

عوضت النسخة بالأصل ، واستدرك في حواشها السقط ، يختم بكلمة « صح ، صغيرة ، أو بكلمتي : « صح ، أصل ، صغيرتين - وأثبت اختلاف النسخ ، وبعض التنبيهات ، مثل تعليقه على حديث مروان بن الحكم الذي ورد في أحاديث الصحابة : « تكرر وثبت في أحاديث التابعين » (٥٦ و) والحديث قد تكرر حقاً في أحاديث التابعين (ظ ١١٥) . ومثل آخر : يقول قاسم : « والمعزقة : البيل أو المر » (و ٦٩) فيعلق في الحاشية : « المر : المسحاة ، وكذلك ... فأما البيل فغير معروف ، (١) .

وقد تجد في الحواشي فوائد لم ترد في مخطوطة الظاهرية مثل : « ويقال : إن عمرو بن عبيد قال بعد جواب أبي عمرو [بن العلاء] : يا أبا عمرو ، شغلك الاعراب عن الصواب (٢) ، صح » (ظ ٧٠) .

(١) في الظاهرية (و ١٠٨) : « والمعزقة : البال أو المر » ويقول الجاحظ في البيان والتبيين (١ : ١٩) : « وكذلك أهل الكوفة فإنهم يسمون المسحاة : بال ، وبال بالفارسية » .

(٢) انظر مراتب النحويين ١٧ - ١٨

وهذا ثبت ماتضمنه السفر الثاني :

من أحاديث الصحابة : [٦١ صحابياً]

- حديث عبد الله بن عباس (ظ ١) - حديث عبد الله بن عمر (و ٨)
- أنس بن مالك (ظ ١٣) - عبد الرحمن بن عوف (و ١٤)
- أبي موسى الأشعري (و ١٥) - المقداد بن الأسود (و ١٧)
- العباس بن عبد المطلب (ظ ١٧) - زيد بن ثابت (و ٢٠)
- عبد الله بن أنيس (و ٢١) - معاذ بن جبل (و ٢١)
- عمار بن يامر (ظ ٢١) - سلمان الفارسي (و ٢٢)
- أبي عبيدة بن الجراح (ظ ٢٢) - أبي أيوب (و ٢٣)
- خوات بن جبير (ظ ٢٣) - زيد بن خالد (ظ ٢٣)
- عبد الله بن سلام (ظ ٢٣) - أبي ذر (و ٢٤)
- عبد الله بن بسر (ظ ٢٦) - حسان بن ثابت (و ٢٧)
- عبد الله بن مسعود (ظ ٢٧) - أيوب السخيتاني (ظ ٣٣)
- عبد الله بن الزبير (ظ ٣٣) - زيد بن أرفع (و ٣٥)
- عمران بن الحصين (ظ ٣٥) - حذيفة بن اليمان (ظ ٣٥)
- أبي الدرداء (ظ ٣٧) - كعب بن مالك (و ٣٩)
- البراء بن عازب (ظ ٣٩) - عمرو بن سلمة الجرمي (و ٤٠)
- أبي برزة الأسلمي (ظ ٤٠) - عوف بن مالك الأشجعي (ظ ٤١)
- وائل بن حجر (ظ ٤١) - أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة (ظ ٤١)

- حديث عمارة بن ربيعة (و ٤٢) - حديث المغيرة بن شعبه (ظ ٤٢)
- قيس بن الضحاك (ظ ٤٢) (١) - عقال بن أبي طالب (ظ ٤٢)
- أبي مسعود الأنصاري (ظ ٤٢) - النعمان بن بشير (و ٤٣)
- أبي سعيد الخدري (ظ ٤٤) - أبي هريرة (و ٤٥)
- عتبة بن عامر (ظ ٤٦) - حذيفة بن أسيد الغفاري (ظ ٤٦)
- جابر بن عبد الله (ظ ٤٦) - معاوية بن أبي سفيان (و ٤٧)
- عمرو بن العاص (و ٥٢) - عبد الله بن عمرو بن العاص (ظ ٥٣)
- يزيد بن أبي سفيان (ظ ٥٤) - الحكم بن أبي العاص (ظ ٥٥)
- مروان بن الحكم (و ٥٦) - الحسن بن علي (و ٥٦)
- الحسين بن علي (ظ ٥٦) - عائشة (ظ ٥٧)
- أم سلمة (و ٦٦) - أسماء بنت يزيد بن السكن (و ٦٦)
- فاطمة بنت قيس (ظ ٦٦) - حفصة (ظ ٦٦)
- صفية (ظ ٦٦) - سودة (و ٦٧)
- أسماء بنت أبي بكر (ظ ٦٧)

أحاديث التابعين [٨٥ تابعياً]

- حديث سعيد بن المسيب (و ٦٨) - حديث ثافة بن جبير (و ٦٩)
- أبي الوقاص (و ٦٩) - سعيد بن جبير (و ٦٩)
- أبي مسلم الحولاني (و ٧٠) - مطرف بن عبد الله بن الشخير (و ٧٠)

(١) صحته : الضحاك بن قيس انظر مخطوطة الظاهرية (ظ ٦٥) ومخطوطة الرباط (٢ : ٣٠٠)

- حديث محمد بن سيرين (ظ ٧٠) - حديث محمد بن الحنفية (و ٧١)
- ابن كعب بن مالك (و ٧١) - القاسم بن محمد (و ٧١)
- عروة بن الزبير (ظ ٧١) - أبي سلمة بن عبد الرحمن (و ٧٢)
- محمد بن علي بن الحسين (ظ ٧٢) - مغيث بن سمي (ظ ٧٢)
- عبد الله بن شداد بن الهادي (و ٧٣) - إياس بن معاوية (ظ ٧٣)
- أبي مجاز (و ٧٤) - الحسن بن الحسن البصري (و ٧٤)
- الأحنف بن قيس (ظ ٧٧) - أبي البختري (و ٧٩)
- معاوية بن قررة (و ٧٩) - بشير بن أبي مسمود (ظ ٧٩)
- الأسود بن يزيد (و ٨٠) - أبي وائل (و ٨٠)
- عمرو بن شرحبيل (ظ ٨٠) - الربيع بن خثيم (و ٨١)
- أبي العلاء (و ٨١) - أبي عثمان النُميري (ظ ٨١)
- عامر الشعبي (و ٨٢) - مالك بن أنس (ظ ٨٩)
- كعب الأحبار (ظ ٩١) - شريح القاضي (ظ ٩٢)
- مسروق (ظ ٩٥) - عبيد بن عمير (و ٩٦)
- طاوس (ظ ٩٧) - سويد بن شعبة (ظ ٩٧)
- عمرو بن معدى كرب (ظ ٩٧) - عطاء بن أبي رباح (و ٩٨)
- أبي قلابة (و ٩٨) - عطاء بن يسار (و ٩٨)
- أبي الجوزاء (و ٩٨) - مكحول (ظ ٩٨)
- مسلم بن يسار (و ٩٩) - عبد الله بن عتبة (ظ ٩٩)
- عبد الله بن الصامت (ظ ٩٩) - الزهري (ظ ٩٩)
- سالم بن أبي الجعد (و ١٠١) - سفیان بن عينة (و ١٠١)

- حديث حميد بن هلال (و ١٠١) - حديث عمرو بن دينار (ظ ١٠١)
- د أبي هاشم (ظ ١٠١) - د سفيان الثوري (ظ ١٠١)
- د مجاهد (ظ ١٠٢) - د عكرمة (و ١٠٣)
- د قتادة (ظ ١٠٤) - د إبراهيم النخعي (و ١٠٥)
- د زيد بن علي (ظ ١٠٥) - د عبد الملك بن مروان (و ١٠٦)
- د عبد العزيز بن مروان (و ١٠٧) - د سليمان بن عبد الملك (و ١٠٧)
- د عمر بن عبد العزيز (و ١٠٧) - د هشام بن عبد الملك (و ١٠٩)
- د مسلمة بن عبد الملك (و ١١٠) - د الحجاج بن يوسف (و ١١١)
- د عبد الكريم أبي أمية - د ابن أبي عروبة (و ١١٣)
- (ظ ١١١)
- د قرة بن مخلد (و ١١٢) - د عاصم بن أبي النجود (و ١١٢)
- د أبي الزناد (ظ ١١٢) - د سليمان بن موسى (ظ ١١٢)
- د يحيى بن أبي كثير (و ١١٣) - د ابن أبي نجيع (ظ ١١٣)
- د ابن الرهين (و ١١٤) - د أبي بكر بن عياش (و ١١٤)
- (ظ ١١٧)
- د شعبة بن الحجاج (ظ ١١٤) - د خُصيف (و ١١٥)
- د مروان بن الحكم (ظ ١١٥) - د حسان بن عطية (ظ ١١٥)
- سبق ذكره في الصحابة
- د محمد بن إسحاق (ظ ١١٥) - د عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة
- (ظ ١١٦)

- حديث مالك بن دينار (ظ ١١٦) - حديث الضحاك بن مزاحم (ظ ١١٦)
- د أبي حازم (ظ ١١٧) - د القاسم بن مخيمرة (و ١١٨)
- د ابن شبرمة (و ١١٨) - د وكيع (و ١١٨)
- باب في الدعاء (ظ ١١٨)

أحاديث لم تقع في الرواية التي ابتداءً الناسخ الكتب منها

- من حديث الحسن بن أبي الحسن - حديث الربيع بن خثيم (و ١٢٣)
- (و ١٢١)
- من حديث الشعبي (و ١٢٣) - من حديث مسروق (و ١٢٣)
- من حديث طاوس (و ١٢٥) - من حديث عطاء (و ١٢٥)
- من حديث الزهري (ظ ١٢٥) - من حديث عمرو بن دينار (و ١٢٦)
- من حديث قتادة (و ١٢٦) - من حديث إبراهيم النخعي (و ١٢٦)
- من حديث عبد الملك بن مروان (ظ ١٢٦) - من حديث سليمان بن عبد الملك (و ١٢٧)
- من حديث عمر بن عبد العزيز (و ١٢٧) - من حديث الحجاج (ظ ١٢٧)

ولعل من الخير أن نختتم مقالة الدلائل ، بذكر ترجمتي قاسم بن ثابت
الواردين في مخطوطتي الظاهرية واستانبول ، فقد انقردت كل من المخطوطتين
بسرود فوائد في ترجمة قاسم لانجدها في التراجم المطبوعة .

ترجمة قاسم بن ثابت في مخطوطة الظاهرية

[و ١٨٠] / وقال ثابت بن قاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن : ولد
أبي قاسم بن ثابت سنة خمس وخمسين ومائتين ، وتوفي بسرقة في شوال
سنة اثنتين وثلاثمائة . وتوفي جدي ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بسرقة

في شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ، وهو ابن خمس وتسعين سنة
أو نحوها ، ومولده سنة سبع عشرة ومائتين أو نحوها .

قال ثابت : خرج أبي مع جدي إلى الحج سنة ثمان وثمانين ومائتين ،
فسمعا بكعة : من أبي محمد عبد الله بن الجارود ، ومحمد بن علي بن زيد
الصائغ ، وأبي العباس مكي بن محمد بن أحمد ، وأبي عمران موسى بن
هارون الجمال ، وأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الحميد السيار الهروي ،
ومحمد بن القاسم بن عبد الرزاق الجمحي ، وجعفر بن محمد الفارابي القاضي ،
وأحمد بن زكرياء العابدي ، وإسحاق بن أحمد الخزاعي ، وأحمد بن عمرو
ابن مسلم الخلال ، وأبي سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم بن المفضل بن سعيد
ابن عامر الشعبي المعروف بالجندي ، وخلف بن عمرو العكبري ، وإبراهيم
ابن سعيد بن عثمان بن مسلم بن الوليد بن رباح الحذاء المكي ، وسما بصر
من جماعة منهم : أبو بكر بن الامام ، ومحمد بن أحمد بن الهيثم التميمي ،
وعبد الرحمن بن سليمان بن موسى بن مرداس أبو سعيد الجرجاني ، وأحمد
ابن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار ، وأحمد بن حمزة بن محمد بن
هارون ، وإبراهيم بن حميد بن العلاء الكلابزي البصري ، وغيرهم . وسما
بالأندلس : من الحشني محمد بن عبد السلام ، وعبد الله بن يحيى ، ومحمد
ابن وضاح ، ومطرف بن قيس ، وعبد الله بن مسرة ، ومحمد بن عبد الله
ابن الغاز ، وسعيد بن خمير .

وانفرد ثابت بن حزم بالرواية عن بقي بن مخلد ، ويحيى بن إبراهيم
ابن مزين ، ومحمد بن أحمد بن عبد العزيز العتيبي .

وسما بالثغر ! من محمد بن سليمان بن تليد ، وإبراهيم بن نصر ،

ومحمد بن أبي النعمان . وانفرد جدي بالرواية عن أحمد ويحيى ابني محمد بن عجلان وكان أحمد ممن روى عن مالك .

وانصرفا إلى الثغر سنة أربع وتسعين ومائتين .

وكان قاسم ورعاً فاضلاً عالماً . قال ابنه ثابت : إنه من بني عوف من غطفان . قال ثابت : أنا ثابت بن قاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن ابن غانم بن يحيى بن سليمان العوفي . قال الحكم [المستنصر أمير المؤمنين] رحمه الله : سأله ، فقال : من بني عوف . قال الحكم : فذكرت ذلك لزكرياء بن الخطاب ، فقال : هم من البربر ، يتولون زهرة بن كلاب ، فوقع بينه وبين الذين كان يتولاهم كلام ، فحلف ألا ينمي إليهم ، ثم ندم وتذمم من ذلك فكتب العوفي ، فقلت له : يا أبا القاسم ، ماهذا ؟ ! فقال : أليس (ظ ١٨٠) / عبد الرحمن ابن عوف ، وأنه من والى ولد عبد الرحمن ، فهو مولى عبد الرحمن ، قالت ثابت بن قاسم بن ثابت : سمعت جدي يقول : الولاء ولاءات ، ولواء عتاقة وولاء علاقة .

قال الحكم : فقال لي زكرياء بن خطاب : هو مولى بني زهرة مولى علاقة ، وهم من البربر . وانتاء البربر إلى ولواء زهرة في ذلك الثغر وذلك الشرق كثير جداً . لا ترى أحداً من البربر يذكر غير ولواء زهرة ، إلا الشاذ ، يزعمون أنهم أسلموا على يدي رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف ، كان عندهم في الثغر ، وقت افتتاح الأندلس . وتوفي ثابت بن حزم السرقسطي يوم الاثنين لاربع خلون من شوال سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة بجرکش : قرية من قرى سرقسطة ، على عشرة أميال منها ،

بقيلها ودفن بسرقة يوم الأربعاء لست خلون من شوال المؤرخ ،
وصلى عليه ابنه سعيد . ومولد ثابت سنة تسع وثمانين ومائتين ، فبلغ من
السن ثلاثاً وستين سنة . أخبر بذلك ابنه سعيد عند قدومه من الحج
سنة ست وخمسين وثلاثمائة في جمادى الآخرة . وكان حجه في موسم خمس
وخمسين وثلاثمائة .

ترجمة قاسم بن ثابت في مخطوطة استانبول

(و ١٢٨ / ثابت : هو ابن قاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن
ابن غانم بن يحيى بن سليمان العوفي السرقطي . وكان كتب هذا الكتاب
للحكم أمير المؤمنين من الكتاب الذي عمله أبوه قاسم بن ثابت .

قال ثابت : ولد أبي قاسم بن ثابت سنة خمس وخمسين ومائتين ،
وتوفي بسرقة في شوال سنة اثنتين وثلاثمائة . وتوفي جدي ثابت بن حزم
ابن عبد الرحمن بسرقة في شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ،
وهو ابن خمس وتسعين سنة أو نحوها . ومولده : سنة سبع عشرة
ومائتين أو نحوها .

قال ثابت : خرج أبي مع جدي إلى الحج سنة ثمان وثمانين ومائتين ،
فسمعا بمكة من أبي محمد عبد الله بن الجارود في جماعة ، وسمعا بهصر من
أبي نصر بن الإمام في جماعة ، وسمعا بالأندلس من الحثني محمد بن
عبد السلام ، وانصرفا إلى الثغر سنة أربع وتسعين ومائتين . وكان قاسم
ورعاً فاضلاً عالماً . قال ابنه ثابت : إنه من بني عوف من غطفان ،
وقال : أنا ثابت بن قاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بن غانم بن

يحيى بن سليمان العوفي . قال الحكم أمير المؤمنين : سأله ، فقال : من بني عوف ، وذكرت ذلك لذكربا بن خطاب فقال : هم من البربر يتولون زهرة بن كلاب . وتوفي ثابت بن قاسم بن حزم يوم الاثنين لأربع خلون من شوال سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة بجوكش : قرية من قرى سرقسطة ، على عشرة أميال منها . ودفن بسرقسطة يوم الأربعاء لست خلون من شوال ، وصلى عليه ابنه سعيد . ومولد ثابت سنة تسع وثمانين . فبلغ من السن ثلاثاً وستين سنة . أخبر بذلك ابنه سعيد عند قدومه من الحج سنة ست وخمسين وثلاثمائة في جمادى الآخرة ، وكان حجه في موسم سنة خمس وخمسين وثلاثمائة .

(ظ ١٢٨ ، / ثابت بن حزم بن عبد الرحمن العوفي ، وم بطن في قيس ، ذكره لنا القاسم . وكانت له رحلة وسماع في المشرق . وهو أول من أدخل كتاب العين الأندلس ، وكانت وفاته سنة أربع عشرة وثلاثمائة . وكان له ابن يسمى قاسماً ، غاية في العلم والورع . ورحل مع أبيه إلى المشرق ، فلقى رجال الحديث واللغة ، وتوفي سنة ست وثلاثمائة ، قبل أبيه . وألف قاسم هذا كتاباً في شرح حديث النبي ﷺ وسماه كتاب الدلائل ، بلغ فيه الغاية من الاتقان والتجويد ، حتى حسد عليه ونسب إلى غيره من أهل المشرق . ومات قبل إكمالها ، فأكماله أبوه ثابت . قال أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي : لم يؤلف بالأندلس كتاب مثل كتاب ثابت في شرح الحديث . قال أبو علي إسماعيل : وأخذته عن ابن قاسم إعجاباً به ، ولقاسم هذا كتاب سماه كتاب الرطب ، جمع فيه من أشعار المتقدمين والمحدثين نحواً من أربعة آلاف قطعة في أنواع

شئ من المعاني . وتناول هذا الكتاب محمد بن أفلح مولى أمير المؤمنين الحكم المستنصر رضوان الله عليه ، فاحتمل فيه على طريقة إسحاق بن إبراهيم الموصلي في كتابه المعروف بالأغاني من تسمية شعراء تلك الأشعار ، ومواليدهم ، وبلدانهم ، وأخبارهم ، وما تضمنت تلك الأشعار من المعاني والآثار .

فا الوزير صاحب الصلاة يونس بن عبد الله قال : فا أبو الفضل عباس ابن عمرو الصغار عن القاسم^(١) بن ثابت بن حزم السرقسطي من أهل الأندلس الذي ألف مع أبيه الشرح المعروف بشرح ثابت في الحديث ، أن الوالي بسرقسطة - وكان من العرب - بعث في ثابت بن حزم فقال له : قد استخرت الله عز وجل في تقديم ابنك القاسم إلى قضاء بلده هذا ، فأعرض عليه ذلك ، فعرض عليه أبوه هذا فأبى منه ، فأعلم الوالي بذلك فغضب وقال له : أنت إن لم يجيني ابنك إلى هذا فأخرجوا عن بلدي ، فأنصرف إليه أبوه فقال له : يا بني ، تكلفني في آخر عمري أن أجلو عن وطني ، وأتطوف على البلدان بينيائي ، فقال له ابنه القاسم : يا والدي امهلي في هذا إلى نهار غد ، فلما أتى الليل صار القاسم بن ثابت في محرابه يصلي طول ليلته ، ثم أصبح في محرابه ميتاً ، رحمه الله .

وهذا الكلام فيه خلاف للكلام المتقدم في الصفح قبله .

شاكر الفحام

(١) لعل الصواب : عن ثابت عن القاسم بن ثابت لأن الصغار لم يدرك القاسم بن ثابت فيحدث عنه فقد ولد عام ٢٩٥ هـ وقدم الأندلس عام ٣٣٦ هـ (انظر ابن الغرضي ١ : ٣٤٣)

نظرات في ماأخذه ابن الشجري على مكي في كتاب «مشكل إعراب القرآن»

- ٣ -

الدكتور أحمد حسن فروحات

٢٣ - في إعراب «والذين لا يجدون إلا جهدهم» :
قال ابن الشجري (١) :

ومن أغاليطه - أي مكي - في سورة براءة ماقاله في قوله تعالى :
«الذين يميزون المطّوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون
إلا جهدهم فيسخرّون منهم» (٢) .

قال - أي مكي - : «والذين لا يجدون» : في موضع خفض عطف على
المؤمنين ، ولا يحسن عطفه على «المطّوعين» ، لأنه لم يتم اسماً بعد ، لأن
«فيسخرّون» عطف على «يلمزون» ، هكذا ذكره النحاس في الإعراب
له ، وهو عندي وهم منه (٣) .

قال ابن الشجري :

يعني أن النحاس ذكر أن قوله : «والذين لا يجدون» عطف على

(١) أمالي ابن الشجري ج ٢ / صفحة : ٤٦٣

(٢) سورة التوبة : ٧٩ (٣) مشكل إعراب القرآن ٣٦٨/١

« المطوعين » ومنع هو من هذا ، لأن المطوعين بزعمه لم تتم صلته ، وليس الأمر على ما قال ، بل صلة الألف واللام من « المطوعين » آخرها قوله : « في الصدقات » .

واحتج بأن « المطوعين » لم تتم صلته بعطف « يسخرون » على « يلزون » ، وأي حجة في هذا ؟ و « يلزون » قبل « المطوعين » . وزعم أن « الذين لا يجدون » عطف على المؤمنين . وهذا غير صحيح ، لأن تقدير الكلام على قوله : يلزون من تطوع من المؤمنين ومن الذين لا يجدون إلا جهدهم ، فيكون « الذين لا يجدون إلا جهدهم » غير مؤمنين ، لأن المعطوف يلزمه أن يكون غير المعطوف عليه . تقول : جاءني أصحابك والرجال النصارى ، فتكون النصارى غير أصحابك . وجاءني الرجال النصارى وأصحابك فيكون أصحابك غير نصارى .

والصواب عطف « الذين لا يجدون » على « المطوعين » فالتقدير : يلزون الأغنياء المطوعين ، ويلزون ذوي الأموال الحقيرة الذين لا يجدون إلا جهدهم ، وذلك أن عبد الرحمن بن عوف أتى بصرة من الذهب ثلث الكف ، وأتى رجل يقال له أبو عقيل بصاع من تمر فعابه المنافقون بذلك فقالوا : رب محمد غني عن صاع هذا .

فالنحاس إذن مصيب ، والراد عليه هو الخطيء .

وقبل أن تناقش هذه المسألة يحسن أن نذكر ما قاله فيها المفسرون وأهل الأعراب :

ذكر السمين في كتابه « الدرالمصون في علوم الكتاب المكنون »^(١) ، القول بنصب « الذين لا يجدون » عطفاً على « المطوعين » ، والقول بجو

(١) نسخة مخطوطة في مكتبة عارف حكمة - غير مرقمة الصفحات .

« الذين لا يجدون ، عطفاً على « المؤمنين » ، ثم رجّح القول بالنصب عطفاً على « المطوعين » ، فقال :

« قات : الأمر فيه كما ذكر ، فإن المطوعين قد تم من غير احتياج لغيره » .
أما السفاقي في كتابه « إعراب القرآن »^(١) فقد أورد القواين ، وأيد ابن الشجري فيما ذهب إليه وذكر أقواله بعينها ، ثم علق على ذلك بقوله :
« والظاهر : اندراج ، أي المعطوف ، في المعطوف عليه ، وبسمه بعضهم بالتجريد بالذكر للتشريف ، وكان أبو علي الفارسي يذهب إلى أن المعطوف في هذا وشبهه لم يندرج فيما عطف عليه ، قال : لأنه لا يسوغ عطف الشيء على مثله .

وقال الألوسي^(٢) : عطف على « المطوعين » وهو من عطف الخاص على العام . وقيل عطف على المؤمنين ، وتعقبه الأجهوري بأن فيه إيهام أن المعطوف ليس من المؤمنين . وقال أبو البقاء : وهو عطف على « الذين يلمزون ، وأراه خطأ صرفاً .

وجاء في « إعراب القرآن » المنسوب للزجاج :

وأما قوله تعالى « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين » :

فالذين يلمزون : مبتدأ ، وخبره : سخر الله منهم . ومن نصب « زيدا » مرت به ، كان « الذين » : منصوباً عنده ، ولا يكون : « فيسخررون » : خبره ، لأن لزمهم للمطوعين لا يجب عنه سخرتهم بهم . كما أن الإنفاق يجب عليه الأجر ، في قوله : « الذين يتفقون أموالهم » ، إلى قوله : « فاهم

(١) نسخة مخطوطة في مكتبة الحرم النبوي - غير مرقمة الصفحات ،

(٢) (٢) ج/١٠ / صفحة : ١٣١

أجرهم،^(١) وإذا لم يجب عنه ، كان « فيسخرون » ، عطفاً على « يلمزون » ، أو على « يمجدون » .

ثم يقول :

وموضع « والذين لا يمجدون » : جر تابع للمؤمنين ، أو نصب تابع للمطوعين . والظرف « أعني » : « في الصدقات » : يتعلق بـ « يلمزون » ، دون « المطوعين » ، للفصل بين الصلة والموصول . أي : يعيرون في إخراج الصدقات لقائمها^(٢) ...

وقال أبو حيان في البحر المحيط^(٣) :

« والأحسن في الاعراب : أن يكون الذين يلمزون مبتدأ . وفي الصدقات : متعلق بـ « يلمزون » ، و « الذين لا يمجدون » : معطوف على المطوعين . كأنه قيل : يلمزون الأغنياء وغيرهم . و « فيسخرون » : معطوف على « يلمزون » قال : وقيل : « والذين لا يمجدون » : معطوف على « المؤمنين » وهذا بعيد جداً ... » .

وقال القرطبي^(٤) : « والذين » : في موضع خفض عطف على المؤمنين ولا يجوز أن يكون عطفاً على الاسم قبل تمامه .

والذي يظهر لنا من أقوال المفسرين والمعرّبين أن بعضهم يرجع الجر

(١) البقرة ٢٧٤

(٢) إعراب القرآن ، المنسوب للزجاج ج ٢ / صفحة : ٧٤٩ . تحقيق إبراهيم الأبياري ، وانظر أيضاً : صفحة ٦٣٨ من نفس الجزء .

(٣) البحر المحيط ج ٥ / صفحة : ٧٦

(٤) تفسير القرطبي ج ٨ / صفحة ٢١٥

عطفاً على المؤمنين . والأكثر يرجع النصب عطفاً على « المطوعين » . والذي يرجع الجر محتج بأن « المطوعين » لم تم اسماً . في حين يقول الآخر : إن الكلام قد تم وليس بحاجة إلى الاسم ، ويورد على عطف « الجر » إيهام أن يكون « الذين لا يجدون » غير مؤمنين .

ومنشأ الخلاف — فيما أرى — يعود إلى « المطوعين » هل هم فريق واحد أو فريقان ؟ فإذا كانوا فريقاً واحداً تم الكلام عند قوله « في الصدقات » كما يقول ابن الشجري وغيره ، ثم يعتبرون عطف « الذين لا يجدون » على « المطوعين » من عطف الخاص على العام ، أو من التجريد بالذكر .

وإذا كان « المطوعين » فريقين وهم الأغنياء والفقراء ، لا يتم الكلام عند قوله : « في الصدقات » لأن « الذين لا يجدون » من صلة « المطوعين » ، وفي هذه الحالة لا يحسن العطف على « المطوعين » بل يكون العطف على « المؤمنين » .

وبناء على هذا الأصل ، نرى أن الفريق الأول الذي عطف « الذين لا يجدون » على « المطوعين » من باب التجريد أو من عطف الخاص على العام كما قال ، نجد هذا الفريق حيناً يعتمد إلى التقدير ينقض ادعاه أنها فريق واحد ويجعلها فريقين ، حيث يقول ابن الشجري :

« والصواب : عطف « الذين لا يجدون » على « المطوعين » ، فالتقدير : يلزمون الأغنياء المطوعين ويلزمون ذوي الأموال الفقيرة الذين لا يجدون إلا جهدهم » .

ويستدل ابن الشجري على تقديره — هذا — بما روي من أسباب النزول حيث يقول : « وذلك أن عبد الرحمن بن عوف أتى بصرة من

ذهب تملأ الكف ، وأتى رجل يقال له أبو عقيل بصاعٍ من تمر ، فعابه المنافقون بذلك ، فقالوا : لرب محمد غني عن صاع هذا .

وعتل ذلك قدر أبو حيان حيث قال : « كأنه قيل : يلزوم الأغنياء وغيرهم » .

فعلى هذين التقديرين المتشابهين ، لا يمكن أن يكون الفقراء من الأغنياء ، أو داخلين فيهم وخصوا بالذكر تشريفاً ، كما لا يمكن أن يكون « الأغنياء » : عاماً ، والفقراء : خاصاً .

ولا شك أن الذي ألجأهم إلى هذا التقدير « أسباب النزول » ، أما الآية فليس فيها ما يشير إلى « الأغنياء » .

وإذا قلنا إنها فريقان لا يسوغ هذا العطف ، لأن معناه أن الفريق الثاني ليس متطوعاً وليس مؤمناً ، في حين قد تطوع بجهده الذي وجدده ، وهو مؤمن لا شك في إيمانه .

إنما يسوغ أن نعطف « الذين لا يجدون » على « المؤمنين » وبذلك يكون « المتطوعين » فريقين ، فريق « المتطوعين من المؤمنين » وفريق « المتطوعين من الذين لا يجدون » .

أما اعتراض ابن الشجري وغيره بأن في ذلك إيهاماً حيث يكون « الذين لا يجدون » غير مؤمنين « فهو غير وارد في رأينا ، لأن كلمة « المؤمنين » - هنا - جاءت بدلاً من كلمة « المومنين » لنكتة بلاغية ، وهي أن المومنين حينما قدموا أموالهم الكثيرة ، لمزهم المنافقون ، فقالوا : لم يفعلوا ذلك إلا رياءً ، فجاءت كلمة « المؤمنين » لترد هذا اللمز الذي هو

في الحقيقة طعن في إيمانهم ، وبما يؤكد هذا أسباب النزول^(١) التي تشير كلها إلى أن «الموسرين» لُمِزُوا في إيمانهم ، في حين لُمِزَ الفقراء بمقدار ما تصدقوا به . ومن هنا جاءت كلمة «والذين لا يجدون إلا جهنم» بدلاً من كلمة الفقراء .

وأيضاً فإن «من المؤمنين» : حال من ضمير «المطوعين» . وهذا يعني أن القرآن لا يريد أن يصف المطوعين بأنهم مؤمنون لمجرد البيان فذلك معروف من سياق الآيات السابقة ، وإنما قصد أن يذكر هذا ويعلمه حين تعرض هذا الوصف للخدش بلمز المنافقين واتهامهم الموسرين بالرياء ، فكان وصفهم «بالمؤمنين» . رداً لقل المنافقين وطعنهم في إيمانهم .

وعلى هذا الأساس : يبدو لنا أن إعراب الجر عطفاً على «المؤمنين» ليس هناك ما يرد عليه ، كما يرد على إعراب النصب عطفاً على «المطوعين» .

ثم إن مكياً لم يصرح بعدم جواز عطف «الذين لا يجدون» على «المطوعين» ، وإنما قال : ولا يحسن عطف «الذين لا يجدون» على «المطوعين» لأن «المطوعين» لم تتم اسماً بعد ، غير أن القرطبي قد صرح بعدم الجواز .

وهذا كله إنما يجوز فيما لو صحّ فهم ابن الشجري لعبارة مكّي في مشكل الإعراب غير أن الرجوع إلى كتاب النحاس بحسب المشكلة من أساسها ويغير طبيعة المعركة التي فتحتها ابن الشجري حيث نرى أن رأي النحاس هو القول بإعراب الجر دون النصب ، وبذلك يكون الكلام الذي نقله مكّي في كتابه هو عبارة النحاس نفسها ، ويكون معنى قول مكّي :

(١) أنظر أسباب نزول الآية في تفسير ابن كثير : ج ٢ / صفحة ٤٠١ .

« هكذا ذكره النحاس في الإعراب له ، يعود على الكلام السابق بتمامه لا على جزء منه كما أراد ابن الشجري أن يفهم . ويكون قول مكّي وهو عندي وهم منه ، رداً لقول النحاس بإعراب الجر ، وهو الرأي نفسه الذي يذهب إليه ابن الشجري ، وبذلك يكون ابن الشجري متوهماً فهو لا يخطيء مكياً في الحقيقة وإنما يقف إلى جانبه ، ولا يدافع عن النحاس بل يهاجمه ، وهكذا تتغير طبيعة المعركة وطبيعة الواقع ، وبذلك لا يستطيع ابن الشجري أن يقول : إن هذه من زلات مكّي ، لكنها من زلات النحاس !!

٢٤ - في إعراب « استعجاله بالخير » .

قال ابن الشجري (١) .

وقال - أي مكّي - في قوله تعالى في سورة يونس :

« وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ (٢) » .

قوله : « استعجالهم » : مصدر ، تقديره : استعجالاً مثل استعجالهم ، ثم أقام الصفة وهو « مثل » ، مقام الموصوف ، وهو : الاستعجال . ثم أقام المضاف إليه ، وهو : « استعجالهم » ، مقام المضاف ، وهو مثل . هذا مذهب سيبويه .

وقيل : تقديره : في استعجالهم ، وقيل : كاستعجالهم ، فلما حذف حرف الجر نصب ، ويلزم من قدر حذف حرف الجر منه أن يجيز : زيد الأسد ، فينصب « الأسد » على تقدير : كالأسد (٣) .

قلت - أي ابن الشجري :

لا يلزم من قدر الكاف في قوله « استعجالهم » أن يجيز « زيد الأسد » :

(١) أمالي ابن الشجري ج ٢ / صفحة ٤٦٥

(٢) يونس : ١١

(٣) مشكل إعراب القرآن ١ / ٣٧٥

لأن الكاف حرف شاعت فيه الاسميه ، حتى دخل عليه الخافض ، وأسند إليه الفعل ، وليس من الحروف الخافضة التي إذا أسقطتها نصبت ما بعدها ، وإنما هي أداة تشبيه ، إذا حذفت جرى ما بعدها على إعراب ما قبلها ، كقولك : فينا رجل كأسد ، ورأيت رجلاً كأسد ، ومررت برجل كأسد . تقول إذا ألقيتها : فينا رجل أسد ، ورأيت رجلاً أسداً ، ومررت برجل أسد ، فلا يجوز زيد الأسد - بالنصب - لأن منزلتها منزلة مثل ، في قولك : زيد مثل بكر ، تقول إذا حذفت « مثل » : زيد بكر ، كما قال تعالى : « وأزواجه أمهاتهم »^(١) . ولعمري ان قول سيبويه في الآية هو الوجه . ومن قدر الكاف وحذفها فنصب ما بعدها ، فلأن ما قبلها منصوب .

وتقول : إن الذين قدروا حذف الكاف إنما قدروها في مجال الإعراب . واعتبروا ما بعدها منصوباً بنزع الخافض قال النحاس^(٢) : استعجالهم - على قول الأخفش والفراء - بعني كاستعجالهم ، ثم حذف الكاف ونصب . قال الفراء : كما تقول : ضربت زيدا ضربك ، أي : كضربك ، ... ثم يقول النحاس : وحكي الأخفش : « زيد شرب الإبل » . ولو جاز ما قال الأخفش والفراء لجاز زيد الأسد ، أي : كالأسد ، فهذا بيتن جداً ، أما كون الكاف حرف تشبيه ، فهذا صحيح ، ولكن المجال - هنا - ليس مجال بحث في التشبيه ، وإنما هو مجال بحث في الإعراب ، أما القول بأنه إذا أُلقيت الكاف جرى إعراب ما بعدها على ما قبلها ، فمعنى ذلك أننا رجعنا إلى الإعراب الأول ، ولا يكون إذن في هذا التقدير وجه ثان للإعراب ، وإنما هناك وجه واحد فقط . وما حكاه مكّي عن الذين قدروا الكاف وحذفها ،

(١) الأحزاب : ٦

(٢) إعراب القرآن للنحاس - مخطوطة تركية - ورقة : ٩٢

إنما قاله على أساس أنهم نصبوا ما بعد الكاف بنزع الحافض ، وعلى هذا كلامه سديد ولا اعتراض عليه .

٢٥ - في أصل كلمة « فزِيلْنَا » :

قال ابن الشجري^(١) :

وقال - أي مكي - في قوله تعالى : « فزِيلْنَا بينهم » وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون^(٢) ، .

(هو « فعلنا » من زَلَّ الشيء عن الشيء ، فأنا أَزِيلُهُ ، إذا نُجِيت . والتشديد للتكثير ، ولا يجوز أن يكون « فعلنا » من زال يزول ، لأنه تلزم فيه الواو ، فيقال : زولنا . وحكى الفراء أنه قرئ « فزِيلْنَا » من قولهم : لا أزيل فلانا ، أي : لا أفارقه ، فأما قولهم : لا أزاوله ، فعناه لا أخايله . ومعنى « زِيلْنَا » و « زِيلْنَا » واحد^(٣)) - انتهى كلامه .

ويقول ابن الشجري : أما قوله : « لا يجوز أن يكون « فعلنا » من زال يزول ، لأنه يلزم فيه الواو ، فيقال : « زولنا » ، فغير صحيح ، من قبل أنه لو كان « فعلنا » من زال يزول كان أصله « زِيلْنَا » ثم تصبَح الواو ياء ، لوقوع الياء قبلها ساكنة ، ثم تدغم الياء في الياء ، فيقال : « زِيلْنَا » وذلك أن من شرط الياء والواو إذا تلاصقتا ، والأولى منها ساكنة أن تقلب الواو ياء ، ولا تقلب الواو ياء واواً - كما زعم مكي - .
فما تقدمت فيه الياء قولهم في « فَيُعَلَّل » من الموت : « ميّت » ومن

(١) أمالي ابن الشجري ج ٢ / صفحة : ٤٦٦ .

(٢) (٣) مشكل إعراب القرآن ٣٨٠/١

(٢) يونس : ٢٨

هان يهون ، وصاد يسود : هتن ، وسيد . الأصل : ميوت ، وهيون ،
وسيرود . ففعل فيهن ما ذكرنا . وبما تقدمت فيه الواو «الشيء» و«الطيء»
و«اللي» مصادر «شويت» و«طويت» و«لويت» أصلهن : شوى ،
وطوى ، ولوى ، ثم صرن إلى القلب والإدغام .

وتقول : إننا لانريد أن ندخل في تفاصيل مغالطات ابن الشجري
ونناقش في جزئياتها بل يكفي أن نناقش محل الشاهد ، لأنه يبتعد عن
محل الشاهد ، ويأتي بأمثله في ناي عنه ، ليوم القاريء بصحة مغالطته
وخطأ الآخرين .

ولكن ماقصده ابن الشجري - هنا - لا يستقيم ، ولو كان صحيحاً لصح
أن نقول - في الأمثلة التي جاء بها في الصيغة التي نحن بصدها «فعلنا» -
ميئنا بدلاً من موتنا ، وهيننا ، بدلاً من هونا ، وسيدنا بدلاً من سودنا ،
وشينا بدلاً من شونا ، وطينا بدلاً من طوبنا ، ولينا بدلاً من لوينا .
ولا نندي إن كان ابن الشجري يوافق على هذا أم لا ؟

وقد قال أبو حيان^(١) : « وقال الواحدى : التزيل والتزيل والمزايلة :
التمييز والتفريق - انتهى - .

وزيل مضاعف للتكثير وهو لمفارقة الحبث^(٢) من ذوات الياء بخلاف
زال يزول فمادتها مختلفة .

وزعم ابن قتيبة أن زبئنا من مادة زال يزول وتبعه أبو البقاء .
وقال أبو البقاء : « فزبئنا » : عين الكلمة واو لأنه من زال يزول ، وإنما

(١) البحر المحيط - لأبي حيان : ١٥٢/٥

(٢) مكذا في الأصل .

قلبت ياء لأن وزن الكلمة فيعل أي : زينو لنا مثل : بيطر ويقرر، فلما اجتمعت
الواو والياء على الشرط المعروف قلبت ياء - انتهى ، . .
ثم يعلق على ذلك أبو حيان قائلاً :

« وليس ذلك بجيد لأن « فعل » أكثر من « فيعل » ولأن مصدره
تزيل ، ولو كان « فيعل » لكان مصدره فيعلة فكان يكون ذيلة كبيطرة ،
لأن « فيعل » ملحق بـ « فعل » ولقولهم في قريب من معناه زایل ، ولم
يقولوا : زاول - بمعنى فارق - إنما قالوه بمعنى : حاول وخالط ... » .

وقد اطلعت في كتاب السمين « الدر المصون في علوم الكتاب المكنون »
على ما ذكره في هذه الكلمة : قال السمين : قال مكّي : ولا يجوز أن
يكون « فعلنا » من زال يزول ، لأنه تلزم فيه الواو ، فيكون « زولنا » .
قلت - أي السمين - هذا صحيح ، وقد تقدم تحرير ذلك في قوله : « أو
متعيزاً إلى فئة » .

٢٦ - في إعراب « من غلّ إخواناً » .

قال ابن الشجري^(١) :

وقال - أي مكّي - في قوله تعالى في سورة الحجر :

« إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، أَدْخُلُوها بِسَلَامٍ آمَنِينَ . وَنُزَعْنَا
مِنْ صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إخواناً^(٢) » :

« إخواناً » : حال من المتقين ، أو من المضمرة المرفوعة في « ادخلوها » ،

(١) أمالي ابن الشجري ج ٢ / صفحة : ٤٦٧

(٢) المحرر : ٤٥٠ - ٤٧

أو من الضمير الذي في « آمين » ، ويجوز أن يكون حالاً مقدرة من الهاء والميم في « صدورهم » .

وأقول - أي ابن الشجري :

إن « إن » ليست من الحروف التي تنصب الأحوال ، كما تنصبها « كان » ، في نحو كان زيدا محارباً أسد ، لما في كانت من التشبيه الذي ضارعت به الفعل .

ولكن يجوز أن يكون قوله « إخواناً » : حالاً من الضمير في الظرف الذي هو خبر « إن » ، لأنه ظرف تام ، والظروف التوام تنصب الأحوال لبيانها عن الاستقرار أو الكون ، فالتقدير : إن المتقين مستقرون في جنات ، وجاز أن يكون « إخواناً » حالاً من هذا الضمير - على ضعف - وذلك بعد الحال منه ، لأن مجموع هذه الآيات تشمل على ثلاث جمل :

الأولى : إن المتقين في جنات .

والثانية : ادخلوها بسلام .

والثالثة : وترعنا ما صدورهم من غل .

فإن جعلت « إخواناً » حالاً من « الواو » في « ادخلوها » فهي في حال مقدرة ، لقوله : « على سرر متقابلين » ، لأنهم لا يدخلونها وهم متقابلون على سرر ، وإنما يكون ذلك بعد الدخول ، فالتقدير : مقدرين التقابل على سرر وإن جعلت الحال من المضمير في « آمين » فحسن .

وإن جعلتها من الضمير الذي هو الهاء والميم « في صدورهم » فالحال من المضاف إليه ضعيفة ، وقد بسطت القول في هذا النحو فيما تقدم . ولكن يجوز ويحسن أن يكون قوله « إخواناً » حالاً من هذا الضمير

شئان : أحدهما : قربه منه ، والآخر : أن المضاف الذي هو الصدور
بعض المضاف إليه . فكأنه قيل : ونزعنا ما فيهم من غل . فليس هذا المضاف
كالمضاف في قول تأبط شرأ :

سلبت سلاحي باتساً وشممتي

فاعرف الفرق بين الحالين .

ونلاحظ على قول ابن الشجري - هنا :

أنه لم يخطئ^(١) مكياً ولم يرد عليه ، وإنما أضاف وجهاً جديداً زيادة
على ما ذكره مكي من الوجوه الثلاثة ، غير أنه وجه إعراب مكي وأقواله
وفصل القول فيها ، ولا شك أن ذكره لهذه الآية في عداد ما سماه زلات
مكي خطأ كبير ، لا يليق بابن الشجري ، لأنه يوم القاريء السريع أن
مكياً قد أخطأ في هذه الآية .

(١) نعم . قد يفهم من كلام ابن الشجري أنه لا يميز الوجه الأول من
الاعراب للتعليل الذي ذكره وهو أن « إن » لا تنصب الأحوال كما تنصب « كأن » .

غير أن الذي قال بهذا الوجه من الاعراب له تعليل آخر ، وذلك كما
ذكر صاحب كتاب « الفريد في إعراب القرآن المجيد » مخطوطة المكتبة الأزهرية
تحت رقم ٣٢٥٨/٢١٢ ، حيث قال :

وقوله : إخواناً على سرر : حال من أحد خمسة أشياء : إما من المنوي
في « جنات » وهو خير المتقين . والعامل : الظرف نفسه . أو من الضمير العامل
في « ادخلوها » . أو من المستكن في « بسلام » ؛ لأنه بمعنى : سالمين أو من
المستكن في « آمنين » . أو من المضاف إليه في « صدورهم » ، والعامل فيها معنى
الإضافة من المازجة والملاصقة .

٢٧ - في إعراب «أيّهم أشد على الرحمن عتياً» :

قال ابن الشجري (١) :

وقال - أي مكّي - في قوله عز وجل في سورة مريم :

«ثم لنزعن من كل شيعة أيم أشد على الرحمن عتياً» (٢) :

«ذهب بونس إلى أن «أيّهم» : رفع بالابتداء ، لا على الحكاية ،

ويعلق الفعل وهو «لنزعن» فلا يعمل في اللفظ ، ولا يجوز تعليق مثل

«لنزعن» - عند سيبويه والخليل ، وإنما يجوز أن يعلق مثل أفعال الشك

وشبهها بما لم يتحقق وقوعه» (٣) .

قلت - أي ابن الشجري - :

«اختصاصه بالتعليق أفعال الشك وشبهها بما لم يتحقق وقوعه خطأ ،

لأن أفعال العلم تعلق ولها في تحقق الوقوع القدم الراسخة ، فما علق فيه

الماضي منها عن لام الابتداء ، قوله تعالى : «ولقد علموا لمن اشتراه ماله في

الآخرة من خلاق» (٤) . وبما علق فيه المستقبل منها عن الاسم الاستفهامي

قوله : «ولتعلمن أينما أشد عذاباً» .

ونقول : إن ما ذكره ابن الشجري - هنا - عن مكّي فيه خطأ في

القل ، حيث سقط من كلامه كلمة «مثل» فعبارة مكّي كما نقلها ابن الشجري :

«وإنما يجوز أن يعلق أفعال الشك وشبهها بما لم يتحقق وقوعه» . ولو رجعنا

إلى كتاب مكّي وجدنا عبارته : «وإنما يجوز أن يعلق مثل أفعال الشك

وشبهها من مالم يتحقق وقوعه» فلما سقط من كلام ابن الشجري كلمة

«مثل» اختل الكلام واحتمل ما حمله ابن الشجري ليرد عليه بعد ذلك .

(١) أمالي ابن الشجري ج ٢ / صفحة : ٤٦٨

(٢) مشكل إعراب القرآن ٦١/٢

(٣) مريم : ٦٩

(٤) البقرة : ١٠٢

فكلمة « مثل » قبل أفعال الشك تشير إلى أن هناك أفملاً أخرى تعلق وليس المقصود بها شبه أفعال الشك بما لم يتحقق وقوعه ، بدليل أنه قال بعد ذلك : أفعال الشك وشبهها بما لم يتحقق وقوعه .

وأيضاً فإننا لو رجعنا إلى الآية : « ولقد علموا لمن اشتراه » التي استشهد بها ابن الشجري على تعليق الماضي عن لام الابتداء ، فإننا نجد مكيّاً يعلقها ، وذلك حينما يقول :

قوله « لمن اشتراه » من : في موضع رفع بالابتداء . وخبره : ماله في الآخرة من خلاق . فخلاق : مبتدأ ، ومن : زيدت لتأكيد النفي . وله : خبر الابتداء . والجملة خبر من . واللام : لام الابتداء ، وهي لام التأكيد بقطع ما بعدها بما قبلها ، ولا يعمل ما قبل اللام فيما بعدها كحرف الاستفهام وكالأسماء التي تجزم بها في الشرط إنما يعمل في ذلك ما بعده . ومنه قوله تعالى : « وسيعلم الذين ظلموا أي متقلبون »^(١) ، فأبي : نصب بـ « ينقلبون » لا بـ « سيعلم » .

٢٨ - في إعراب « إما شاكرأ وإما كفورأ » :

... وقبل أن أطلع على النسخة المخطوطة لأمالي ابن الشجري في دار الكتب المصرية - مكتبة تيمور - كنت قد رأيت النسخة المطبوعة في حيدر آباد الدكن عام ١٣٤٩ هـ ، وفيها يقول ابن الشجري^(٢) :

وقال مكي بن أبي طالب المغربي في مشكل إعراب القرآن :

« أجاز الكوفيون في قوله تعالى : « إنا هديناه السبيل إما شاكرأ وإما

(١) الشعراء ٢٢٧

(٢) أمالي ابن الشجري : ج ٢ / صفحة : ٣٤٦ - طبعة حيدر آباد الدكن .

كفوراً^(١) ، أن تكون «إما» : إن «الشرطية زبدت عليها» ما . قال : ولا يجوز هذا عند البصريين ، لأن «إن» الشرطية لا تدخل على الأسماء إلا أن تضر بعد «إن» ، فعلاً وذلك في نحو : «وإن أحدهم من المشركين استجارك»^(٢) ، أضمر «استجارك» بعد «إن» ودل عليه الثاني فحسن لذلك حذفه ، ولا يحسن ضمير فعل بعد «إن» - هنا - لأنه يلزم رفع «شاكر» بذلك الفعل . وأيضاً فإنه لا دليل على ذلك الفعل المضمر في الكلام^(٣) انتهى كلامه .

قال ابن الشجري : وهذا القول من ليس بصحيح ، لأن النحويين يضمرون بعد إن الشرطية فعلاً يفسره ما بعده لأنه من لفظه ، فيرتفع الاسم بعد «إن» بكونه فاعلاً لذلك المضمر ، كقولك : إن زيد زارني أكرمه ، تريد إن زارني زيد ، وكذلك إن زيد حضر حادثه ، تريد : إن حضر زيد ، وكقوله تعالى : «إن امرؤ هلك»^(٤) و «إن امرأة خافت»^(٥) و «إن أحد من المشركين استجارك» .

هذه الأسماء ترتفع بأفعال مقدرة ، وهذه الظاهرة مفسرة لها ، وكما يضمرون بعد حرف الشرط أفعالاً ترفع الاسم بأنه فاعل ، كذلك يضمرون بعده أفعالاً تنصب الاسم بأنه مفعول ، كقولك : إن زيداً أكرمه نفعل ، تريد : إن أكرمت زيداً ، ومنه قول النمر بن تولب :
لأنجز عي إن منقياً أهلكته وإذا هلكت فعند ذلك فاجز عي
أراد إن أهلكت منقياً . وإذا عرفت هذا فليس يلزم «شاكر»

(٢) التوبة : ٦

(١) الانسان : ٣

(٣) مشكل إعراب القرآن ٢/٤٣٥

(٥) النساء : ١٢٢

(٤) النساء : ١٢٥

أن يرتفع في قول من قال : إن « إما » شرطية ، وقوله لادليل على الفعل المضر في الكلام يعني في قوله « إما شاكراً وإما كفوراً » قول بعيد من معرفة الإضمار في مثل هذا الكلام ، لأن المضر - هنا - يشهد بإضماره القلوب وهو « كان » ، وذلك أن سيوبه لا يرى إضمار « كان » إلا في مثل هذا المكان ، كقولك : أنا أزورك إن قريباً وإن بعيداً ، تريد : إن كنت قريباً وإن كنت بعيداً ، ومن ذلك البيت المشهور ، وهو للنعمان ابن المنذر :

قد قيلَ ذلك إن حقاً وإن كذباً فما اعتذارك من شيء إذا قِلا
وقول ليلى الأخيلية :

لا تقربن الدهر آلَ مطرفٍ إن ظالماً فيهم وإن مظلوماً
أي : إن كنت ظالماً وإن كنت مظلوماً ، وكذلك التقدير : هديناه السبيل إن كان شاكراً وإن كان كفوراً . وإضمار الفعل بعد حرف الشرط مخصوص به « إن » ، وربما استعمله الشاعر مع غيرها ، كقوله :

صعدة نابتة في حائر أينما الريحُ تميلُ تميلُ
الصعدة : القناة التي تنبت مستوية ، فلا تحتاج إلى تثقيب ، وأمرأه صعدة : مستوية القامة شهبوها بالقناة . والحائر : المكان الذي يتحير فيه الماء .
ونقول : إن عبارة مكّي في هذا المجال موهمة كما فهم ابن الشجري ، ولعل عند مكّي في هذا هو الاختصار ولو أننا رجعنا نستنطق كتب مكّي التي بين أيدينا ، فإننا سنتعرف على حقيقة رأيه بوضوح .

وأقرب شيء بين يدي الآن كتابه « الهداية إلى بلوغ النهاية في تفسير القرآن وأنواع علومه » ، فماذا قال فيه :

قال مكى : « وأجاز الفراء أن يكون « ما ، زائدة و « إن ، للشرط ، والمعنى - على هذا - : إنا هديناه السبيل إن شكر وإن كفر . وفيه بعد ، لأن « إن ، التي للشرط لا تقع على الأسماء إلا بإضمار فعل ، ولا يحسن ذلك هنا ، وقيل تقديره - على قول الفراء : إن كان شاكراً أو كان كفوراً » .

وهكذا نرى أن مكياً لم يرغب عن باله أبداً أن « إن ، الشرطية يمكن تقدير فعل بعدها ينصب الاسم ، كما يمكن تقدير فعل يرفع الاسم وأنه يعرف التقدير الذي جاء به ابن الشجري بعده بزمان بعيد وكل ما هنالك أن مكياً لا يستحسن هذا التقدير هنا ، لأنه بعيد في المعنى ، ولا ينسجم مع التفسير .

وعلى هذا فاعتراض ابن الشجري غير وارد ، لأن مكياً لم يصرح في كتاب الشكل بعدم جواز تقدير فعل ينصب الفعل بعده إن ، بل استبعده ، ثم هو في كتاب الهداية يصرح بأن هذا الرأي للفراء وبأنه بتقديره على رأي الفراء ناصباً للاسم بعده ، دون أن يصرح بعدم جواز ذلك .

وبعد : أرجو أن تكون هذه الدراسة قد حققت ما كنت آمل من كشف ملابسات أحاطت بالحقيقة وغبشتها ، ورفعت حيفاً وظلماً عن عالم من علماء العربية قوارى خلف ألف عام من السنين لم يكن باستطاعته أن يقول كلمة في الدفاع عن نفسه أو يرد ما نسب إليه من زلات وأخطاء سائلاً المولى - عز وجل - أن يأخذ بناصيتنا إلى ما فيه رضاء ، وأن يجنبنا عثرات الطريق ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

نص مستدرك من كتاب العبر

الأستاذ رياض عبد الحميد مراد

صدر الجزء الخامس من كتاب العبر في خبر من غير للذهبي ضمن مطبوعات التراث العربي ، وهي السلسلة التي تصدرها دائرة المطبوعات والنشر في الكويت ، وذلك سنة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . وكنت أبحث فيه عن ترجمة لأبي إسحاق الثوري في حوادث سنة ٦٨٥ هـ ، وعجبت إذ لم أقع له على ترجمة مع طول البحث ، وازداد عجيبي حين رأيت أن هذه السنة كلها ، وسنوات أخرى ، ناقصة من هذا الجزء . وقادتني المصادفة إلى نسخة مصورة من كتاب العبر محفوظة في مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق ، وهي إحدى النسختين المعتمدتين في تحقيق هذا الكتاب . وحين قُلتها وجدت فيها السنوات الناقصة من المطبوع ، كما لاحظت أن ثمة فروقا كثيرة بين المطبوع والمصورة ، فعمدت إلى مقابلاتها وانتهيت إلى جملة الملاحظات التالية ، وقد جعلتها في قسمين :

١ - القسم الأول : النص المستدرك ، ويتضمن السنوات الناقصة من المطبوع ، وهو نص جديد .

٢ - القسم الثاني : الملاحظات على النص المطبوع .

ولا يفوتني أن أشير هنا إلى أن الدكتور مصطفى جواد أشار حذراً - فيما كتبه عن هذا الجزء في مجلة المجمع العراقي المجلد ١٧ / ص ٧٠ - إلى النقص الذي استدركه فيما يلي :

الفصل الأول

السنوات الناقصة من المطبوع

[١٢١٨] سنة ست وثمانين وست مئة

(*) فيها قدم نائب السلطنة حسام الدين طرُنْطاي^(١) ، وسار بالجيش فحاصر صِيَمِيون^(٢) و بُرْزِيَّة^(٣) ، وانتزعها من سُنْقُر الأشقر^(٤) ، ونزل إليه بعد التوثق منه بالأيمان ، فأعطى مئة فارس بمصر .

(*) وفيها توفي البرهان السَّيِّجاري قاضي القضاة أبو محمد الحَضِر بن

(١) الأمير حسام الدين أبو سعيد طرُنْطاي « في العبر بفتح الطاء الأولى ، وفي النجوم بضمها » ابن عبد الله المنصوري . توفي بالتعذيب سنة ٦٨٩ هـ . انظر العبر ٣٦١/د ، والنجوم الزاهرة ٣٨٥/٧

(٢) صهيون « بكسر الصاد عند ياقوت و بفتحها عند أبي الفداء ، وسكون الهاء وضم الياء وسكون الواو » ، بلدة ذات قلعة حصينة من أعمال سواحل بحر الشام . انظر معجم البلدان « صهيون » ، وتقويم البلدان ٢٥٦

(٣) برزية « بضم الباء وسكون الراء وفتح الزاي وسكون الياء » قلعة حصينة قرب صهيون من جهة الشرق بينها مرحلة . تقويم البلدان ٢٦٠ . وانظر أيضاً معجم البلدان ففيه : « بَرَزُوِيَّة . والعامة تقول بَرَزِيَّة » .

(٤) الأمير سُنْقُر بن عبد الله العلائي ثم الصالحي النجمي ، المعروف بالأشقر . توفي سنة ٦٩٢ هـ . انظر النجوم ٣٧/٨

الحسن بن علي الزُّرَّازي الشافعي^(١) . وليّ قضاء مصر وحدها مدة في دولة الصالح ، ثم آذاه الوزير بهاء الدين^(٢) ونكبه ، فلما مات وليّ الوزارة للملك السعيد ، بقي مدة ثم عزل ، وضربه الشجاعى^(٣) ، ثم وليّ الوزارة ثانياً ، ثم عزل وأودى ، ثم وليّ قضاء القضاة بالإقليم فتوفي بعد عشرين يوماً . فيقال إنه سُمِّ . توفي في صفر ، وولي بعده تقي الدين ابن بنت الأعز .

(*) وابن بُلْتِيان الأديب شرف الدين سليمان بن بُلْتِيان بن أبي الجيش الإربلي^(٤) الشاعر المشهور ، أحد ظرفاء العالم . توفي بدمشق في عاشر صفر وقد كمل التسعين .

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام اللوحة ٦٠ من الجزء الأخير ، وفي الوافي ١٢٧/١٣ ، وطبقات السبكي ١٤٣/٨ ، والبداية والنهاية ٣١٠/١٣ ، وتاريخ ابن الفرات ٥٧/٨ ، والسلوك ج ١ / ق ٢ / ٧٣٨ ، والنجوم الزاهرة ٣٧٣/٧ ، وحسن المحاضرة ١٦٤/٢ - ١٦٧ ، ٢٢١ ، ٣٢٢ ، والشذرات ٣٩٥/٥

(٢) هو علي بن محمد بن سليم صاحب الوزير الكبير بهاء الدين بن حنّى المصري . توفي سنة ٦٧٧ هـ . انظر فوات الوفيات - إحسان عباس - ٧٦/٣ ، والمشتبه ١٨٣ ، والعبر ٣١٥/٥ ، والتبصير ٤٧٣/١ ، والشذرات ٣٥٨/٥

(٣) هو الأمير علم الدين سَنَجَر بن عبد الله ، المعروف بأزجواش المنصوري الشجاعى . توفي سنة ٧٠١ هـ . انظر النجوم ١٩٨/٨ ، والبداية والنهاية ٣٣٤/١٣ ، وحسن المحاضرة ٢٢٣/٢

(٤) ترجمته في تاريخ الإسلام اللوحة ٦٠ من الجزء الأخير ، والوافي ٨/١٦٥ ، وفوات الوفيات ٥٧/٢ ، والسلوك ج ١ / ق ٢ / ٧٣٨ ، والنجوم ٣٧٢/٧ ، والشذرات ٣٩٥/٥ ، وقد ورد اسم أبيه في بعض هذه المصادر « بنيان » .

(*) وابن عساكر الإمام الزاهد أمين الدين أبو اليمن ، عبد الصمد ابن عبد الوهاب بن عبد الصمد بن زين الأمانة الدمشقي (١) المجاور بمكة . روى عن جده (٢) ، والشيخ الموفق (٣) وطائفة ، وكان صالحاً خيراً قوياً المشاركة في العلم ، بدیع النظم ، لطيف الشائل ، صاحب توجهٍ وصدق . ولد سنة أربع عشرة وست مئة .

(*) وعبد العزيز بن عبد المنعم بن علي بن الصيقل ، مسند الوقت عز الدين ، أبو العز الحراماني (٤) . روى عن أبي حامد بن جواتق ، ويوسف

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام ٦١ ، وفوات الوفيات ٣٢٨/٢ ، ومرآة الجنان ٢٠٢/٤ ، والبداية والنهاية ٣١١/١٣ ، والسلوك ج ١/٢ ق ٧٤٦ ، والشذرات ٣٩٥/٥

(٢) هو زين الأمانة أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن عساكر الدمشقي الشافعي ، ولد سنة ٥٤٤ هـ . روى عنه أمين الدين أبو اليمن حفيده . وانظر في ترجمته سير أعلام النبلاء ١٩١/١٣ ، والعبر ١٠٨/٥ ، وطبقات السبكي ١٤١/٨ ، والبداية والنهاية ١٢٧/١٣ ، والنجوم الزاهرة ٢٧٣/٦ ، والشذرات ١٢٣/٥

(٣) هو عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعد ، الشيخ موفق الدين البغدادي . ولد سنة ٥٥٧ هـ ، وتوفي سنة ٦٢٩ هـ . وانظر إنباء الرواة ١٩٣/٢ ، والعبر ١١٥/٥ ، وسير أعلام النبلاء ١٩٩/١٣ ، والوافي ٦٥/١٩ ، وفوات الوفيات - إحسان عباس - ٣٨٥/٢ ، وطبقات السبكي ٣١٢/٨

(٤) ترجمته في تاريخ الإسلام ٦٢ ، والوافي ٦/١٩ ، والبداية والنهاية ٣١٠/١٣ ، وتاريخ ابن الفرات ٥٨/٨ ، والسلوك ج ١/٢ ق ٧٣٨ ، وحسن المحاضرة ٣٨٤/١ ، والشذرات ٣٩٦/٥

ابن كامل^(١)، وطائفة . وأجاز له ابن كليب^(٢)، وكان آخر من روى عن أكثر شيوخه . توفي في رابع عشر رجب وقد نيف على التسعين^(٣) .

(*) وابن الجبوي شهاب الدين أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن حمزة بن علي الثعلبي الدمشقي الشاهد^(٤) . روى عن ابن الحرساني^(٥) وغيره . وأجاز له المؤيد الطوسي^(٦)، وابن الأخضر^(٧) . وتوفي في رجب .

(١) هو أبو الفتوح يوسف بن المبارك بن كامل بن أبي غالب البغدادي الخفاف المقرئ . ولد سنة ٥٢٧ هـ وتوفي سنة ٦٠١ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٩٦/١٣ ، والعبير ٢/٥

(٢) هو أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد بن صدقة بن خضر بن كليب الحراني البغدادي الحنبلي التاجر الأجرسي . ولد سنة ٥٠٠ هـ . حدث عنه عبد العزيز بن الصيقل . توفي سنة ٥٩٦ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٥٩/١٣ ، والعبير ٢٩٣/٤ ، والوفاء ١١٠/١٩

(٣) ولد سنة ٥٩٤

(٤) ترجمته في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ٦٣ ، والشذرات ٣٩٦/٥

(٥) هو جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن الفضل بن علي بن عبد الواحد الأنصاري الدمشقي الشافعي ، ابن الحرساني . ولد سنة ٥٢٠ هـ وتوفي سنة ٦١٤ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ١٣٦/١٣ ، والعبير ٥٠/٥ ، وذيل الروضتين ١٠٦ ، وطبقات السبكي ١٩٦/٨ ، والنجسوم ٢٢٠/٦ ، وتاريخ ابن الفرات ٢٢٧/٥ ، والبداية والنهاية ٧٧/١٣ ، والشذرات ٦٠/٥

(٦) هو رضي الدين أبو الحسن المؤيد بن محمد بن علي بن حسن بن محمد ابن أبي صالح الطوسي النيسابوري . ولد سنة ٥٢٤ هـ وتوفي سنة ٦١٧ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ١٤٢/١٣ ، والعبير ٧١/٥

(٧) هو أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن المبارك بن محمود الجنايدي البغدادي =

[٢١٨/ب] (*) وابن القسطلاني الإمام قطب الدين أبو بكر محمد ابن أحمد بن علي المصري ثم المكي^(١) . ولد سنة أربع عشرة وست مئة . وسمع من علي ابن البناء^(٢) ، والشهاب السهروردي^(٣) ، وجماعة . وتفقه وأفتى ، ثم رحل سنة تسع وأربعين ، فسمع ببغداد ومصر والشام والجزيرة وكان أحد من جمع العلم والعمل والهيبة والورع . طلب من مكة وولي مشيخة دار الحديث الكاملية^(٤) بالقاهرة . وتوفي في المحرم .

= التاجر البزار ، ابن الأخضر . ولد سنة ٥٢٤ هـ وتوفي سنة ٦١١ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ١٢٤/١٣ ، والعبر ٣٨/٥ ، والوافي ٢١/١٩

(١) ترجمته في مجمع الآداب في معجم الألقاب ج ٤/٢ق/٦٨٦ ، وفي تاريخ الإسلام ٦٤ ، والوافي ١٣٢/٢ ، وفوات الوفيات ٣١٠/٣ ، ومرآة الجنان ٢٠٢/٤ ، وطبقات الشافعية ٤٣/٨ ، والبداية والنهاية ٣١٠/١٣ ، وتاريخ ابن الفرات ٥٩/٨ ، والعقد الثمين ٣٢١/١ ، والسلوك ج ١/٢ق/٧٣٨ ، والنجوم ٣٧٣/٧ ، وحسن المحاضرة ٤١٩/١ ، والشذرات ٣٩٧/٥

(٢) هو أبو الحسن علي بن أبي الكرم نصر بن المبارك بن أبي السيد بن محمد الواسطي البغدادي المكي الخلال ، ابن البناء . روى عنه قطب الدين محمد القسطلاني . توفي سنة ٦٢٢ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ١٨١/١٣ ، والعبر ٩٠/٥

(٣) هو شهاب الدين أبو حفص وأبو عبد الله عمر بن محمد بن عبد الله القرشي التيمي البكري السهروردي الصوفي البغدادي . ولد سنة ٥٣٩ هـ ، وتوفي سنة ٦٣٢ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٢١٣/١٣ ، والعبر ١٢٩/٥

(٤) المدرسة الكاملية : بناها الملك العادل في القاهرة سنة ٦٢١ هـ ، وكانت القطب القسطلاني ثامن من درس فيها . انظر المقرئ ٢١١/٤ ، وحسن المحاضرة ٢٦٢/٢

(*) والدُ تيسيري الطيب الحاذق عماد الدين أبو عبد الله محمد بن عباس ابن أحمد الربيعي^(١) . ولد بدُ تيسير^(٢) سنة ست^(٣) ، وسمع بمصر من علي بن مختار^(٤) ، وجماعة ، وتفقه للشافعي . وصحب البهاء زهير^(٥) مدة ، وتأدب به وصنف . وقال الشعر ، ويرع في الطب . توفي في ثامن صفر .

(*) والبدر ابن مالك أبو عبد الله محمد بن العلامة جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجبالي^(٦) ثم اللمشقي شيخ العربية

(١) ترجمته في طبقات الأطباء ٣٦٧/٢ ، وتاريخ الإسلام - الجزء الأخير ٦٥ ، والوافي ٢٠٠/٣ ، وفوات الوفيات ٣٩٢/٣ ، والبداية والنهاية ٣١٠/١٣ ، والسلوك ج ١/٢ ق ٧٣٩ ، والنجوم ٣٧٣/٧ ، والشذرات ٣٩٧/٥ .
(٢) دُ تيسر بضم أوله . « بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردن بينها فرسخان » معجم البلدان .

(٣) في تاريخ الإسلام : « سنة خمس أو ست وست مئة » .

(٤) هو جمال الملك أبو الحسن علي بن مختار بن نصر بن طغان العامري المحلي الاسكندراني ، ويعرف بابن الجمل . ولد سنة ٥٤٨ هـ ، وتوفي سنة ٦٣٨ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٢٣٨/١٣ ، والعبر ١٥٨/٥ .

(٥) هو بهاء الدين أبو العلاء زهير بن محمد بن علي الأزدي الملبلي المكي القوصي ، الشاعر المشهور . ولد سنة ٥٨١ هـ ، وتوفي سنة ٦٥٦ هـ . وانظر سير أعلام النبلاء ٣١١/١٣ ، والعبر ٢٣٠/٥ .

(٦) ترجمته في تاريخ الإسلام - الجزء الأخير ٦٥ ، والوافي ٢٠٤/١ ، وفوات الوفيات ٤٠٧/٣ ، ومرآة الجنان ٢٠٣/٤ ، وطبقات السبكي ٩٨/٨ ، والسلوك ج ١/٢ ق ٧٣٨ ، والنجوم الزاهرة ٣٧٣/٧ ، وبغية الوعاة ٢٢٥/١ ، ونفح الطيب ٢٢٢/٢ .

وقدوة أرباب المعاني والبيان كان ذكياً فهِماً عارفاً بالمنطق والأصول والنظر .
لكنه كان لعباً معاشراً . توفي بالقولنج في ثامن المحرم ولم يكتهل .

(*) وأبو صادق جمال الدين محمد بن الشيخ الحافظ رشيد الدين أبي
الحسين يحيى بن علي القرشي المصري العطار^(١) . سمع من محمد بن عماد^(٢) ،
وابن باقا^(٣) ، وطائفة . وكتب وخروج الموافقات . توفي في ربيع الآخر
عن بضع وستين سنة .

سنة سبع وثمانين وست مئة

(*) وفيها توفي أبو العباس الفقيه شرف الدين أحمد بن أحمد بن عبيد الله
ابن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي الفرضي^(٤) ، بقیة السلف .

(١) ترجمته في تاريخ الاسلام اللوحة ٦٦ من الجزء الأخير ، والشذرات
٣٩٩/٥

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عماد بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن
أبي يعلى الجزري الحارثي التاجر . ولد سنة ٥٤٢ ، وتوفي سنة ٦٣٢ هـ . انظر
أعلام النبلاء ٢١٥/١٣ ، والعبر ١٩٠/٥

(٣) هو أبو بكر عبد العزيز بن أبي الفتح أحمد بن عمر بن سالم بن محمد
ابن باقا السَّيِّي «نسبة إلى السَّيِّب : قرية بالكوفة ، البغدادية التاجر العدل المصري
ولد سنة ٥٥٥ ، وتوفي سنة ٦٣٠ هـ . انظر تكملة الإكمال ٢٠٧ ، والعبر ١١٩/٥ ،
وسير أعلام النبلاء ٢٠٧/١٣

(٤) ترجمته في تاريخ الاسلام اللوحة ٦٧ من الجزء الأخير ، والوافي
٢٣٠/٦ ، والنجوم الزاهرة ٣٧٧/٧ ، والشذرات ٣٩٩/٥

سمع من عم أبيه الموفق (١) ، وجماة . وتفقه على النقي بن العز (٢) . توفي في المحرم عن ثلاث وسبعين سنة ، وكان يشغل بجامع الجبل (٣) بلا وظيفة وفيه زهد وعبادة وقناعة بالسير ويقظة للسير .

(*) والجمال ابن الحموي ، أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن سليمان بن علي الدمشقي (٤) . حضر ابن طبرزذ (٥) ، وسمع من

(١) الشيخ موفق الدين المقدسي أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدم بن نصر المقدسي الجماعلي ثم الدمشقي الصالح الحنبلي ، صاحب التصانيف ولد سنة ٥٤١ هـ . وتوفي سنة ٦٢٠ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ١٥٨/١٣ ، والمعبر ٧٩/٥ ، وذيل الروضتين ١٤٨

(٢) هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عز الدين محمد بن عبد الغني المقدسي الصالح . ولد سنة ٥٩١ هـ ، وتوفي سنة ٦٤٣ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٢٧٤/١٣ والمعبر ١٧٤/٥

(٣) هو المشهور بجامع الحنابلة وبالمظفري بسفح قابيون . الدارس ٤٣٥/٢ ، وذيل ثمار المقاصد ٢٠٩

(٤) ترجمته في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ٦٨ ، والوافي ٢٦٩/٦ ، والدارس ١٤٩/٢ ، والنجوم الزاهرة ٣٧٨/٧ ، والشذرات ٤٠٠/٥

(٥) هو عمر بن محمد بن معتمر بن أحمد بن يحيى بن حسان البغدادي الدارقزتي المؤدب ، ويعرف بابن طبرزذ . والطبرزذ بذال معجمة هو الشكتر . مولده سنة ٥١٦ هـ . روى عنه الجمال ابن الحموي وعبد الرحيم بن خطيب المزة ، وغيرهما . توفي سنة ٦٠٧ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٢٣٣/١٣ ، والمعبر ٢٤/٥

الكندي^(١) وابن الحرستاني^(٢) [١/٢١٩] . افترى على الحاكم ابن الصائغ^(٣) بشهادة فأسقط لأجلها . ومات بدؤيرة محمد^(٤) في ذي الحجة ، وله سبع وثمانون سنة .

(*) وأبو إسحاق الثوري^(٥) إبراهيم بن عبد العزيز بن يحيى الرعيبي الأندلسي المالكي المحدث . ولد سنة أربع عشرة ، وجميع فسمع من ابن رَوَاج^(٦) وطبقته . وسكن دمشق وقرأ الفقه وتقدم في الحديث مع الزهد والعبادة والإيتار والصفات الحميدة والحرمة والجلالة . ناب في القضاء ثم ولي

(١) هو تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد ابن عصمة الكندي البغدادي . ولد سنة ٥٢٠ هـ ، وتوفي سنة ٦١٣ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ١٢٤/١٣ ، والعبر ٤٤/٥

(٢) تقدمت ترجمته في ص ٥٤١ هـ

(٣) هو القاضي عز الدين ، أبو المفاخر محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق ابن خليل بن مقلد بن جابر الأنصاري ، المعروف بابن الصائغ . ولد سنة ٦٢٨ هـ ، وتوفي سنة ٦٨٣ هـ . انظر الوافي ٢٧٠/٣ ، والعبر ٣٤٤/٥ ، وقضاة دمشق ٢٧٦ وطبقات الشافعية ٧٤/٨

(٤) ذكر الصفدي أنها بدمشق .

(٥) ترجمته في تاريخ الإسلام ٦٨ من الجزء الأخير ، ومرآة الجنان ٤/٢٠٤ ، والنجوم الزاهرة ٣٧٨/٧ ، والشذرات ٤٠٠/٥ وفيه وفي الأعلام ٤٠/١ : « اللوزي » وعند الذهبي أن نسبته إلى لوزة ، وهي قلعة في الأندلس من أعمال إشبيلية .

(٦) هو عبد الوهاب بن ظافر بن علي رشيد الدين أبو محمد بن رَوَاج . ولد سنة ٥٥٤ هـ . وتوفي سنة ٦٤٨ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٢٧٩/١٣ ، والعبر ٢٠٠/٥

مشيخة دار الحديث الظاهرية . توفي في الرابع والعشرين من صفر بالمُنْبِيع^(١).
 (*) والشيخ إبراهيم بن مِعْضَاد^(٢) أبو إسحاق الجَعْبَرِي^(٣) الزاهد
 الواعظ المذكور . روى عن السخاوي^(٤) وسكن القاهرة . وكان لكلامه
 وقع في القلوب لصدقه وإخلاصه وصدقه بالحق . توفي في المحرم عن سبع
 وثمانين سنة وشهر .

(*) وسعد الخير بن أبي القاسم عبد الرحمن بن نصر بن علي ، أبو
 محمد النابلسي ثم الدمشقي الشاهد^(٥) . سمع الكثير من ابن البُنْ^(٦) وزين

(١) في تاريخ الإسلام أنها بظاهر دمشق .

(٢) ترجمته في تاريخ الإسلام ٦٩ من الجزء الأخير ، والوافي ١٤٧/٦ ،
 ومرآة الجنان ٢٠٤/٤ ، وطبقات السبكي ١٢٣/٨ ، وتاريخ ابن الفرات ٧٢/٨ ،
 والسلوك ٧٤٦/٢/١ ، والمنهل الصافي ١٦٣/١ ، والنجوم الزاهرة ٣٧٤/٧ ،
 وحسن المحاضرة ٥٢٣/١ ، والشذرات ٣٩٩/٥

(٣) نسبته إلى جَعْبَر « بالفتح ثم السكون » وهي قلعة على الفرات بين
 بالي والرقبة قرب صفتين « معجم البلدان » .

(٤) هو علم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد بن عطاس المصري
 السخاوي الشافعي تزيل دمشق . ولد سنة ٥٥٨ أو ٥٥٩ هـ وتوفي سنة ٦٤٣ هـ وانظر
 سير أعلام النبلاء ٢٤٨/١٣ ، والعبر ١٧٨/٥ ، وطبقات الشافعية ٢٩٧/٨ وفيه
 مرد لمصادر أخرى .

(٥) ترجمته في تاريخ الإسلام اللوحة ٧٠ ، والشذرات ٤٠٠/٥

(٦) هو قنيس الدين أبو محمد الحسن بن علي بن أبي القاسم الحسين بن
 الحسن ، ابن البُنْ الأسدي الدمشقي الخشاب . ولد سنة ٥٣٧ هـ . حدث عنه
 سعد الخير ، وتوفي سنة ٦٢٥ هـ وانظر سير أعلام النبلاء ١٨٩/١٣ ، والعبر ١٠٤/٥

الأمناء^(١) وطبقتهما . توفي في جمادى الآخرة وله سبعون سنة .

(*) وابن خطيب المزة شهاب الدين عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى الموصلي ثم الدمشقي^(٢) نزيل القاهرة ومسندها . سمع في الخامسة من حنبل^(٣) وابن طبررتة^(٤) وكان فاضلاً ديناً ثقة . توفي في تاسع رمضان .

(*) والقطب خطيب القدس ، أبو الذكاء عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم القرشي الزهري العوفي النابلسي الشافعي المفتي^(٥) المفسر . سمع من داود ابن ملاعب^(٦) ، وأبي عبد الله بن البنا^(٧) . وأجاز له أبو الفتح المندائي^(٨) ،

(١) تقدمت ترجمته ص ٢٥٤٠

(٢) ترجمته في تاريخ الإسلام الجزء الأخير ٧١ ، والشذرات ٤٠١/٥

(٣) هو حنبل بن عبد الله الرصافي أبو علي وأبو عبد الله الواسطي البغدادي المكنى راوي المسند كله عن هبة الله بن الحصين . توفي سنة ٦٠٤ هـ . وانظر سير أعلام النبلاء ٩٨/١٣ ، والعبر ١٠/٥ ، وذيل الروضتين ٦٢

(٤) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٥

(٥) ترجمته في تاريخ الإسلام ٧٢ ، والوافي ١١٤/١٩ ، وتاريخ ابن الفرات ٧٤/٨ ، والسلوك ٧٤٦/٢/١ ، والشذرات ٤٠١/٥

(٦) هو ربيب الدين أبو البركات داود بن أحمد بن محمد بن منصور بن ثابت بن ملاءب البغدادي الأزجي الوكيل عند القضاة . ولد سنة ٥٤٢ هـ وتوفي سنة ٦١٦ وانظر سير أعلام النبلاء ١٣٨/١٣ ، والعبر ٦٠/٥

(٧) هو نور الدين أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي عبد الله بن موهوب ابن جامع بن عبدون البغدادى الصوفى ، ابن البنا . ولد سنة ٥٣٦ هـ وتوفي سنة ٦١٢ ، روى عنه القطب الزهري ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٣١/١٣ ، والعبر ٤٣/٥

(٨) هو أبو الفتح محمد بن القاسم أبي العباس أحمد بن بختيار بن علي بن =

وطائفة . توفي في سابع رمضان وله أربع وثلاثون سنة .

(*) وابن النفيس^(١) العلامة علاء الدين علي بن أبي الحاروم القروشي
الدمشقي شيخ الطب بالديار المصرية وصاحب التصانيف وأحد من انتهت إليه
معرفة الطب مع الذكاء المفرط والذهن الحارق والمشاركة في الفقه والأصول
والحديث والعربية والمنطق^(٢) [٢٢٠ ب] . توفي في الحادي والعشرين من
ذي القعدة ، وقد قارب الثمانين . وقف أملاكه وكتبه على المارستان
المنصوري ، ولم يخلف بعده مثله .

(*) والنجيب^(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد بن علي الهمداني
ثم المصري المحدث . أجاز له ابن طبرزد^(٤) وعفيفه^(٥) والكبار . وسمع

محمد المتدائي الواسطي ولد سنة ٥١٧ هـ وتوفي سنة ٦٠٥ هـ وانظر سير أعلام
النبلاء ١٠٠/١٣ ، والعبر ١٤/٥

(١) ترجمته في طبقات الأطباء ٢/٢٤٩ ، وتاريخ الإسلام ٧٢ ، والوافي
٢١/١٢ ، ومرآة الجنان ٤/٢٠٧ ، وطبقات السبكي ٨/٣٠٥ ، والبداية والنهاية
١٣/٣١٣ ، والسلوك ١/٢/٧٤٦ ، والنجوم الزاهرة ٧/٣٧٧ ، وحسن المحاضرة
١/٥٤٢ ، والدارس ٢/١٣١ ، والشذرات ٥/٤٠١ ، والأعلام ٥/٧٨ ، وفي
بعض هذه المصادر ابن أبي الحزم ، بالزاي . وفي الأصل إشارة إهمال فوق الراء .
(٢) يضطرب ترتيب الصفحات في الأصل إذ ترد حوادث سنة ٦٩٥ مقعنة
ضمن حوادث سنة ٦٨٧

(٣) ترجمته في تاريخ الإسلام ٧٣ ، والشذرات ٥/٤٠٢

(٤) تقدمت ترجمته في ص ٥٥٤٥ هـ

(٥) هي عفيفة بنت أحمد بن عبد الله بن محمد ، أم هانيء
الفارانية - نسبة إلى فارغان : من قرى اصبهان - الاصبائية ولدت سنة ٥١٠ هـ
وتوفيت سنة ٦٠٦ هـ وانظر سير أعلام النبلاء ١٣ : ١١٠ ، والعبر ١٧/٥

من عبد القوي بن الجباب^(١) . وقرأ بنفسه على ابن باب^(٢) ، ثم صار كاتباً^(٣) في أواخر عمره ومات في ذي القعدة .

(*) ومحمد بن عبد الخالق بن طرخان ، شرف الدين أبو عبد الله الأموي الاسكندراني^(٤) . أجاز له أبو الفخر أسعد بن رَوْح^(٥) وسمع من علي ابن البنا^(٦) ، والحافظ ابن المفضل ، وطائفة كثيرة . عاش اثنتين وثمانين سنة .

(١) هو القاضي الأسعد صفى الملك أبو البركات عبد القوي بن القاضي الجليس أبي المعالي عبد العزيز بن الحسين بن عبد الله بن الحسين ابن الجباب التميمي السعدي الأغلب المصري المالكي ولد سنة ٥٣٦ هـ . حدث عنه النجيب عماد بن أحمد الهمداني . وتوفي سنة ٦١١ هـ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٨٠/١٣ ، والعبر ٨٣/٥ والمشتبه ١٣٨

(٢) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٤ هـ ٣

(٣) في الأصل « كاتب » .

(٤) ترجمته في تاريخ الإسلام ٧٣/ب ، والوافي ٢١٩/٣ ، والشذرات ٤٠٣/٥

(٥) هو أبو الفخر أسعد بن سعيد بن محمود بن محمد بن رَوْح الاصمعي التاجر ، ابن أبي الفتوح . ولد سنة ٥١٧ هـ ، وتوفي سنة ٦٠٧ هـ . وانظر أعلام النبلاء ١١٣/١٣ ، والعبر ٢١/٥

(٦) هو أبو الحسن علي بن أبي الكرم نصر بن المبارك بن أبي السيد بن محمد الواسطي البغدادي ثم المكي الخلال ، ابن البنا ، راوي الجامع للترمذي عن عبد الملك الكروخي ، حدث عنه محمد بن عبد الخالق بن طرخان الأموي . مات سنة ٦٢٢ هـ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٨١/١٣ ، والعبر ٩٠/٥

(*) والحاج ياسين المغربي الحجام الأسود^(١). كان يجرأ نحيّاً على باب الجاية . وكان صاحب كشف وحال . وكان النووي^(٢) رحمه الله يزوره ويتلمذ له . توفي في ربيع الأول وقد قارب الثمانين .

[٢١٩ / ب] سنة خمس وتسعين وست مئة

(*) استهلت وأهل الديار المصرية في قحط شديد ووباء مفرط حتى أكلوا الجيف ، وأما الموتى فيقال أخرج في يوم واحد ألف وخمس مئة جنازة ، وكانوا يحفرون الحفائر الكبار ، ويدفنون الجماعه الكثيرة . وبلغ الخبز كل رطل وثلاث بالمصري بدرهم ثقرة .

(*) وفيها قدم علينا شيخ الشيوخ صدر الدين إبراهيم بن الشيخ سعد الدين حمويه الجويني^(٣) طالب حديث ، فسمع الكثير . وروى لنا عن أصحاب المؤيد الطوسي^(٤) وأخبر أن ملك التار غازان بن أرغون^(٥) أسلم

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام ٧٤ وفيه « ياسين بن عبد الله المغربي » ، ومراة الجنان ٢٠٦/٤ ، والشذرات ٤٠٣/٥

(٢) هو الشيخ محيي الدين النووي أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن الشافعي . ولد سنة ٦٣١ وتوفي سنة ٦٧٧ . والظير العبر ٣١٢/٥ ، وطبقات السبكي ٣٩٥/٨ ، ومعجم المؤلفين ٢٠٢/١٣ وفيها مرد لمصادر أخرى كثيرة

(٣) انظر مراة الجنان ٢٣٧/٤ ، والشذرات ٤٢٨/٥

(٤) تقدمت ترجمته في ص ٥٤١ هـ

(٥) هو صاحب الشرق محمود غازان بن أرغون بن أبغسا بن هولاقو . تولى الملك سنة ٦٩٣ هـ ، وأسلم في السنة ذاتها وتوفي سنة ٧٠٣ هـ ، انظر ذيول العبر ٢٦ ، والنجوم الزاهرة ٢١٢/٨

على يده بوساطة نوروز وكان يوماً مشهوداً .

(*) وأما دمشق فاستسقى الناس وبلغ الخبز كل عشر أواق بدينار في جمادى الآخرة وارتفع فيه الوباء والقحط عن مصر ونزل الأدب إلى خمسة وثلاثين درهماً ، فرحلت إليها حينئذ ياذن والدي .
(*) وفي ذي القعدة قدم الملك العادل كتباً^(١) دمشق وسار إلى حمص .

(*) وفيها في ربيع الآخر قتل جماعة من حراس دمشق ، فاخبطت البلد ثم بعد أيام أخذ حروفوش ناقص العقل فاعترف أنه كان يأتي إلى الحارس ، وهو نائم ، فيضربه على يافوخه بجبر يقتله حتى قتل عشرة ، فستمره
(*) وفيها توفي أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان العلامة الكبير شيخ الفقهاء نجم الدين أبو عبد الله الحراني النميري الحنبلي^(٢) مصنف الرعاية الكبيرة . توفي في صفر بالقاهرة وله اثنتان وتسعون سنة . روى عن الحافظ عبد القادر الرهاوي^(٣) وفخر الدين ابن تيمية^(٤) ، وطائفة ، وانتهت إليه معرفة المذهب .

(١) هو الملك العادل زين الدين كتبغا بن حيد الله المنصوري التركي المغلي أصله من التتار من سبي وقعة حمص الأولى سنة ٦٥٩ هـ ، أخذه الملك المنصور قلاوون وأدبه ثم أعنته ، وجعله من عماليكه ثم رفاه حتى صار من أكابر أمراءه واستمر على ذلك في الدولة الأشرفية إلى أن قتل سنة ٧٠٢ هـ . انظر الوافي ١٥١/٢٤ ، وذيول العبر ٢٢ ، والنجوم الزاهرة ٥٥/٨ ، والدرر الكامنة ٢٦٢/٣

(٢) ترجمته في تاريخ الاسلام ١٧٣ ، والوافي ٣٦٠/٦ ، وتاريخ ابن الفرات ٢١٥/٨ ، والمنهل الصافي ٢٧٢/١ ، والشذرات ٤٢٨/٥ ، والأعلام ١١٦/١

(٣) هو أبو محمد عبد القادر بن عبد الله الرهاوي الحنبلي . ولد سنة ٥٣٦ هـ

(*) وأحمد بن عبد الباري الشيخ أبو العباس الداري الصعدي ثم الاسكندراني^(١) المؤدب الرجل الصالح . قرأ القراءات على أبي القاسم بن عيسى^(٢) وأكثر عنه وعن الصفراوي^(٣) . توفي في أوائل السنة عن ثلاث وثمانين سنة .

(*) والمنقذي أبو الفضائل أحمد بن [١/٢٢٠] عبد الرحمن بن محمد

= حدث عنه نجم الدين أبو عبد الله بن حمدان وهو آخر من روى عنه موتاً .
توفي سنة ٦١٢ ، انظر سير أعلام النبلاء ١٣/١٣٣ ، والمعبر ٤١/٥

(٤) وهو فخر الدين أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ، ابن تيمية الحارثي الحنبلي صاحب ديوان الخطب والتفسير الكبير . ولد سنة ٥٥٤٢ هـ . وتوفي سنة ٦٢٢ هـ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/١٩٢ ، والمعبر ٩٢/٥ ، والأعلام ٣٤٥/٥ وفيه سرد لمصادر أخرى كثيرة .

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام الجزء الأخير ١٧٤ ، وفي الوافي ١٢/٧ ، وغاية النهاية ٦٥ ، والمنهل الصافي ٣١٠/١ ، والشذرات ٤٢٩/٥ .

(٢) هـ-و أبو القاسم عيسى بن عبد العزيز بن عيسى اللخمي الشريفي ثم الاسكندراني المقرئ . توفي سنة ٦٢٩ هـ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/١٩٨ ، والمعبر ١٢٦/٥

(٣) هو جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد المجيد بن إسماعيل بن عثمان بن يوسف بن الحسين بن حفص ، ابن الصفراوي - نسبة إلى الصفراء التي عند بدر - الاسكندري الفقيه المالكي المقرئ . ولد سنة ٥٤٤ هـ ، وتوفي سنة ٦٣٦ هـ ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/٢٣٠ ، والمعبر ١٥٠/٥

الحسيني الدمشقي^(١) خادم مصنف مشهد علي بن الحسين . روى عن ابن غسان^(٢) ، وابن صبتاح^(٣) وجماعة . وله حضور على ذرع بن فارس . توفي في ذي الحجة .

(*) والشريف عز الدين تقيب الأشراف أبو العباس أحمد بن محمد ابن عبد الرحمن الحسيني الحلبي ثم المصري^(٤) الحافظ المؤرخ ، روى عن فخر القضاة أحمد بن الجباب^(٥) ، وأكثر عن أصحاب البوصيري^(٦) ، وعني بالحديث وبالع . توفي سادس المحرم .

- (١) ترجمته في تاريخ الإسلام : الجزء الأخير ١٧٤ ، والشذرات ٤٣٠/٥
- (٢) هو الأمير سيف الدولة أبو عبد الله محمد بن غسان بن غافل بن فجار ابن غسان بن تامر الأنصاري الخزرجي الحمصي . ولد سنة ٥٥٢ هـ ، وقدم دمشق وهو صبي ، حدث عنه أحمد بن عبد الرحمن المنفذي وغيره . توفي سنة ٥٦٢ هـ . وانظر سير أعلام النبلاء ٢١٥/١٣ ، والعبر ١٣١/٥
- (٣) هو أبو صادق الحسن بن يحيى بن صبتاح بن حسين بن علي الخزومي المصري الكاتب أحد شهود الخزانة بدمشق . مولده بمصر سنة ٥٤١ هـ . وتوفي سنة ٦٣٢ هـ ، وانظر سير أعلام النبلاء ٢١٣/١٣ والعبر ١٢٨/٥
- (٤) ترجمته في تاريخ الإسلام الجزء الأخير ١٧٥ ، والسلوك ٨٣١/٢/١ ، وحسن المحاضرة ٣٥٧/١ ، والشذرات ٤٣٠/٥
- (٥) هو أبو الفضل أحمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي المعالي عبد العزيز ، ابن الجباب ، توفي سنة ٦٤٨ هـ . وانظر العبر ١٩٨/٥ وسير أعلام النبلاء ٢٧٩/١٣ ، وتوضيح المشتبه - مخطوطة الظاهرية - ١٧٥/١ ب ، والوافي ٥٥/٨ والشذرات ٢٤٠/٥ وفيها وفي النجوم ٢٢/٧ « ابن الجباب » .
- (٦) هو أمين الدين أبو القاسم سيد الأهل هبة الله بن علي بن سعود =

(*) وقاضي الحنابلة الامام شرف الدين حسن بن الشرف عبد الله ابن الشيخ أبي عمر بن قدامة المقدسي^(١). ولي القضاء بعد نجم الدين ابن الشيخ^(٢) وإلى أن توفي في شوال وله سبع ونحوون سنة.

(*) وبنت الواسطي الزاهدة العابدة أم محمد زينب بنت علي بن أحمد بن فضل الصالحة^(٣). روت عن الشيخ الموفق^(٤) وتوفيت في المحرم ، وقد قاربت التسعين .

(*) والتقي شبيب بن حمدان الحرائي الطيب الكحال الشاعر^(٥) . له

= وفي العبر وحسن المحاضرة : مسعود ، بن ثابت بن هاشم بن غالب الأنصاري الخزرجي البوصيري المصري ، ولد سنة ٥٠٦ هـ وتوفي سنة ٥٩٨ هـ انظر سير أعلام النبلاء ٩٠/١٣ ، والعبر ٣٠٦/٥ ، وحسن المحاضرة ٣٧٥/١

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام الجزء الأخير ١٧٦ ب ، والوافي ٣٧/١٢ ب ، وتاريخ ابن الفرات ٢١٦/٨ ، والسلوك ٨١٧/٢/١ ، والشذرات ٤٣٠/٥ ، والمنهج الأحمد ٤٠٦/٢ ، وقضاة دمشق ٢٧٤

(٢) هو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الصالح قاضي القضاة نجم الدين أبو العباس بن قاضي القضاة شيخ الإسلام شمس الدين أبي محمد بن الشيخ أبي عمر . ولد سنة ٦٥١ هـ وتوفي سنة ٦٨٩ هـ ، انظر المنهج الأحمد ٤٠٢/٢ ، وقضاة دمشق ٢٧٣ ، والمنهل الصافي ٣١٠/١ ، والنجوم الزاهرة ٣٨٥/٧ ، والقلائد الجوهريّة ٣٦٦

(٣) ترجمتها في تاريخ الإسلام ١٧٧ ، ومراة الجنان ٢٢٨/٤ ، والشذرات ٤٣٠/٥

(٤) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٠ هـ ٣

(٥) ترجمته في تاريخ الإسلام ١٧٨ ، والوافي ٢٨/١٤ ، وفوات الوفيات ٩٨/٢ وحسن المحاضرة ٥٤٣/١ ، والشذرات ٤٢٩/٥ ، والأعلام ٢٢٨/٣ ، ووفاته فيه سنة ٦٧٥ هـ

نظم فائق وتقدم في الطب ، روى عن أبي الحسن بن روزبة^(١) وغيره .
توفي في هذه السنة بمصر .

(*) وابن قوام العدل الصالح كمال الدين أبو محمد عبد الله بن محمد
ابن نصر بن قوام بن وهب الرصافي ثم الدمشقي^(٢) ثنا عن القزويني^(٣)
وابن الزبيدي^(٤) . ومات فجأة في ذي القعدة ، وله ثمانون سنة رحمه الله .

(*) وابن رزين الامام صدر الدين عبد البر بن قاضي القضاة تقي
الدين محمد^(٥) . توفي في رجب . وولي بعده تدريس القيصرية إمام الدين

(١) هو أبو الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة بن عبد الله البغدادي
القلاسي العطار الصوفي . ولد سنة نيف وأربعين وتوفي سنة ٦٣٣ هـ ، انظر سير
أعلام النبلاء ١٣ ٢١٧ ، والعبر ١٣٤/٥

(٢) ترجمته في تاريخ الإسلام الحزء الأخير ١٢٨ ، والشذرات ٤٣٠/٥

(٣) هو محمد الدين أبو المجد محمد بن الحسين بن أبي المكارم أحمد بن حسين
ابن بهرام القزويني الصوفي . ولد سنة ٥٤٤ هـ بقزوين . حدث عنه الكمال عبد الله بن
قوام . توفي سنة ٦٢٢ هـ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٢ ١٨٢ ، والعبر ٩٢/٥

(٤) هو سراج الدين أبو عبد الله الحسين بن أبي بكر المبارك بن محمد بن يحيى
ابن مسلم الرّبيعي الزّبيدي الأصل البغدادي الحنبلي . ولد سنة ٥٦٥ هـ أو ٥٤٦ هـ
حدث عنه الكمال بن قوام ، توفي سنة ٦٣١ هـ وانظر سير أعلام النبلاء ١٣ ٢٠٩
والعبر ١٢٤/٥

(٥) ترجمته في تاريخ الإسلام ١٧٨ ، والوافي ٨/١٨ ، ومرآة الجنان ٤ ٢٢٨
والشذرات ٤٣١/٥ ، والدارس ١ ٤٤٤

القزويني^(١) الذي ولي القضاء .

- (*) وابن بنت الأعز قاضي الديار المصرية تقي الدين عبد الرحمن ابن قاضي القضاء تاج الدين عبد الوهاب العلامي^(٢) الشافعي . وولي بعده ابن دقيق العيد^(٣) شيخنا . توفي في جمادى الأولى كهلاً .
- (*) وابن الفاضل الشيخ سعد الدين عبد الرحمن بن علي بن القاضي الأشرف أحمد بن القاضي الفاضل^(٤) ، سمع من عبد الصمد الغضاري^(٥) .

(١) هو إمام الدين أبو المعالي عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن الحسين بن علي بن أحمد بن خلف التميمي العجلي القزويني . ولد سنة ٦٥٣ هـ درس بالقيصرية بعد صدر الدين عبد البر بن تقي الدين بن وزين . توفي سنة ٦٩٩ هـ . انظر المعبر ٤٠٢/٥ ، والدارس ١٩٦/١

(٢) ترجمته في الوافي ٦٤/١٨ ، وفوات الوفيات ٢٧٩/٢ ، وقاريخ الإسلام ١٧٩ ، ومرآة الجنان ٢٢٨/٤ « واسمه فيه عبد الرحيم » ، وطبقات السبكي ١٧٢/٨ ، والبداية والنهاية ٣٤٦/١٣ ، وقاريخ ابن الفرات ٢١٧/٨ ، والسلوك ٨١٧/٢/١ ، والنجوم الزاهرة ٨٢/٨ ، وحسن المحاضرة ٤١٥/١ ، ١٦٨/٢ ، والشذرات ٤٣١/٥

(٣) هو تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن ومب بن مطيع القشيري ، ابن دقيق العيد المصري . ولد سنة ٦٢٥ هـ وتوفي سنة ٧٠٢ . ولي القضاء بعد تقي الدين عبد الرحمن بن القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز سنة ٩٥ هـ . انظر فوات الوفيات ٤٤٢/٣ ، والنجوم ٢٠٦/٨ ، والدرر الكامنة ٩٢/٤ ، وحسن المحاضرة ٣١٧/١ ، والشذرات ٥/٦

(٤) ترجمته في الوافي ٧٣/١٨ ، وقاريخ الإسلام الجزء الأخير ١٧٩ ، وحسن المحاضرة ٣٨٥/١ ، والشذرات ٤٣١/٥

(٥) بهذه اللفظة تنقطع حوادث سنة ٦٩٥ التي وردت مقبحة خلال حوادث سنة ٦٨٧

[۲۲۸ ب] ستة ست وتسعين وست مئة

(*) توجه الملك العادل^(۱) إلى مصر ، فلما كان باللجون^(۲) وثب حسام الدين لاجين المنصوري^(۳) على بستان خاص وبكتوت الأزرق^(۴) فقتلها وكانا جناحي أستاذهما العادل ، فخاف وركب سرّاً وهرب في أربعة بمالك ، وساق إلى دمشق ، فدخل القلعة ، فلم ينفعه ذلك . وزال ملكه وخضع المصريون لحسام الدين ولم يختلف عليه اثنان ولقبه بالملك المنصور ، وأخذ العادل تحت الحوطة فأسكن بقلعة صرخند^(۵) وقنع بها .

(۱) هو كَتَبُغا بن عبد الله المنصوري زين الدين الملقب بالملك العادل . ولد ۶۳۹ هـ من ملوك الماليك البحرية في مصر والشام . أصله من سي التتار ، وجعله الملك قلاوون من بماليكه ، وإليه ينسب . وحين تولى محمد بن قلاوون وكان صغيراً خلعه وتسلطن سنة ۶۹۴ ولكن لاجين اضطره إلى أن يخلع نفسه سنة ۶۹۶ هـ . توفي سنة ۷۰۲ هـ . وانظر الوافي ۱۵۱/۲۴ ، والفوات ۲۱۸/۳ ، والسلوك ۸۰۶/۱ - ۸۲۰ ، والنجوم ۵۵/۸ ، والدور الكامنة .

(۲) اللجون : بفتح أوله وضم ثانيه : بلد بالأردن بين طبرية والرملة .

(۳) هو لاجين حسام الدين بن عبد الله المنصوري من ملوك دولة الماليك البحرية بمصر والشام وهو الحادي عشر . ولد سنة ۶۳۵ هـ . وتوفي سنة ۶۹۸ هـ . كان مملوكاً للمنصور قلاوون وإليه ينسب . ولي السلطنة سنة ۶۹۵ هـ . انظر الوافي ۱۸۱/۲۴ ، والسلوك ۸۲۰/۱ - ۸۶۵ ، والنجوم ۸۵/۸

(۴) انظر السلوك ۸۲۰/۱

(۵) صَرخند : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق وهي قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة . « معجم البلدان » .

(*) وفيها توفي ابن الأغلابي أبو العباس أحمد بن عبد الكريم بن غازي الواسطي ثم المصري^(١) . روى لنا عن عبد القوي بن الجبّاب^(٢) وابن باقا^(٣) ، وكان إمام مسجد . توفي في صفر عن ست وثمانين سنة .

(*) وابن الظاهري الحافظ الزاهد القدوة جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله الحلبي الحنفي المقرئ المحدث^(٤) توفي بزاويته بالمقس^(٥) بظاهر القاهرة في ربيع الأول ، وله سبعون سنة . كان أحد من عني بهذا الشأن . وكتب عن سبع مئة شيخ بالشام والجزيرة ومصر . وحدث عن ابن اللثمي^(٦) والإربلي^(٧) فمن بعدهما ، وما زال في طلب

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام الجزء الأخير ١٨٧ ، وتذكرة الحفاظ ٤/٢٦١ ، وحسن المحاضرة ١/٣٨٥ ، والشذرات ٥/٤٣٤

(٢) تقدمت ترجمته في ص ١٨٥٥٠

(٣) تقدمت ترجمته . ص ٣٨٥٤٤

(٤) ترجمته في الوافي ٨/٣٦ ، وتاريخ الإسلام ١٨٧ ، وتذكرة الحفاظ ٤/٢٦٠ ، وطبقات القراء ١/١٢٢ ، والسلوك ١/٢/٨٣٠ ، وحسن المحاضرة ١/٣٥٧ والدارس ١/١١٤ ، والشذرات ٥/٤٣٥ ، ومنادمة الأطلال ٦١

(٥) المقس : بالفتح ثم السكون وسين مهمة وهو بين يدي الظاهري على النيل . معجم البلدان .

(٦) هو أبو المتجا عبد الله بن عمر بن علي بن زيد ، ابن اللثمي البغدادي الحريري القزاز . ولد سنة ٥٤٥ . روى عنه ابن الظاهري . توفي سنة ٦٣٥ وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/٢٢٣ ، والعبر ٥/١٤٣

(٧) هو فخر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن مسلم بن سلمان الاربلي الصوفي . ولد سنة ٥٥٩ أو ٥٦٠ حدث عنه أبو العباس بن الظاهري . توفي سنة ٦٣٣ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/٢١٩ ، والعبر ٥/١٣٥

الحديث وإفادته وتخرجه إلى آخر أيامه .

(*) والنفيس إسماعيل بن محمد بن عبد الواحد بن صدقة الحراني ثم الدمشقي^(١) ناظر الأبتام وواقف النفيسة^(٢) بالرصف^(٣) . روى عن مكرم القرشي^(٤) . وتوفي في ذي القعدة عن نحو سبعين سنة .

(*) والضياء جعفر بن محمد بن عبد الرحيم أبو الفضل الحيني المصري الشافعي^(٥) الملقب بأحد كبار الشافعية . روى لنا عن سبط السلفي . ومات في ربيع الأول عن ثمان وسبعين سنة .

(*) والضياء دانيال بن منكلي الشافعي^(٦) قاضي الكرك . قرأ

(١) ترجمته في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ١٨٩ ، والشذرات ٤٣٥/٥

(٢) كانت تقع قرب حمام القيشاني ثم درست . انظر الداوس ١١٤/١ ، ومنادمة الأطلال ٦٠

(٣) كانت مع المدرسة تقع قرب مايعرف اليوم بحمام القيشاني ، وقد درسا قبل زمن بدران . انظر منادمة الأطلال ٦٠

(٤) هو مكرم بن محمد بن حمزة بن محمد بن أحمد بن سلامة بن أبي جيل بن أبي الصقر ، أبو المفضل نجم الدين القرشي الدمشقي التاجر . ولد سنة ٥٤٨ هـ . توفي سنة ٦٣٥ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٤٥٤/١٣ ، والعبر ١٤٦/٥ « وفيه مكرم » .

(٥) ترجمته في الوافي ٦٨/١١ « وفيه اسم جده : عبد الكريم بدل عبد الرحيم » وتاريخ الاسلام ١٨٩ ، والطالع السعيد ١٨٢ ، وطبقات الشافعية ١٣٧/٨ ، وحسن المحاضرة ٤٢٠/٦ ، والشذرات ٤٣٥/٥

(٦) ترجمته في الوافي ١٧٢/١٣ ، وتاريخ الاسلام ١٨٩ ، والشذرات ٤٣٥/٥

على السخاوي^(١) . وسمع من ابن اللتي^(٢) وابن الخازن^(٣) وطائفة [١٢٩] وكان له 'رواء' ومنظر ، ولديه فضائل . توفي في رمضان .

(*) والتاج عبد الخالق بن عبد السلام بن سعيد بن علوان ، أبو محمد البعلبكي القاضي^(٤) . فقيه ، عالم ، جيد المشاركة في الفنون ، ذو حظ من عبادة ونواضع . روى عن الشيخ الموفق^(٥) ، والقزويني^(٦) ، والبهاء عبد الرحمن^(٧) . توفي في تاسع المحرم ، وله ثلاث وتسعون سنة .

(*) وقاضي الحنابلة بالقاهرة عز الدين عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسي^(٨) . محمود القضاء ، عمدة في الأحكام ، مثبت ، مليح

(١) تقدمت ترجمته في ص ٤٥٤٧ (٢) تقدمت ترجمته في ص ٦٥٥٩

(٣) هو أبو بكر محمد بن سعيد « في العبر : أسعد » بن أبي البقاء الموفق بن علي بن الخازن النيسابوري ثم البغدادي الصوفي . ولد سنة ٥٥٦ هـ وتوفي سنة ٦٤٣ هـ وانظر سير أعلام النبلاء ٢٤٩/١٣ ، والعبر ١٧٩/٥

(٤) ترجمته في الوافي ٣١/١٨ ب ، وتاريخ الاسلام الجزء الأخير ١٩٠ ، وتذكرة الحفاظ ٢٦١/٤ ، والشذرات ٤٣٥/٥

(٥) تقدمت ترجمته في ص ٣٥٤٠

(٦) تقدمت ترجمته في ص ١٥٥٧

(٧) هو بهاء الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن ابن إسماعيل بن منصور المقدسي الحنبلي شارح المقنع . ولد سنة ٥٥٥ هـ ، روى عن التاج عبد الخالق . وتوفي سنة ٦٢٤ هـ ، انظر سير أعلام النبلاء ١٨٨/١٣ ، والعبر ٩٩/٥

(٨) ترجمته في الوافي ١٨٩/٢٢ ، وتاريخ الاسلام ١٩١ ، وتذكرة الحفاظ ٢٦٢/٤ ، والسلوك ٨٢٠/٢/١ ، وحسن المحاضرة ١٩١/٢ ، والشذرات ٤٣٦/٥

الشكل . روى عن ابن اللتي (١) حضوراً ، وعن جعفر الهمداني (٢) توفي في صفر وله خمس وستون سنة .

(*) والضياء السبتي أبو الهدي عيسى بن يحيى بن أحمد بن محمد الأنصاري الشافعي الصوفي المحدث (٣) . ولد سنة ثلاث عشرة وست مئة ، وقدم مع أبيه فجع وليس الحرقه مع السهروردي (٤) وسمع وقرا الكثير على يوسف بن الخليل (٥) والصفراوي (٦) وابن المقيتر (٧) . توفي بالقاهرة فجأة

(١) تقدمت ترجمته في ص ٣٨٥٥٩

(٢) هو أبو الفضل جعفر بن علي بن مبة الله بن جعفر بن يحيى الهمداني الاسكندراني المالكي . مولده سنة ٥٤٦ هـ ، ووفاته سنة ٦٣٦ هـ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٢/٢٢٨ ، والعبر ٥/١٤٩

(٣) ترجمته في تاريخ الاسلام ١٩١ ، وتذكرة الحفاظ ٤/٢٦٢ ، وحسن المحاضرة ١/٣٨٥ ، والشذرات ٥/٤٣٦ « وفي المصدرين الأخيرين : « السبتي » وفي الشذرات نسبته إلى موضع ، وفي معجم ياقوت أن الموضع سبن ، وإليه ينسب السبتيه ضرب من الثياب يتخذ من الكتان أغلظ ما يكون وهي مدينة قرب بغداد وانظر المعجم الفصل بأسماء الملابس عند العرب لدوزي ١٦٥ .

(٤) تقدمت ترجمته في ص ٣٨٥٤٢

(٥) هو جمال الدين أبو الفضل يوسف بن عبد المعطي بن منصور بن نجاب بن منصور الفساني الاسكندراني ابن الخليلي المالكي ، ونحيل من بلاد برقة . ولد سنة ٥٦٨ هـ وتوفي سنة ٦٤٢ هـ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/٢٤٧ ، والعبر ٥/١٧٣

(٦) تقدمت ترجمته في ص ٣٨٥٥٣

(٧) هو أبو الحسن علي بن أبي عبيد الله الحسين بن علي بن منصور ، ابن المقيتر البغدادي الأزجي القرشي الحنبلي النجار . ولد سنة ٥٤٥ هـ وحدث عنه السبتي وتوفي سنة ٦٤٣ هـ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/٤٩٤ ، والعبر ٥/١٧٨

في رجب وله ثلاث وثمانون سنة .

(*) ومحمد بن بلغزا البعلبي^(١) . رجل مبارك . ثنا عن البهاء عبد الرحمن^(٢) .

(*) والتلعفري الشيخ محمد بن جوهر الصوفي المقرئ^(٣) . قرأ على أبي إسحاق بن وثيق^(٤) ، وأتمن مدة وكان عارفاً بالتجويد . روى عن يوسف بن خليل^(٥) ، وغيره . توفي بدمشق في صفر .

(*) ومحمد بن حازم بن حامد بن حسن الشيخ شمس الدين المقدسي الصالح الحنبلي^(٦) . شيخ عالم صالح مهيب حسن السمات كثير العبادة .

(١) ترجمته في تاريخ الاسلام ١٩٢ وفيه : « محمد بن بلغزا بن محمد بن بلغزا بن داره بن رستم الشيخ قمر الدين البعلبي الحنبلي . رجل عامي دين مكثر عن البهاء عبد الرحمن . ولد في نصف جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ، وسمع منه جماعة من الكبار ببعلبك وكتب إليّ بوفاته شيخنا أبو الحسين في المحرم » .

(٢) تقدمت ترجمته في ص ٧٨٥٦١

(٣) ترجمته في تاريخ الاسلام ١٩٢ ، وفي الوافي ٣١٤/٢ ، والشذرات ٤٣٦/٥

(٤) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن وثيق الأموي مولاهم المغربي الاشيلي المقرئ . مولده سنة ٥٦٧ ، تلا عليه محمد بن جوهر التلعفري وتوفي سنة ٦٥٤ . وانظر سير أعلام النبلاء ٢٩٧/١٣ ، والعبر ٢١٧/٥

(٥) هو يوسف بن خليل بن قراجا عبد الله أبو الحجاج شمس الدين الدمشقي الأدي الأسكافي . ولد سنة ٨٥٥ . حدث عنه محمد بن جعفر التلعفري . وتوفي سنة ٨٦٤٨ . وانظر سير أعلام النبلاء ٢٥٧/١٣ ، والعبر ٢٠١/٥

(٦) ترجمته في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ١٩٢ ، وتذكرة الحفاظ ٢٦٢/٤ والشذرات ٤٣٦ / ٥

روى عن أبي القاسم بن مصري^(١) وابن غسان^(٢) . وحدث بالصحيح عن ابن الزبيدي^(٣) توفي في ذي الحجة عن ست وسبعين سنة .

(*) والضياء ابن النصيب محمد بن محمد بن عبد القاهر الحلبي الكاتب^(٤) . وزير لصاحب حماة . وحدث عن ابن روضة^(٥) ، والموفق عبد اللطيف^(٦) . توفي في رجب .

(*) والرضي محمد بن أبي بكر بن خليل العثماني المكي^(٧) الشافعي المفتي النعوي الزاهد شيخ الحرم وفتيه . روى عن ابن الجوزي^(٨) وغيره .

(١) هو شمس الدين أبو القاسم الحسين بن أبي الفنائم حبة الله بن محفوظ بن صصري الرعي التغلبي الجزري البلدي الدمشقي . ولد سنة بضع وثلاثين وخمس مئة وتوفي سنة ٦٢٦ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٩٠/١٣ ، والعبر ١٠٥/٥

(٢) تقدمت ترجمته في ص ٥٥٤

(٣) تقدمت ترجمته في ص ٥٥٦

(٤) ترجمته في تاريخ الإسلام ١٩٢ ، والسير ٨٣٠/٢/١ ، والشذرات ٤٣٧/٥

(٥) تقدمت ترجمته في ص ٥٥٦

(٦) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٠

(٧) ترجمته في تاريخ الإسلام : الجزء الأخير ١٩٣ . والرافي ٢٦٤/٢ ، والمقدّمين ٤٢٨/١ و ٥٩/٢ ، والشذرات ٤٣٧/٥

(٨) هو بهاء الدين أبو الحسن علي بن حبة الله بن سلامة بن مسلم اللخمي المصري الشافعي الجوزي . ولد سنة ٥٥٩ هـ روى عن الرضي الطبري . توفي سنة ٦٤٩ هـ وانظر سير أعلام النبلاء ٢٨٤/١٣ والعبر ٢٠٣/٥

[٢٢٩ ب] (*) ومحمد بن أبي بكر بن بطيخ أبو عبد الله الدمشقي^(١) .
 روى لنا عن الناصح وكان ينادي ويتبلغ . توفي في صفر عن ثمان وسبعين سنة .
 (*) وابن العدل محيي الدين مجيب بن محمد بن عبد الصمد الزبدي^(٢)
 مدرس مدرسة جده . مابالزبداني عن ابن الزبيدي^(٣) وابن اللقي^(٤) .
 توفي في المحرم .

(*) وابن عطاء أبو المحاسن يوسف بن قاضي القضاة شمس الدين عبد الله
 ابن محمد بن عطاء الأذري الحنفي^(٥) . روى عن ابن الزبيدي^(٦) وغيره .
 توفي في ربيع الأول عن ست وسبعين سنة .

(*) وأبو تغلب بن أحمد بن أبي تغلب الفاروثي الواسطي^(٧) . سمع

(١) ترجمته في الشذرات ٤٣٧/٥ وفي تاريخ الإسلام ١٩٣ وفيه : « محمد بن
 أبي بكر بن بركات بن يوسف بن بطيخ . شيخ متعفف رث الحال دلال في سوق
 الرحبة ، ولد بين متجار ورأس عين في حدود العشرين . وكان أبوه معماراً للملك
 الأشرف وقدم دمشق في خدمته . وسمع محمد من ابن الزبيدي وابن اللقي والناصح
 ابن الحنبلي وكتب عنه الطلبة . وسمعت منه . ومات في صفر ، في أواخره . وكان
 ديناً مصلياً رحمه الله » .

(٢) ترجمته في تاريخ الإسلام ١٩٣ ، وتذكرة الحفاظ ٢٦٢/٤ ، وفيه
 « السلمي الزنداني » ، ومروءة الجنان ٢٢٨/٤ ، والشذرات ٤٣٧/٥

(٣) تقدمت ترجمته ٤٨٥٥٦ (٤) تقدمت ترجمته في ص ٦٨٥٥٩

(٥) ترجمته في تاريخ الإسلام الجزء الأخير ١٩٤ ، وتذكرة الحفاظ ٢٦٢/٤ ،
 والشذرات ٤٣٧/٥

(٦) ترجمته في تاريخ الإسلام ١٩٤ ، وتذكرة الحفاظ ٢٦٢/٤ وفيه أبو
 تغلب بن أحمد بن أبي تغلب » ، والشذرات ٤٣٧/٥

ابن الزبيدي^(١) وابن باسويه^(٢) . وتوفي بدمشق في المحرم وله إحصاء
وتسعون سنة .

سنة سبع وتسعين وست مئة

(*) فيها توفي الشهاب العابر أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن
عبد المنعم بن نعمة النابلسي الحنبلي^(٣) . فقيه إمام عالم لا يدرك مثاؤه في
علم التعبير . روى عن ابن رواج^(٤) وابن الجوزي^(٥) . توفي في ذي القعدة
بدمشق عن سبعين سنة .

(*) والصدر ابن عقبة الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عقبة
البصراوي الحنفي^(٦) . مفتٍ مدرس . ولي إمارة قضاء حلب . وكان ذاهمة
وجلادة وسعي . توفي في رمضان عن سنٍ عالية .

(١) تقدمت ترجمته في ص ٤٨٥٥٦

(٢) هو تقي الدين علي بن المبارك بن الحسن الواسطي الفقيه الشافعي المقرئ
المعروف بابن باسويه . توفي سنة ٦٣٢ هـ . وانظر العبر ١٢٨/٥ ، وطبقات القراء
١٤٩/٥ ، والشذرات ١٤٩/٥

(٣) ترجمته في تاريخ الإسلام الجزء الأخير ١٩٩٤ ، والوافي ٤٨/٧ ، وفوات الوفيات
٨٦/١ ، والسلوك ٨٥٠/٢/١ ، والشذرات ٤٣٧/٥

(٤) تقدمت ترجمته في ص ٦٨٥٤٦

(٥) تقدمت ترجمته في ص ٨٨٥٦٤

(٦) ترجمته في تاريخ الإسلام ١٩٥٠ ، والوافي ٣١١/٥ ، والجواهر المضية
٣٣/١ ، والسلوك ٨٥٠/٢/١ ، والدارس ٥١٢/١ ، والشذرات ٣٨/٥

(*) وجبريل بن إسماعيل بن جبريل الشارعي أبو الروح ابن الخطاب^(١)
شيخ مقريء متواضع بزوري يؤم بمسجد . توفي في هذا العام ظناً . روى لنا
عن ابن باقا^(٢) وغيره . خرّج عنه الأبيوردي في معجمه .

(*) وعائشة ابنة المجد عيسى بن الشيخ موفق الدين المقدسي^(٣) مباركة
صالحة عابدة روت لنا عن جدّها^(٤) وابن راجح^(٥) وعاشت ستاً وثمانين سنة .

(*) والكمال الفؤيرة^(٦) مسند العراق أبو الفرج عبد الرحمن بن
عبد اللطيف بن محمد البغدادي الجبلي المقريء^(٧) [١٢٣٠] البراز المكبر

(١) ترجمته في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ١٩٦ وفيه « له دكان بالشارع للمطر
والسدر وله مسجد يؤم به » ، والشذرات ٤٣٨/٥

(٢) تقدمت ترجمته في ص ٣٨٥٤٤ .

(٣) ترجمتها في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ١٩٧ ، ومرتأة الجنان ٢٢٩/٤ ،
والشذرات ٤٣٨ / ٥

(٤) تقدمت ترجمة موفق المقدسي في ص ١٨٥٤٥

(٥) هو نجم الدين أفضى النضاة أبو العباس أحمد بن محمد بن خلف بن راجح
ابن بلال المقدسي الصالح الحنبلي الشافعي . ولد سنة ٥٧٨ هـ وتوفي سنة ٦٣٨ هـ وانظر
سير أعلام النبلاء ٢٣٨/١٣ ، والمعبر ١٥٨/٥

(٦) ضبط الصفدي الرأ بالفتح وقال إنها مشتقة من الفرومية بينما نص ابن حجر
على كسرهما وقال إنها تصغير فار .

(٧) ترجمته في تاريخ الاسلام ١٩٨ ، والوافي ٥٧/١٨ ، ومرتأة الجنان
٢٢٩/٤ ، وغاية الناية ٣٧٢/١ ، والشذرات ٤٣٨/٥

شيخ المستنصرية. قرأ القراءات على الفخر الموصلي^(١). وسمع من أحمد بن صرما^(٢) ، وأبي الوفاء محمود بن منده^(٣) وجماعة وأجاز له ابن طبرزد^(٤) وعبد الوهاب بن سَكِينَة^(٥). واتفق إليه علو الإسناد في القراءات والحديث توفي في ذي الحجة وله ثمان وتسعون سنة. وقد ضُمَّف ووقع في الحرم.

(*) وابن المنيزل الصدر شرف الدين عبد الكريم بن محمد بن محمد بن نصر الله الحموي الشافعي^(٦). روى عن الكاشغري^(٧). وابن الحازن^(٨). وتوفي في الحرم وله إحدى وثمانون سنة.

(١) هو محمد بن أبي الفرج بن معالي بن بركة بن الحسين أبو المعالي الفخر الموصلي. ولد سنة ٥٣٩ هـ ، وتوفي سنة ٦٢١ هـ وانظر العبر ٨٦/٥ ، وطبقات الشافعية ١١٤/٨ ، والوافي ٣١٩/٤ ، وطبقات القراء ٢٢٨/٢ .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن يوسف بن يوسف بن محمد بن أحمد بن صرما الأزجي. ولد سنة ٥٣٦ هـ ، روى عنه الكمال الفويره. توفي سنة ٦٢١ هـ. وانظر سير أعلام النبلاء ١٦٥/١٣ ، والعبر ٨٢/٥

(٣) هو أبو الوفاء جمال الدين محمود بن إبراهيم بن سفيان بن إبراهيم ، ابن منده العبدي الاصبهاني ولد سنة ٥٥٠ هـ وقيل سنة ٥٥٢ هـ حدث عنه الكمال عبد الرحمن الفويره توفي سنة ٦٣٢ هـ وانظر سير أعلام النبلاء ٢١٦/١٣ ، والعبر ١٣١/٥

(٤) تقدمت ترجمته في ص ٥٥٤ هـ

(٥) هو ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن علي بن علي بن عبيد الله بن سَكِينَة البغدادي الصوفي الشافعي. ولد سنة ٥١٩ هـ حدث عنه الكمال عبد الرحمن توفي سنة ٦٠٧ هـ وانظر سير أعلام النبلاء ١١٦/١٣ ، والعبر ٢٣/٥

(٦) ترجمته في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ١٩٩ هـ ، والشذرات ٤٣٨/٥

(٧) هو أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن يوسف التركي الكاشغري ثم =

(*) وابن واصل قاضي حماة جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم ابن نصر الله بن واصل الحموي الشافعي (١) . توفي في شوال وقد بلغ التسعين . وكان من أذكاء العالم . وله يد طولى في العقليات . روى عن زكي الدين البرزالي (٢) .

(*) وابن المغربي بدر الدين محمد بن سليمان بن معالي الحلبي المقرئ (٣) . عبد خير صالح عالم . كتب العلم وقرأ بنفسه . روى عن كريمة (٤) ، وابن المقبّر (٥) وطائفة . توفي في ربيع الأول من ثمان وسبعين سنة .

= البغدادي الزركشي . ولد سنة ٥٥٤ هـ وتوفي سنة ٦٤٥ هـ وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/٢٥٦ ، والعبر ٥/١٨٥

(٨) تقدمت ترجمته في ص ٣٨٥٦١

(١) ترجمته في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ٢٠١ ، والوافي ٣/٨٥ ، والسلوك ١/٢٤١/٨٤١ والشذرات ٥/٤٣٨

(٢) هو زكي الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أبي يدناس البرزالي الاشبيلي . ولد تقريباً سنة ٥٧٧ هـ . حدث عنه جمال الدين ابن واصل ، توفي سنة ٦٣٦ هـ وانظر سير أعلام النبلاء ٣/٢٣٣ ، والعبر ٥/١٥١

(٣) ترجمته في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ٢٠١ ، والشذرات ٥/٤٣٩

(٤) هي كريمة بنت عبد الوهاب بن علي بن الحضر بن عبد الله بن علي أم الفضل القرشية الأسدية الدمشقية تعرف ببنت الحقيق . ولدت سنة ٤٤٦ هـ . وتوفيت ٥٤١ هـ وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/٢٤٢ ، والعبر ٩/١٧٠

(٥) تقدمت ترجمته في ص ٧٨٥٦٢

(*) ومحمد بن صالح بن خلف الجهنبي ، أبو عبد الله المصري المقري^(١) ثنا عن ابن باقا^(٢) . توفي في حدود هذه السنة .

(*) والأينكي العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الفارسي^(٣) الشافعي الأصولي المتكلم الصوفي توفي في رمضان بالمزة وكان من أبناء السبعين . درس مرة بالقرالية^(٤) ثم تركها .

فهرس أسماء الترجمة المستدركة

إبراهيم بن أحمد بن عتبة البصري الحنفي أبو إسحاق ٥٦٦

= = سعد الدين بن حمويه الجويني صدر الدين ٥٥١

= = عبد العزيز بن يحيى الرعيني أبو إسحاق الثوري ٥٤٦

= = معضاد أبو إسحاق الجعبري ٥٤٧

أحمد بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ٥٤٤

= = أبي بكر بن سليمان الدمشقي الجمال ابن الحموي ٥٤٥

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام الجزء الأخير ٢٠١ .

(٢) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٤ ٣

(٣) ترجمته في تاريخ الإسلام ٢٠١ ، ومرواة الجنان ٢٢٩/٤ ، وطبقات

السبكي ١١٤/٨ ، والسلوك ٨٥١/٢/١ ، وحسن المحاضرة ٥٤٣/١ ، والدارس

١٦٠/٢ ، والشذرات ٤٣٩/٦ .

(٤) المدرسة القرالية إحدى مدارس الجامع الأموي ، تقع في الزاوية الشمالية

الغربية منه . انظر الأعلام الخطيرة ٨٤/٢ ، ٢٤٦ ، والدارس ١٣/١ ،

ومنادمة الأطلال ١٣٤ .

- أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان أبو عبد الله الحراني ٥٥٢
- == عبد الباري أبو العباس الداري الصعدي ٥٥٣
- == عبد الرحمن بن عبد المنعم النابلسي الشهاب أبو العباس ٥٦٦
- == عبد الرحمن بن محمد الحسيني المتقدي أبو الفضائل ٥٥٣
- == عبد الكريم بن عادي ابن الاغلاقي أبو العباس ٥٥٩
- == محمد بن عبد الرحمن الحسيني عز الدين أبو العباس ٥٥٤٠
- == محمد بن عبد الله المعروف بابن الظاهري ٥٥٩
- إسماعيل بن محمد بن عبد الواحد الحراني المعروف بالنفيس ٥٦٠
- أبو تغلب بن أحمد بن أبي تغلب الواسطي الفاروثي ٥٦٥
- جبريل بن إسماعيل بن جبريل السارعي أبو الروح بن الخطاب ٥٦٧
- جعفر بن محمد بن عبد الرحيم أبو الفضل الحسيني المصري ٥٦٠
- حسن بن عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسي شرف الدين ٥٥٥
- الخضر بن الحسن بن علي الزرذاري أبو محمد البرهان السنجاري ٥٣٨
- دانيال بن منكلي الشافعي قاضي الكرك الضياء ٥٦٠
- زينب بنت علي بن أحمد بن فضل الصالحة بنت الواسطي ٥٥٥
- سعد الخير بن عبد الرحمن بن نصر النابلسي ٥٤٧
- سليمان بن بليان بن أبي الجيش الإربلي شرف الدين ٥٣٩
- شبيب بن حمدان بن شبيب بن حمدان الحراني الكحال ٥٥٥
- عائشة ابنة المجد عيسى بن الشيخ موفق الدين المقدسي ٥٦٧
- عبد البر بن قاضي القضاة تقي الدين محمد، ابن زين صدر الدين ٥٥٦
- عبد الخالق بن عبد السلام بن سعيد أبو محمد البعلبكي ٥٦١
- (٨) ٢

- عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن محمد البغدادي الجبلي أبو الفرج ٥٦٧
 عبد الرحمن بن عبد الوهاب ابن بنت الأغر تقي الدين ٥٥٧
 عبد الرحمن بن علي بن أحمد بن القاضي الفاضل ٥٥٧
 عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى الموصلی ابن خطيب المزة ٥٤٨
 عبد الصمد بن عبد الوهاب بن ابن عساكر أبو الیمن ٥٤٠
 عبد العزيز بن عبد المنعم بن علي بن الصقل عز الدين الحراني ٥٤٠
 عبد الكريم بن محمد بن محمد بن نصر الله الحموي بن المغيزل ٥٦٨
 عبد الله بن محمد بن نصر بن قوام بن وهب الرصافي ٥٥٦
 عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم القرشي الزهري العوفي النابلسي ٥٤٨
 علي بن أبي الحرم القرشي الدمشقي المعروف بابن النفيس ٥٤٩
 علي بن محمد بن أحمد بن حمزة بن علي الثعلبي ابن الجبوي ٥٤١
 عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسي عز الدين ٥٦١
 عيسى بن يحيى بن أحمد بن محمد الأنصاري الضياء السبي ٥٦٢
 محمد بن أحمد بن علي أبو بكر المعروف بابن القسطلاني ٥٤٢
 محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد بن علي الحمذاني أبو عبد الله ٥٤٩
 محمد بن أبي بكر بن بطيخ أبو عبد الله الدمشقي ٥٦٥
 محمد بن أبي بكر بن خليل العثماني المكي ٥٦٤
 محمد بن أبي بكر الفارسي الشافعي عبد الله الأيكي ٥٧٠
 محمد بن بلغزا البعلبكي ٥٦٣
 محمد بن جوهر الصوفي المقرئ التلعفري ٥٦٣
 محمد بن حازم بن حامد بن حسن المقدسي الخبلي ٥٦٣

- محمد بن سالم بن نصر الله بن واصل الحموي جمال الدين ٥٦٩
 محمد بن سليمان بن معالي الحلبي المقرئ ابن المغربي ، بدر الدين ٥٦٩
 محمد بن صالح بن خلف الجهني ، أبو عبد الله المصري المقرئ ٥٧٠
 محمد بن عباس بن أحمد الربيعي أبو عبد الله الدنيسري ٥٤٣
 محمد بن عبد الخالق بن طرخان أبو عبد الله ٥٥٠
 محمد بن محمد بن عبد القاهر الحلبي الضياء ابن النصيب ٥٦٤
 محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي ٥٤٣
 محمد بن يحيى بن علي القرشي المصري أبو صادق جمال الدين ٥٤٤
 ياسين المغربي الحجام الأسود ٥٥١
 يحيى بن محمد بن عبد الصمد الزبداني ، ابن العدل محيي الدين ٥٦٥
 يوسف بن عبد الله بن محمد بن عطاء الأذري أبو المحاسن ٥٦٥

دمشق

رياض مراد

- لبحث صلة -

قصيدة من إفريقية

الدكتور عمر الأسعد

(١)

جاء العرب إلى إفريقية مبكرين ، فقد وصلوا إليها قبل الإسلام .
ووجد العرب السواحليين (أي سكان ساحل شرق إفريقية من مدغشقر
في الجنوب إلى الصومال في الشمال) أناساً فيهم من الود الشيء الكثير .
ونتيجة لذلك أقام كثير من العرب هناك . ووجد السواحليون العرب
أيضاً طيبين ، فلما انتشر الإسلام في الجزيرة العربية ، وازداد مجيء العرب
المسلمين إلى تلك الديار وتوضّعهم فيها لم يلبث أن دخل فيه السواحليون
أفواجاً فأصبحوا مسلمين ، وأصبحت علاقتهم وصلاتهم بالعرب أقوى
بوحدة الدين .

وتاريخ العرب في تلك الديار طويل حافل ، وخصوصاً عند ذكر
استعمار البرتغال للمنطقة ، ومسارعة العرب لتخليص تلك البلاد من حكم
البرتغال بدماء عربية .

وعندما استقر العرب في تلك المنطقة وجدوا في اللغة السواحلية لغة سهلة مطاوعة للشعر والأدب كاللغة العربية . فاستُخدم كثير من النماذج الشعرية العربية في اللغة السواحلية الشعرية ، فصرنا نجد فيها التخميس والتربيع والتثنية ، وما إلى ذلك من فنون الشعر العربي . ومن علامات السهولة والمطاوعة في تلك اللغة كون أشعارها مقفاة كالعربية ؛ فالشعر السواحلي المنظوم له قوافٍ متحدة ، ونظام ثابت قريب الشبه بالعربية إن لم يكن مشابهاً له .

ونتيجة لهذا التقارب والتشابه بين الشعر السواحلي والعربي - الذي تمثل له بعد - صرت تجد كثيراً من الشعراء السواحليين من أصل عربي، فهناك نسبة كبيرة منهم تريد على ثمانين بالمئة احتفظوا - في نظم الشعر باللغة السواحلية - بأصول النظم العربي ، بل احتفظوا كذلك بأصول أمجانيهم العربية مثل : مويكا بن حاجي الغساني ، ومحمد كجمعة البكري ، وسعود المعمرى ، وسيد منصب بن عبد الرحمن الحني ، وهم شعراء سواحليون من أجيال مختلفة .

ولم يقتصر التشابه بين اللغتين السواحلية والعربية على تأثر تلك بأصول النظم الشعري المقتضى ، بل تعداه إلى أن اللغة السواحلية نتيجة لوجود العرب وانتشار الإسلام في المنطقة امتصت كثيراً من المفردات العربية والمصطلحات الإسلامية . ويتبين ذلك بوضوح في الآيات الشعرية السواحلية التالية ومقارنتها بترجمتها العربية :

بسم الله بَعْدَاتُو نَحْمَدِي تَشْكُرِي

تسلامو نصلاتو ز محمدى رسولي
محمدي أليفوتو هكتومو ندهاري

معناه :

بعد بسم الله ، نحمده ونشكره
ونسلم ونصلي على محمد الرسول
محمد قد مات ، لم يدم في الدهر

وبما حملت اللغة السواحلية من ألفاظ عربية ، ومصطلحات إسلامية ،
معدت لغة المسلمين هناك ، ووسيلة نشر الإسلام بين السكان ؛ فيها
تقام الصلاة ، ويقرأ القرآن الكريم ، وتم ، دراسة الإسلام . واستخدمت
اللغة السواحلية في إقناع الناس بمنطقية الإسلام حتى اضطر المبشرون
النصارى الذين يرتادون تلك الديار إلى أن يتحدثوا بلغة الإسلام
وبمصطلحات عربية وإسلامية ، فهم مثلاً عندما يتحدثون أهل تلك البلاد عن
الصيام يفهم هؤلاء صوم رمضان ، أو يتحدثونهم عن الصلاة تنصرف أذهانهم
إلى صلوات المسلمين المكتوبة وهكذا .

(٣)

كان الأدب السواحلي أدباً شفويّاً ، إذ لم يكن القوم يكتبون من
قبل . إلا أن الاتصال بين العرب والسواحليين أعطى هؤلاء الكتابة
والأدب المكتوب ؛ ذلك أن المسلمين السواحليين عندما جعلوا يقرؤون
القرآن ويكتبونه علموا غيرهم الكتابة العربية ، فبذلك حفظ الأدب
السواحلي بفضل الإسلام واللغة العربية . وتبعاً لذلك فقد كتبت المخطوطات
السواحلية حتى عام ١٩٣٠ بلغة عربية وحروف عربية . وكثير من تلك

المخطوطات القيمة نقلت إلى مكتبات أوروبا ، فهي خسارة للغة السواحلية والعربية والإسلام . إلا أن لدى كثير من العائلات السواحلية بالمقابل مخطوطات تضرّ بها وتحافظ عليها ، ولكنها في حاجة إلى عناية الباحثين والمحققين وجهودهم في نشرها وإذاعتها .

والمخطوطة التي أقدمها للقراء واحدة من تلك المخطوطات العربية . وهي تنطوي على قصيدة من نظم أحد الشعراء العرب السواحليين الذين تقدم ذكرهم . وقد تفضل بتقديمها إليّ الأستاذ الفنان إبراهيم أبو نور شريف البكري ، مدرس اللغة السواحلية وعلم الفن في قسم اللغات بجامعة روتجرز Rutgers University بولاية نيوجرزي . والأستاذ إبراهيم السواحلي الجنسية ، والإفريقي اللون ، والعربي الأصل كما يدل اسمه ، حصل على هذه المخطوطة كما أخبرني ، من أحد أبناء والي ساحل كينيا المرحوم مبارك علي الحنائي .

(٤)

موضوع القصيدة التي تتضمنها المخطوطة الزهد والدعوة إلى التقوى والصالح في الدنيا ، الذي يقود إلى النجاة والفوز في الآخرة ، وذكر يوم الحساب والمعاد ، وما يلقاه الإنسان فيه من عمل قدّمه حياته .

ولن أقدم للقارئ شيئاً ينصل بالقصيدة من حيث جودة النظم وعلو الفن الشعري ، بل أترك ذلك له ليكون الانطباع الذي يتخيّره .

تقع المخطوطة في ثلاث وأربعين ورقة في كل منها سبعة أسطر بينها فراغات كتب فيها بالحروف العربية معاني الألفاظ بالسواحلية . والقصيدة منظومة على حروف الألف باء العربية ، بحيث يجعل كل حرف رويّاً

في خمسة أبيات ، 'بديء' بالهمزة وانتهي بالياء ، فيكون مجموع أبياتها مئة وخمسة وأربعين بيتاً - ومتوجمة - نظماً إلى اللغة السواحلية ، بحيث كتب البيت بالعربية وتلته ترجمته بالسواحلية .

تحمل ورقة العنوان اسم الناظم والناسخ ومكان النسخ . وكثر اسم الناظم والناسخ في نهاية القصيدة في الورقة الأخيرة للمخطوطة ، مع ذكر مكان النسخ وهو 'لامو' ، أحد بلدان كينيا ، وتاريخه وهو سنة ١٣٣٧ هـ . والذي عرفناه عن ناظمها أنه 'عالم في بلاد لامو' كما أشارت حاشية الناسخ في نهاية المخطوطة .

والمخطوطة مكتوبة بالخط النسخي الواضح المقروء والمشكول . إلا أنه أصابها في مواقع كثيرة البلل والرطوبة فامحى بعض كلماتها .

وفوق الصعوبة الناشئة عن إصلاح النص من البلل والطمس ، تمثلت صعوبة أخرى في طريقة الكتابة : فالناسخ لم يلتزم الطريقة الإملائية المعهودة . فهو يسقط كثيراً من الحروف في درج الكتابة . مثال ذلك ما جاء في الورقة (١٤) من المخطوطة :

وَأَيْنَ الْأَعْظَمُونَ يَدًا وَبَاسًا وَأَيْنَ سَابِقُونَ كَدَّ الْفَخَارِ
وصوابه :

وَأَيْنَ الْأَعْظَمُونَ يَدًا وَبَاسًا وَأَيْنَ السَّابِقُونَ لَدَى الْفَخَارِ
ومثاله أيضاً من الورقة (١٥) :

كَأَنَّ لَمْ يَخْلُقْ وَلَمْ يَكُنْ

وصوابه :

كَأَنَّ لَمْ يَخْلُقُوا أَوْ لَمْ يَكُونُوا

ويضاف إلى ذلك وقوع خطأ في شكل كثير من الكلمات والحروف .
وكان عملي في التحقيق :

- تقويم النص بتقدير ما ترك بياضاً في الأصل أو سقط منه ،
وإصلاح ما فسد نتيجة البلل والطمس ، ووضع ذلك كله بين معقّفات
تدل عليه .

- كتابة النص بالطريقة الإملائية الحديثة المتعارف عليها ، وضبط بعض
الكلمات التي تفتقر إلى ذلك ليستقيم المعنى بقراءتها على صورتها الصحيحة .

- تزويد الآيات ببعض الحواشي الضرورية المعينة على جلائها وبيانها .
وأضع بين يدي القارئ القصيدة المخطوطة علّها تعطي فكرة عن
أحوال النظم باللغة العربية في البلدان الإفريقية الساحلية إلى عهد قريب .

* * *

[قصيدة] تبارك ذو العلا ، نظم ... سيد موني منصب بن
عبد الرحمن الحسني ، بقلم محمد بن أبي بكر بن عمر البكري ملقب محمد
ابن كجوم ، في بلاد لامو . رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين

بسم الله الرحمن الرحيم

[١]

تبارك (١) ذو العلا والكبرياء تفرّد بالجلال والبقاء

وساوى الموت بين الخلق طراً فكلهم رهائن للفناء

[٢] ودنيانا - وإن لنا إليها وطال بها المتاع - إلى انقضاء

(١) الأصل : أبارك .

ألا إن الركون على [مرور] إلى دار [الفناء] من العناء
وقاطنُها سريعُ الظمن [عنها] وإن كان الحريصَ على الثواء

حرف الباء

يحول عن قريب من قصور مزخرفة إلى بيت التراب
[٣] ويُسلم فيه مهجوراً وحيداً أحاط به شحوب الإغتراب
وهول الحشر أظع^(١) كل أمر إذا دعي ابن آدم [لحساب]
وألقي^(٢) كل صالحٍ أتاها وسيئة جناها في الكتاب
[٤] لقد آن التروء لو عقلنا وأخذُ الحظ من باقي الشباب

حرف التاء

وعقبى كل شيء نحن [فيه] من الجمع الكفيف [إلى] الشتات
وما حزنناه من حلٍ وحرم [بوزع] في البنين وفي البنات
وفيمن لم يؤمّنهم بفلس وقيمة حبة قبل المات
[٥] وتناسانا الأوبة بعد عشر [وقد صرنا] عظاماً باليات
كأنا لم نعاشرهم بـودٍ ولم يك فيهم [خير] اللذات

حرف الثاء

لمن يا أيها المغرور نحوي [من] المال الموفر والأثاث
[٦] ستمضي غير محمودٍ فريداً^(٣) [وتجلو من عرينك] بالتراث

(٢) الأصل : وألقى .

(١) الأصل : أفضع .

(٣) في الأصل : فريداً .

ويجذلك الوصي [فلا وفاء] ولا إصلاح أمر ذي انبثا
لقد وقرت وزراً مرجحاً يسد عليك سبيل الإنبعاث^(١)
فما لك غير تقوى الله حرزاً ولا وزر^(٢) ومالك من غياث

حرف الجيم

[٧]

تعالج بالتطبب كل^(٣) داء وايس لداء ذنبك من علاج
سوى ضرع إلى الرحمن [تدعو] بنيتة خائف [ويقين راج]
وطول تهجد لطيلاب [عفوي] بيل مدلم السر داج
[٨] وإظهار الندامة كل وقت على ما كنت فيه من اعوجاج
لعلك أن تكون غداً حظياً بيذعة فائز ومرور ناج

حرف الحاء

عليك بصرف نفسك عن هواها فلا شيء أذ من الصلاح
تأهب للنية حين تغدو كأنك لاتعيش إلى الرواح
[٩] فكم من رائع فينا صبيح نعتته ثمائه قبل الصباح
وبادر بالإقابة قبل فوت على ما فيك من [عظم الصلاح]
فليس أخو الرزاة [من تجافى] وجانب كل أسباب [الفلاح]

حرف الخاء

[١٠]

وإن صافيت أو خاللت خلا فقي الرحمن فاجعل من تواخي
[ولا] تعدل بتقوى [الله شيئاً] ودع عنك الملامة والنراخي

(١) الوزر المرجح : الحمل الثقيل .

(٢) الوزر : الملجأ والمعتم . (٣) في الأصل : لكل .

فكيف تنال في الدنيا سروراً وأيام الحياة إلى انسلاخ؟
 وجل سرورها - فيما عهدنا - مشوب بالبكاء وبالصراخ
 [١١] لقد عمي ابن آدم أن يراها عمى أفضى إلى صمم الصياخ^(١)

حرف السدال

أخي قد طال سعيك في الفساد فبئس الزاد زادك [للمعاد]
 صبا منك الفؤاد فلم تزرعه [وحيث] إلى متابعة الفؤاد
 [١٢] وقادتك المعاصي حيث شاءت فألفتك امرأ متليس القيادة
 لقد نوديت للترحال [فاسعى]^(٢) ولا تتصامتن عن المنادي
 كفاك مشيب رأسك من نذير وغالب لونه لون السواد

حرف الـذال

ودنياك التي غرّثك منها [زخارفها] تصير إلى انجذاب^(٣)
 [١٣] تترجّح عن مهالكها بجهد فما أصغى إليها ذو تفاد
 لقد مزجت حلاوتها بسم فما [للحذر]^(٤) فيها من ملاذ
 عجبت لمعجب بنعيم دنيا ومفتنون بأيام الـانجذاب
 [١٤] ومؤثر المقام بأرض فقر^(٥) على أرض خصيب ذي رذاذ

(١) الصباخ : الأذن نفسها ، أو القناة المنضية إلى طبلتها .

(٢) أثبت الألف لضرورة الوزن .

(٣) الانجذاب : الانتطاع . (٤) الأصل : فما كان لحذر .

(٥) في الأصل : بأرض فقر .

حرف الراء

[وما] الدنيا وما فيها جميعاً سوى ظلٍ يزول مع النهار
تفكر أين أصحاب السرايا وأرباب الصوافن والعشار^(١)
وأين الأعظمون بدءاً وبأماً وأين السابقون لدى الفخار
[١٥] وأين القرن بعد القرن منهم من الخلفاء والشم الكبار
كان لم يخلقوا [أو] لم يكونوا وهل حي يسان عن [البوار]

حرف الزاي

أيعتز الفتى بالمال [زهواً] وما فيها يفوت من اعتزاز
[١٦] ويطلب [دولة] الدنيا جنوناً ودولتها مخالفة^(٢) الخازي
فنحن وكل من فيها كستفر [دنا] من الرحيل على وفاز^(٣)
جهائناها كان لم نختبرها على طول التهاى والتعازي
[ولم نعلم بأن لالبت فيها]^(٤) ولا [تقريب] غير الاجتياز

حرف السين

[١٧]

أفي السبخات بامغرور تني وهل يبغي السباخ^(٥) على الأساس
ذنوبك جرمة تترى عظاماً ودمعك جامد [والقلب] قاس

(١) أرباب الصوافن والعشار : أصحاب الخيول والنوق ، كناية عن الأغنياء .

(٢) الأصل : مخالفة ، ولا ينسجم مع السياق .

(٣) الوفاز : المعجزة . (٤) الأصل : ولم تعلم أنها لايت فيها .

(٥) السباخ : ما لم يجرث من الأرض أو يمرر للوحته .

وأباماً عصيت الله فيها وقد حُفِظتْ عليك وأنت فاس
[١٨] فكيف تطيق يوم الدين حملاً لأوزار ككبار كالرواسي
و.و اليوم الذي لاود فيه ولا نسب ولا أحد يواسي

حرف الشين

عظيم هو له والناس فيه حيارى مثل مبثوث الفراش
به تتغير الألوان خوفاً [وتصطك] الفرائص بارتعاش
[١٩] هنالك كل ماقدمت يبدو فعبيك ظاهر والسرة فاش
تفقد نقص نفسك كل يوم فقد أردى بها طلب [المعاش]
إلى كم تبغي الشهوات طوراً وطوراً تكتسي لين الرياش

حرف الصاد

[٢٠]

عليك من الأمور بما يؤدي إلى سنن السلامة والخلص
[وما ترجو] النجاة به [وشيكاً] وفوزاً يوم أخذ بالنواصي
فليس تنال عفو الله إلا بتطهير النفوس عن المعاصي
وبر الوالدين بكل عرف ونصح للأداني والأقاصي
[٢١] وإن تشدد يداً في الخير تفلح وإن تعدل فما لك من مناص

حرف الضاد

وأصل الحزم أن تضحي وتضي (١) وربك عنك في الحالات راض

(١) في الأصل : يضحي ويضي .

وإن [تعتض عن] ^(١) التخليط [رشداً]

فإن [الرشد] من خير اعتياض

[٢٢] ودع عنك الذي يغوي ويُردي وبورث طولَ حزنٍ وارتماض

[وَجُدْ] بالنفس [حرٍ] النفس [واطرِدْ]

عن العيين عيوب الغماض

فإن الغافلين ذوي التواني تظايرُ للبهائم في الغياض

حرف الطاء

كفى [بالمروء] عاراً أن تراه من الشان الرفيع إلى انحطاط

[٢٣] على المذموم من فعلٍ [حربصاً] عن الحيرات منقطع النشاط

يشير بكفته أمراً ونهياً إلى الخدءام من [صدر] البساط

يرى أن المعازف والملاهي تمكثنه الجواز على الصراط

[٢٤] لقد خاب الشقي وضلَّ عجزاً وزال القلب منه عن النياط

حرف الظاء

[إذا] الإنسان [خان النفس يوماً] فما يرجوه راجٍ للحفاظ

ولا ورعٌ لديه ولا وفاء ولا أصفى لنحو الاعتاض

وما زهدُ التقى بخلق [رأس] ولا لبسٍ لأثواب غلاظ

[٢٥] ولكن بالهدى قولاً وفعلًا وإدمانٍ التفتت في اللحاظ

(١) الأصل : تعتطني بالتخليط .

(٢) الارتماض : شدة الحزن والقلق .

وَالْأَعْمَالِ (١) الَّتِي تَجِبُ وَتَنِي بوسع، والفرار من [الشواظ] (٢)

حرف العين

لكلّ تفرّق الدنيا اجتماعٌ [وما بعد المتون] من اجتماع
[٢٦] فراقٌ فاصلٌ ونوى شطون (٣) وشغل لا يلبث للوداع
وكلّ أخوةٍ لأبدٍ يوماً وإن طال الوصال إلى انقطاع
وإنّ متاع [ذي] الدنيا قليلٌ وما يميزي القليل من المتاع
وصار قليلاً حرجاً عسيراً تشبّث بين أنياب السباع

حرف النون

[٢٧]

ولم يطلب علوّ القدر فيها وعزّ النفس إلاّ كلّ طاع
وإن نال النفس من المعالي فليس لنيلها طيبٌ [المساغ]
إذا بلغ المراد علأ [وعزاً] تولى [عنه في يوم] البلاغ
[٢٨] كقصرٍ قد تهدّم (٤) حافظاه إذا صار البناء إلى الفراغ
أقول وقد رأيت ملوك عضرٍ لئلاّ يبعين الملك باغ

حرف الفاء

أقصد باللامة قصد غيري (٥) وأمرى كله بادي الخلاف
إذا عاش الفتى خمسين عاماً ولم [يرقل بأثواب] العفاف
[٢٩] فلا تستصحبن له رشاداً فقد أودى به سبب التجافي

(١) وصلت همزة القطع لضرورة الوزن .

(٢) الشواظ : لهيب النار .

(٣) شطون : بعيد . (٤) في الأصل : تهدم .

(٥) في الأصل : غيره .

ولم لا أبذل الإنصاف مني وأبلغ طائقي في الإتيان
لي الويلات إن نعت عظامي سراي، وليس لي إلا القوافي!

حرف القاف

[٣٠]

ألا إن الساق سباق زهد وما في غير ذلك من سباق
ويغنى ماحواه المرء [طراً] وفعل الخير عند الله باق
ستبلغك الندامة عن قريب [وتعقب] حسرة يوم المساق
أتدري أي يوم ذاك (١) فكرت [وأيقن أنه] يوم الفراق
[٣١] فراق ليس يشبه فراق قد انقطع الرجاء عن التلاق

حرف الكاف

عجبت لذي التجارب كيف [يسهو ويأتي] اللهو بعد الإحتناك (٢)
وموبق نفسه كسلًا وجهلاً [وموردها] مخوفات الهلاك
[٣٢] ومرتهن الفضائع والخطايا يقصر في اجتهاد للفكاك
بتجديد المآثم كل يوم وقصد للمعاصي بانتهاك
سيعلم حين تفجؤه (٣) المنايا ويكتف حوله جمع البواكي

حرف الـلام

بأن سروره أمسى غموماً وحل به مللت الزوال

(١) في الأصل : ذلك .

(٢) الإحتناك : التهذيب والحكمة .

(٣) في الأصل : يفجؤه .

[٣٣] وعُرِّيَ عن ثيابٍ كان فيها وألبس بعدها ثوب انتقال
إلى قبرٍ يُغادر فيه فرداً نأى عنه الأقارب [والموالي]
وبعد ركوبه الأفراس تهاً يهادي بين أعناق الرجال
[٣٤] تخلى ع-ن مروته وولى ولم تحجب مآثره المعالي

حرف الميم

ويومٌ بروزه يومٌ فظيع^(١) أشدُّ عليه من يوم الحمام
ويومٌ الحشر أفظع^(٢) منه هولاً إذا وقف الخلائق للمقام
فكم من ظالمٍ يبقى ذليلاً ومظلومٍ تشدد للخصام
[٣٥] وشخصٍ كان في الدنيا حقيراً تبوأ منزلَ الشجب الكرام
وعفوُ الله أوسعُ كلِّ شيءٍ تعالى [الله] خلاق الأنام

حرف الذوف

إلهٌ لا إله لنا سواه [رؤوف] بالخلائق ذوامتان
[٣٦] أوحدُهُ يا خلاصٍ وحمدٍ وشكرٍ بالضمير وباللسان
وأسأله الرضى عني فإني ظلمتُ النفس في طلب الأمان
وأوتيت^(٣) الحياة ولم أصنها وزعجتُ إلى البطالة والتواني^(٤)
إليك أثوب من ذنبي [وجرمي] وإسرافي وخلعي للعنان

(١) في الأصل : فصيح .

(٢) في الأصل : أفضح . (٣) في الأصل : وأثبت .

(٤) في الأصل : التواني .

حرف الواو^(١)

[٣٧]

فإن الله توابٌ رحيمٌ وليٌ قبول توبةٍ كلٌّ غاورٌ^(٢)
 أوْمَلْ أَنْ يعافيني بعفورٍ ويسجنَ عين إبليس المناوي
 وينفعتي بموعظتي وقولي وينفعَ كلٌّ مستمعٍ وراوٍ
 ذنوبي قد كوتٌ جنيٌ كيتاً ألا إن الذنوب هي المكاري
 [٣٨] وليس لمن كواه الذنب عمداً سوى عفو المهيمن من مداوٍ

حرف الهاء

وقمنا في البلايا والخطايا وفي زمن^(٥) انتقامٍ واشتباہ
 تقانئ الخير والصلحاء زلثوا وعزٌ بذائمٍ أهلٌ السفاه
 وباد الآمرون بكل عُرْفٍ فما عن منكرٍ في الناس فاه
 [٣٩] فهذا شغلُه طمعٌ [وجمع] وهذا غافلٌ شبعانٌ لاه
 وصار الحرُّ للملوك عبداً فما للحرِّ من قدرٍ وجباه

حرف اللام ألف

يبدّر ما جنّاه ولا يبالى [أسحتاً] كان ذلك أم حلالا
 [٤٠] فلا تفتّرٌ بالدنيا وذرها فما تَسْوَى لك الدنيا ذبالا
 أتبخلُ ثائناً شرّها بمالٍ يكون عليك بعد غدٍ وبالا
 فلا كات الذي عقباه شؤم ولا كان النجيس لديه مالا^(٤)

(١) في الأصل : حرف اليا ، خطأ .

(٢) في الأصل : عاري .

(٣) في الأصل : زمان . (٤) كذا في الأصل .

[فَبَقِيَ] (١) من الأمور فعال خير وأكملها وأشرفها خلا

[حروف الباء]

[٤١] وكن بشاً كريماً ذا انبساط وفيمن يرتجيك جيل رأي
وَصَوْلًا غير محتشم زكياً حميد السعي في إنجاز وآي (٢)
مغيثاً للأرامل واليتامى أمين الجنب من قرب ونأي
بعيداً عن سبيل الشر ممحاً نقي [النفس] عن عيب وثأي (٣)
[٤٢] تلق مواظبي بقبول صدق تقز بالأمن عند خلو لآي (٤)

ملك الشريف حسن بن سيد علو بن قاسم الملا باعقلوي .

تم (٥) الكتاب بعون الملك الوهاب ، بقلم محمد بن أبي بكر بن عمر
البكري ملقب محمد كجوم في بلد لامو . رب اغفر وارحم وأنت خير
الراحمين ، بتاريخ ١٨ في رمضان سنة ١٣٣٧ . والذي يتيها سيد منصب
ابن عبد الرحمن الحسني عالم في بلاد لامو والسلام .

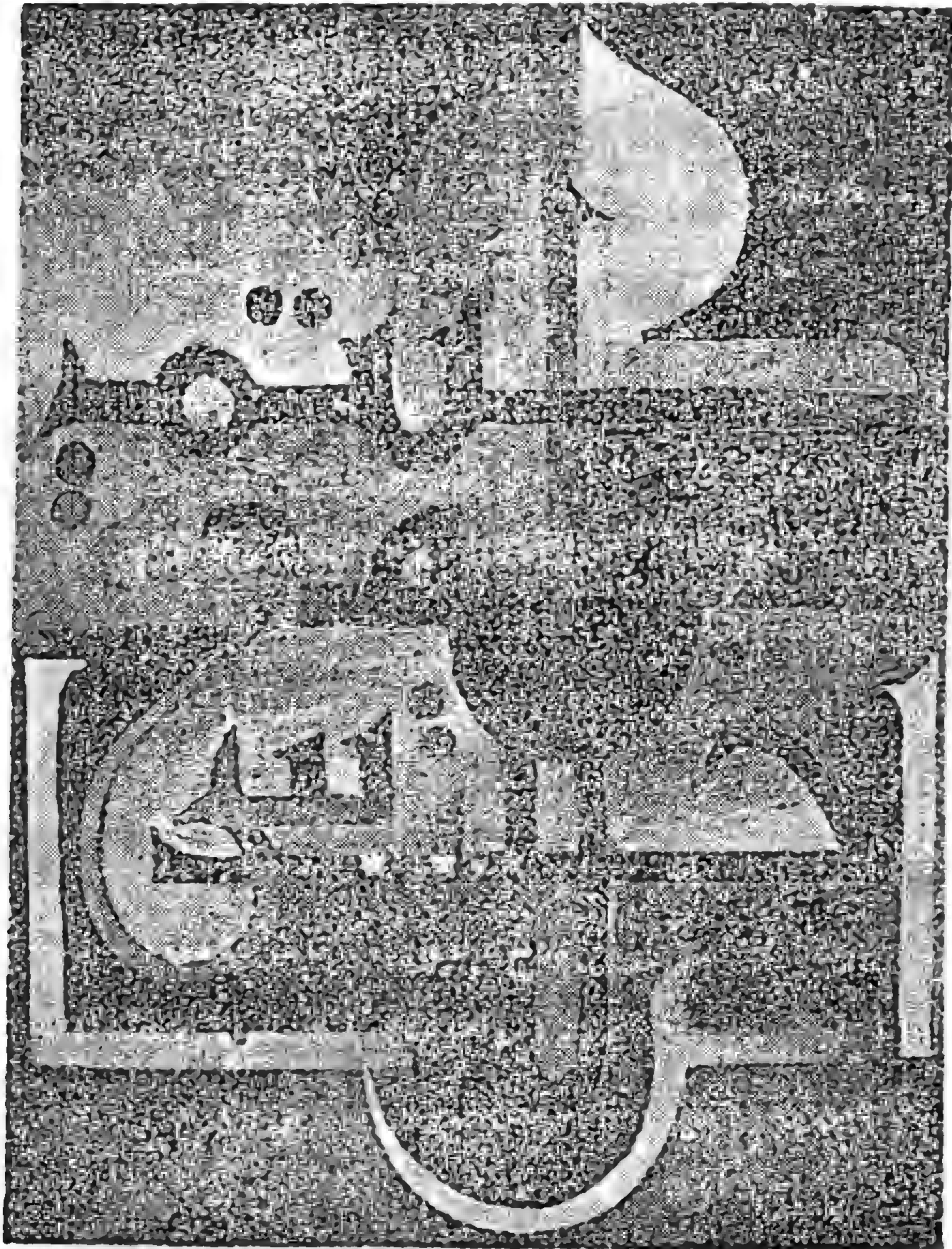
جامعة الملك عبد العزيز - مكة المكرمة عمر الأسعد

(١) في الأصل : تنق . (٢) الوأي : الوعد .

(٣) الثأي : الضعف .

(٤) في الأصل : خلوي لآي . واللاي : الشدة والجهد .

(٥) في الأصل : تمت ، حملها على محمل « الكتابة » .



الإمام المحدث عبدالحق الدهلوي

ودوره في إحياء المجتمع الإسلامي في شبه القارة

الأستاذ محمود أحمد غازي

لا زال المجتمع الإسلامي في شبه القارة ممتازاً بصيغة صوفية عميقة ، وذلك لأن الإسلام في هذه المنطقة من الأرض شاع على أيدي كبار الصوفية ؛ فأول من رحل إلى الهند من الصوفية وقام بتبليغ الإسلام بين الوثنيين هو الشيخ علي الهجويري الذي نزل في لاهور ومكث أعواماً طويلاً يدعو الناس إلى ربهم ويبلغ إليهم رسالة الإسلام الخالدة ، حتى توفي إلى رحمة الله ، ودفن بلاهور ، وضريحه موجود حتى الآن يتبرك به العامة . ثم تلاه الشيخ معين الدين الأجميري الذي قطن مدينة من أهم مراكز الحكم الهندوكي والثقافة الهندوسكية قبل الحكم الإسلامي ، وهي مدينة أجمير . والشيخ معين الدين الأجميري هو الذي أنشأ في الهند الطريقة الصوفية الجشتية التي لا زالت من أكبر الطرق الصوفية في شبه القارة وأعماقها تأثيراً . وخلف الشيخ معين الدين الأجميري جماعة كبيرة من تلامذته ومن الذين تأثروا به واعتنقوا الإسلام على يديه .

ولما أرمى السلطان قطب الدين الأييك قواعد الحكم الإسلامي في

شبه القارة وجعل مدينة دهلِي حاضرتَه توافدت إليه جماعات من العلماء والفقهاء وكان ذلك بطبيعة الحال ؛ فإن الصوفية وإن كانت جهودهم جبارة في تبليغ الدين ودعوة الإسلام ما كان من الممكن لهم القيام بمناصب قضائية وإدارية في جهاز الحكم الإسلامي وإنما وظيفة العلماء والفقهاء إقامة نظام القضاء والقُشْبَا والاحتساب ، فلم تمض على قيام الدولة الإسلامية مدة طويلة حتى ظهرت بين الصوفية والعلماء المنافسة الطبيعية التي تظهر في مثل هذه الأحوال ، فنرى العلماء ينتقدون الصوفية لاستخفافهم بشأن الفقهاء وإهمالهم للأحكام الفقهية ، ونرى الصوفية ينتقدون العلماء لتشديدهم في أمور غير مهمة وتوكيدهم الزائد على ظاهر الدين وإهمالهم روحه وباطنه .

ولم تلبث هذه المنافسة والصراع بين العلماء والمتصوفة حتى رأت بواكير حركة جديدة بدأت تظهر للجمع بين الفقه والتصوف ، وذلك على يدي العلماء الذين تضلعوا من علوم الفقه والشريعة ثم علوا من مناهل التصوف والروحانية .

ولعل أول محدث يجدر بالذكر من علماء شبه القارة الذي عمل لنشر علم الحديث في هذه البقاع هو الإمام المحدث اللغوي حسن الصغاني اللاهوري مؤلف « مشارق الأنوار » ، في علم الحديث وهو صاحب « الباب الزاخر واللباب الفاخر » ، في اللغة - ولد في سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م في بدايون ولكنه لم يمكث في الهند مدة طويلة ، ورحل إلى بغداد حيث استقبله علماءها وذووها بحفاوة بالغة وإجلال كبير ، ولا يحتاج الإمام الصغاني إلى أي تعريف فإنه شاع صيته في العالم الإسلامي بمؤلفاته الشهيرة التي أختارها علماء كل العصور بالقبول . أخذ العلم عن علماء الهند وبلاد خراسان (أفغانستان الحالية وما جاورها) ثم رحل إلى البلاد العربية وتلمذ لعلماء العراق

والحرمين الشريفين ، ثم تردد إلى الهند مراراً ورجع إلى العراق حيث توفي ولكنه دفن في مكة المكرمة . قال الذهبي : إن إليه المنتهى في اللغة . وقال الدمياطي : إنه كان إماماً في اللغة والفقه والحديث . له مشارق الأنوار في الحديث ومصباح الدجى في الحديث أيضاً وجمع البحرين في اللغة والنوادر ، وله شرح على صحيح البخاري وغير ذلك (١) .

ويروي لنا المؤرخ ضياء الدين البدايوني أن الشيخ شمس الدين ترك ، أحد كبار المحدثين في البلاد العربية أراد أن يقيم في الهند ويقف نفسه لنشر علم الحديث ، فغادر بلاده ورحل إلى الهند ومعه أربع مائة كتاب في علم الحديث ، ولكنه لما وصل إلى ملتان علم أن الماهل الهندي علاء الدين الخلجي يتكاسل في أداء الصلوات الخمس فقال : أنا لا أريد الإقامة في بلد يتكاسل حاكمه في أداء واجبات الدين ، ورجع إلى بلاده .

ولكن المحدث الذي يبدأ به العهد الزاهر في تاريخ علم الحديث في شبه القارة — هو المحدث الجليل علي بن حسام الدين المتقي القادي (٨٨٥ هـ - ٩٧٥ هـ) الذي ولد في برهانپور ، وبعد أن حصل على العلوم بدرجة لا بأس بها رحل إلى الحجاز حيث تلمذ لكبار علمائها وخاصة منهم الشيخ أبو الحسن البكري ، ومكث الشيخ علي المتقي مستغلاً في خدمة الحديث حتى آخر لحظة من حياته ، ولما راجع كتاب وجمع الجوامع ، للعلامة السيوطي قال أستاذه الشيخ أبو الحسن البكري : إن للسيوطي منة على العالمين والمتقي منة عليه . ومن أهم تأليف الشيخ علي المتقي وأشهرها كتاب « كنز العمال » . وتوفي بمكة المكرمة .

(١) راجع لترجمته المفصلة : نزعة الخواطر ، ج ١ ص ١٣٧ ٤١

وأما شبه القارة فنراه خالياً بأسره من علم الحديث في القرن
المأخر الهجري . ويروي لنا الأستاذ المؤرخ . خليف أحمد النظامي أن هذا
القرن لم يرَ إلا محدثين جديرين بالذكر في شبه القارة وهما :

١ - الحاج إبراهيم القادري

٢ - والشيخ اسماعيل اللاهوري .

أما الحاج إبراهيم القادري فولد في مانكبور وتوفي عام ١٠٠١ هـ
وتعلم الحديث في بغداد حيث أقام ثلاث سنوات ثم رحل إلى مصر وقرأ
الحديث على الشيخ شمس الدين العلقمي وحصل على الإجازة من الشيخ
محمد بكري الشافعي ، ثم أتى مكة المكرمة وتلمذ لكبار المحدثين في
رحاب بيت الله العتيق ، فمنهم الشيخ عبد الرحمن بن فهد المغربي والشيخ
مسعود المغربي والمحدث الهندي الكبير الشيخ علي المتقي السالف الذكر ،
فبعد أن حصل على حظ أوفر من علم الحديث رجع إلى مصر واشتغل في
تدريس علم الحديث هناك لمدة أربع وعشرين سنة ، بعد ذلك غلبه الحنين
إلى موطنه ومسقط رأسه فغادر مصر إلى الهند وأقام بأكره حيث اشتغل
في خدمة الحديث وتوفي وهو يناهز التسعين من عمره (١) .

على الرغم من خلو شبه القارة من أي نشاط ملموس في خدمة الحديث
كانت منطقة كجرات (على ساحل بحر العرب) عامرة بنشاط كبير واسع
في خدمة علم الحديث حيث قام بها العلماء قديماً وقائلاً . ونذكر فيما يلي

(١) انظر ترجمته في المصادر الآتية :

١ - كزار ابرار - طبع لاهور الترجمة الاردوية

٢ - منتخب التواريخ للبدايوني ج ٣ ص ١٣٩

٣ - حياة الشيخ عبد الحق للنظامي ص ٤٠ - ٤١

بعض ما قام به علماء كجرات من خدمة الحديث النبوي في القرن العاشر .

١ . أعد الشيخ مير سيد عبد الأول المتوفى ٩٦٨ هـ شرحاً على صحيح البخاري وأسماء بفيض الباري (١) .

٢ - وكتب الشيخ المحدث محمد بن طاهر الفتني شرحاً وافياً على أحاديث الكتب الصحيحة الستة باسم « مجمع بحار الأنوار » ، كما ألف رسالة في لغات المشكاة (٢) . والعلامة الفتني فاق أقرانه الهنديين وأُعتُرف بفضلُه في علم الحديث علماء الشرق والغرب . ولد بفتن من بلاد كجرات سنة ٩١٣ هـ ونشأ بها وحفظ القرآن قبل أن يبلغ الحلم وتلمذ على كبار علماء كجرات حتى برع في عدة فنون وفاق أترابه في كثير منها ، ثم شد رحله إلى الحرمين الشريفين سنة ٩٤٤ هـ وهو ابن إحدى وثلاثين ، وأخذ العلم عن الشيخ أبي الحسن البكري والشيخ الشهاب أحمد بن حبر المكي والشيخ علي بن عراق والشيخ علي المتقي الذي لازمه كثيراً كما ذكره في مقدمة كتابه « مجمع بحار الأنوار » ، ورجع إلى الهند واشتغل بتدريس الحديث والتصنيف والتأليف .

وكان ممتازاً بصلاحه وورعه وعلمه ، ولم يبلغ أحد مبلغه من أقرانه في علم الحديث . وكان قد ورث من أبيه مالاً كثيراً فكان ينفقه على طلبة العلم ، وكان من عادته أن يختار للعلم صبياناً من الكتاتيب ويعلمهم وينفق عليهم من ماله ثم يأتي بعدم بصيان آخرين . وترك مجموعة كبيرة من مؤلفاته

(١) أخبار الأخبار (بالفارسية) للإمام عبد الحق الدهلوي - ص ٢٤٥

(٢) مصدر سابق ص ٢٧٢ - ٢٧٣ - كزار إيرار ص ٣٢٢ ، حقائق الخفية

للعلامة الجبلي ص ٣٨٥ - ٣٨٧

القيمة منها « مجمع بحار الأنوار » ، و « لطائف الأخبار في غريب الحديث » ،
و « تذكرة الموضوعات » ، و « المنقى في أسماء الرجال » . وكان رحمه الله من أشد
المنتقدين للحركة الهدوية ، فهجم عليه جمع منهم يوماً وقتلوه ، وذلك في سنة
٩٨٦ هـ - فدفن في مسقط رأسه قن (١) .

٣ - وألف الشيخ هبة الله الكجراتي . المتوفى ١٠٠٥ هـ رسالة في
أقسام الحديث . وكان الشيخ هبة الله الكجراتي الشيرازي من كبار
العلماء ومن مواليد شيراز ، وتلمذ على كبار علماء شيراز منهم الفيلسوف
الإيراني الشهير بل إمام الفلاسفة الإيرانيين في عصره صدر الدين الشيرازي
صاحب الأسفار الأربعة ، وأخذ الحديث عن كبار محدثي شيراز ، ثم
أتى الهند ودخل كجرات سنة ثمان وتسعين وثمانمائة فحشد إليه الطلبة من
جميع أكناف الهند ، وله مؤلفات عديدة في الفلسفة والمنطق والتفسير
وأصول الحديث والهيئة (٢) .

٤ - وكتب الشيخ الطيب البرهانوري حاشية على مشكاة المصابيح .

٥ - وكتب الشيخ عثمان الصديق تليذ الشيخ وجيه الدين العلوي
شرحاً على صحيح البخاري (٣) .

٦ - وقرأ الشيخ عبد الملك العباسي علم الحديث عن أخيه الشيخ
قطب الدين وهو عن الإمام السخاوي عن الحافظ ابن حجر العسقلاني .
وكان الشيخ عبد الملك العباسي دائماً يكب على مطالعة صحيح البخاري

(١) نزهة الخواطر ج ١ ص ١٣٧ - ١٤١ .

(٢) نزهة الخواطر - ج ٤ ص ٣٨٨ - ٣٨٩ .

(٣) حياة الشيخ عبد الحق (بالاردوية) للأستاذ خليف أحمد النظامي

ودراسته حتى حفظه من أوله إلى آخره (١) . ومن ناحية أخرى نرى المؤرخ عبد القادر البدايوني يقول : إن القرن العاشر الهجري شاهد كثيراً من الناس يطعنون في علوم الفقه والتفسير والحديث ويفضلون عليها علوم النجوم والفلسفة والطب والحساب والشعر والقصص وما إليها (٢) ، ولكننا نرى مع ذلك أن علماء الهند في القرن العاشر لم ينقلوا عن الاهتمام بعلم الفقه إهتماماً غير قليل ، وإن كان إسهامهم في هذا المجال مقتصراً على تأليف الحواشي وإعداد الشروع على المتون الفقهية القديمة إنه كان ، والحق يقال ، إسهاماً يجدر ذكره في تاريخ تطور العلوم . ونذكر فيما يلي بعض الكتب الفقهية التي ألفها فقهاء الهند في القرن العاشر الهجري (٣) :

١ - الشيخ معين الدين العمراني :

- أ - حاشية على التلويح ب - حاشية على الحساني
ج - حاشية على المنار د - حاشية على كنز الدقائق

٢ - مولانا أبو حفص سراج الدين عمر بن إسحاق :

- أ - حاشية على المنار ب - شرح على الهداية للمروغيناني
ج - شرح الجامع الصغير د - شرح الجامع الكبير
هـ - شرح المختار

٣ - الشيخ سيد يوسف الملتاني :

- أ - حاشية على المنار

(١) كلزار أبرار ص ٣١١ - النظامي : مصدر - بق .

(٢) منتخب التواريخ للبدايوني ج ٢ ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

(٣) خلیق النظامي : مصدر سابق ص ٤٥ - ٤٦

٤ - القاضي حميد الدين الدهلوي :

أ - شرح المسداة

٥ - زين الدين بن عبد العزيز :

أ - قرة العين في الفقه الشافعي

وأما في الناحية السياسية فقد شاهد القرن العاشر الهجري تطورات هامة متعددة النواحي في شبه قارة الهند والباكستان ، فرأى انهيار حكم سلالات الأفاغنة وقيام الامبراطورية المغولية التي وصلت بالحكم الإسلامي في هذه البلاد إلى أرقى درجاته ، وكفى هذه السلالة فخراً أن كان بينها السلطان الصوفي العالم الفقيه أبو المظفر محيي الدين محمد أورنگ زيب عالمكير بادشاه غازي الذي أعاد إلى شبه القارة 'مثل الحكم الإسلامي العالية واختار تقاليد الخلفاء الراشدين في السياسة ونظام الحكم حتى عده البعض سادس الخلفاء الراشدين بعد الخلفاء الأربعة وسيدنا عمر بن عبد العزيز .

واتخذ حكام هذه الامبراطورية خطة التسامح جرياً على سنة سلفهم من الحكام المسلمين في شبه القارة ، وبلغ تسامحهم بادية ذى بدء إلى أن أصهر الامبراطور جلال الدين إلى العائلات الهندوكية وبنى بعيداً من الأميرات الهندوكيات حتى جاوز بتسامحه إلى مجاملة الهندوكيين وأرباب الديانات الوثنية الأخرى في شبه القارة حتى تعدى الأمر إلى ابتداء نحلة جديدة تضم المبادئ المختارة من جميع أديان شبه القارة وتذوب فيها جميع المعتقدات والأديان والملل والنحل الهندية لتؤدي هذه النحلة الجديدة بدورها إلى توحيد البلاد كلها . وكان معنى ذلك القضاء على المكانة الحكومية والاجتماعية التي كان الدين الإسلامي الحنيف يحتلها في الامبراطورية

الإسلامية . فإن الإسلام وغير الإسلام ضدان لا يجتمعان ومحاوله الجمع بين الإسلام وغير الإسلام قضاء على الإسلام . ولكن الأمة الإسلامية في شبه القارة لم تتغافل عن هذه المؤامرات ، ولم يعد شبه القارة خالياً من زعماء عباقرة الفكر والعمل الذين نهضوا لمعارضة هذه الحركة الهدامة ؛ فقام رجال مؤمنون مجاهدون في جميع مجالات الحياة يكافحون ضد هذه الموجة الإلحادية ، وكان بين من نهض لهذه المهمة وجلان عبقریان يفتخر بهما تاريخ شبه القارة الإسلامي وهما : الإمام المجدد أحمد بن عبد الأحد السرهندي الفاروقي والإمام المحدث عبد الحق الدهلوي^(١) . وألف كاتب هذه السطور كتاباً حافلاً عن تاريخ الإمام المجدد أحمد بن عبد الأحد الفاروقي استعرض فيه بالنقد ديانة أكبر الهدامة المعروفة بالدين الإلهي وبحث عن أسباب ظهور هذه الحركة الإلحادية وبسط فيه القول عن كفاح الإمام التاريخي وجهاده الأكبر للقضاء على القوى المضادة للإسلام وعن تأثيره العميق في المجتمع الإسلامي في شبه القارة . ولكن هذا الكتاب لم يطبع حتى الآن . وفي هذه المقالة الموجزة نأتي بلمحات عابرة عن حياة الإمام المحدث عبد الحق الدهلوي وجهوده الإصلاحية مع تعريف موجز بمؤلفاته القيمة في مختلف المواضيع الإسلامية .

ولد الإمام المحدث في شهر محرم ١٢٥٨ هـ / ١٨٥١ م في مدينة دهل وكان ذلك في عهد الامبرطور الأفغاني إسلام شاه السوري ، وهذا من العجب العجائب ومن أغرب المصادفات أن في الشهر نفسه وفي السنة نفسها ولد أبو الفضل ، ذلك الطاغوت الأكبر الذي كان من أئمة الموجة الإلحادية التي ظهرت في عهد امبراطور المغول جلال الدين محمد أكبر الذي ابتدع تلك

(١) انظر ترجمته في المصادر الآتية : ١ - كزار أبرار - طبع لاهور الترجمة الاردية ٢ - منتخب التواريخ للبدايوني ج ٣ ص ١٣٩ ، حياة الشيخ عبد الحق للنظامي ص ٤٠ - ٤١

الحبيشة التي سماها بالدين الإلهي . وكان أبو الفضل من كبار مؤسسي هذه النحلة الهدامة .

وأول من أتى إلى الهند من أجداد الإمام المحدث هو آغا محمد البخاري الذي هاجر عن بلاده في القرن الثالث عشر من الميلاد بعد ما قام به المغول من حملات هجيرة وغارات عنيفة ضد الإسلام والإنسانية والمدينة والحضارة عبر القارة الآسيوية ، وأقام في الهند في عهد السلطان علاء الدين الخلجي . ومن المعلوم أن السلطان علاء الدين الخلجي هو الذي بلغ المجتمع الإسلامي في عهده ذروة رقيه وقمة كماله علماً وثقافة وسياسة . ومكث أولاد آغا محمد البخاري وأحفاده أصحاب علم وثروة وجاه ومنزلة . وكان والد الإمام المحدث الشيخ سيف الدين بن سعد الله بن فيروز رجلاً عالماً شاعراً أديباً ؛ ولد ونشأ بدلهي وأخذ العلم عن الشيخ عبد الملك بن عبد الغفور والشيخ أمان الله الباني بتي وعن غيرهما من العلماء والمشايخ وصحبهم وأفاد منهم ، وأخذ الطريقة عن الشيخ أمان الله المتوفى ٩٥٧هـ / ١٥٥٠ م . وكان مغرمًا بمطالعة الكتب . ورأى الأستاذ خليف النظامي نسخة خطية من كتاب «الكاشف في أسماء الرجال» للإمام الذهبي في المكتبة الخاصة للأستاذ حبيب الرحمن الطيب في «داكا» وكانت هذه النسخة في ملك الشيخ سيف الدين ، وعليها عبارة بخطه . وله مؤلفات في التوحيد والتصوف ، وكان شاعراً مجيداً ، وترك قصائد ومقطوعات شعرية . مات لثلاث بقين من شعبان سنة تسعين وتسع مائة (١) .

(١) تزمة الخواطر ، ج ٤ ، ص ١٣١ - أخبار الأخيار .

في ظل هذا الأب الفاضل تربي الإمام المحدث عبد الحق ورباه والده تربية جميلة . وبدأ بتعليمه منذ صباه ، فكان ينبته نباتاً حسناً ويعلمه مكارم الأخلاق ومحاسن العادات وينصحه ألا يتنازع أحداً في مناقشة علمية ، ولا يؤذي أحداً بقوله ولا بفعله ، وأن يتعرف بالحق أينما كان ومن أي كان ، وأول ما علمه والده الكريم هو القرآن المجيد الذي فرغ من قراءته وحفظه في مدة سنة واحدة ، ثم صرفه إلى تعلم الكتابة وحصل عليها في شهر واحد . وبعد ذلك بدأ في قواعد اللغة العربية ، وقواعده كتب منها ميزان الصرف ومختصراً لكافية ابن الحاجب وما إليها حتى أتم جميع دراساته وهو ابن ثنائي عشرة سنة .

وكان مكباً على مطالعة الكتب منذ صباه ، وكان يرغب عن الملاهي والملاعب مائلاً عن مصاحبه أترابه من الأطفال والصبيان ، ويقول هو نفسه إنه لم يأكل قط ملء البطن ولم يستوعب ليلاً كاملاً بالنوم^(١) . حتى كان أبواه يلومانه على إفراطه في المطالعة والدراسة وينصحانه أن يعتنى باستراحته وصحته . وعلى الرغم من ولوعه بمطالعة الكتب كان رحمه الله يرغب في العبادات والنوافل ، فيقوم من نصف الليل ويصلي صلاة التهجد ويتلو ما تيسر من آي الذكر الحكيم .

وبعد أن فرغ من تحصيل علوم اللغة العربية والكلام والمنطق وبرع بها تلمذ على علماء ماوراء النهر ، وتلقى منهم الفقه والحديث ، ثم اشتغل في تدريس شتى العلوم لبضع سنوات في مدارس دهلي قبل أن يشد رحله إلى الحجاز .

كان من أمنية المدوس الشاب عبد الحق الدهلوي أن يتشرف بزيارة الحرمين الشريفين ويتلمذ لعلمائها ويقرأ منهم الحديث النبوي ، فلما كان ابن ثمان و ثلاثين تيسر له ذلك ففادى موطنه ومسقط رأسه دهلي في سنة ٩٦٦ هـ الموافق ١٥٨٧ م متوجهاً إلى الحجاز . ولكنه لما وصل إلى ميناء كجرات علم أن السفينة قد رحلت فمكث في كجرات سنة كاملة ينتظر رحيل سفينة أخرى ، وخلال إقامته بكجرات تشرف مراراً بزيارة الشيخ وجيه الدين العلوي الكجراتي أحد كبار علماء كجرات الذي مكث على تدريس العلوم الدينية حوالي سبعة عقود وذلك بالإضافة إلى تأليف عدة كتب .

فلما وصل الطالب الشاب عبد الحق إلى مكة المكرمة افتتته حلقة درس المحدث الكبير الشيخ عبد الوهاب المتقي تلميذ الإمام المحدث علي المتقي صاحب « كنز العمال » السالف الذكر . وكان الشيخ عبد الوهاب المتقي وحيداً بين معاصريه بنظرته العميقة وبصيرته النافذة في علوم الحديث ، وكان مثله مثل قاموس حي وموسوعة متحركة للعلوم الإسلامية التي تجمع بين طياتها علوم الفقه والحديث والصرف والنحو والأدب (١) .

فلما انتهى طالبنا إلى الشيخ عبد الوهاب أخبره بالأسباب التي أدت به إلى الرحيل إلى مكة المكرمة قائلاً : « ياسيدي إني أمرؤ نشأت من صغري في الرياضة للتعلم والتعب ، لم أعتد صحبة الناس والاختلاط بهم والدخول فيهم ، فلما حصل لي بفضل

(١) أخبار الأخيار ص ٢٦٥

الله طرف صالح بما أريد ، وقضيت وطري وحاجتي بما هنالك دعاني بعض أهل الحقوق إلى الخروج إلى أرباب الدنيا ، فأدركت سلطان الوقت والأمراء فاعتنوا بشأني ، ورفعوا مكاني ، وأرادوا أن يكثرُوا بي سوادهم ، ويُحكَمُوا ويُعدُوا بهذا الضيف صورهم وموادهم ، فجهاني الله ولم يتركني معهم ، وأوجد في قلب عبده جذبة هدتَه إلى هذا المقام الشريف (١) .

فقبله الشيخ عبد الوهاب المتقي في حلقة درسه واهتم بتدريسه وتعليمه اهتماماً خاصاً ، فقرأ عليه كتاب « المشكاة » للبغوي في علم الحديث قراءة شاملة ، وكتاب وقواعد الطريقة في الجمع بين الشريعة والحقيقة ، وبعد أن حصل على الإجازة من الشيخ عبد الوهاب النفث إلى علماء الحجاز الآخرين وقرأ عليهم جميع كتب الحديث والعلوم الدينية .

بعد فراغه من تحصيل علوم الحديث في الحجاز أراد الشيخ عبد الحق الدهلوي أن يختار الحرم المكي وطناً له ويستن بسنة أستاذه الشيخ عبد الوهاب المتقي وأستاذ أستاذه الشيخ علي المتقي ويقوم بخدمة العلوم الإسلامية وخاصة منها علم الحديث . ولكن أستاذه الشيخ عبد الوهاب أصر عليه أن يرجع إلى وطنه . بلاد الهند ، ويقوم بنشر تعاليم الإسلام الحنيفة السمحة السهلة ، ويبث نور الإسلام في ظلمات الهند . فلبى طلب أستاذه ورجع إلى الهند حيث وصل في سنة ١٠٠٠ هـ .

واشتغل الشيخ عبد الحق بتدريس علم الحديث وأقام لهذا الغرض

(١) كتاب المكاتب والرسائل للإمام المحدث عبد الحق الدهلوي ص ٢٧٩

تقلاً عن حياة الشيخ عبد الحق المحدث للنظامي ص ٩٢

مدرسة في دهلي واختار لها منهجاً دراسياً مختلف عن المناهج الدراسية بالمدارس الهندية الأخرى اختلافاً جوهرياً هدياً ، فكان كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هما الأساسان اللذان بنى عليها بناء العلوم الأخرى والجهاز التعليمي والنظام الدراسي ، ولم تكن حالة الهند الدينية عند وصوله إلى وطنه كما كانت عند مغادرته إلى البلاد العربية بل أصبحت أسوأ منها بكثير .

ونقل إلينا المؤرخ عبد القادر البديوني الكثير عن أحوال الهند في النواحي الدينية والثقافية والفكرية في العقود الأخيرة من القرن العاشر الهجري وفي مستهل القرن الحادي عشر ؛ فكان أمبراطور المغول جلال الدين محمد أكبر متربعاً على عرش الامبراطورية يدعو الناس إلى نخلته الجديدة ويقرب الهنادكة والفرق الضالة إليه ، وكانت المتصوفة الزائغة تكدر مناهل الإسلام الصافية بأفكارها المستوردة ، فكان شبه القارة في حاجة إلى علماء وقادة فكريين يكافحون للقضاء على الحركات الهدامة ولاحياء النظم الإسلامية الصحيحة ، لتتحول مسيرة الفكر الهندي من إلحاد إلى الإسلام .

عمل الإمام المحدث في جميع هذه الاتجاهات ، فحضر كثيراً من أعيان الحكومة على إحياء السنة والقضاء على البدعات ، وكافح لتصحيح المفاهيم الإسلامية من التعميمات الضالة التي نشرها الصوفية الباطلة ، وأعلن بصراحة أن كل حقيقة ردت عليها الشريعة فهي زندقة (١) .

كتب لنيل هذا الهدف كتباً ورسائل وألقى محاضرات ودروساً ،

(١) كتاب المكاتب والرسائل ص ٢٤

وقال في كتابه « مرج البحرين » :

« التصوف محتاج إلى الفقه أما الفقه فمستغن عن التصوف ، ومهما كان التصوف أعلى وأرفع فإن الفقه أعم مصلحة وأسلم ، ولذا قال بعضهم : كن فقيهاً صوفياً ولا تكن صوفياً فقيهاً ، يعني الفقه والعمل بالشريعة يتقدم كل شيء » (١) .

وكان يعتقد أن كل ما يقوم به من تشر التعاليم الإسلامية الصحيحة هو بأمر من الله تبارك وتعالى ، فقال : إن هذا العبد مأمور ألا يتكلم إلا في القضايا الدينية الهامة وشؤون الأمة التي هي باعث تنفيذ الشريعة وتجديدها وسبب المحافظة على عقيدة السنة النبوية وأحكامها ، وألا يخرج عن دائرة الاعتدال والاحتياط ولو خطوة (٢) .

وعلاوة على كل هذا كتب إلى كبار أعيان الدولة وحشهم على النهوض ضد التيار الإلحادي الذي هاجم شبه القارة في منتصف القرن العاشر آثار فيهم الغيرة على خيبة الإسلام وأهل الإسلام في ديار الهند ، وكان بين من كتب إليهم الوزير المغولي عبد الرحيم خان خاتان ونواب مرتضى خات وغيرهم . ولما توفي الامبراطور جلال الدين محمد أكبر كتب الإمام المحدث رسالة طويلة إلى الشيخ فريد وأوصاه أن يقدمها إلى الامبراطور الجديد نور الدين جهانكير ويقرأها عليه ويلخص له معانيها ومطالبها . وكان عنوان الرسالة : تنبيه الغافلين بفناء الدنيا وأربابها ، وإعترار الجاهلين بزخارفها

(١) مرج البحرين للإمام الدهلوي ص ٨٦ - ٨٧

(٢) كتاب المكاتيب والرسائل ص ٢

وأسيابها . ثم زار الامبراطور في السنة الرابعة عشرة من جلوسه على العرش ، فأجله الامبراطور واحترمه ؛ ولكن الامبراطورة الشيعية نورجهان كانت تنفر منه وتبغضه .

كان الإمام المحدث عبد الحق الدهلوي من كبار قادة حركة نشر الحديث وتصحيح المفاهيم الإسلامية في شبه القارة ، ولم يسبقه في ذلك أحد من معاصريه سوى الإمام المجدد أحمد بن عبد الأحد الفاروقي السرهندي إلا أن الفضل الأكبر في نشر الحديث يرجع إلى الإمام عبد الحق ، فعكف على تدريس علوم الحديث أكثر من نصف قرن ، وقرا عليه الحديث في هذه المدة آلاف وآلاف من طلبة الحديث من جميع أنحاء الهند وخارجها ، وأثف بالإضافة إلى ذلك سلسلة من الكتب في علم الحديث باللغة الفارسية التي كانت اللغة السائدة في الدوائر العلمية . ونذكر فيما يلي بعض مؤلفاته في علم الحديث .

١ - لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح ، باللغة العربية . وله نسخ كثيرة خطية موجودة في كثير من المكتبات العلمية في شبه القارة . وطبع مجلدان منه في سنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م في مطبعة مكتبة المعارف العلمية بـلاهور ، وستلوه مجلدات أخرى ، إن شاء الله . ويقوم بتصحيح نسخ الكتاب ومقارنة مخطوطاته الأستاذ محمد عبيد الله المفتي مدير المدرسة الأشرفية بـلاهور ، الذي أضاف إليه تعليقات موجزة في بعض المقامات ، وذيله بفهارس بسيطة عن موضوعات الكتاب وعن أسماء الرواة وعن الكلمات الأولى للأحاديث التي أخرجت في الكتاب .

٢ - أشعة اللغات في شرح كتاب المشكاة ، باللغة الفارسية في أربع مجلدات ؛ طبع مراراً في الهند وباكستان طبعا حجرياً ، وقدم

الإمام لهذا الكتاب مقدمة بسيطة في علم الحديث وأصوله وتراجم كبار المحدثين .

٣ - رسالة في أقسام الحديث ، باللغة العربية . طبع مراراً ، وطبعت ترجمته الأردوية .

٤ - مائت بالسنة .

٥ - جامع البركات في شرح منتخب المشكاة ، باللغة العربية .

٦ - مطلع الأنوار البهية في الحلية النبوية . توجد منه نسخة خطية في مكتبة الجمعية الآسيوية البنغالية .

وبالإضافة إلى خدمة الحديث النبوي ألف كتباً أخرى لعبت دوراً هاماً في تصحيح المفاهيم الإسلامية ، وتنقية الأباطيل الفكرية الإلحادية .

١ - مدارج النبوة ، باللغة الفارسية . وهو أحسن كتاب ألف في السيرة النبوية في الهند ، ويحتل مكانة مرموقة في الأدب الإسلامي الذي قدمته شبه القارة خلال القرون ، ولعب هذا الكتاب دوراً هاماً في القضاء على الإلحاد الأكبر الذي كان يهدف إلى الخط من صلة مسلمي الهند بشخصية رسول الله ﷺ . طبع هذا الكتاب مراراً ، ونقل إلى اللغة الأردية ، وطبعت الترجمة الأردوية في كراتشي قبل عدة سنوات .

٢ - تحصيل التعرف في معرفة الفقه والتصوف ، باللغة العربية . وفيه محاولة للجمع بين الفقه والتصوف .

٣ - الرسالة السلطانية : كتبها إلى الامبراطور المغولي نور الدين جهانكير لبيان قواعد الحكم ومبادئه في الإسلام ، وآداب الحكم والسياسة . وكان

الأمم المحدث من الذين ساعدوا الأمير جهانكير وآزروه على اعتلاء العرش
الامبراطوري ضد أخيه الذي كان من أنصار الإلحاد الأكبري .

٤ - أخبار الأخيار في أحوال الأبرار ، باللغة الفارسية . طبع مراراً
وترجم إلى اللغة الإردوية ، ويوجد كثير من نسخه الخطية في مكتبات الهند
وباكستان وأوربا . جاء المؤلف فيه بتراجم علماء الهند ومشايخها ابتداءً من
الحواجة معين الدين الجشتي الاجيري وانتهى إلى معاصريه . وهذا الكتاب
من المصادر الموثوقة عن تاريخ شبه القارة الإسلامي وعن الحالة الدينية في
المصور المختلفة .

٥ - آداب الصالحين ، باللغة الفارسية . وهو خلاصة كتاب إحياء علوم
الدين للإمام الغزالي . طبع مراراً بالفارسية وترجم أيضاً إلى الإردوية .

٦ - آداب اللباس ، باللغة الفارسية . لم يطبع حتى الآن ، وتوجد منه
نسخ خطية في عدد من مكتبات أوربا وباكستان والهند .

٧ - زبدة الآثار في تلخيص بهجة الآثار ، باللغة العربية ، في سيرة الصوفي
الشهير عبد القادر الجيلاني . وبهجة الآثار هو من مؤلفات الشيخ نور الدين
أبي الحسن علي المتوفي ٧١٣

٨ - زاد المتقين . وهو في أحوال مكة المكرمة وفي سيرة علمائها
ومشايخها ، وانطباعاته حول إقامته بمكة المكرمة . ونسخه الخطية في مكتبة
المتحف البريطاني والمكتبة الآصفية بمجيد آباد .

٩ - التاريخ الحقي ، باللغة الفارسية . يبحث عن تاريخ الهند الإسلامي
منذ ظهور الإسلام في شبه القارة وبدء الحكم الإسلامي حتى آخر القرن
العاشر الهجري ، وهو كتاب مهم ومصدر موثوق به بين مصادر تاريخ الهند .

توجد منه نسخ خطية في عدد من مكتبات باكستان والهند وأوروبا . ولم يطبع كامله بالأصل الفارسي ، وطبع جزء منه باللغة الانكليزية في مجموعة ايليوت .

١٠ - جذب القلوب إلى ديار المحبوب ، باللغة الفارسية . وفلاً كتبه لجذب قلوب المسلمين في شبه القارة إلى ديار الحبيب ﷺ ، وهو يبحث عن تاريخ الحرم النبوي وفضائله وأخبار سكانه ، وحادثة الهجرة وكيفية مباني المدينة المنورة وفضائل المسجد النبوي وأماكن المدينة المنورة الأخرى . وكان لهذا الكتاب دور بارز في القضاء على المؤامرة الهندوكية ضد النبوة المحمدية على صاحبها ألف ألف صلاة ونجدة .

١١ - تكميل الإيمان ، باللغة الفارسية . وهي رسالة في التوحيد والعقائد على طريقة أهل السنة والجماعة . طبعت مراراً في الأصل الفارسي وطبعت ترجمته الإردوية أيضاً أكثر من مرة .

١٢ - ويري المورخون مؤناً له عن التفسير ، وهو كتاب « تعليق الحاوي على تفسير البيضاوي » . وكان باللغة العربية ولكن لا توجد منه نسخة .

١٣ - زاد المتقين . وهو في أحوال مكة المكرمة ، وفي سيرة علمائها ومشايخها ، وفي انطباعاته ومشاهداته في إقامته بالبلد الحرام . وكتب هذا الكتاب لتشويق عامة المسلمين في شبه القارة إلى زيارة الحرمين الشريفين ولتوطيد الصلات الروحية والدينية بين الهند ومكة المكرمة . لم يطبع هذا الكتاب حتى الآن ، وأما نسخه الخطية فتوجد في المتحف البريطاني والمكتبة الآصفية بمجيد آباد الدكن بالهند .

١٤ - مطلع الأنوار البهية في الحلية النبوية . لعله يشتمل على

شمائل النبي ﷺ وعاداته الشريفة وحليته الكريمة . ولم يطبع حتى الآن وتوجد نسخة خطية منه في مكتبة الجمعية الآسيوية البنغالية .

هذه هي مؤلفات الإمام المحدث عبد الحق الدهلوي الذي أضاء في شبه القارة في حاضرة الإمبراطورية الإسلامية - دلهي - شمعة الحديث وبث أشعة النور النبوي في أنحاء الهند ، واشتغل في تدريس علوم الحديث أكثر من نصف قرن ، وتوفي إلى رحمة الله في الواحد والعشرين من ربيع الأنور عام ١٠٥٢ هـ وهو إذ ذاك ابن أربع وتسعين . رحمه الله تعالى رحمة واسعة ورضي عنه وأرضاه .

محمود أحمد غازي

إسلام آباد

التعريف والنقد

حركة الإحياء اللغوي

في بلاد الشام

الأستاذ شفيق جبري

من جلائل الموضوعات موضوع اللغة ، والسبب في جلالة هذا الموضوع منزلة اللغة في الأمم ، فاللغة إنما هي صورة الأمة وتاريخها وحضارتها ، فإذا اغتبطنا بظهور كتاب يتصل باللغة على اختلاف أربابها فنبطئنا في محلها ، وإذا ألمنا من استعمال الحرية في التصرف في أمور اللغة بحسب مشيئة المتصرفين وهوام فلنا الحق في هذا الألم ، فقد يقع نظرنا في هذه الأيام على بعض الانحراف عن النوق في الأساليب ، أو على إخلال بالموسيقى في بعض التراكيب ؛ أو على توليد ألفاظٍ مانظن أن بنا حاجة إلى توليدها ، فلا يمر بنا يوم دون أن نسمع في دور الإذاعة ، أو نقرأ في الصحف ألفاظاً حديثة مثل : جدولة الديون ، أو عسكرة القضية ، أو ما شابه ذلك ، فقد أصبح لكل واحد منا حرية في اختراع اللفظة التي يراها مناسبة للإعراب عن فكرته ، فإذا كان الأمر على هذا الوجه فلا ندرى كيف تكون اللغة بعد قليل من الزمن ،

فقد أشار بعض علماء اللغة في الغرب إلى أن الأحفاد في طائفةٍ من قبائل افريقية لا يفهمون لغة الأجداد لكثرة ما يولد من الألفاظ من حين إلى آخر . أمّا أن يولّد المصر ألفاظاً تشد إليها الحاجة في أبواب العلم والاجتماع والاقتصاد وغير ذلك ويتمّ الاصطلاح عليها ويشيع استعمالها من دون البعد عن مقاييس اللغة وجوهرها فهذا أمر يخفّ الاعتراض عليه ، وأمّا أن يبتدع كل واحدٍ منّا لفظاً لا يسنّ له من الأفكار فقد تصبح اللغة فوضى وبصينا ما أصاب الأحفاد في قبائل افريقية . إنّنا نحرص على وحدة اللغة ونظامها حتى لا تصبح فوضى . ولست أدري أيكوت هذا الرأي رأي علماء اللغة في عصرنا .

يجدر بي بعد الإفصاح عن هذه الفكرة الوجيزة أن أشير إلى كتاب : « حركة الإحياء اللغوي في بلاد الشام ، للدكتورة نشأة طبيان ، فقد تضمن الكتاب مقدمة وفصولاً وأبواباً ، أمّا المقدمة فلا سبيل إلى تلخيصها وحسي التنويه بما اشتملت عليه من أفكار سديدة في منزلة اللغة في الأمم وإنّي لأكتفي بذكر السطر الأول من المقدمة لتعرف كيف تنظر المؤلفة إلى اللغة ، فقد قالت : « الأمة لغتها ، واللغة وعاء فكر الأمة ونبض فاعليتها ، ففي حياة اللغة بقاء الأمة وفي خمولها موتها وتواريتها » . وقد أفاضت الدكتورة نشأة في مقدمتها في هذا المعنى على قدر ما يستحق من الإفاضة والمناية واستشهدت بأمور كثيرة للدلالة على منزلة اللغة وعلى الاعتناء بحفظها والحرص على حياتها من قبل العلماء في القديم والحديث فلا غنى عن الرجوع إلى هذه المقدمة الشافية الوافية لإدراك نظرة المؤلفة إلى جوهر اللغة وكيانها .

أما الأبواب التي تضمنتها الكتاب فهي ثلاثة أبواب وكل باب منها يشتمل على فصول كثيرة؛ فقد سميت الباب الأول: حركة الإحياء المعجمية، فمعرضت لمعجمات اللغة في القديم والحديث، فتكلمت على ترتيبها وتنسيقها وعلى ما يتصل بهذا كله، وعلى مناهجها في شرح الألفاظ وعلى الأطوار التي تقلبت فيها معجماتها في عصورها المختلفة، ولم تغفل في بعض الحالات عن نقد بعض المعجمات في ردّ طائفة من الألفاظ إلى أصولها، وفي هذا كله جهد غير يسير .

وليس هذا كله ما تضمنه فصل المعجمات اللغوية، فقد انتقلت المؤلفة في الفصول التالية إلى الكلام على أطوار دلالة المواد اللغوية في المعجمات من حيث قصور التعريف والابهام والمقالة اللغوية، وبعد الفراغ من هذا البحث تكلمت على الموسوعات ومعجمات الأعلام والتاريخ الأدبي ومعجمات المعاني ونوادر اللغة في بلاد الشام والتعريب . ولا تقني الإشارة إلى هذه المباحث عن الرجوع إليها وإطالة النظر فيها .

وأما الباب الثاني من الكتاب فقد جعل لعلوم اللغة كالنحو والصرف والبلاغة وفقه اللغة وعلومها والعروض والخط .

وقد اقتصرت في الباب الثالث على ذكر الخصائص العامة لحركة الإحياء اللغوي . ولم تخل الفصول كلها من نقد إذا احتاج الأمر إلى النقد ومن بيان رأي خاص إذا لزم هذا البيان . وختمت المؤلفة أبواب الكتاب وفصوله بخاتمة ذكرت فيها أهم ما وصل إليه البحث في هذا السبيل .

لقد دلّ كتاب حركة الإحياء اللغوي في بلاد الشام على اطلاع صاحبه

الواسع في علوم اللغة وعلى تدقيقها في المراجع التي رجعت إليها وعلى فهمها
لخصائص هذه المراجع وإدراكها لها وفطنتها إلى محاسنها ، كل هذا يدل
على ميلها إلى علوم اللغة وعلى استعدادها للأخذ والرد في هذه العلوم . ولا
شك في أن القارئ يشعر بالجهود الذي بذلته المؤلفة في تأليف كتابها ، وإذا
كنت لا أرى مجالاً للتوبيه بكل ما جاء في محتويات هذا الكتاب فإني
لا أقصّر في أن أشكر للمؤلفة الفاضلة اهتمامها بموضوع اللغة وغيرها على
هذه اللغة التي هي عنوان تاريخنا وحضارتنا .

شفيق جبري

ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون

تأليف : عبد الرزاق الهلالي

مطبعة المعارف - بغداد ١٩٧٦

الدكتور شكوي فيصل

نشر الأستاذ عبد الرزاق الهلالي الأديب العراقي المعروف منذ ما يزيد على ربع قرن (١٩٤٧ م) كتاباً بعنوان : ولادة وابن زيدون ، جاء أثراً لاهتمامه بهذه الشخصية الأدبية ، واتخذ هذا الاهتمام أشكالاً مختلفة (بين مقال ينشر ، وحديث يذاع ، وكتاب يصدر إلى الناس ص ٢٨) .

وقد أتاح المهرجان الذي دعت إليه وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية في المغرب بإشراف الوزير العالم الأديب الأستاذ محمد باحيني فرصة طيبة أمام المهتمين بالأدب الأندلسي من عرب ومستعربين لتعميق الدراسات حول ابن زيدون وإثارة الجديد فيها .

وكانت من بين الإنجازات التي قدمت للمهرجان بحث كتبه الأستاذ الهلالي بهذا العنوان : ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون ، تناول فيه أثر ولادة في مظاهر ثلاثة من حياته : أثرها في شعره ، وأثرها في حياته الاجتماعية ، وأثرها في سلوكه الذاتي . ثم أخرج للناس في هذا الكتاب ،

ولكن الكتاب لا ينطوي على هذا البحث فعسب ، وإنما ينطوي كذلك على شيء من التاريخ الأدبي فقد عرض لحكائين في تاريخ الأدب العربي : أولهما حكاية معاصرة هي حكاية المهرجان وبعض الوثائق التي تتصل به ، من مثل الدعوة إليه ، والظروف التي أحاطت به .. والثانية قديمة - معاصرة هي الآراء الأدبية التي دارت حول ولادة .

أما الحكاية الأولى فقد ضمن المؤلف كتابه عرضاً موجزاً لفكرة المهرجان منذ البداية ، أي منذ ساورت الفكرة وزارة الدولة للشؤون الثقافية بمناسبة الذكرى الألفية لمولد ابن زيدون ٢٩٤ - ١٣٩٤ ، ثم لبعض المراحل التي مرت بها ، ثم لنص الدعوة المشتركة التي وجهها الوزير الأديب باحنيي والتي كانت نصاً أدبياً رائعاً ، ثم لتأجيل الموعد ثم لكلمة الافتتاح - التي كانت في ذات الوقت كلمة وداع ، والتي ألقاها السيد الوزير على الأعضاء المشاركين .

ولم يكن ذلك من شأن الكتاب ، ولكن المؤلف خشي ألا يصدر الكتاب التذكاري عن المهرجان ، أو يتأخر ، فأسرع إلى تهجيله بغية حفظه بين دفتي كتاب .

أما حكاية الآراء الأدبية حول ولادة ، فذلك أن المؤلف لاحظ أن كتاباً للأستاذ علي عبد العظيم - وكان في أصله رسالة ماجستير ص ٢٣ - صدر سنة ١٩٥٥ ، أفاد من بحثه هو ، الذي كان أصدره سنة ١٩٤٧ ، تشابهاً معه أو تطابقاً أو توافقاً ، دون أن يدل عليه أو يعرف به أو يصاحبه في شيء .

وقد حاول الأستاذ الهلايلي أن يشير إلى ذلك في البداية ، وفي

المقدمة ، إشارة لبقه د ص ٦ ، كان هذا التلويح بها يعني عن التصريح . ولكن اعتزازه بما كان انتهى إليه من رأي في تفسير سلوك ولادة ، وموقف الأستاذ عبد العظيم في سكوته عن كتابه ، بأنه التصريح بأنه لم يره د ص ٢٣ ، - ذلك دفعه إلى أن يجاوز الإشارة في المقدمة إلى الإفصاح الصريح في فقرات من الكتاب .

وقد اضطره الأمر أن يثبت مقالاً أنفياً - كان أعدّه ولم ينشره - بعنوان : ولادة بين المستريا والشذوذ الجنسي ، ضمنه شهادة من الأستاذ الدكتور بدوي طبانه لبعثه الأول ص ١٤ ، وتلخيصاً لبعض ما كان قاله فيه ، وبخاصة في فصل : فتاة ساحرة ، ثم لما قاله بعده الأستاذ علي عبد العظيم في كتابه د ابن زيدون ، عصره ، حياته ، أدبه ، في النقاط ذاتها ، - هادفاً من ذلك إلى التأكيد - عن طريق المقارنة بين بعض الفقرات من هنا وبعضها من هناك - على متابعة الأستاذ عبد العظيم له وأخذه منه .

والواضح أن الأستاذ عبد العظيم لم يقتصر على الآراء التي وقف عندها الهلالي : عدم الزواج ص ١٧ ، الانحراف الجنسي والمستريا ص ١٨ وما بعدها ، ثم ص ٤٣ وما بعدها ، وإنما طرح فرضيات أخرى . مما قاد المؤلف إلى مناقشته فيها (السادية عند ولادة ص ٢٤ والماسوشية عند ابن عبدوس ص ٢٤ - ٢٥) وإنكارها .

وفي النفس كثير مما يلجأ إليه بعض الباحثين من اقتباس هذه النظريات النفسية المختلفة ، ثم تطبيقها على بعض شخصيات الأدبية ، فالأمر في ذلك يجب أن ينهض على عمق ودقة .

وليس الخوف ، في العادة ، من اتصال الآراء أو تلاحقها أو تلاقحها .. وإنما الخوف أن تستبد بنا بعض الآراء استبداداً عنيفاً فتحملنا على التسليم بها أو الانقياد إليها .

ذلك أننا لسنا أمام شخصية معاصرة نستطيع أن نتعرف إليها، وإنما هي شخصية غبرت عليها قرون، ألف سنة .. ثم نحن لا نملك عنها إلا بعض الأخبار وبعض الأشعار .

وتفسير الشخصية بالخبر أو الخبرين والبيت أو البيتين أمرٌ عسير ولو تركنا الجبل على الغارب لكنت ولادة منحرفة وشاذة ، وهستيرية ، وسادية .. وذلك شأن لا يتبع الاطمئنان .. وحسبنا أن نرى في هذه الآراء أنها ملاحظات مثيرة ولكنها ليست حقائق قاطعة .

إن استخدام نظريات علم النفس على هذا النحو العريض يحتاج إلى تعامل طويل مع المناهج النفسية المختلفة ، وواضح أن استئثار هذه المناهج في دراسة ولادة سيكون صعباً جداً لتعذر تطبيق المنهج الاستبطاني (الذي يقوم على ملاحظة الإنسان نفسه) أو المنهج الموضوعي (الذي يقوم على أن نلاحظ نحن سلوك الآخرين) أو المناهج الأخرى التي تتكامل منها .

وأياً كانت تعدد الدوافع التي أدت إلى إصدار هذا الكتاب وتنوعها فمن المؤكد أن الأستاذ الهلالي شارك بجد واضح في هذا المهرجان على هذين النحويين : ما يتصل بابن زيدون أو بولادة نفسها (من هي ولادة ص ٣٠ وما بعدها ، ثم أثرها في شعره وحياته الاجتماعية وسلوكه) ثم ، ما يتصل بتطور الدراسات الأدبية المعاصرة في موضوع معين من نحو آخر . ولعل مثل هذا البحث ينهض مثلاً واضحاً على هذا التطور ، حين يبدأ

باحث موضوعاً ينتقّب فيه ليقع على بعض الآراء ثم تُتناقل هذه الآراء بالمناقشة والتعميق والتنمية عقداً بعد عقد ، وباحثاً بعد باحث .

والأستاذ الهلالي في بعض أبحاثه ومقالاته الأدبية أحد البارزين في جماعة أدبية توشك أن تكون في بعض خصائصها مدرسة متميزة .. تُعنى بأن تربط دائماً في حديثها عن الفكرة أو الظاهرة ، بتسجيل بعض الأسماء التي تصاحب هذه الفكرة أو التي تشهد لها .. هذه المدرسة التي نجد أسماء لامعة من أمثالها في بريد مجلة الأديب بوجه خاص والتي تعتمد الرسائل الإخوانية بعضاً من قوالها فيما يساورها من فكر أو تعليقات .. وإنه لمُعتمد ومُعَوَّلٌ ، يازج بين الذات والموضوع أو بين الذوات والموضوعات على نحو مثير ، ويمتدح ما تكتبه روحاً من روح الملائق والصدقات .

فهل يفسر هذا ما نجده في هذا البحث من أسماء معاصرة ؟

بقي أن أشير إلى بعض الملاحظات الخفيفة : فقد ورد اسم الكتاب مرتين (ص ٢٨ و ص ٣٠) على أنه « ولادة وابن زيدون » ، مخالفاً لما على صفحة الغلاف . وعنوان الغلاف ألصق بالموضوع ، وأوضح دلالة عليه .

وورد في هامش ص ١٠ ، في صدر التعليق على كلمة « ازدياد » ، التي جاءت في رسالة الأستاذ الوزير باحيني على أنه مصطلح مغربي ، وهو في الواقع مصطلح عربي ، ثم هو قبل ذلك مصطلح قرآني مأخوذ من قوله تعالى في الآية الكريمة ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِقَدَارٍ ^(١) ﴾ .

وورد بيت ولادة : « وأمكن عاشقي من صحن خدي » ، (ص ١٦)

وص ٣٢) وأفضل أن تكون قراءته بالتصنيف وحذف حرف العطف: أمكن .
والأستاذ الهلالي لا يشير إلى أرقام الصفحات في بعض الهوامش التي
يأخذ عنها (راجع مثلاً هوامش الصفحات ٤٠ - ٤٢ ، ٤٩ فيما أخذه عن
الدكتور شوقي ضيف أو أحمد زكي باشا أو الذخيرة أو ..) .

تمنيت لو أن الأستاذ الهلالي استغنى في هذا الكتاب عن بعض
ما كان يمكن أن يستغنى عنه ، وبخاصة ما كان من تسجيله لحديث له
صحفي في آخر الكتاب .. ذلك لأنه لا يتضمن جديداً لم يسبق أن
أشار إليه .

ومهما يكن من أمر ، فسيظل عنصر الإثارة الفكرية ومحاولة تعميق
البحث عن هذه الشخصية الأدبية بعض ما يدفع إلى شكر المؤلف وتقديره
على عمله في هذا الجزء اللطيف .

دمشق

شكري فيصل

شعر مروان بن أبي حفصة

جمعه وحققه الدكتور حسين عطوان

دار المعارف ١٩٧٣ - ١٨٤ صفحة

الأستاذ محمد يحيى زين الدين

حفلت كتب التراجم والتاريخ بذكر العديد من أشعار مروان ابن أبي حفصة ، أما الكتب الأخرى فلم ترو إلا بعض الأبيات البسيرة منها ، ولم يتبق من قصائده المطولة سوى اثنتين ذكرهما ابن المعتز في كتابه طبقات الشعراء .

وقد عمد الدكتور حسين عطوان إلى جمع تلك الأشعار معتمداً على مصادر متعددة ، ولكنه غفل عن بعض الكتب المطبوعة مثل نثر النظم ، وغور الخصاص ، وتاريخ الموصل . كما لم يتيسر له الاطلاع على بعض المخطوطات مثل عيون التواريخ ، والوافي بالوفيات . وثمة ملاحظات على صنيعه أذكرها فيما يلي :

ص/٢٠ :

بنو شريك هم القوم الذين لهم في كل يوم رهان بحر ز القصب
وفي الحاشية : « رفع القصب وحقه في قياس النحو أن ينصب » .
وهذا خطأ يثن ، والصواب : « في كل يوم رهان بحر ز القصب » ،
بالبناء للمجهول ، والأبيات الثلاثة الأولى من هذه المقطعة هي من قطعة

أخرى في مدح المهدي ، وليس كما ذكر المحقق . انظر عيون التواريخ
المجلد السادس حوادث د ١٦٤ ، والمقطعة الثانية من هذا المقال في
الصفحة التالية .

ص/٣٦

تذكرنا أبصارها مقلّ الما وأعناقها أدمّ الظباء العواقد
والصواب : تذكرنا أبصارها مقلّ الما ، تمثيلاً مع سياق الشطر الثاني

ص/٨٩

ثلاثُ بأمثالِ الجبالِ حُبّاهمُ وأحلامهم منها لدى الوزنِ أثقلُ
والصواب : ثلاثُ بأمثال . . . وثلاث : تقرن به الأمور وتُعقد .

ص/٩١

قاسيتُ شدةَ أيتامي فما ظفرت يداي منها بصابٍ ولا عسلٍ
والشطر الثاني مضطرب الوزن ، وصوابه كما في الإبانة عن سرقات
المتنبى : ١٥٤ د لا ولا عسل .

- ٢ -

كما غفل المحقق عن ذكر بعض أشعار مروان بن أبي حفصة ،
وهي في مجموعها ٢٨ مقطعة ، عدد أبياتها ٩١ بيتاً ، وبعض هذه الأبيات تنتم
لمقطعات الديوان ، وقد ألحقت بهذه الزيادات تخريجاً لها ، وهو تخريج
مقتضب ، بيّنت فيه المصادر التي نقلت منها هذه المقطعات ، دون أن
أبيّن عدد الأبيات أو نسبتها في كل مصدر منها :

١ - أفتى البكاء على الإمام محمدٍ ماءَ العيونِ فأسعدت بدمائها (١)
إنّ القبورَ قديماتها وحديثها بصدك فاضلة على أصدائها

(١) تاريخ الموصل ٢٥٥ ، وانظر ق ١

ما حفرة أنسى وأكرم ساكنها
إلا التي أمسى النبي محمد
٣- ما يلع البرق إلا حن مغرب
أهلاً بطيف لأم السيمط أرقنا
ودمي على ما عهدتم في تجدد
ما أنس لا أنس غيثاً طلاً وابله
شمتنا فما أخطأتنا من مخايله
صدقت يا خير مأمول ومعتدل
أعطيت سبعين ألفاً غير متبعها
قد لاح للناس بالمهدي نور هدى
خليفة طاهر الأتواب معتم
٣- له سحاب جود في أناميله
يقول في العسر إن أسرت ثانية
حتى إذا عُدن أيام اليسار له
كالشمس نوراً ولكن ماله لب
٤- إذا ما حهام المرء حم يبلدة

من حفرة حدرك في أرجائها
فيها فإن لتلك فضل سنائها
كأنه من دواعي شوقه وصيب^(١)
ونحن لا صدد عنها ولا كتب
لا القلب عنكم بطول النأي ينقلب
علي من راحة المهدي ينكب
سحابة صوبها الأوراق والذهب
ظني بأضعاف ما قد كنت احتسب
مشأ ولست بمنان بما نهب
يضيء والصبح في الظلماء محتجب
بالحق ليس له في غيره أرب
أمطارها الفضة البيضاء والذهب^(٢)
أقصر عن بعض ما أعطي وما أهب
رأيت أمواله في الناس تتهب
كالنير جوداً ولكن وبلك ذهب
دعته إليها حاجة وتطرب^(٣)

(١) هيون التواريخ المجلد السادس حوادث « ١٦٤ » وانظر ق ٤

(٢) غرر الخصائص ١٧٣ ، والبداية والنهاية ٩ / ٣٣٤ ، وشر النظم
١٧ ، والمنتخب من ربيع الأبرار ١٠٤ ، ١١٨ ، والبيت الرابع في ديوان
البسقي ١٤ ضمن مقطعة في خمسة أبيات .

(٣) محاضرات الأدباء ٤ / ٤٩١ ، ٦١٤ ، وانظر ق ٢ .

٥ - يا من على الجود صاغ الله راحتك
عمت عطايك من في الأرض قاطبة
٦ - كفى لك فضلاً أن أفضل حرة
لقد زنت بحبي في المشاهد كلها
٧ - زار ابن زائدة المقابر بعدما
إن القبائل من تزار أصبحت
وددت ربيعة أنها قُسمت له
فلأبكين قتي ربيعة ما دجا
لا زال قبر أبي الوليد تجوده
قبر يضم مع الشجاعة والندی
إن الرزية من ربيعة هالك
رحب الشراذق والضياء جينه
لهفاً عليك إذا الطعان بمارق
حتى الأعتة يوم مات مشيع
يسى ويصبح معلماً تذكى به
مها يمر فليس يرجو نقضه
فليس يعرف غير البذل والجود (١)
فانت والجود منحوتان من عود
غذتك بشدي والخليفة واحد (٢)
كما زان بحبي خالداً في المشاهد
ألفت إليه عرى الأمور تزار (٣)
وقلوبها أسفاً عليك حرار
منها فعاش بشطرها الأعمار
ليل بظلمته ولاح نهار
بعيادها وبريلها الأمطار
حلباً بخالطه قدسى ووقار
ترك العيون دموعهن غزار
كالبد شق ضياء الإسفار
ترك القنا وطوالهن قصار
بطل اللقاء مجرب مغوار
نار بمترك وتخذ نار
أحد وليس لتقضه إمرار

(١) ثمر النظم ١٨ ، وما في المحاسن والمساوىء ٣٤٩ ، والمحاسن والأضداد ١٠ لأبي وجزة السلي .

(٢) وفيات الأعيان ٤ / ٢٧ ، والبداية والنهاية ١٠ / ٢١٠

(٣) العقد الفريد ٣ / ٢٢٠ ، والبيت الأخير منها في طبقات الشعراء ٢٢٠ لبكر بن النطاح .

- لو كان خلتك أو أمامك هائباً
٨- لو مس بالكف عوداً يابساً نحرأ
ترأك لا والقي وارجع وسوف وعد
لكن يقول نعم وابشر وهالك وخذ
لو أن كتاب خلق الله كلهم
أن يحسبوا أو يخطوا عشر ما وهبت
٩- ولو لم يقم موسى عليها لرجعت
١٠- يتبعن جاهلة الزمام كأنها
١١- يقول أناس إن مرو بعيدة
وأبعد من مرو رجالاً أراهم
عن الخير موتى لا تبالي أزرقتهم
١٢- إن مات معن بني شريك لم يزل
١٣- بكى الشام معن يوم خلى مكانه
أحداً سواك لها بك المقدار
لا هتز أخضر حتى يطلع الثمر (١)
ما قال هذا وما فيه له وطر
هذا أقر له في فضله البشر
نعم وحسابهم جاؤوك فابتدروا
كفأك يوماً من الأيام ما قدرُوا
حينئذ كما حن الصفايا العشار (٢)
إحدى القناطر وهي حرف ضمير (٣)
وما بعدت مرو وفيها ابن طاهر (٤)
بحضرتنا معروفهم غير حاضر
على طمع أم زرت أهل المقابر
لندى إلى بلد بغير مسافر (٥)
فكادت له أرض المراقين ترجف (٦)

(١) نثر النظم ١٨

(٢) تاريخ الخلفاء ١١٠ ، وانظر ق ٢٩

(٣) التشبيهات لابن أبي عون ٦٨

(٤) البصائر والذخائر ١ / ٩١ ، وعيون التواريخ المجلد السابع حوادث
« ٢٣٠ » ، والبيت الثالث في محاضرات الأدباء ٢ / ٩٦ هـ لأن هنان .

(٥) مطلع الذوائد ٨٤

(٦) العقد الفريد ٣ / ٢٢٠ - ٢٢١

ثوى القائد الميمون والذائد الذي
أتى الموت معاً وهو للعرض صائن
وما مات حتى قلده أمورها
وحش فشا في كل شرق ومغرب
وكم من يد عندي لمن كريمة
بكنه الجياد الأعوجية إذ ثوى
وقد غنت ربيع الصبا في حياته
١٤ - يا خيزران هناك ثم هناك
١٥ - كل فتاة قصيرة سميت
١٦ - لك الفضل يا فضل بن يحيى بن خالد
رأى الله فضلاً منك في الناس شائماً
وزادك فضلاً أن أهلك في الوري
ولم يبق فيك الجود للبخل موضعاً
إذا كذبت أسماء قوم عليهم
١٧ - عقيدت لموسى بالرفافة بيعة
موسى الذي عرفت قريش فضله

به كان يرمى الجانب المتخوف
وللمجد مبتاع وللمال متلف
ربيعة والحيان قيس وخندف
أباد له بالضر والنفع تعرف
سأشكرها ما دامت العين تطرف
وحن مع التبع الوشيع المثقف
قبولاً فأمت وهي نكباء حرجف
أمسى يسوس العالمين ابنك (١)
مُسودة لا ألد تيسكاها (٢)
وما كل من يدعى بفضل له الفضل (٣)
فسمك فضلاً فالتقى الاسم والفعل
كرام إذا أزدى بذى الشرف الكهل
فأصبح يستعدي على جودك البخل
فاسمك صديق له شاهد عدل
شد الإله بها عرا الإسلام (٤)
ولها فضيلتها على الأقوام

(١) تاريخ الطبري ٨ / ٢٣٣ ، وتاريخ الخلفاء ١١١ ، وهو في تاريخ الموصل ٢٥٧ لأن المعاق .

(٢) التشبيهات لابن أبي عون ٢٩٦

(٣) البداية والنهاية ١٠ / ٢١١ ، وغرر الخصاص ١٧١ . وانظر ق ٥٣

(٤) تاريخ الخلفاء ١٠٧

- بمحمدٍ بعد النبي محمدٍ
مهديٍّ أمته الذي أمت به
موسى ولي عهد الخلافة بعده
١٨ - يكادُ يخرجُ من دياجٍ أوجههم
١٩ - ومنهلٍ آجنٍ للعنكبوت به
٢٠ - إني إلى كلِّ أرضٍ أنتَ ساكنها
فلقدتني منك حبلاً فاعتصمتُ به
تضيئُ أعطانُ قومٍ إن همَّ سئلوا
لو لم تكن للندى جاراً فتطلقه
٢١ - أبا جعفرٍ صلّى عليك إلهنا
بكى الثقلانِ الإنسُ والجنُّ إذ ثوى
٢٢ - وأكرمُ قبرٍ بعدَ قبرٍ محمدٍ
عجبتُ لأيدٍ هالتِ التربةُ فوقه
٢٣ - إني أقولُ قصائداً جواله
من كلِّ قافيةٍ إذا جرت بها
- حيّ الحلالُ ومات كلُّ حرامٍ
لذلِّ آمنةٍ وللإعدامِ
جفتُ بذاكِ مواقعُ الأقلامِ
خوفُ المذلةِ حتى ينفطرونَ دماً (١)
نسجٌ يرى فوق طامي مائه الدمن (٢)
صبٌّ وإن كنت عنها نازح الوطن (٣)
أسبابه غيرُ رثاتٍ ولا وُهنٍ
وأنتَ بالخيرِ سهلٌ واسعُ العطنِ
ما انكُ والبخلُ مجموعين فيقرنِ
فرزوكَ أمسى أعظمَ الحدّانِ (٤)
ولم يكِ ميتاً قبلكَ الثقلانِ
نبيُّ الهدى قبرٌ بما سبّذانِ (٥)
ضعفسي كيفَ لم ترجعْ بغيرِ بنانِ
أبدأُ تجولُ خوالعاً أرساتها (٦)
جمحتُ فلم تملكِ يدايَ عنايتها

(١) محاضرات الأدباء ١ / ٢٨٤

(٢) شروح سقط الزند ٢ / ٨٢٠

(٣) المنازل والديار ٢١١ ، وانظر ق ٦٩

(٤) البدء والتاريخ ٦ / ٩٢ ، وتاريخ الموصل ٢٣٠

(٥) وفيات الأعيان ٢ / ٢١٠ ، ٥ / ٣٤١ ، والبدء والتاريخ ٦ / ٩٩

(٦) الأشباه والنظائر ٢ / ٢٦٦ ، وانظر ق ٧١

سارت بيوتي في البلاد فأمعنت وبيوت غيري لم ترم أوطانها
٢٤ - يُقيم الرجال الموسرون بأرضهم وتومي النوى بالمقتيرين المراميا (١)
وما فارقوا أوطانهم عن ملالة ولكن حذاراً من شحات الأعدايا

٢٥ - أقبل ينقض انتقاض الكوكب (٢)

كانت بازي هوى من مرقب
يطلب صيداً في فضاء سبب
لجائع في وكره مزغب
٢٦ - إن تجسوني فالكريم نجيب (٣)

إني لسامي الناظرين أشوس
مصائب حتى تجيش الأنفس
لا ساقط عالج ولا مدش
عرضي نقبي وأديبي أملس
٢٧ - إن أمير المؤمنين المصطفى (٤)
قد ترك الصفاف قاعاً صففا
٢٨ - هذا لعمرى مجلس دني (٥)

(١) فرر الخصائص ٢١١

(٢) محاضرات الأدباء ٤ / ٣٥٥

(٣) البصائر والذخائر ٢ / ٤٥٣

(٤) تاريخ الطبري ٨ / ٢٦٨ ، وتاريخ الموصل ٢٩٠ ، وعيون
التواريخ المجلد السادس حوادث ١٨١

(٥) نور القبس ٢٩٥

ثلاثة كلهم دعي

- ٣ -

كما اختلفت بعض المصادر في نسبة العديد من المقطعات إلى مروان بن أبي حفصة . وقد وثق الدكتور حسين عطوان إلى أن يميز عدداً كبيراً منها ، ولكنه غفل عن طائفة أخرى متنازع فيها فجعلها ضمن الصحيح من أشعاره ، وفيما يلي بيان ذلك :

١ - ق/٥ : ٢١

موفّقٌ لسبيلِ الرّشدِ متبيحٌ يزينهُ كلُّ ما يأتني ويحتجبُ
تسمو العيونُ إليه كلّما انفرجت للناسِ عن وجههِ الأبوابُ والحجبُ
له خلّاتُ بيضٌ لا يغيّرُهما صرّفُ الزمانِ كما لا يصدأ الذهبُ
ذكرها الباخري في دمية القصر ٢٩٨ ، ونسبها إلى أبي فارس
حسين الأدب ، وفيه : « ولم يلبثني له شعر غير هذه الأبيات ،
والأبيات الثلاثة في غرر الحصاص ١٠ غير منسوبة .

٢ - ق/٦ : ٢٢

يا أكرمَ الناسِ من عُربٍ ومن عجمٍ بعدَ الخليفةِ يا ضرغامَ العربِ
أقنيتَ مالكَ تُعطيه وتُشبهه يا آفةَ الفضةِ البيضاءِ والذهبِ
إنّ السّتانَ وحدُ السيفِ لو نطقا لأخبرا عنكَ في الهيجاءِ بالعجبِ
والبيتان ٢ ، ٣ في غرر الحصاص ١٨٤ غير منسوبين ، وفيه :
« وحكى أبو بكر المارداني قال كنت أسير أبا الجيش خمارويه بن أحمد
ابن طولون ، وكان قد خرج إلى الصيد بدمشق إذ تلقاه أعرابي فأخذ
بعضات فرسه وقال : وهما في جمع الجواهر ٣١٦ غير
منسوبين أيضاً .

أما المرزباني فقد ذكر البيت الثالث في معجم الشعراء ٣٩٨ ضمن مقطعة في أربعة أبيات ونسبها إلى مروان بن صرمد بمدح بها يزيد بن يزيد الشيباني ، ولكن الحصري ذكر في جمع الجواهر ٣١٦ أبيات مروان ابن صرمد دون أن يروي البيت الثالث فيها .

وإذا صحت رواية غور الخصائص فالأبيات ليست لمروان بن أبي حفصة لأن وفاة خمارويه بن أحمد كانت في سنة ٢٨٢ .

٣ - ق/٢٢ : ٤١

لله درك يا عقيلة جعفر
ماذا ولدت من الملائك السود
إن الخلافة قد تبين نورها
لناظرين على جبين محمد

أثبتها المحقق عن العقد الفريد ٢١٨/١ ، ولكنها لم يُنسب فيها إلى مروان بن أبي حفصة ، وإنما تُنسب إلى أبي الجنوب : « قال أبو الجنوب مروان بن أبي حفصة » . وأبو الجنوب هو عبد الله بن مروان بن أبي حفصة ، وعليه فإن صحة العبارة : « قال أبو الجنوب بن مروان بن أبي حفصة » . ويؤيد ذلك ما جاء في كتاب الورقة ٤٥ :

« قال أبو هفشان : وذكر ابن إدريس بن سليمان . . . أنت هذه الأبيات لجلبة بن يحيى بعض آل أبي حفصة . قال : والحق عندنا أنها لعبد الله لأن ذلك لم يكن يحسن هذا الكلام » .

ويزاد فيها :

إني لأعلم إنّه خليفة
إن بيعة عقدت وإن لم تُعقد

وانظر كذلك ديوان مروان بن أبي حفصة ص ٧ : ٤

٤ - ق/٣٠ : ٤٩

لو كنت أشبهت بحبي في مناكحِهِ لما تنقّيت فعلاً جدّه من مطرٍ
لله درّه جسادٍ كنت سائسها ضيّعتها وبها التحجيل والغرورُ
نبئت خولة قالت يوم أنكحتها قد طال ما كنت منك العار أتظرو

أثبتها المحقق عن الأغاني ٤٤/٩ ، والصواب أن الأبيات للقلاخ في
هجاء مقاتل بن طلّبة . وهي في طبقات الشعراء ٤٤ ، والشعر والشعراء
٧٣٩/٢ ، والكامل ٢٧٢/١ ، وعيون الأخبار ١٦/٤ ، وفي طبقات الشعراء :
« ويقال إن أبا حفصة كان يهودياً فأسلم على يد عثان ، فأثرى
وكثر ماله وتولى الحزن لبني أمية ، وتزوج خولة بنت مقاتل بن طلّبة ...
فقال في ذلك القلاخ الشاعر يهجو مقاتل بن طلّبة ... » .

وفي الشعر والشعراء ، والكامل ، وعيون الأخبار أن يحيى بن أبي
حفصة هو الذي تزوج خولة بنت مقاتل . وللقلاخ ترجمة مقتضبة في الشعر
والشعراء ٧٠٧/٢ ، والمؤتلف والمختلف ٢٥٣ ، والتكملة ١٦٩/٢ مادة
(قلخ) . ويزاد ضمن أبيات المقطعة :

أنكحت عبد بن زرجو فضل مالها في فيك نمارجوت الشرب والحجر

٥ - ق/٣١ : ٥٠

أظن يا إدريس أنك مفليت كيد الخليفة أو يقيك فرار
فليأتيتك أو تحل ببلدة لا يهتدي فيها إليك نهار
إن السيوف إذا اتضاها سخطه طالت وتقهـر دونها الأعمار
ملكك كأي الموت يتبع أوره حتى ينجبال تطعمه الإقدار

الأبيات الثلاثة الأولى لأشجع السلمي في شرح المقامات ٢٩٣/١ ،
 وزهر الآداب ١٦٦/٤ ، والبيتان ١ ، ٢ في الأشباه والنظائر ٢٤٢/٢
 لبعض بني أبي حفصة ، والأبيات الأربعة في تاريخ الطبري ١٩٩/٨ ،
 وفيه : « فقال في ذلك بعض الشعراء أظنه الهنازي ... » ، والبيت الأخير
 منها في أشعار أبي الشيبان الخزاعي ٦١ ، ومحاضرات الأدباء ١٦١/١ ،
 وفي مقاتل الطالبين ٤٩٠ : « وقال رجل من أولياء بني العباس يذكر
 قتل إدريس بن عبد الله ... قال ابن عمار : وهذا الشعر عندي يشبه شعر
 أشجع بن عمرو السلمي وأظنه له . قال أبو الفرج الأصفهاني : وهذا الشعر
 لمروان بن أبي حفصة أنشدنيه علي بن سليمان الأخفش له . »

٦ - ق/٤١ : ٦٢

بكت عتاتٌ مسبلٌ دمعها كالدرِّ إذ يستنُّ من خيطه .

والبيت متنازع فهو لأبي نواس في محاضرات الأدباء ٧٧/٣ ، وبدائع
 البداهة ٨٤/١ ، وديوانه ٨٠/١ ، ولبكر بن حماد الباهلي في العقد الفريد
 ٥٤/٧ . كما نسبته عدة مراجع أخرى إلى مروان بن أبي حفصة ومنها :
 نهاية الأرب ٧٦/٥ ، ونساء الخلفاء ٤٨ ، وكتاب الورقة ٤١ ،
 وعيون التواريخ المجلد السابع حوادث ٢٣٠ ، ، وانظر كذلك المحاسن
 والأضداد ١١١ ، وفي أغلب هذه الكتب أن عتاتاً قالت :

فليت من يضربها ظالماً تجف بمناء على سوطه .

٧ - ق/٧٦ : ١١٨

لعمري لنعم الغيث غيثٌ أصابنا ينداد من أرض الجزيرة وابله
 فكنتا كحبي صبح الغيث أهله ولم توحمِلْ أظمانه ورواحله

البيتان في محاضرات الأدباء ٥٨٣/٤ وفيه :
 « أنشد مروان بن أبي حفصة قول الشاعر :
 إذا جئت أعطاني وإن أنا لم أجيء أتاني من جدواه ما كنت أرتجي
 فقال مروان : قد قلت أحسن من هذا ، بعث إلي عبد الله بن
 طاهر عشرين ألفاً فقلت فيه ... ،
 ومما لمروان أيضاً في ديوان المعاني ٦٥/١ ، ومعها بيت آخر هو :
 ونعم الفتي والسد بني وبينه عشرين ألفاً صبحتني رسائله
 ونسباً في كتاب الورقة ٤٥ إلى عبد الله بن مروان بن أبي
 حفصة ، ولذلك جعلها المحقق ضمن الشعر المختلط ، والصواب أن البيتين
 لمروان . ويزاد فيها من كتاب الورقة :
 أتى جود عبد الله حتى كفت به رواحلتنا سير الفلاة رواحله »

- ٤ -

وقد رأيت أن أضيف بعض التخريجات لقصائد الديوان ومقطعاته
 دون تبين عدد الأبيات أو نسبتها في كل مصدر .

ق/٨ : خزانة الأدب ٢١٠

ق/١٢ : شرح المقامات الحيرية ٣٧/١

ق/١٤ : الأشباه والنظائر ٢٢٠/١

ق/٢٤ : المقد الفريد ٢٩٦/٢

ق/٢٩ : تاريخ الخلفاء ١١٠

ق/٣٤ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث ١٧٠ ، والأشباه

والنظائر ١٥٩/١

- ق/٣٥ : الشعر والشعراء ٤٦٧/١ ، ومحاضرات الأدباء ٢٥٥/١ ،
ونور القبس ١٨٥ ، وشرح سقط الزند ١٥٧٤/٤
- ق/٣٧ : اللسان والتاج د زمل ، ، والإبانة عن مرقاة المتنبى :
٢٥٥ ، والمصون في الأدب ١١ ، ومقدمة الأعلام على شرح الدواوين الستة .
- ق/٣٩ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث د ١٦٥ ، ، وتاريخ
الموصل ٢٤٦ ، والبده والتاريخ ٩٦/٦ ، والبداية والنهاية ١٤٧/١٠
- ق/٤٠ : التنبية والإشراف ١٩٠ ، والبداية والنهاية ٢٠١/١٠
- ق/٤٢ : ثمرات الأوراق ١٩٢
- ق/٤٩ : محاضرات الأدباء ٣١٦/٣
- ق/٥٠ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث د ١٥١ ، ، والوافي
بالوفيات المجلد الثالث ، ومحاضرات الأدباء ٥٢٥/٤ ، ونور القبس ١٣٨
- ق/٥١ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث د ١٥١ ، ، والوافي
بالوفيات المجلد الثالث .
- ق/٥٢ : البداية والنهاية ١٥٩/١٠
- ق/٥٣ : تاريخ الموصل ٢٨١ ، وكتاب الورقة ٩٣
- ق/٥٥ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث د ١٨٢ ، ، والوافي
بالوفيات المجلد الثالث ، وغرر الخصاص ١٥ ، ١٨ ، والمستطرف ١/
- ١٤٨ ، ونهاية الأرب ١٤٧/٧ ، والأشياء والنظائر ٢١/١ ، ولباب الآداب
٣٦٥ ، ومحاضرات الأدباء ٢٦٦/١ ، وخزانة الأدب ٤٣٤
- ق/٥٨ : تاريخ الموصل ٢٨١
- ق/٦٠ : محاضرات الأدباء ٥٤٩/٢
- ق/٦١ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث د ١٨٢ ، ، والوافي
- ٢ (١٢)

بالوفيات المجلد الثالث ، ووفيات الأعيان ٣/٣٥٧ ، وحلبة الكميت ١٨٨ ،
ونور القبس : ١٣٩

ق/٦٤ : الرسالة الموضحة ١٥

ق/٦٥ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث د ١٧٦ ، ، والبداية
والنهاية ١٠/١٦٧

ق/٦٦ : عيون التواريخ المجلد السابع حوادث د ٢٢٠ ، ، وتاريخ
الموصل ٢٧٨

ق/٦٨ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث د ١٨٢ ، ، والوافي
بالوفيات المجلد الثالث ، وثمرات الأوراق ٢٠٦ ، والمستطرف ١/٦٤

ق/٦٩ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث د ١٨٢ ،

ق/٧٣ : طبقات الشعراء ٦٢ ، والرسالة الموضحة ١٤٢

ق/٧٥ : البداية والنهاية ١٠/٢٧٦ ، وكتاب بغداد ٣١٣ ، والكامل

في التاريخ ٥/٢٣٠ ، ومحاضرات الأدباء ٤/٤٠٥ ، وتاريخ الخلفاء ١٢٥

الأوائل لأبي هلال العسكري

تحقيق محمد المصري ووليد قصاب

طبع وزارة الثقافة بدمشق ١٩٧٥

الأستاذ إبراهيم صالح

هذا الكتاب حققه أستاذان فاضلان بتميان إلى جيل عرف حق
عربيته وواجبه في إحياء آثار سلفه ، فعملا في تحقيق أصل قيم من أصول
تراثنا الزاهر ، ناهيك عما في نفوس العلماء والأدباء لأبي هلال العسكري
من منزلة رفيعة وتقدير عظيم .

وقد قام المحققان بهذا العمل وتكبدا مشقة تصحيحه وتخريجيه بدافع
الغيرة على هذا التراث بمد أن لم يرتضيا تحقيق الأستاذ محمد السيد الوكيل ،
وبذلا كل ما في وسعها لإخراج الكتاب في حلة القشبية هذه . وإني
لأستطيعها عذراً في أن أضيف إلى عملها بعض الاستدراكات والتخريجات
لا تمدو في مضمونها أن تكون اعترافاً بجميل صنعها ، ولعلّ فيها بعض
الفائدة . وكلنا يسعى نحو الأفضل ، والكمال لله وحده .

الاستدراكات :

١ - يضاف إلى قائمة كتب الأوائل التي صفت بعد أبي هلال ص ١٤

مايلي : ٩ - كتاب الأوائل لإسماعيل الموصلي المتوفي سنة ٦٢٩

وهو ينقل عن العسكري .

ذكره البغدادي في شرح أبيات مغني اللبيب ٢/٢٧٩ ط دمشق ونقل منه وقال : « هذا ما ذكره الموصلي تبعاً للعسكري ، ٢/٢٨٢
٢ - ص ١٢/١ : البيت : وبيعاً كعبة الرجن جمعاً ...

قلت : في ثار القلوب للثعالبي ١٠٦ ط ١٩٠٨ : حمقاً ، ولعله أصوب .
٣ - ص ٣٤/١ : نقل السيوطي نيران العرب ملخصاً عن العسكري في شرح شواهد المغني ٣٠٥ - ٣١٠ ط دمشق بتحقيق كوجان . وفيه من التصحيف ما لا يخفى .

وفي ثار القلوب للثعالبي بحث واسع تحدث فيه عن أنواع النيران بما أربى على ما عند العسكري من ص ٤٥٤ - ٤٦٩

وفي شرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي ٢/٢٧٩ بحث في نيران العرب نقله من كتاب الأوائل لإسماعيل الموصلي .

٤ - ص ٤٧/١ : البيت :

يشفون آبالهم بالنار والنار قد تشفي من الأوزار

قلت : كذا ! ولا يستقيم معنى البيت مع ما شرحه المؤلف بعد إنشاده ، وصواب روايته :

يشفون آبالهم بالنار والنار قد تشفي من الأوار

وقد نقله السيوطي ٣٠٩ و ٣١٦ بهذه الرواية وصرح بنقله عن أوائل العسكري ، وبهذه الرواية عند البغدادي ٢/٣٠٠ وهو من أبيات النحويين .

٥ - ص ٧٠/١ : البيت : وما بل بحر صوفة بنكاف

صوابه : بنطاف ، كما في الشرح بعده . وهذا لاشك خطأ مطبعي .

٦ - ص ٧٦/١ : س ١٩ ؛ فقال له أبو الحارث حمير . كذا

وصوابه جين أو جيز . راجع غنون الأخبار ٢٥٥/٣ والحاوية .

٧ - ص ١٤٤/١ : البيت :

هوت بي إلى حيا نظرة هوي الفراشة للجاحم

قلت : في ثمار القلوب ٣٩٩ : في الجاحم ، ولعله أصوب .

٨ - ص ١٥٠/١ : س ٤ : في أكناف . صوابه : في أكنافهم .

وهو خطأ مطبعي .

٩ - ص ١٩٥/١ : س ٤ : إلا كذاب فقير . صوابه : إلا

كذاب مفتر . التصويب عن الطبري ٣١٠/٢ :

١٠ - ص ٢٤٨/١ : ص ١٦ : فاني لهم وفر . صوابه : فأتى لهم وفر ولنا

ذوي وفر ؟

١١ - ص ٣٢١/١ : س ٢١ الحاوية : وجعل قاعدة ملكه الشام .

خطأ ، صوابه : المدينة المنورة .

١٢ - ص ٣٢٧/١ : س ١٢ : فاتبعه خالد بن خلي الكلابي

فقتله . قلت : في الطبري ٥٣٩/٥ أن قاتل النعمان بن بشير هو عمرو بن

الخلي الكلابي .

١٣ - ص ٣٦٠/١ : س ٢ : بعد أبيه . صوابه : بعد ابنه .

وراجع ص ١٤٢/١ ج ٤

* * *

امتنان المحققين بالتخريج شجعتني أن أضيف إلى عملها هذه التخريجات

ولعلها لا تخلو من فائدة :

١ - ص ١١/١ : يضاف إلى الحاوية ٤ : وثمار القلوب ١٠٦ ،

وشروح سقط الزند ١٩٤٢/٥ - ١٩٤٣

- ٢ - ض ٢٥/١ : يضاف إلى الحاشية ٣ : وثمار القلوب ٢٦٩ حيث فيه الكلام بكامله . والمعمرين ٦١
- ٣ - ص ٢٧/١ : يضاف إلى الحاشية ٢ : وثمار القلوب ٢٨٥
- ٤ - ص ٣٥/١ : يضاف إلى الحاشية ٤ : ورسالة النيروز لابن فارس ضمن نوادر المخطوطات ١٩/٢ ، وديوانه ٣٦ (بشير يموت) .
- يضاف إلى الحاشية ٦ : ورسالة النيروز ١٩/٢ للورل الطائي ، وثمار القلوب ٤٦١ والسيوطي ٣٠٦ وفيها للودك الطائي .
- يضاف إلى الحاشية ٩ : وثمار القلوب ٤٦١ والسيوطي ٣٠٥ والبغدادى ٢٧٩/٢
- ٥ - ص ٣٧/١ : يضاف إلى الحاشية ١ : وثمار القلوب ٤٥٩ ، وإلى الحاشية ٣ : وثمار القلوب ٤٥٩ (نار المسافر) .
- ٦ - ص ٣٨ : يضاف إلى الحاشية ٣ : وثمار القلوب ٤٦١ (نار الإنذار) .
- يضاف إلى الحاشية ٦ : وثمار القلوب ٤٥٦ والمعارف ٦٢ والسيوطي ٣١٠ والبغدادى ٢٨٠/٢
- ٧ - ص ٤٠ : يضاف إلى الحاشية ٣ : البغدادى ٢٨١/٢ . وثار الصيد في ثمار القلوب ٤٦٢
- ٨ - ص ٤١ : يضاف إلى الحاشية ٢ : وثار الأسد في ثمار القلوب ٤٦٠ تحت عنوان : نار التهويل .
- ٩ - ص ٤٢ يضاف إلى الحاشية ٤ : وثمار القلوب ٤٦٢ - ٤٦٣ وشروح سقط الزند ٥٠٦/٢ - ٥٠٧
- يضاف إلى الحاشية ٧ : وثمار القلوب ٤٦٣ برواية أخرى .

١٠ - ص ٤٣ : وثار القري في ثمار القلوب ٤٥٧ والسيوطي والبغدادي .

١١ - ص ٤٥ : وثار الحرب في ثمار القلوب ٤٥٨ والسيوطي والبغدادي .

١٢ - ص ٤٥ : يضاف إلى الحاشية ١١ : وكتاب العصا لأسامة ابن منقذ ضمن نوادر المخطوطات ٢٠٢/١ ، ولم يجد محققه الأستاذ عبد السلام هارون البيت في ديوان أبي طالب المخطوط بخط الشنقيطي .

١٣ - ص ٦٠ : يضاف إلى الحاشية ١ : وقطب السرور ١٨٧ وإلى الحاشية ٣ : وقطب السرور ١١٨ ١١٩ وأخبار الأذكباء لابن الجوزي ٤٠ (خولي) .

١٤ - ص ٦١ : الخبر في قطب السرور ١٥٨ - ١٥٩

١٥ - ص ٧١ : يضاف إلى الحاشية ١ : وثار القلوب ١١٠

١٦ - ص ٨١ : يضاف إلى الحاشية ٦ : وثار القلوب ٥١٥ مع آخر قبله ، وديوانه ١٩ (بشير يموت) .

١٧ - ص ٨٤ : خبر قس بن ساعدة ، نقله عن أبي هلال أسامة ابن منقذ في كتاب العصا . نوادر المخطوطات ١٨٥/١

يضاف إلى الحاشية ٢ : وثار القلوب ٩٥

١٨ - ص ٨٥ : يضاف إلى الحاشية ٢ : وثار القلوب ٩٥ ومعجم الشعراء ٢٢٢ والعصا ١٨٦/١ وإعجاز القرآن للباقلاني ١٥٢ .

١٩ - ص ٨٩ يضاف إلى الحاشية ٦ : والمعمرين ٥٧ ، وفيه اسم الجارية : خصيلة .

٢٠ - ص ٩٠ : يضاف إلى الحاشية ٣ : والمعمرين ٦٤

٢١ - ص ٩٤ : الخبر في رسائل الجاحظ ١٣٢/٢ - ١٣٣ بتحقيق عبد السلام هارون .

٢٢ . ص ١٠١ : يضاف إلى الحاشية ٥ : والمفضليات ٢٦٧ ومعجم الشعراء ٤٣٢ - ٤٣٣ والتنبيه والاشراف (مصورة الأوربية) ١٨٧ ، وثمار القلوب ١٤٣ ، والأول في عيون الأخبار ٢٧٤/١

يضاف إلى الحاشية ٦ : وديوان الهذليين ١١٦/٢ والأغاني ٢٢٢/٢١ (ط . هيئة) ، والأخير في ثمار القلوب ١٤٣

٢٣ - ص ١٠٢ : قصة الزمراء وجذبة الأبرش في : أسماء المغتالين لابن حبيب ضمن نواذر المخطوطات ١١٢/٢ - ١١٥

٢٤ - ص ١١٤ : المثل : شب عمرو عن الطوق . في ثمار القلوب ٥٠٥ والتنبيه والاشراف ١٨٧ ونسب قريش ١٠٠ والفاخر ٧٣ والمعارف ٦١٨ ، وغيرها كثير .

٢٥ - ص ١١٥ : عن أولية الصكتابة العرية تراجع التنبيه على حدوث التصحيف لحزمة الأصفهاني ١٩ - ٢٠ (ط . الجمع) .

٢٦ - ص ١١٧ : يضاف إلى الحاشية ٣ : والأغاني ٣١٣/١٧ - ٣١٤ (ط . هيئة) .

٢٧ - ص ١٢٧ : يضاف إلى الحاشية ٢ : وكنى الشعراء لابن حبيب ضمن نواذر المخطوطات ٢٨٨/٢

٢٨ - ص ١٤٠ : الخبر في إحكام صنعة الكلام للكلاعي ٥٥ (ط . دار الثقافة) .

٢٩ - ص ٢٢٨ س ١١ : وذكروا أن عروة بن الزبير ... الخبر

في ثمار القلوب : ٢٤ (عجائز الجنة) نقلًا عن الزبير بن بكار . ولم أقف عليه في الجزء المطبوع من جمهرة نسب قريش للزبير .

٣٠ - ص ٢٣٦ : يضاف إلى الحاشية ٤ : وقطب السرور (مرتين)

١٨٨ و ٥٠١

٣١ - ص ٢٦٤ : س ٣ : وذكر لبعض الخلفاء . قلت : هو المتوكل

والخبر في أخبار الأذكياء لابن الجوزي ١٤٧ وأخبار الظراف ٨٦

٣٢ - ص ٢٦٦ : يراجع في أسباب التهمة على عثمان رضي الله عنه

والرد عليها كتاب العواصم من القواصم لابن العربي ٥٣ - ١٠٩ ط التمدن الإسلامي بدمشق .

٣٣ - ص ٢٧٠ : س ١٤ : البيت في زجر النابح للمعري ٧٣ بلا عزو

برواية : كليه وجويه جعار وأبشري ...

٣٤ - ص ٣٠٠ : يضاف إلى الحاشية ٣ : وطبقات فحول الشعراء

لابن سلام ٣٠/١

٣٥ - ص ٣٢٤ : يضاف إلى الحاشية ٤ : وثمار القلوب ٩٩ ومشرح

مقط الزند ٥٣٣/٢ وما بعد . ويصحح في الحاشية نفسها : طاح وقمة .

٣٦ - ص ٣٨٦ : أبيات الرشيد ماعدا الأخير في كتاب الورقة

لابن الجراح ١٩ يقولها في ماردة بنت شيب أم أبي إسحاق .

٣٧ - ص ٥٢/٢ : يضاف إلى الحاشية ٦ : وئمة الأشعث في

ثمار القلوب ٦٩

٣٨ - ص ٥٣/٢ : يضاف إلى الحاشية ٣ : وثمار القلوب ٧٠-٧١

والكامل للبرد ٢٦٩/٣

- ٣٩ - ص ٦٣ : يضاف إلى الحاشية ٣ : والمعارف ٤٤٥ - ٤٤٦
- ٤٠ - ص ٩٦ : في قطب السرور ٦٢ قصة تشبه هذه .
- ٤١ - ص ٩٨ : يضاف إلى الحاشية ٥ : وثمار القلوب ١٤٢
- ٤٢ - ص ١١٥ : يضاف إلى الحاشية ٢ : وفي المعارف ٤٣٠
ملخصاً ، وأخبار الأذكياء ٦٦
- ٤٣ - ص ١٢٩ : يضاف إلى الحاشية ١ : وإنباه الرواة ٤/١ وما بعد ،
والمحكم في تقط المصاحف الداني ٣٠
- ٤٤ - ص ١٣٠ : يضاف إلى الحاشية ٦ : وإنباه الرواة ٥/١
والمحكم ٤ و ٦
- ٤٥ - ص ١٣١ : يضاف إلى الحاشية ٢ : وعيون الأخبار ١٦٤/٢
يضاف إلى الحاشية ٣ : وإنباه الرواة ٢٢/١ وأما القالي ١٤/٢ (بولاقي).
- ٤٦ - ص ١٣٢ : يضاف إلى الحاشية ٥ : وأخبار النحويين
البصريين ٢٠ (كونكو) .
- ٤٧ - ص ١٣٣ : يضاف إلى الحاشية ٢ : والكلام بنصه منقول
عن المعارف ٤٩٨ - ٤٩٩
- ٤٨ - ص ١٤٧ : يضاف إلى الحاشية ٣ : وثمار القلوب ٤٦٤
لأحمد بن أبي طاهر (ابن طيفور) .
- ٤٩ - ص ١٥٩ : يضاف إلى الحاشية ٤ : والمعارف ٦٣٢ والميداني
١١٤/١ ، وثمار القلوب ٢٤٠ ، والمستقصى ١٨/١ ، والاختيارين ٢٧٣ ،
والبغدادى ٤٧/٢

٥٠ - ص ١٦٠ : س ٤ : قد أتكم الشجر وأتكم حمير : صوابه :
أو أتكم حمير .

٥١ - ص ١٦١ : س ٦ : شؤم طويس : في ثمار القلوب ١١٤

٥٢ - ص ١٧٤ : يضاف إلى الحاشية ٣ : والأبيات الثلاثة في
ثمار القلوب ٢٥٢

٥٣ - ص ١٧٥ : يضاف إلى الحاشية ٥ : والأول في التنبيه
والإشراف ٢٨٦ لعطارد، والثلاثة في ثمار القلوب ٢٥٢ لقيس بن عاصم .

٥٤ - ص ١٩٢ : يضاف إلى الحاشية ٤ : والخبر في المعارف ٦٦٠

٥٥ - ص ٢٢٠ : يضاف إلى الحاشية ٤ : والأرجوزة بكاملها في
الطرائف الأدبية للسميني ٥٧ - ٧١ ومجلة المجمع العلمي العربي مج ٨ عام ١٩٢٨

آراء وأنباء

الفقيه الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار

في يوم السبت ٣٠ جمادى الأولى ١٣٩٦ هـ ، ٢٩ أيار ١٩٧٦ انتقل إلى جوار ربه الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار عضو مجمع اللغة العربية في دمشق بعد حياة مباركة مديدة قضاها في رعاية الثقافة العربية والدراسات الإسلامية في المساجد والمدارس ، والكليات والجامع .

ولد محمد بهجة بن محمد بهاء الدين البيطار في دمشق سنة ١٣١١ هـ ١٨٩٤ م من أسرة معروفة بالعلم والفضل ، وتلقى علومه الأولية في مدارسها ، حتى إذا كانت مرحلة التعليم العالي شملت رعاية لقيف من كبار علماء دمشق ومحدثيها منهم : والده المرحوم بهاء الدين البيطار وجده الشيخ عبد الرزاق البيطار صاحب كتاب « حلية البشر » .

بدأ عمله في دمشق مدرساً للعلوم الدينية واللغة العربية والفرنسية ثم شارك في المؤتمر الإسلامي العام الذي عقد في السعودية سنة ١٣٤٤ هـ وهناك استبقاه جلالة الملك عبد العزيز آل سعود في الحجاز فمكث من ١٣٤٤ - ١٣٥٠ أدار خلالها المعهد العلمي السعودي خمس سنين وانيطت به كذلك أعمال أخرى إدارية وشرعية بتكليف من جلالة الملك .

وبعد عودته من السعودية عمل في سنة ١٣٥٤ مدرساً للعلوم الدينية والعربية والفقهية في دمشق وبيروت ، حتى إذا كان عام ١٣٦٣ استدعي مرة أخرى لإنشاء دار التوحيد في مدينة الطائف فمكث ثلاث سنوات هاد بعدها إلى دمشق فانتدب للتدريس في كليتي الآداب والشريعة .

انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق تقديراً لمكانته العلمية عام ١٣٤٠ هـ - ١٩٢٢ م ، ثم انتخب كذلك عضواً في المجمع العراقي سنة ١٩٥٤ م . وبعد توحيد مجعي دمشق والقاهرة في سنة ١٩٦٠ م اعتبر عضواً في المجمع الجديد . .

طوف في أكثر البلدان العربية والإسلامية وزار العالمين الشرقي والغربي وكانت الدافع إلى رحلاته الكثيرة تثبيت دعائم الفصحى وتوطيد أواصر القربى بين أبنائها ، ونشر العقيدة الإسلامية والدفاع عنها ، والتنبؤة بالإسلام وحضارته .

ولعل أكثر رحلاته مشقة وأحفلها بالمخاطر والأهوال رحلته إلى الحجاز ونجد سنة ١٣٣٨ هـ بتشكيف من جلالة الملك فيصل بن الحسين بغية عقد اتفاق عام بين أفراد الجزيرة ، ودفعاً للمدوان الأجنبي على البلاد العربية والإسلامية .

وكما كانت حياة فقيه المجمع خافلة بالنشاط والعمل كذلك كانت زاخرة بالنتاج ، فقد ألف عدداً كبيراً من الكتب منها : نقد عين الميزان ، والتقايفان الصفراء والبيضاء وكتاب حياة شيخ الإسلام ابن تيمية . ومن الكتب التي حققها : كتاب حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر . كما نشر الكثير من المقالات في مجلة المجمع وفي مجلة التمدن الإسلامي وفي غيرها .

أما في حياته الخاصة فقد كان مثلاً للتواضع والزهادة ، وصورة صادقة للجود والكرم .

رحم الله محدث الشام وأستاذ الجيلين فيها وجزاه الله لقاء عمله في الدنيا حسن ثواب الآخرة .

الفقيه الأستاذ أمين نخلة

في ١٤ أيار من عام ١٩٧٦ اختيرت يد المنون في بيروت دعامة من دعائم
الفصحى وصوتاً طالما غنى الضاد ببيان مشرق ، ودافع عنها بعبارات صلبة ،
قاطماً الطريق على أعدائها من أنصار الحرف اللاتيني واللغة العامية .

في أيار من هذا العام صمت الرجل الكبير الذي أقدمته الملة في
بيته سنوات عدة وعملت على قطع الصلة بينه وبين الماضي فكاد لا يذكر
منه شيئاً ...

ولد الفقيه عام ١٩٠١ ، في بلدة « مجدل معوش » في قضاء الشوف
حيث كان والده « رشيد نخلة » مديراً لتلك المنطقة .

ونشأ في أسرة ذات حظ من نعمة وجاء وثقافة وأدب ، فـسهر
والده على تربيته وتعليمه ورعى موهبته التي بدأت تتفتح مبكرة ، وللورثة
فيها حظ كبير ؛ فأرسله في صغره إلى « مدرسة الاخوة المريميين » في
« دير القمر » انتقل بعدها إلى « الكلية البطريركية في بيروت » وتلمذ
على يد العالم اللغوي المعروف الشيخ عبد الله البستاني ، وبقي فيها حتى
نهاية المرحلة الثانوية ، ثم انتقل إلى دمشق حيث قال شهادة

الإجازة في الحقوق ، عاد بعدها إلى بـسـيـروت وتابع دراسته في العلوم الإدارية في الجامعة اليسوعية في بيروت فنال فيها أيضاً شهادة « الليسانس » .

تقلب في مناصب سياسية هامة ، وعمل في الصحافة والمحاماة فكان له فيها مواقف مشرفة .

انتخب الفقيد عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٦٦ . ألف في الأدب والاجتماع والتاريخ والنقد . من مؤلفاته : « المفكرة الريفية » و « ذات العماد » و « الحركة اللاغوية في لبنان » .

أما نتاجه الشعري فقد ظهر في أربعة دواوين : « الديوان الجديد » و « ليالي الرقمتين » و « في الهواء الطلق » و « دفتر الغزل » .

كان أمين نخلة اتباعياً في شعره إبداعياً في تثره ، ولكن الإبداعية عنده لم تكن هروباً من الواقع وميلاً إلى التفرد والعزلة ، كانت هرباً من المدينة وحباً للريف .. حباً للطبيعة ومن فيها وما فيها ، وكرهاً لكل مظاهر الحضارة وبها رجاها .

رحم الله فقيد العربية الغالي وعوض مجملها عنه خيراً .

حفل استقبال الزميل محمد هيثم الحياط

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية في جلسته السابعة من دورته الجمعية (١٩٧٥ - ١٩٧٦) التي عقدها بتاريخ الرابع من ذي الحجة ١٣٩٦ الموافق للسابع من كانون الأول ١٩٧٥ ، الأستاذ الدكتور محمد هيثم الحياط عضواً عاملاً في المجمع للكرسي الذي شغل بوفاته الأستاذ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي . وقد صدر بذلك المرسوم ذو الرقم ١١١ والتاريخ ١٩٧٦/٢/٢٤ .

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الجديد في جلسة علنية عقدها في بناء المجمع « قاعة المرحوم الأستاذ الرئيس محمد كرد علي » بتاريخ ٢٩ ربيع الثاني ١٣٩٦ الموافق ٢٩ نيسان ١٩٧٦ ، دعي إليها نخبة من رجال الفكر والثقافة .

وافتح الحفل الأستاذ الرئيس حسني مبيع بكلمة أشاد فيها بالعضو الجديد وكفاءته مشيداً بعلمه وخلقه وفضل أبيه الجامعي الكبير الدكتور حمدي الحياط على العربية ، متمنياً أن يفيد المجمع من مواهبه ونشاطه . ثم ألقى الأستاذ الدكتور شكري فيصل خطاب الاستقبال تحدث فيه عن الزميل المجمع الجديد .

ثم ألقى الدكتور محمد هيثم الحياط خطابه الذي تحدث فيه عن سلفه المرحوم الكواكبي .

ونشر فيما يلي نص الخطابين :

خطاب الدكتور شكري فيصل

في حفل استقبال الدكتور محمد هيثم الخياط

حين نأخذ أنفسنا بالتفكير في تاريخنا الحديث منذ بدأنا حركة النهضة فإن جملة من الأحداث الضخمة ، وطائفة من الظواهر البارزة ، تتلامح لأعيننا ثم تقترب منا ، ثم تقف لنا كما تقف الأعلام والصوى على الطريق الذي قطعه حياتنا العربية المعاصرة .

وحين نمضي تتعقب هذه الأحداث أو نستجلي هذه الظواهر ، بعيداً عما يكون رافقها أو يرافقها من الضجبات المصطنعة ، بعيداً عما أهمل أو يهال عليها من الأضواء الملونة ، حين نفعل ذلك نغمض أعيننا عن البريق الخاطف ونصم آذاننا عن الصوت المصطنع وتتجاوز الأحداث الجوفة - فإن واحدة من هذه الظواهر الجوهرية الخالدة لا تلبث أن تستأثر بانتباهنا ثم لا تلبث أن تستبد بنا ، بما امتد من أبعادها ، وانتشر من مآثرها ، وخلد من آثارها .

هذه الظاهرة التي عنت والتي ترتفع لأعيننا في الأفق العربي كما ترتفع نجمة القطب مضيئة وهادية ، هي التي ارتسمت منذ خمسين سنة أو يزيد على سماء دمشق ، على أفقها الغربي وعلى أفقها الشرقي . فأما الأفق الغربي فقد كان ذلك حين أخذت الجامعة السورية طريقها الجديد لتكون الجامعة

العربية الأولى لغة وروحاً ، فوصلت بذلك ما بين العرب وبين ما انقطع من ثقافتهم منذ نحو سبعة قرون .. وأما على الأفق الشرقي فقد كان ذلك حين تأسس المجمع العلمي العربي ليكون أبا المجمع العربية المرتبة ، فوصل بذلك ما بين العرب وبين تراثهم كليات في الجاهلية والإسلام ، وفجر دقة الحياة في المسيرة الحضارية الطويلة التي كانت تغالب القرون وتصارع الزمان وتستعلي على النكبات ، شاححة تنشد إذاعة المعرفة ونشر العلم وتؤكد أسس الحضارة العربية الإسلامية العريقة .

لقد كانت تلك لحظات فاصلة في تاريخنا المعاصر الذي تعودنا أن ننظر إليه ، أكثر مما ننظر ، من جوانبه السياسية دون أن نذكر أن جهاده الثقافي ، في اللغة والفكر والعلم ، كان أصل الأصول في نهضته كلها .. وإلا فماذا كان يكون حال الفكر العربي والثقافة العربية والأصالة العربية اليوم لو لم تطلع في سماء هذا الوطن هاتان النجمتان المضيئتان في أفق دمشق الغربي وفي أفقها الشرقي .

من الجامعة ومن المجمع نستطيع أن نرصد مساحة واسعة — لعلها أوسع المساحات وأعمقها وأبعدها أثراً — من تاريخنا المعاصر في أكثر أقطارنا العربية . فعلى مقاعد الجامعة كان هذا اللقاء والتعارف والتمازج بين مثقفي العرب وكان إحياء هذه الثقافة ، ومن ردهات المجمع وأبهائه كانت تنبعث أولى حركات التأصيل للوجود العربي عن طريق تأصيل الوجود اللغوي وبالتالي عن طريق تأصيل الوجود الأدبي والوجود الفكري .

وكان هناك دائماً هذا النبض المشترك بين الجامعة والمجمع .. ومن ديف هاتين النجمتين المضيئتين ومن ألقها كان يتكون هذا المشهد الرائع المتحرك الذي كان يشق الدروب أمام الفكر العربي مرة وأمام الوحدة

العربية مرة أخرى ، إذ كان عمله مزدوجاً .. كان عملاً علمياً في أحد وجوهه ، وكان عملاً قومياً في وجهه الآخر .

هذا التكامل بين الجامعة والمجمع على طول مسار النهضة الحديثة لبس أردية مختلفة وتمثل على أشكال متعددة ، كان أبرزها هذا المصطلح العلمي الذي التقى عليه جامعيون ومجمعون في مقر الجامعة أو في مقر المجمع ، سعيًا وراء الخروج بلغتنا العربية من إطارها الأدبي الذي تجمدت فيه في فترة من الزمن إلى إطارها الفكري والعلمي الذي يبيح لها أن تكون أداة طيعة خصبة في خدمة الحضارة العربية واستئناف دورتها .

وليس بيننا من يجهل هذه الأسماء البارزة التي كانت تعمل في الجامعة والمجمع معاً ، أو كانت تعمل في الجامعة وحدها أو في المجمع وحده . إن مثل أسماء الأساتيد الطيبي الذكر الحميدي السيرة : كرد علي ، والمغربي ، والحلاني ، ومرشد خاطر ، والبزم ، والتوخي ، وصلاح الدين الكواكبي ستظل دائماً ملء أسماعنا وأبصارنا ، وستظل آثارها الخالدة ملء قلوبنا ، وستظل أسماؤها مشرقة لامعة في مجالات الحياة العلمية والحياة اللغوية كلها ، تثير عندنا العزائم وتقوي الأمل وتضرب أروع الأمثلة على العمل العلمي الذي يرتبط دائماً بالبدء الأسمى ويعود إليه .

* * *

أحسبني من هنا أيها الصديق الكريم الذي نجتمع اليوم لاستقباله قد وقعت على الحيط الأول والأصيل من نسيج حياتك العلمية . فقد كان والدك الأستاذ الجليل ، أستاذنا ووالدنا كذلك ، أحمد حمدي الحياط - مدته الله في عمره - أحد هؤلاء الأساطين الذين قادوا سفينة الجامعة في هذا المحيط .. وإني لأتمنى هنا - في رغبة جامحة أحاول أن أكفكف من عبرتها - لو تحدثت عن هؤلاء العلماء الذين انقطعوا للعلم .. ولكنهم

آمنوا بأن هذا العلم يجب أن يكون بلغتهم وبمصطلحاتهم وألفاظهم . لم يريدوه بلغة غيرهم ولو أرادوه لكان ذلك ، في حساب المشقات والجهد ، أيسر وأدنى ؛ ورفضوا أن يكون بواحدة من هذه اللغات الأجنبية التي كانت تلقي بظلمها الثقيل هنا وهناك على الحياة العربية الناشئة في الشام أو في العراق أو في غيرها من الأقطار العربية في الشمال الأفريقي ، وانجسوا به سطر العربية حتى يزاوجوا بين اللغة والفكر وحتى 'يختبوا الأجيال الناشئة شرّاً هذا التمزق بين لغة نتحدث بها ولغة نفكر فيها ، وحتى يتفوا للمثل التي صدروا عنها ، والإيمان الذي التزموا به .. ولذلك آلوا على أنفسهم أن تكون العربية أدانهم التي بها يكتبون حين يكتبون ، ويفكرون حين يفكرون ، ويعلمون حين يعلمون .. وتجاوز عالم من أولى العزم من هؤلاء العلماء هو المرحوم محمد جميل الحائي - الذي لم يلق حظه من التكريم - تجاوز اللفظ والمصطلح إلى الرمز العلمي ذاته ، فحرص على أن تكون الرموز والمعادلات بالعربية كذلك . ولكنه لم يجد من يقاسمه هذا الحمل الثقيل أو يدفع معه على هذه الطريق الصعبة .

أبوك أيها الزميل الجديد كان واحداً من هؤلاء الأعلام .. كان يعمل بإيمان مؤمن ، وصدق صادق ، وإخلاص طاهر ، وتعفف نبيل .. وكنت أنت تشهده في مخبره في الجامعة أو في مكتبته في البيت لا يكاد يرفع عينيه عن كتاب ينظر فيه أو لفظة ينقير عنها أو مصطلح قديم يجالوه ، أو كتاب هو حصيلة ذلك كله يصنفه ثم يضعه بين أيدي أبنائه وطلابه .

ألا يكون لي إذن أن أقول إنك مدين ، منذ نشأتك الأولى لهذا المثل الكريم الذي عشت في ظلاله ، وهذه الأشياء التي كانت تشيع من حولك فتقلب بينها في بيتك : كتاباً ومكتبة وعملاً وبجناً وتمحيصاً .

ولكنك لم تكن ابن بيتك الصغيرة هذه وحدها ، وإنما كنت كذلك ابناً لهذه البيئة الكبرى التي كانت تحتاطك من حولك .. إن الجيل العربي الذي فتح أعينه على الحياة في الثلاثينيات ، في أواخرها ، واجه قضايا وطنه المستقل في الأربعينيات : بدأ يحس بها ، ثم بدأ يتعرف إليها ، ثم بدأ يمارسها بعد ذلك في أعقاب الجلاء .. وما من حادثة أخرى - فيما أقدر - في حياة الوطن هي أضخم من حادثة الجلاء هذه .. لقد كانت نقلة عريضة واسعة ، وكانت ثورة حققة في كل ما يتصل بحياتنا الفردية أو حياتنا الاجتماعية أو حياتنا القومية .. ولا أزال أذكر - وكأن كل شيء من ذلك هو أمامي الآن - هذه اللحظات الخالدات التي ارتفع فيها علم الوطن فوق ثكنات الجامعة . لقد خرجنا من هذا الاحتفال ودموع الفرح ملء مآقينا .. كانت قلوبنا تنجيب في صدورنا وجيب المستقبل وتحقق له .. كنا نحس أننا خرجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر .. ولقد غابت عن أعينكم أتم ساعات هذا الجهاد الصغير كما غابت عنكم ساحاته ، لتفتحوا أعينكم على مسؤوليات الوطن وجهاده الأكبر .

ومن هنا افترق ما بينكم وبين الجيل الذي سبقكم في أمور كثيرة وفي الحياة اللغوية بوجه خاص ، فقد حمّل الذين من قبلكم على أن يقطعوا اللغة الأجنبية ، لا إنكاراً لما يكون من عائدتها ، وإنما إيماناً في إثبات الذات والتأني على الغالين في معركة لم يكن يملك الناس فيها إلا هذه السبل ، وقطعاً للطريق على غزوات الفكر والعقيدة ، وهي الغزوات التي تأتي مع القوي من خلال لغاته ، أو من خلال مغرباته .. وإنما أصاب منهم من أصاب من حظوظها عن طريق الجهد الشخصي والدأب الذاتي والدرس الخاص .. أما أتم فقد كان عليكم أن تفتحوا أسماعكم وأبصاركم

وصدوركم لهذه اللغات الأجنبية ، لا على أنها لغات غريبة ولكن على أنها أداة من أدوات المعرفة وطريق من طرق الغنى الثقافي ، وعلى أنها لغات رافدة ، وعلى أنها سبيل للمعرفة ، وعلى أنها محققة للدعوة التي كان دعا بها نبي الإسلام - بأبي هو وأمي - منذ أمد بعيد حين فرض أن يكون من بين المؤمنين به جمهرة تعي لغات الناس والعالم ، تمهيداً للتلاقي بين اللغة العربية وبين هذه اللغات وإحاطة بثقافتها واحتواء لها .

* * *

أحسب ، أيها الزميل الكريم ، أنني وضعت بدي على هاتين البيئتين الدائرتين من حولك : بيتك الكبرى في وطنك وبيتك الصغرى في بيتك . ولكنني أشعر بقصور كبير بنحوك إن أنا توقفت عند هذه الجذور الأولى التي ستبتعث عندك في المستقبل ملامح حياتك الثقافية والفكرية . . ذلك أن الذي تحدثت به إنما كان جملةً من البذور التي غرستها البيئة ، أو جملة من الدوافع التي استثارها .. غير أن في حياتك مواقف كثيرة تقتضي أن أقف عندها أو عند بعض تفاصيلها .. فلقد أخذت منذ نشأتك الأولى بنوع من التربية لم يؤخذ به غيرك .. أبوك . أمتع الله به - لم يكن عالماً فحسب ، ولا طبيباً فحسب ، ولا عجباً للغة العربية فحسب .. ولكن كان قبل ذلك وفوق ذلك تضطرم أعماقه بنزعة إصلاحية ظل يحمل همومها ، وتطلع بصير إلى المستقبل ، كأنما كان يريد أن يشارك في صياغته .. ومن هنا كان إيمانه بأن التربية هي طريق هذا الإصلاح وهي سبيل المشاركة في صياغة المستقبل . ومن هنا كان إنكاره لكثير مما يخالط التربية من فضول أو انحراف في المدارس آنذاك . . ولهذا أشرف هو بالذات على تربيته واقتضاه ذلك جهداً من حُرِّ الجهد ووقتاً من عَمِن الوقت . حتى إذا أحس أن عودك بدأ يصلب ويستقيم ، واطمأن إلى أنك على شيء من القدرة في

تميز ما بين الحق والباطل عاد بك إلى بعض المدارس . ولكنه أثر أكثر الوقت أن تكون في هذه المدارس الخاصة ، حتى يكون حظه من النصح أكبر ونصيه من الرقابة أوفى .

لقد أتاح لك ذلك كله أمرين بارزين في حياتك الدراسية ، ما أحسب أنها اجتماعاً إلا عند قليل : أولهما حرصك على ألوان من المعرفة وضروب من التدقيق لم تكن لتتاح لك لو قدر لك أن تتبع في إطار الدراسة الرسمية وأن تقصر جهدك عليها .. والآخر تطارك انشرب لاصتساب لغتين من هذه اللغات الأجنبية . وعملك الدائب في هذا السبيل .

فهل من عجب إذن أن تكون سيرتك المدرسية كلها ، في مراحل التعليم كلها ، مقترنة بهذا الألق المضيء الذي يجمع بين اسمك وبين المرتبة الأولى على طول حياتك الثانوية والجامعية .

* * *

أيها السادة :

لم يخالف زميلنا الذي نستقبل في حياته بعد الجامعة معيداً ومدرساً وأستاذاً ، عن سيرته في حياته خلالها طالباً .. إن الكثرة الكاثرة من الجامعيين نستقطبهم الشهادات التي يحصلون عليها .. كل آمالهم التي تثبت في رؤوسهم وهم يزرعون حدائق الجامعة أو أرصفتها ، يمس بها بعضهم إلى بعض مما ويتحدث بها بعضهم إلى بعض جهاراً - كل هذه الآمال تلتفها هذه الورقة السحرية التي يحملونها منه التخرج .. ثم تجف الآمال في نفوسهم لتنمو مرة أخرى في صدور الذين يأتون وراهم .. ولست أدري ، وإنكم لا تدرون معي ، أهى آمال تجف أم هي آمال يحرقها شواظ الحياة التي لا يستقيم ميزانها ولا تعادل سيرتها ولا تعرف الصفة ولا تتيح التكافؤ .. وأياً كانت الأسباب .. إكانت في نفوسنا أم كانت من حولنا ، فإن قلة قليلة من

شبابنا يتابعون ما بعد الجامعة سيرتهم العلمية خلالها .. أما أنت أيها الزميل الكريم فقد تابعت ، تستببت الورد وتضفر الأكاليل في حياة ما بعد الجامعة .. فمُنيت ، على نحو ما عُنيت من قبل ، بالتحصيل والتثقيف ، وعُنيت بالتجربة والبحث .. لم يغرك أنك قطعت خلال عشر سنوات رحلة طويلة من معبد في الجامعة في أعقاب التخرج سنة ١٩٥٩ - وأنت على رأس السنة الثانية والعشرين - إلى رئيس قسم الطب التجريبي في الجامعة التي أنشأتك ، بعد عشر سنين أخر ، على رأس الثانية والثلاثين من عمرك .. حيث لا تزال تشغل هذه الرئاسة حتى هذا اليوم .. لم يغرك ذلك ولم يخذلك عن نفسك ، ولم يصرفك عن سيرتك .

* * *

هل عليّ من حرج إن أنا سقتُ طرفاً من هذه السيرة !. دعني إذن أذكرك بلوحتين : إحداهما في ميدان ثقافتك العامة ، والأخرى في ميدان ثقافتك الخاصة ..

أحسب أنك لم تنس ترددك أمداً على هذا الحلي القديم من أحياء دمشق ، تهيّط إليه من أرفع بيت من بيوت المهاجرين ، حيث تسكن ، حتى تصل إلى ساحة الشهداء ، ثم تتمرج بك السبل تضيق حيناً وتتسع حيناً ولكنها تتعذر في كل الأحيان ضيقة أو متسعة ، في الشتاء إذا كان الوحل وفي الصيف إذا كان غبار الصيف وحفره .. فإذا أنت تطرق باب الشيخ الفقيه شيخ القراء في وقته ، والعالم السامل الثقة الدّين الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت الذي كان لا يفوق علمه في الفقه الحنفي والقراءات علمٌ أو لا يكاد ، ولا يعدل إيناسه ولطفه وتواضعه تواضع .. فتدخل تبسط لك الملائكة أجنتها على حدّ قول الرسول ﷺ - بأبي هو وأمي - تقرأ عليه الفقه في يوم من أيام الأسبوع ، وتقرأ عليه التجويد

في يوم آخر ، وتدأب على ذلك سنوات .. حتى تطعن إلى أنك وفيت حق الله وأديت حق العربية ، وعقدت ما بينك وبين تراثك وأصولك أوثق ما يكون العتق في كتاب الله وفي أحاديث رسوله ﷺ وأحكام هذه الأحاديث . تفعل ذلك على مشائلك كلها ، لا تمل ؛ ويكون لك من الإقبال عليه في آخر المرحلة فوق الإقبال الذي كان في أولها .. لقد كان عملك ذاك بعض مظاهر حرصك على التحصيل والتتيف ، بل كان الشاهد من سيرة حياتك على حياتك وكان الشاهد من ذاتك على ذاتك .. وكان الدليل الذي لا يتخلف على ما أحب أن أقول عنه إنه أصالتك التي تميز بها وتراثك الذي تؤمن أنه بعض العدة إلى مسالك المستقبل .

وعلى محور من ذلك كانت عملك العلمي بعد تخرجك من الجامعة ، لقد أردت أن تبدأ مرحلة جديدة من حياتك العلمية من حيث يظن الآخرون أنها انتهت .. وأياً كانت الأسباب التي تشد عبقريات خريجيننا وشبابنا إذ يواجهون الحياة فإنك آثرت أنت أن تكون حياتك بعد الجامعة استمراراً لحياتك فيها .. أن تكون كذلك أيضاً من التحصيل والطلب ، وأن تكون بحثاً أو سعياً وراء البحث .. ولهذا لم تكد تتاح لك الفرصة بين عامي ٦٦ - ٦٩ وهي الفرصة التي يسر الله لك أن تحيل فارها ماءً ، حتى عكفت على تجاربك وبحوثك وكتبت فيها هذه السلسلة من المقالات العلمية - بشارتك بعض زملائك - في المجلات الأجنبية ، كانت بعضها باللغة الفرنسية وكان بعضها باللغة الانكليزية ثم كان بعضها باللغة الألمانية التي قدّر لك كذلك أن تقبل عليها وأن تعلمها .

وفي فني بعد ، أيها السادة ، ماء ، ولكنكم تحتفلون هذه الملاحظة العابرة .. ذلك أن الأبحاث التي تابعت بين ٦٦ - ٦٩ في بليكا قد

توقفت أو أوشكت على التوقف حين عدت إلى دمشق - فهل يستطيع أحد من الذين يسمعونني هنا أن يجيب عن السؤال الذي يغالب الشفة : لماذا ؟ لماذا نقبل على البحث العلمي ونتبع فيه حين نكون خارج عملنا في الجامعة ، ثم لماذا نتقطع عنه إذ نعود ؟

لعلنا نتقبل ذلك على أنه خيرية هذه المرحلة من مراحل الحركة التعليمية ونحوها .. وما من تفسير آخر يرضي ضمائرنا غير هذا التفسير ، نرتضيه إلى أن يستطيع هذا الوطن أن يزاوج بين الحركة التعليمية وبين الحركة العلمية ..

* * *

أيها السادة : لنقل هنا كما كان يقول الشعراء الجاهليون : فعدي عماري ، ولننظر في بقية هذه الطريق الطويلة التي قادت زميلنا في مرحلته الجديدة بين الجامعة والمجمع وارتقت به إلى صفوف الخالدين .

وإني لثوقن أنني لا أخطئ التقدير حين أزعج أن مرحلة نيرة من مراحل حياتك الجامعية كانت بعض ما أضاء لك الطريق إلى هذا المجمع العتيق .. ذلك أنك شهدت ميلاد أول معجم طبي تفاوتت عليه وتعاورته هذه الأيدي المخلصة .. أيدي الأساتذة : خدي الحياط ومرشد خاطر وصالح الدين الكواكبي ، فقد كان من جهدم الدائب في ميدان العلم والعربية أن صدر معجم « كليرفيل » مترجماً عن الفرنسية .. ولا أشك في أنك أفدت من ذلك أكبر الفائدة .. شهدت ولادة الكلمات والمصطلحات وشهدت النقاش الذي يدور حولها ، واستمعت إلى وجهة النظر هذه أو تلك ، وسفرت بين والدك وزميليه ، وحملت الأوراق من هنا إلى هناك .. ولعلك أطلت النظر حيناً في مسودات الطبع ، ولعلك أدمت هذا النظر واستحلبته ... وإذا كان عييراً أن نستين ، على وجه محدد ودقيق ، ما كان

من آثار ذلك في حياتك اللغوية مع المصطلح العلمي فإن من اليسير أن نتبين جملة هذا الأثر الذي تفجر في هذا الشكل الجديد الذي اتخذته المعجم حين صدر الجزء الأول منه باسم معجم العلوم الطبية .. لقد أضفت إليه هذه الإضافات القيمة الغنية : أثبتت تعريف اللفظ الأجنبي ، وتعريف اللفظ أدق المراحل في إيجاد البديل العربي وضعاً أو نقلاً أو تعريباً ، وأضفت المقابل الانكليزي ، فجمع المعجم في صورته الجديدة بين هذه اللغات الثلاث ليكون عاملاً مساعداً ، إن لم أقل عاملاً رئيساً ، على تعريب التدريس في الجامعات التي تصطنع الانكليزية أو تلك التي تصطنع الفرنسية لغة في تعليم الطب .

أفلا بحق لي إذن أن أقول هنا ، ونحن نستقبلك اليوم ، إن بدايتك الجمعية ترتد إلى وراء ، إلى تلك السنوات التي رافقت ظهور المعجم الأول ، ثم إلى السنوات التي تلتها حين اختارك الأستاذ الرئيس الدكتور حسني سبيع وصديقك الدكتور مروان محاسني رفيقين له في لجنة المصطلحات الطبية لاتحاد الأطباء العرب والتي كان من ثمارها : المعجم الطبي الموحد (١)

* * *

لقد تحدث والدك الجليل عن معجم العلوم الطبية الذي تبنته وزارة التعليم العالي ، والذي صدر الجزء الأول منه في جملة منشوراتها العلمية القيمة ، حديثاً رائعاً حقاً .. إني أتمنى لكل الذين يستمعون إلي الآن أن يستمعوا وراء هذه المقدمة يقرؤونها إذا كانوا لم يقرؤوها بعد ، وأن يعيدوا قراءتها إذا كان قد سبق لهم أن فعلوا .

(١) نشر هذا المعجم اتحاد الأطباء العرب ، وصدر عن مطبعة المجمع العلمي العراقي في بغداد سنة ١٩٧٣ ، ورأس تحريره الدكتور محمود الجليلي ، وأشهر على غلافه أنه طبعة خاصة .

ولو كان يمكن حياة علمية نقية أن تتجسد في مثال ، وكان يمكن لهذا المثال أن يتحقق فعلاً ، وكان يمكن لهذا الفاعل أن يذوب ثم أن يرتسم كلمات وحروفاً ، وكان يمكن لهذه الكلمات والحروف أن تحتبس في هالاتها وأن تحمل في إيجاءاتها كل هذه المثل والفعال ، إذن لكانت هذه المقدمة هي ذلك كله .. إنما تركز إيمان صاحبها وتقائه وجهده ورحلته العلمية الطويلة مدته الله في عمره - على الطريق الدمنة والطريق الوعنة .. بل إنما ، وهذا ما أريد أن أدل عليه الساعة ، تمثل خلقاً أضحى من الأخلاق النادرة ، هو تواضع العلماء .. وسمعوا إن شتم كيف يقول في المقدمة في مثل عزوف الزهاد وحياة المتقين وصدق الصادقين : « جاء هذا المعجم يضم جهود أساتذة كلية الطب في جامعة دمشق ، وما نشروه في مجلة المعهد الطبي العربي ، وما كتبوه فيما ألفوه من تصانيف لا تزال تشهد لهم بالجد والدأب والعمل المخلص الهادئ الهادف الطويل النفس .. بالإضافة إلى ما كان وضعه أطباء العرب الأقدمون ، ثم ما وضعه الأساتذة الترك يوم كانت مصطلحاتهم كلها عربية أو تكاد ، وما وضعه أساتذة القصر العيني في القاهرة والكلية الأمريكية في بيروت قبل أن يقلب الاستعمار لغة التعليم فيها من العربية إلى الانكليزية ، » .

واسمعوا كذلك كيف يتحدث في المقدمة عن أولئك الذين استفاد من تقدم . لقد صدر معجم كليرفيل سنة ١٩٥٦ على حد ما وصفه الدكتور حمدي الحياط : « ترجمة أفاد منها الناس فيما نظن ونرجو ، ولكنها كانت سريعة وغير كافية » .

ذلك دعا بعض زملاء الدكتور حمدي الحياط إلى نقده . وكان الدكتور حسني سبيح هو الذي تولى أكثر هذا النقد فأخذ ينشر منذ ذلك

الحين مقالاته متسلسلة في كل عدد من أعداد مجلة الجمع تقريباً ، يصوب فيها ما يصوب ويقترح البديل الذي يقترح، مستنداً إلى شواهد اللغة ودلالة المصطلح تحت عنوان : نظرة في معجم المصطلحات الطبية .

ولا أنكركم أن الذين يقرءون هذه المقالات من هذا الجيل المعاصر كانوا يسألوني : هل تعتبر هذه المقالات - التي استمرت منذ عام ١٩٥٩ ولا تزال - عن خلاف أو هل تنبيء عن خصومة ؟

و كنت أعجب للسائل وأؤكد أنها نتاج طبيعي لجهود العقود من السنين التي تعاون فيها هذا السلف الصالح على أن تكون العربية والتأليف فيها وما يقتضيه التأليف من تعريب المصطلح العلمي أكد همه وغاية جهده . . . نتاج صاغة الدكتور حمدي الحياط في معجمه واستعمله في كتبه ، ونتاج آخر صاغة الدكتور سبيع في نقده واستعمله كذلك في سلسلة كتبه الموسوعة عن الأمراض الداخلية والعصية .

ولكن كثيرين من الناس لا يفهمون النقد على أنه تكامل بين الناقد والمنقود وتأزر بينهما .. فاسمحوا لي إذن أن أقرأ عليكم بعض ما كتب الدكتور حمدي الحياط في ذلك في مقدمة معجمه الجديد : « فعهدنا إلى ولدنا الدكتور محمد هيثم الحياط أن يقوم بذلك ، مستفيداً بما نقد به الناقدون ترجمة معجم كليرفيل ، وبخاصة سلسلة البحوث القيمة التي كتبها الصديق الكريم الأستاذ الجليل الدكتور حسني سبيع رئيس مجمع اللغة العربية في مجلة الجمع » .

لأشك أيها الصديق الكريم أنك استفدت من مقالات الأستاذ الرئيس فيما أصدرت من معجم العلوم الطبية وبما أتخذ من نقد ، وستستفيد منها فيما ستصدر من أجزاء المعجم وفيما يتابع من نقد .. ونسأل الله إن يكون لنا جميعاً من روح العلم وخلقته ما يبيح لنا أن نكون دائماً متعلمين وأن

يباعد ما بين سلوكنا وبين الكبرياء ، وأن يتبع لنا أن تتحلى دائماً بقولة الشعبي : زين العلم حلم أهله .

لقد لازم هذا التواضع والدك الجليل كما أقدر أن سيظل يلزمك في مواقف أخرى كثيرة من حياتك .. ألم يختره المجمع عضواً فيه منذ حين طويل ! ... ولكنه آثر أن يعمل على طريقته وأسلوبه ، فزُيّن له أن قدر المجمع عظيم وأنه لا يبلغ هو هذا القدر .. وما كان ذلك حقاً من الحق ، وإنما كان تواضعاً من التواضع ، وحياء هو شعبة من شعب الإيمان ، وخلقاً مسرفاً في مراقبة ذاته ، مسرفاً في تجاوز الأضواء والشهرة أو ما يخيل إليه أنه من الأضواء والشهرة . ولكن الله الذي قدر لوالدك الجليل أن ينفع الناس بعلمه في الإطار الذي آثر ، هو الذي قدر كذلك أن يكون النفع بك إن شاء الله في إطار هذا الجهد المشترك .. فليبارك الله في حياة أهلك وعمله متفرداً ، وليبارك عليك في حياتك وعملك بين زملائك وإخوانك .

* * *

أيها السادة :

إنكم تشاركوننا احتفاءنا باستقبال الزميل الدكتور الحياط في ظروف لغوية هي أدق الظروف وأدعاهما إلى التعاون والتساند وإلى اليقظة والحذر .. ذلك أن اللغة العربية - ولا أتردد في هذا الوصف - تعاني نوعاً من الحصار اللغوي .. إن هناك جداراً غير مرئي ، هو أشبه بأسوار البجن ، يحيط لغتنا العربية الملمية في القطر ويحول بينها وبين حربة الانطلاق والذبوع . أريد أن أقول إن جامعاتنا العربية كلها ، على كثرتها واختلاف أعمارها ، لا تستخدم اللغة العربية في فروعها الملمية أو لاتكاد .

حقاً إنها تستخدم العربية في الدراسات الإنسانية .. ولكن من ذا الذي يستطيع أن يفصل في وطن واحد أو في مجتمع واحد بين اللغة في الدراسات الإنسانية وبين اللغة في الدراسات العلمية ؟ من ذا الذي يستطيع أن يطمئن إلى هذا الفصل ؟ ثم ماهو مصير هذا الفصل في مستقبل قريب حين نستعكم هذه الازدواجية بين الذين يعنون بالدراسات الإنسانية وبين الذين يعنون بالدراسات العلمية ، فإذا هؤلاء على لغة ، وأولئك على لغة ، وإذا ضمير الجماعات المثقفة موزع بينها ، وإذا حياة الناس منقسمة هذا الانقسام الشنيع .

لقد آن أن تسقط كل هذه الأوضاع وأن يتسخ من الوجود العربي اللغوي كل هذا الواقع المريض وهذه الخطى المتعثرة التي لا تكاد تخرج من تجربة تتخبط فيها عقداً من سنين حتى تنتقل بعداً إلى تجربة جديدة تقتضيها عقوداً أخرى .

اللغة العربية إذن في المجالات العلمية تعاني هذا الحصار الذي تفرضه الأوضاع في الجامعات الأخرى .. وما أشد ما يخشى المرء أن يقود هذا الحصار إلى أن يضيق المحاربون والمرابطون بالظروف والأوضاع من حولهم ، وأن تغلب كثرة الباطل على قلة الحق .. ولهذا فإن أمام العربية في هذه المرحلة أن تحاول ، ماوسعها ذلك ، الخروج من هذا الحصار .

* * *

معنى هذا أيها الزميل الكريم جسارة المسؤولية التي تواجهنا ، وثقل الأمانة التي نحتمل على أكتافنا .. وفي تقديري أنه لا يعيننا على أن نجاوز هذا الحصار المفروض مثل أمرين اثنين لا أزال أدعو لهما وأتح عليها :
أولهما : أن نخرج بالعمل الجمعي في نطاق المصطلح العلمي عن المنهج

المألوف إلى نهج جديد أحسب أننا جميعاً مقتنعون به وأتينا آخذون له أهبة . فقد درجت مجامعنا العربية على أن تعتمد إلى جملة من المصطلحات في هذا الفرع أو ذاك من فروع المعرفة فتجد لها المقابل العربي ثم تنشر هذه المصطلحات على أنها مجموعة من القوائم في علم من العلوم .

وتلك كانت لاشك خطوة لا بد منها على هذا الطريق الطويل .. غير أن ظروف الحياة العلمية والقومية ، من مثل تكاثر الجامعات وتنوع المعارف والتوالد المستمر والحجب في المصطلحات ، أضحت يقضيها إلجاء آخر هو تطوير طبيعي لهذا الأسلوب الذي نأخذ به الآن في الجامع والجامعات .

الأسلوب الجديد يحتم أن تتجاوز مرحلة الأعمال الفردية والقوائم المشتتة الخاصة التي ينفردها أناس بأعيانهم ، إلى مرحلة العمل الجماعي يبدأ باختيار مجموعة من المعاجم المعتمدة في اللغات الأخرى ثم يكثف الجهود اللغوية لوضع البديل لألفاظها ومصطلحاتها . . وذلك بنية أن يكون بين يدي الجامعيين العرب في مختلف الأقطار مجموعة كاملة من المعاجم العلمية المعتمدة ، مترجمة إلى العربية ومقررة في مجامعها ومقررة في جامعاتها .

كثيرون أولئك الذين يتطلعون في الجامعات العربية الأخرى - وبعضها على بعد ساعة أو ساعتين من دمشق في عمان أو بغداد - إلى استخدام العربية .. ولكنهم يألونك دائماً أين هو المعجم العربي في هذا العلم أو ذاك الذي نستطيع أن نضعه بين أيدي أساتذتنا وطلابنا .

فقدان هذه المعاجم المرتقبة هو الحجة البالغة التي يتذرع بها خصوم العربية ، ووجود هذه المعاجم هو الأمل المضيء الذي يتراعى دائماً لإنصار

العربية والمؤمنين بها ، ولقد غبرت سنوات لعلها لم تكن تساعد على الأخذ بهذا الاتجاه .. ولكن ماذا تقول اليوم لآلاف آلاف الطلاب المتكاثرين في طول البلاد وعرضها حين يسألوننا عن المعجم العربي في الفيزياء أو في الكيمياء أو في الرياضيات أو غيرها .

هل سنظل نحتج بالمعجم الطبي وحده ، أو بالمؤلفات العلمية العربية وحدها ؟.

ولماذا لا نستفيد من هذه التجربة التي تحققت في المعجم العسكري حين صحّ العزم فأصبح بين أيدينا معجم عسكري معتمد في اللغات الأجنبية ، ومنقول إلى اللغة العربية بمقابله الانجليزي والافرنسي ؟!.

إن هذا الاتجاه نحو إعداد المعاجم أضحى أسلوباً في العمل اللغوي لا بدّ منه ولا غنى عنه : التطور يفرضه ، والحاجة تلح عليه ، والمنطق السليم يقضي بالأخذ به ، حتى لا تتكرر التجارب ولا تتعدد المعاجم ولا يشتد الخلاف بين المصطلح العلمي الذي نريده موحداً ليكون دليلاً على قوة اللغة العربية وشهادة على صلاحيتها ، ولا نريده مشتتاً يستخدمه أعداء العربية يرهاناً على صعوبة الاحتكام إليها والاقتصار عليها .

لقد أخذنا بهذا الاتجاه في مرحلة التعليم الثانوي في مؤتمر التعريب الذي عقد في الجزائر أواخر سنة ١٩٧٣ .. وإذن فقد أضحى حتماً أن نأخذ به في المرحلة التالية .

هذا هو أحد هذين الأمرين في طريقنا إلى الإقلاّت من هذا الحصار اللغوي ، وإنه لأصعب الأمرين . أما الأمر الآخر - وهو أبسرهما

لأنه فرع منه - فذلك أن يتفرغ عديد من الجامعيين والجمعيين على السواء لمثل هذا العمل المرجو .. إنه لا يكفي في تقديري أن يتفرغ للعمل الجمعي ثلاثة من أعضائه في الجانب الإداري من العمل الجمعي هم الرئيس وقائب الرئيس والأمين العام ، فذلك أقل مما يمكن أن يقوم به كيان الجمع .. وإنما يحتاج الأمر كذلك أن يضاف إليه تفرغ لبعض الأعضاء ، أو لكثرة منهم ، يؤثرون هم هذا التفرغ وينهضون بحقوقه ويتكامل عملهم في ذلك مع زملائهم من الجامعيين ، حتى نستطيع أن نحقق أهدافنا أو بعض أهدافنا التي تتطلع إليها .

ولا أشك في أن التفرغ الجامعي - وبخاصة حين تكتمل صورته وتتحقق أبعاده في نطاق البحث العلمي - خطوة رائدة في هذا المجال ، يسهل الطريق إلى التفرغ الجمعي الذي ندعو له .

* * *

أيها الزميل الكريم :

إننا نستقبلك في مثل هذه الظروف التي تقتضي منا جهداً لا ينتهي وتعاوناً لا يتوقف وصفاءً تقني فيه الشهوات والرغبات .. إننا ظروف قاسية تطارد فيها رائحة الدم كل وشائج القربى وتغيب في ساحة العربية العقيدة الجامعة ، وينسى التاريخ المشترك ، وتغطي الصون غشاوات من الأهواء تحول بينها وبين رؤية المصير الأليم الذي تتزاق فيه أو نوشك . لم يبق من نسيج الحياة العربية الموحدة إلا هذه الخيوط من اللغة ، وما تقود إليه وحدة اللغة من وحدة الفكر والتطلع ..

وحتى هذه اللغة يجتاطها كثيرون من الذين لا يؤمنون بها ، والذين يكيدون لها ، والذين يجهلون أو يتجاهلون الإبعاد البعيدة لآثارها .

لم يبق إذن في ساحات العمل المثمر - في هذه العمرات - إلا هؤلاء
الذين يؤمنون بلغتهم على أنها المعبر الوحيد للإيمان بالوجود العربي والحفاظ
عليه والدفاع عنه .. وإني لأرحب بك هنا باسم زملائنا نصيراً على هذه
الغايات وعاملاً في سبيلها .

فليهنك ، أيها الأخ الزميل ، مكانك الذي تقبوا وأنت على مشارف
الكهولة ، محتفظاً بالزاهر من شبابك ؛ وليكن وجودك بيننا وجوداً معنا
محتفظين جميعاً بالتحضر من آمالنا وآمالك خيراً وتوفيقاً ، وليكن وجودك
جهداً وتعاوناً وتكاملاً ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . شكري فيصل

خطاب الدكتور محمد هيثم الخياط في حفل استقباله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ . هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ، يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ، وَيُزَكِّيهِمْ ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .. ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا .. بِشَرِّ مَثَلِ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) .

يومَ شاءَ الله .. ولَهُ الحمد - لهذه اللغة الشريفة أن تكون لغة الشريعة والثقافة والحضارة : تُثَلِّي بها الآيات ، تُوزَكِّي بها الناس ، ويُعَلِّمُ بها الأميون الكتاب والحكمة .. كان ذلك - في الوقت نفسه - إيذاناً بحرب شعواء ، لن تقف ، على هذا اللسان المين .. كيف لا ، وهذه اللغة هي الرباط المتين الذي يشد بعض أبنائها إلى بعض ، وبِصِلْ

مشرق هذه الأمة بمغربها ، وحاضرها بماضيها ومستقبلها ، وبها يُعلنُ
الجهاد في سبيل الله والمستضعفين ، وبها يُتحدى الطواغيت ويُحافظ على
كيان الأمة إذا شاء عدوها لها أن تذوب وتضمحل .

ألم يأتكم قَبَا الأخ الجزائري - كلّ جزائري - يوم تَتَبَّه
الاستعمار على موطن القوة لديه ، فعمل ما استطاع على إضعافه ، وتوصل
إلى أن يكبت منه اللسان فلم يعد يقوى على أن ينطق بالعربية .. ولكنه
ظل يكي بالعربية .. وظل قلبه يحقق ويعشق بالعربية .. وظل كيانُه
كلُّه يُقدِّس لربه بالعربية .. واستطاعت كتابتُ جمعية العلماء أن تحفظ
على القوم لسانهم بفضل القرآن ، وتجمع الأمة ما تشعث من شأنها بالعربية ..
واستطاع القوم أن يغيثوا ما بأنفسهم فيغيثوا الدنيا .. وأخذنا نتلو في
سجل الجهاد آيات خالداً ليس كمثليها شيء وليس لها نظير .. وكان ذلك
برهاناً جديداً مشرقاً ومشرقاً على أصالة هذه اللغة وحصانتها ، وعلى بنايع
لا تنفذ فيها للقوة والثبات .. حتى لكانَ "سُوَيْدَ بن أبي كاهل اليشكري
يعنيها حين يقول :

مَعْقِلٌ بِأَمْنٍ مِّنْ كَانْ بِهِ	غَلَبَتْ مِّنْ قَبْلِهِ أَنْ تُقْتَلَعَ
غَلَبَتْ عَاداً وَمَنْ بَعْدَهُمْ	فَأَبَتْ بَعْدُ قَايِسَ تُتَضَعُ
لَا يَرَاهَا النَّاسُ إِلَّا فَوْقَهُم	فَبِي تَأْتِي كَيْفَ شَاءَتْ وَتَدَعُ
وَهُوَ يَرْمِيهَا وَلَنْ يَلُغَهَا	رِعَّةَ الْجَاهِلِ يَرْضَى مَا صَنَعَ
كَمِيتٌ عَيْنَاهُ حَتَّى ابْيَضَّتَا	فَهُوَ يَلْعَنِي نَفْسُهُ لَمَّا تَزَعُ
إِذْ رَأَى أَنْ لَمْ يَضِرْهَا جَهْدُهُ	وَرَأَى خُلُقَاءَ مَا فِيهَا طَمَعُ
تَبَعُضِبُ الْقُرْنَ إِذَا نَاطَحَهَا	وَإِذَا صَابَهَا الْمِرْدَى انْجَزَعُ

وإذا ما رامها أعيانهم قلة العدة قديماً والجدة

من أجل ذلك أيس أعداؤها من قراعيها وجهاً لوجه ، فراحوا
يحتالون لذلك ومكروا مكراً كُبَّاراً ، وحاولوا أن ينفذوا إلى قلوب
الناس وعقولهم بنهاويل أثاروا حولها نقعاً من الضوضاء : طوراً بالدعوة
إلى إفساد اللغة باسم الإصلاح ، وتارة بالدعوة إلى أمية اللغة باسم التبسيط ،
وثالثة بالدعوة إلى تهجين اللغة باسم التطور والنهضة .. وانتظر الناس أن
يبصروا بعد ذلك كله شيئاً من أمارات الإصلاح المزعوم .. ثم نظروا ،
فإذا أقوال هؤلاء الأعداء وأعمالهم كسرابٍ يقيمة .. بحسب الظمان
ماء ، حتى إذا جاءه لم يجد شيئاً .. ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم
ينالوا خيراً .. ولا جرم ! قتل كلمة خيئة كشجرة خيئة اجتثت من
فوق الأرض ما لها من قرار .

ولن تزال هذه العربية هدفاً يُزاول عتديتها ما وسيعه أن يرميه :

مُفْعِيّاً يَرُدِّي صَفَاةً لَمْ تُرَمِّ فِي دُرَى أَعْيَطَ وَعَرِّ الْمُطَّلَعِ

وستظل هذه العربية ظاهرة عليّة إن شاء الله ، وإن رَغِمَتْ
لذلك آثاف وآثاف ، ولن يزال في هذه الأمة طائفةٌ ينافعون عن لغة
القرآن لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون .

ومن أجل ذلك أيا السادة قام هذا الجمع المبارك .

من أجل أن يدافع عن ثقافة أمةٍ برُممتها ، يحاول أعداؤها أن
يحققوا للثقافات المعادية كل التلبّة عليها .

وإنما أعني بالثقافة ذلك الجو الاجتماعي الذي تتشامى فيه شخصية
الفرد وطبيعته ، وهو جوٌّ يتألف من قيم وأفكار وأخلاق وأسلوب للحياة ،

ويشارك كل فرد من أفراد المجتمع في إغنائه .

ولقد تنبّه أعداء هذه الثقافة على أنها لا تؤتّى كِفاحاً وإنما تُتَنَقَّصُ من أطرافها ، فعمدوا إلى التسلل من هنا وهناك إلى مكان القوة في هذه الأمة ، وجعلوا من العبث بالكلمة ديدناً لهم وسبباً إلى ما يريدون .
وسنظل نسمع بين يوم وآخر دعوة إلى استعمال العامية في المسرح والسينما وتنفيذاً لهذه الدعوة على نطاق واسع ..

وسنظل نرى انخفاضاً في مستوى التعليم الجامعي يؤدي بأساتذة الجامعة إلى أن يلقوا دروسهم ومحاضراتهم بالعامية ، ويتخرج تلامذتهم ليعلموا أطفالنا وفتياننا بالعامية ، فتصبح لغة الأمة لغة أجنبية تثقل على نفوس الناشئة ويجسّون بغربتها ، ثم لا يكاد يطول بها زمن حتى تصبح غريبة على أبنائها وأهلها .

وسنظل نرى حيلة بين اللسان العربي وبين تعليم العلوم في الجامعات، وفجوة بين التعليم ولغة التعليم ، ونبصر أناساً من بني جلدتنا ، يلبسون لباسنا ويزوّدون بنا حين ندعو إلى التعليم بالعربية .

هذه حرب دائرة لن تقف !

ولكن المؤمنين من أبناء هذه العربية بها والمخلصين لها وهم كثر ، سيعملون مع هذا المجمع الأصيل على منك السّر عن هذا العدو الماكر الخبيث ، وعلى الوقوف في وجه هذه الخطط الباغية ، وعلى فتح أعين أبناء أمتنا الذين هم هدف التدمير والتزيق والنسف على أن ميدان الثقافة هو أخطر ميادين هذه الحرب ، وعلى أن معارك الثقافة مستراحية لا تحمده بحدود ، وعلى أن أكثرها - كما يقول الأستاذ الجليل محمود محمد

شاكر (*) - يأتي موقفاً توقيتاً دقيقاً : إما قُبَيْلَ حركات النهضة والاحياء ، وإما معها ، وإما في أعقابها ، وعلى أن أمضى سلاح في يد عدونا هو سلاح الكلمة الذي يحملة رجال من أنفسنا ، وينبشون في كل ناحية ويعملون في كل ميدان وينفقون سمومهم بكل وسيلة ، ولو أن بعض هؤلاء الرجال يأتون ما يأتون عن علم ، وبعضهم قد أخذوا من غفلة فهو ماض في طريقه على غير بينة .

وإذن ، فعمل الجمع ليس مقتصراً على وضع المصطلح ، وإن يكن وضع المصطلح كبير الشأن في عصرنا هذا : عصر العلم والتقانة ..

ولكن عمل الجمع أن يقود ركب التوعية والتنبيه .. وأن يلفت النظر إلى كل مكر خفي يهدف إلى قطع صلة هذه الأمة بلغتها وثقافتها الأصيلة .. وأن يبذل جهده الصادق الواعي الفاعل ليجعل من الفصحى لغة التخاطب العامة ، وإن بقي للعامة آثار قليلة متفرقة في طبقات الناس بعد ذلك .. وأن يقول كلمته واضحة صريحة لا يتلجلج ولا يجمجم : في لغة التعليم ، ولغة التوجيه ، ولغة التنقيف .

وأن يُعترفَ أبناء هذه الأمة بترائهم لا من أجل أن يتنفجوا بهذا التراث ، ولكن من أجل أن ينطلقوا منه انطلاقاً مبدئياً ويتعلموا من سلفهم كيف يكون الاخلاص للعلم ، وكيف يكون المنهج العلمي الصحيح ، وكيف ينطلق الفكر المكتبل من كل إسهار يجعله 'مُخْلِداً' إلى الأرض ..

وإنه لواجبٌ - لو تعلمون - عظيم !

★ ★ ★

(*) في كتابه النفيس « أباطيل وأمار » ، وهو عرض صريح واضح مستوفٍ للهجمة الشرسة على العربية ، ويبان للكثير الكثير من خفايا المعركة .

أيها السادة المجمعون :

كأن شرفاً عظيماً أضفيتُموه عليّ أنْ شتم لي أنْ أكون بينكم .
وما كان ينبغي لثلي أنْ يحتل هذا المقام ويقف هذا الموقف ، وأنا ما زلت
فتىً لم يَطْأ بعدُ عتبة الأربعين ، وإن كان المشيب قد وَخَطَ قودِي .

ولقد كان أبي - أطال الله بقاءه - أَحْصَفَ مني وَأَحْزَمَ ، يوم
رأى نفسه - قبل لَوَازِ أربعين سنة - دُونَ أنْ ينضمَّ إلى موكبكم
الكریم فاستقالكم .

ولكني إريتُ - والحرب على العربية قد شَبَّ أَوَارُها - أنْ
حقاً عليّ واجباً ألاْ أحجم ولا أتقاعس عن النهوض بأمرِ أحسن الظنِّ
بي فحسبتموني له أهلاً ، وإن كنت أعلم من نقسي أنني أعجزُ من أنْ
أستقلَّ به ، وأدنى بكثير من أنْ أحشر في ركبِ المُجَلِّين .

فمَعذرةٌ إلى أبي وأستاذي الشيخ الجليل الطيب الجرائمي أحمد حمدي
الخياط أنْ لم أَقِفْ خُطاه .

ومَعذرةٌ إليكم أيها السادة المجمعون أنْ لیت دعوتكم ، فألحقتُ
بذلك بكم امراً لم يَحِثُّكم إلا بِيضَاعَة مُرْجَاة .

وثأله تَفْتَتاً مُنْخَسِنُ الظنِّ بي أيها الأستاذ الرئيس حتى لاْ كادُ
أحسن الظنَّ بنفسي . وما أنا - يعلم الله - بذلك ، ولكن إن يَكُ
في خيرٍ فمن أشياخي - وأنتَ منهم - قَبَسْتُهُ .. عليك قُرأتُ
الطب في كلية الطب قبل عشرين سنة ، ومعكَ عملت في لجنة توحيد
مصطلح الطب نحواً من عشر سنين ، وأفدت من علمك الكثير الكثير ..

أما الصديق الكريم الدكتور شكري فيصل فقد قطعَ عنقي بثَنَاهُ ،

وأصبح عليّ من حُلَل المديح ما لست له بأهل . واثن رابيه بعض تباطؤ في عملي في البحث العلمي ، لقد كان ذلك إعداداً للعدّة وتهيئة لأسباب البحث ، وهذه مناسبة أنتهزها لأشكر إخوتي في وزارة التعليم العالي والجامعة (*) ، الذين لم يألوا جهداً في سبيل إنجاح مساعي هذا .

وبعد ، فكيف لا أشعر بأن الرداء الذي أسبغتموه عليّ — أيها السادة — ففضاض ، وأن السّربال الذي ألبستمونيهِ عريض ، وأنا أخلف في مقامي هذا علّمين شاحخين من أعلام اللغة والعلم في بلدكم هذا في عصركم هذا ؟.

أما أولها . الجليلُ الثاني فكان أمة وحده في جديهِ وجتلده وصيقه وإخلاصه . لما رُغِبَ إليه أن يدرس الفيزياء وهو أستاذ في كلية الطب ، أبت عليه طبيعة العالم الحق أن يُعلِّم إلا ما يجيد ، فشد الرحال إلى باريس وعكف على طلب هذا العلم حتى أتقنه ، ونجاوز ذلك إلى أن صَنَّف فيه سفرأ في مجلدين ، أفاد منها الناس وما يزالون ، ونجلى فيها تمكثنه من أعينّة اللغة فوق تمكثنه من أزمّة العلم ، ووضع فيها من مصطلح الفيزياء عديداً من الكلم ، لا تزال نرتاح إليه ونسعد باستعماله . ولم يكن - طيّب الله ثراه - بالذي يضيع من وقته لحظة في غيرهما

(*) منهم في وزارة التعليم العالي : زميل الدراسة الدكتور محمد علي هاشم ، ومن قبله الصديق الكريم الدكتور شاكِر الفحام ، وفي الجامعة رؤساؤها المتعاقبون الدكتور مدني الخيمي والدكتور عبد الرزاق قدورة والدكتور محمد الفاضل ، ووكيلاها الدكتور محمد خير فارس والدكتور إبراهيم حداد ، وفي كلية الطب عمداها الدكتور إبراهيم حقي . والدكتور منير البيطار .

عمل 'مجدد' وسعي مشكور . ولقد اكبر في أخريات أيامه على عمل جليل - بدأه من قبل - في معجم لألفاظ العلوم لم يتح له أن ينشر : وإني ليحزنني أن يبقى هذا المخطوط حبيس الفيرطاس ، ويستعبدني - إن شاء آله الأبرار - أن أعمل في إخراجه ونشره ، فإن فعلت ، إني إذن لمن القائمين بنصيب من حق هذا الرجل الذي لم يوف حقه من التكريم ، ولم يصيب من الوفاء ما كان ينبغي له أن يصيب .

وأما ثاني الرجلين - وهو صلاح الكواكبي - فكم يطيب لي أن أنحدث عنه . فتحت عيني وأنا بعد صغير صغير على بيت الكواكبي ، وكان صلاح الدين تلميذ أبي الأثير وصفه .. ورتعت في بيته ماشاء الله لي أن أرتع . وكانت بنبأته - رحم الله كبراهن وحفيظ أختها وشقيقهن - أخوات لي ، نعيمت بأخوتهم دهرأ . وكنت أرى في صلاح الكواكبي - منذ فتحت عيني عليه - إنساناً عجيباً ليس له نظير ! وما أشد ما كان يدهشي أن أراه يعمد إلى قطعة من الحشب أو الحطب بما يوقدون عليه في النار ، ثم يأتي بسكين أو شفرة فيبرها بها ، فيحسن برها ونحتها ، ثم يغمسها في دواء عتيقة بها ميداد لعله من صنعه ، ثم يكتب بها من جميل الخط والزخرفة ماشاء .. وأسأله أن يكتب اسمي فيصنع شكلاً هندسياً متمماً في بضع ثوان .. ثم يلقي به إلي في عجل ، ليفرغ إلى عنوان يكتبه لبعض كتبه .

وكنتم أنسل أحياناً إلى خلوته المفضلة في الملية الغربية حيث مكتبته ، فالفية قد عمد إلى كتاب عتيق يؤثره ، يستخرج من مكنونه أشياء يودعها جُذائذات وكنائش ، ثم علمت - بعد أن كبرت - أن هذا الكتاب

يقال له « القاموس المحيط » ، وأن هذه الكورائيس تحوي من فرائد الكلم نقائس ألفاها تقابل بعض مصطلح العلم الحديث .

ولد صلاح الدين الكواكبي في مدينة حلب في السنة الأولى من سني هذا القرن . ودرس العلوم الابتدائية في الآستانة وقال شهادتها بدرجة ممتازة ، ثم درس العلوم الرشدية في بشكطاش في المدرسة الرشدية الرسمية في الآستانة . وانتقل منها إلى الرشدية الملكية التركية بحلب وقال شهادتها بدرجة ممتازة . ودرس من بعد ذلك العلوم السلطانية في المكتب السلطاني بحلب حتى السنة الحادية عشرة من سني الدراسة ثم أكمل تحصيله في هذه المدرسة نفسها بعد أن تحولت إلى مدرسة التجهيز العويية وقال شهادتها بدرجة ممتازة في شهر تموز من سنة عشرين . وقد كان يحب حلب حباً جماً ويحن إليها كثيراً وكأنه يتمثل بقول الشاعر :

ألا هل إلى أبيات تمنح يذي التلوى أو الرمل من قبل المات معتاد
بلادها كبراً... وكثراً نجبها إذ الناس فاس والبلاد بلاد

وفي سنة إحدى وعشرين دخل المعهد الطبي العربي في دمشق ليدرس الصيدلة فيه ثلاث سنين وينال إجازتها الرسمية بنجاح بآخر سنة أربع وعشرين . وكان لهذه السنوات الثلاث أثر فيه كبير .. فقد كان المعهد الطبي العربي موئلاً العربية ودرعها الحصين ، وفيه كانت تدرس العلوم بالعربية على رغم مرآد الفيرتجة . ولئن كانت إرادة العلوج المستعمرين قد أفلحت في التحويل بلغة التعليم عن العربية في مصر ، بعد سبعين سنة من التعليم بالعربية ، وأفلحت كذلك في التحويل بالباب المدرسين ثمة - إلا قليلاً ممن عصم ربك - إلى مرتبة من الاستخذاء للغة هذه الأعاجم ،

تتجلى اليوم في إياهم العودة إلى التعليم بالعربية . . ولئن كانت حقيقة الفرض من إنشاء المدرسة الانجليزية السورية التي أصبحت تعرف بالجامعة الأمريكية في بيروت ، قد تبدت بعد سنوات من بدء التدريس بها ، فأصبحت تُدرّس بلغة أجنبية .. لقد ظلت الجامعة السورية ومعهدا الطبي العربي قلعة شامخة ترفع راية التعليم بالعربية ، ولم تنسها عن ذلك مكاييد الفرنجة ، حتى كانوا في محاولتهم صرفها عما وطنت العزم عليه :

كناطح صخرة يوماً ليومينها فلم يتغيرها وأوهى قرنته الوعل

في هذا الجو تعلم الكواكبي ، وإليه عاد بعد أربعة أعوام قضى معظمها في الاختصاص في بلاد القوم ، يدرس في الشربون الفيزياء والكيمياء ، وفي مؤسسة الطب الشرعي علم السموم ، وفي معهد الصيدلة الكيمياء الحيوية .. وينشر في غضون ذلك بحثاً بحثاً في القوم ويُنشِرونها في مُدَوَّنَاتٍ ويرجع بشهادات تنم على طول بانه في هذه الفنون .

ويوم فاء إلى المعهد الطبي العربي من بعد ذلك سنة ثمان وعشرين ، عُيِّن في دار الجرائيم وابت فيها ثمان سنين دأباً ، يعاون الأستاذ الجرائيمي أحمد حمدي الحياط في مختبرات التدريس والتشخيص ، ويخطو عنده خطواته الأولى في التأليف العلمي بالعربية .

وقد كانت هذه الأعوام الثمانية غنية بالانتاج العلمي . ألف في مطالعها سلسلة 'مجموعة أسماها' الدروس الكيميائية لتلاميذ المدارس الثانوية ، وجعلها في خمسة أجزاء : خصّ كلامها بسنة من سنرات الدراسة الثانوية الخمس . وكان ذلك ما بين سنتي ثمانية وعشرين وثلاثين . وكان لهذه الكتب شأن كبير فقد سدت حاجة كانت إذ ذاك ملبغة ، ووضعت في يد الطالب

مراجع سهلة المتناول يسيرة اللغة جميلة المصطلحات .. فكانت هذه التجربة الأولى غاية في النجاح ومفتاحاً لأسفار أخرى اتصفت جميعاً بالجودة والاتقان فصدر سنة اثنتين وثلاثين كتابه في « الحُبابات الدوائية » ، سنة ثلاث وثلاثين كتابه « الحموضة والقوية في نظرية الشوارد » ، سنة أربع وثلاثين كتابه في « صناعة حمض الليمون » ، سنة خمس وثلاثين كتابه في « الكيمياء الحديثة » ، سنة سبع وثلاثين كتابه في « الدوتيريوم أو المخرجين الثقيل ».

وكان من جميل الاتفاق أن قرن الكواكي القول بالعمل . فحين انشأ كتابه في الحُبابات الدوائية أنشأ يصنع مستحضرات صيدلانية هي حُبابات دوائية تحوي أدوية نافعة تُزَرَّق للمرضى علاجاً ناجماً لهم . وذلك جانبٌ مهم من شخصية الكواكي يكشف عن نفس خيرة معطاء ، لا تكتفي بنشر العلم يفيد منه الدارسون ، وإنما تعدى ذلك إلى الدواء يفيد منه الميرَاض . ولعل ما صنع كان من أوائل ما وجد من صناعة صيدلانية في هذه البلاد .

وفي عام سبعة وثلاثين استدعته حكومة العراق استاذاً لتدريس الكيمياء الحيوية والتحليلية في كلية الصيدلة الملكية العراقية ببغداد ، وبقي فيها ثلاث سنين آخر . لقي في غضونهن الترحيب كله والتقدير كله ، وكان فيهن منتجاً كذلك غزير الانتاج ، فقد طفق يؤلف لطلابه المراجع التي تلزمهم بالعربية - غيرَ هَيَّاب - فصنع كتاباً لطلبة طب الأسنان أسماء « الموجز في الكيمياء الحيوية » ، وكتاباً عن « الحيويينات (الفيتامينات) » ، سنة سبع وثلاثين ثم صنع كتاباً في ثلاثة أجزاء لطلبة الصيدلة يتناول « الكيمياء الحيوية الطبية البلية » ، وذلك عام ثمانية وثلاثين ثم أصدر - مع

الصيدلي الكيميائي عبد الفتاح الملاح - « التطبيقات العملية للكيمياء الحيوية » سنة تسع وثلاثين .

ثم «حن» إلى دمشق ومعهدا الطبي العربي فعاد إليه سنة أربعين وتدرج في مراتب التدريس فيه حتى أصبح أستاذا ذا كرسي عام سبعة وأربعين فعهد إليه الأستاذ الجرائمي الحياط - وكان وقتئذ ينهض بأعباء عمادة كلية الطب - بتدريس الكيمياء العضوية لطلاب الصيدلة . فلبى صلاح الدين طليته ، وهو كما يقول « أستاذه وله عنده منزلة الأخ الأكبر » ، وصنع كتاباً من أنفس ما ألف في « الكيمياء العضوية » ، وكان قد نشر قبله كتاباً عن « الحاثات في الكيمياء الحيوية » سنة إحدى وأربعين . ثم أنشأ من بعد ذلك كتباً كثيرة أشهرها سفر في « الكيمياء الحيوية » وآخر في « علم السموم » ، وكتابان في التطبيقات العملية أحدهما للكيمياء الحيوية والثاني للكيمياء التحليلية ، وكتب عن « النظائر في الكيمياء الحيوية » . ولبث يعمل في التدريس والتأليف في الجامعة حتى غادرها سنة إحدى وستين يوم بلغ من التقاعد .

وكان طبعاً أن يتصدى الكواكبي لوضع المصطلح منذ بدأ يزاوّل التأليف ، والحق أنه قد نذر للمصطلح هممه كله ووقف عليه حياته ؛ فهو يقول - «مجدِّثنا عن نفسه : « منذ ما أولعت - عن رغبة ملحة في نفسي - بمطالعة كتب اللغة العربية ، كان القاموس المحيط للفيروزآبادي هو الوحيد على منضدي خلال الدراسة التجهيزية في عهد العثمانيين ، وما بعدها منذ التحرر العربي ، فكنت أقلب صفحاته وأطالع سطورها بامعان وشوق لأطلع من أعماق هذا المحيط بالدرر النوالي أفيد منها للمصطلحات العلمية ،

بالإضافة إلى ما كان يرشدني إليه والذي^(١) رحمه الله وأجزل ثوابه .

وقد وضع من المصطلحات بضع مئات استعملها في كتبه ، ونشر بعضها في مجلة المعهد الطبي العربي تباعاً منذ سنة ست وثلاثين ، ونشر بعضاً في مجلة هذا المجمع الموقر ، وما اتفك* يكتب لهذه المجلة حتى آخر نفس من حياته (٢) .

على أن أجل كتبه وأبقاها كتابان اثنان . أما أولهما فهو « مصطلحات علمية » ، كان ينشرها ، ثم يردّد النظر فيها ويضيف إليها ويصدرها في طبعة جديدة حتى بلغ ما طبعه من الكتاب ثمان طبعات . وفي هذا الكتاب نجد خلاصة أفكار الكواكي وتلخيص أصول مذهبه . وأما الثاني « فمعجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات » الذي شارك فيه أستاذين من الرعيل الأول في المعهد الطبي العربي وفي وضع المصطلح ، وكان بمثابة التطبيق العملي لأصول مذهبه في مصطلح الكيمياء .

ولعله يحسن بنا الآن أن نتطرق إلى ملامح المنهج الذي سلكه الكواكي وألحبه لمن بعده . ومعلوم أن العربية قد غنت بالاشتقاق والمجاز والنعت والتعريب ، وهي الطرائق التي سلكها المتقدمون من العلماء والنقلة عندما وضعوا آلاف المصطلحات في مختلف العلوم ما ابتدعوه منها وما نقلوه عن فارس ويونان الهند وغيرها من الأمم . وهذه الطرائق هي التي تتخذها في زمتنا هذا لنقل العلوم الحديثة إلى لغتنا الضادية . ولكن

(١) والده القاضي الفاضل مسعود أبو السعود الكواكي ، عضو محكمة التمييز وعضو المجمع .

(٢) ما نشر له في مجلة المجمع ثلاثين بحثاً .

الكواكبي كان تشيقاً يثيره إحتجام قومه عن التوسع في اللجوء إلى القياس بلا حرج ، ويسوؤه - كما يقول - « أن نبقى محصورين في حجرة ضيقة لا ندرى كيف النجاة منها. وتكاد تقضي علينا لضيقها ، ولدينا ألوف من الكلمات الأجنبية لعلوم ومكتشفات شتى تحتاج إلى ما يقابلها في لغتنا الشريفة » .

وتعمّم ، إن القياس - كما يقول أبو الفتح عثمان بن جني^(١) - « موضع شريف ، وأكثر الناس يضعف عن احتماله لغموضه ولطفه ، والمنفعة به عامة ، والتساند إليه مقوّرٌ مجتدٍ ، وقد نص أبو عثمان عليه فقال : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ، ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول ، وإنما سمعت البعض فقت عليه غيره » .

وكذلك قال له أبو علي يوم سأله : أفترنجل اللغة ارتجالاً؟ قال : « ليس بارتجال ، لكنه مقيسٌ على كلامهم ، فهو إذن من كلامهم » . ولكن الكواكبي كان يرى الاتساع في هذا الباب بلا تخرج ويقول : « فما نطق به العرب يقاس عليه ولو كانت كلمة واحدة »^(٢) .

وكذلك قال لكم في موقفه الذي وقفه في هذا المكان قبل بضع وعشرين سنة يوم استقبلتموه رصيفاً لكم في هذا الجمع المتبجل .

(١) الخصائص لابن جني ، الجزء الأول ، الصفحة ٣٥٧ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٧١ هـ .

(٢) مصطلحات علمية للكواكبي ، الصفحة ٨ ، الطبعة الثامنة ، مطبعة جامعة دمشق ١٣٧٨ هـ .

« والقياس ما أوسع حدوده ! لماذا نكتفي بوضع كلمات معدودات على وزن فَعَلَ : (رَمَدَ ، كَلَبَ) فنَجْمِلُ الدائرة ضيقة لا تتعدى حدودها دفتي القواميس ، ولا نحب توسيعها بالقياس كما هي عليه المقاييس فنقول : (قَبِلَ ، زَرَقَ) ، أو نكتفي بكلمتين على وزن مفعول : (مَكْبُودَ ، مَمْنُونُ) فلا نقول قياساً : (مزهور ، مسكور) ، أو بكلمتين على وزن فَعَّالَ : « جَذَّامَ ، بُوَّالَ » فلا نقيس به (نَهَامَ ، رُحَامَ) ؟ ألا أنه لم يسمع عن العرب أكثر من هاتين الكلمتين ، أم لأنه لم يدوّن في المعاجم غيرهما ؟.

« فلماذا اتخذت المقاييس إذن ؟ أليست للقياس على الإطلاق دوت قصر أو حصر ؟ ما نفع (المتر) إذا اقتصر استخدامه على ثوب الحرير ولم يعم أثواب القطن والصوف والكتان ؟ وما فائدة (اللتر) إذا حصر ماله لكيل الماء ولم يستخدم لكيل الموائع كافة من زبوت وأغوال وألبان ؟.

« سادني ! لو أن العربي القديم بعث اليوم حياً من لحدّه ، وشاهد هذا التقدم العلمي الهائل بفروعه الجمّة التي لم تكن في عهده ، لما تردد لحظة في وضع ما جرى عليه العربي الحديث نهجاً على ما سار عليه القديم سليقةً ، يوم كان حياً في زمنه الغابر .

وقال في مقدمة مصطلحاته العلمية (*) :

« وماذا يراد بكلمة (شاذ) ؟ ألم ينطق بكلمة (شاذة) من هذه

(*) مصطلحات علمية للكواكبي ، الصفحتان ٦ و ٧ ، الطبعة الثامنة ، مطبعة جامعة دمشق ١٣٧٨ هـ .

الشواذ عربي؟ صميم العروبة في الزمن النابر .. فما المانع من القياس عليها؟
إلأنته لم يُسْمَع عنه غيرها أم لأنه لم يُدَوَّن في المعاجم سواها؟
« .. لم نجعل الباب موصداً وهو واسع؟ فلنُبْقِه مفتوحاً على
مصراعيه لننقذ منه إلى مجال فسيح تُصُول فيه ونجول » .

« .. فإذا كنا راغبين حقاً في اقتحام العقبة في سبيل المصطلحات
العلمية علينا بالتساهل دون قيد ولا شرط :

١ - في القياس على الأوزان العربية إطلاقاً .

٢ - في القياس على بعض القواعد العربية .

٣ - في الأخذ بالنحت والاشتقاق .

٤ - بالتنازل عن الأثنية والكف عن الحية الجاهلية ، لقبول
الأصح والأصلح من بين المصطلحات المديدة » .

هذا ما كان من أمر القياس فأما النحت فالحديث عنه في كلام
الكواكبي يكاد يكون أبين وأظهر لأنه كان فيما نعلم السباق إلى
الاتساع فيه والدعوة الحرة إليه .

كان قَتَانًا يتجسس الجمال حيث كانت ، فيستشر أن في قطعة
الحشب الملقاة مقدرة على أن تكون أداة لرسم الحروف وتنميق الزخارف ،
فلا يدعها حتى يستخرج منها مكامن الجمال .. ومن أجل ذلك كان يقول:

« ما الذي أكسب الحبر الصلابة في الهيكل؟ هل غير النحت
من قبل الخُذَّاق... وما قيمة التمثال الحجري لو لا نحتنا على أيدي مهرة؟! » (*) .

(*) مصطلحات علمية : حاشية الصفحة السابقة .

وكأنني به كان يقف الموقف نفسه من الكلم... كان يعيش كل كلمة على حدة .. ثم يتنأى به الخيال فتتمثل له الكلمات شاخصة .. ثم ينحني في توثيمه تحت الخير الحاذق ويتأملها يباصر فكره فيعجب لها ويرتاح اليها ، ويرى فيها نحت من مكان الجمال مالا يستطيع غيره أن يبصر .. ومن أجل ذلك كان النحت قطعة من كيانه ، وفيئاً يرتاح إليه كما يرتاح المهاجر بعد السفر الطويل في ظل الدوحة الوارفة ..

وتعم ، لقد أكثر من النحت وبالع في ، ولكنه كان يزوال علماً لا يصلح له إلا النحت .. علم الكيمياء .. ونحن نحاول اليوم في لجان مصطلح الكيمياء أن تتنأى عن النحت ما استطعنا فإذا بنا نعود إلى ما نحت .. وصحيح أن جملة قد تكون أبلغ من كلمة ، ولكن الكيمياء التي استعصت على أفهام الأولين والآخرين ، تأتي أن تُسوَّى بغيرها ، وتثبت أن الكلمة الواحدة المنحوتة خير من كلمتين ، وأن التوسع في النحت الذي منه الكواكبي له ما يسوِّغه إلا أنه لا يقوم به إلا كل حاذق خبير ..

هذا شيء عن مذهب الكواكبي في المصطلح .. فأما الكواكبي الإنسان فقد كنت من أعرف الناس به وكان عزوفاً عن الناس بطمئن إلى عدد من صعبه الأدنين وخائضه ، ويجد نفسه غريباً في الآخرين حتى لكأنه يتمثل دائماً قول ابن هرمة :

ليت السباع لنا كانت مُجتاورة وأنا لا نرى بمن نرى أحدا
إن السباع لتهدأ عن فرائسها والناس ليس بهادر شرهم أبدا

ولكن الناس كانوا يحبون أن يستمعوا إليه ، وستلوا إن شتم طلابه الكثير في الشام والعراق وغيرهما ، فقد كانت له منطوق - كما قال ذو الرمة - رخم الحواشي لاهراء ولا تزور ..

أو كما قال ابن الرومي في حديث من أحب :

وحديثها السحرُ الحلال لو أنه لم يَجْنِ قتلَ المسلم المتحرِّرِ
إن طال لم يُمَلِّد وإن هي أوجزتْ ودَّ المُحدِّثُ أنها لم تُوجِزِ
شَرَكُ القلوب ، وقتنة مامثلها للمطنن ، وعقلةُ المُستوفِزِ

ولقد لقي صلاح الدين وجه ربه وتحقّق بموكب الغابرين من الرجال
الأمجاد .. الذين بنوا هذا المجمع المبارك فأحسنوا البنيان .. وأبلىوا في
الدود عن لغة الكتاب العزيز فأحسنوا البلاء .. وعبدوا الطريق لأحياء
لمن جاء بعدهم .. وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ..

وها أنا ذا أنظر في شأني وشأنهم فتصاغر إليّ نفسي ، حتى أحس
بها في جنبهم ذرة من عدّهم .. وأردد في خاطري قول جديّة الوضاح :

رُبِمَا أوفيتُ في عَلمِ ترَقَعَنَ ثوبي شَمَالَاتُ
في وَثُوّ أنا كالِثُهُمُ في بلايا غَزْوَةٍ باتُوا
ثم أبنا غَنَائِمِينَ معاً وأناسُ بعدنا ماتُوا
نحن كُنّا في مَترِهِمُ اذ مَمرَ القومِ خَوَاتُ
ليت شِعْري ما أَمَاتَهُمُ نحن أدلَجْنَا وهُمُ باتُوا

محمد هيثم الخياط

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الثاني من عام ١٩٧٦

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
تعريب الدكتور يوسف حبي	تاريخ إيليا برشينايا	بغداد ١٩٧٥
يونس الشيخ إبراهيم السامرائي	تاريخ مدينة سامراء (الجزء الثالث)	» ١٩٧٣
ابن العبري حقه وعربه	الحمامة مختصر في ترويض النساك	» ١٩٧٤
المطران زكا عيواص		
حميد مجيد هدو	حول » بغداد في سنة ١٨٥٣ «	» ١٩٧٥
الدكتور نوري حمودي القيسي	شعراء أمويون (القسم الأول)	» ١٩٧٦
عدنان عبد النبي البلداوي	اللقاءات الأدبية في الجاهلية والاسلام	» »
حميد مجيد هدو	مخطوطات عربية من صنعاء	» ١٩٧٤
» » »	المستدرك على دليل الصحافة العراقية	» ١٩٧٣
الدكتور حسين علي محفوظ والدكتور جعفر آل ياسين	مؤلفات الفارابي	» ١٩٧٥
د. ماسون . مراجعة الدكتور صبيح الصالح	ترجمة معاني القرآن الكريم « إلى اللغة الفرنسية »	بيروت ١٩٧٥

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
بيروت ١٩٧٥	ترجمة معاني القرآن الكريم « إلى اللغة الانكليزية »	
المؤتمر التاريخي	ليبيا في التاريخ	د ١٩٦٨
الدكتور ربحي كمال	المعجم الحديث «عبري-عربي»	د ١٩٧٥
الدكتور محمد الناصد	الإدارة المالية	حلب ١٩٧٦
الدكتور محمد نذير منكري	أساسيات إنتاج المحاصيل الحقلية	د ١٩٧٥
الدكتور محسن سليمان عيسى	أساسيات صناعة الألبان ومستجانتها	د د
الدكتور إبراهيم نغثال	أساسيات علم الحراج	د د
الدكتور تزيال الديري	بساتين الفاكة	د د
الدكتور محسن سليمان عيسى	بعض التجارب العملية في الألبان ومشتقاتها	د د
الدكتور سلمان قطاية	تاريخ الطب العربي في رسوم	د ١٩٧٦
الدكتور جرجس شحود	تجارب مخبرية في الكيمياء الفيزيائية	د ١٩٧٥
الدكتور تزار حمضض	التحليل الكيميائي الوصفي	د د
الدكتور خالد الحامض	التخطيط الزراعي	د ١٩٧٦
الدكتور عبد الكريم الحلبي	خواص المواد (١ - ٣)	حلب ١٩٧٥
الدكتور أدهم سفتاف	الرياضيات	د د
الدكتور عبد الكريم الحلبي	السكك الحديدية (١ - ٢)	د د
الدكتور عبد الحامد حداد	مبادئ أولية في الكيمياء العضوية	د ١٩٧٦

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
الدكتور مرسيل داغر	مبادئ الفيزياء الحديثة (الجزء الرابع)	حلب ١٩٧٥
الدكتور رامي كف الغزال	المحاصيل الحقلية (الجزء الأول)	» »
الدكتور تزار حمض	محاضرات في الكيمياء العامة	» »
الدكتور عمر الدقاق	مصادر التراث العربي	» »
الدكتور عبد الكريم الحلبي	المطارات	» »
الدكتور محمد نبيل سالم	ميكانيك التربة	» »
الدكتور أحمد فيصل العمر	الهندسة الآلية	» »
الدكتور أحمد فيصل أصفري	الهندسة الصحية والبلديات	» »
الدكتور نبيل ميخائيل عيد	الهندسة الكهربائية	» »
بجيانده، نقله أبو الريحان البيروني	غرة الزيجات	حيدر اباد ١٩٧٣
د. بلاشير ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني	أبو الطيب المتنبى	دمشق ١٩٧٥
الدكتور عز الدين جوني	إحصاء انتاج الدخل الوطني وتطبيقاته في القطر العربي السوري	» ١٩٧٦
وزارة التعليم العالي	إحصاءات التعليم العالي	» ١٩٧٦
حنامية والدكتورة نجاح المطار	أدب الحرب	» »
يوري كوليسنيكوف ترجمة سميد أحمد	أرض الميعاد	» ١٩٧٥

الكتب المهداة

٦٩١

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الأميرة المقدسة	كارل ماركس وفريدريك انجلز ترجمة الدكتور رزق الله هيلان	دمشق ١٩٧٥
أصول علم المواريث (قسم التركة)	أحمد عبد الجواد - تحقيق محمد سعيد حنبلي	، ،
الأوائل « القسم الثاني »	أبو هلال العسكري تحقيق محمد المصري والدكتور وايد قصاب	، ١٩٧٦
بنية الدول الاشتراكية	الدكتور كمال الغالي	، ١٩٧٥
ثلاثة روائين فلسفيين	جوزف برينان ترجمة هاني الراهب	، ،
التضخم العالمي والشركات المتعددة الجنسيات	شارلس ليفنسون ترجمة د. سهام الشريف	، ١٩٧٦
الثورة الصناعية	جان بيرويو ترجمة إبراهيم خوري	، ١٩٧٥
الحضارة على مفترق الطرق	رادو فان ريشته ترجمة يحيى علي أديب	، ،
السماء تمطر خرافاً	دلال حاتم	، ١٩٧٦
سياسة المنتجات الأساسية والطاقة	د. عبد المنعم زنا بيلي	، ١٩٧٥
سبينا الأمس وسبينا واليوم	رينيه كلير، ترجمة الدكتور مصطفى صالح	، ١٩٧٦
الطيور البيضاء تسافر صوب الشمس	مروان خضر	، ،

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
جوزيف اميل مولر ترجمة مهة فرح الحوري	الفن في القرن العشرين	دمشق ١٩٧٦
إبراهيم مصطفى المحمود ل. أ. بيزيمسكي ترجمة عبد القادر الضلي	في الحرب عند العرب القادة الألمان في عهد هتلر وبعده	د ١٩٧٥ د د
الكفوي - تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري	الكليات - (القسم الثالث والرابع)	د ٧٥ و ٧٦
فريق من الاختصاصيين ترجمة الياس زحلاوي	المجتمع والعنف	د ١٩٧٦
د. ليلى صباغ جورج مـونو ترجمة د. حافظ الجمالي	المرأة في التاريخ العربي المصادقة والضرورة	د ١٩٧٥ د د
عبد الغني الدقر وباشراف أحمد عبيد	معجم النحو	د د
ألبرتيني وعدد من الباحثين ترجمة أديب العاقل	معنى الأمة	د ١٩٧٦
خليل السواحري	مقهي الباشورة	د ١٩٧٥
سان جون بيرس ترجمة أدونيس	منارات	د ١٩٧٦
أحمد الأخضر غزال ثابت بن أبي ثابت تحقيق محمد الفاسي	ألفاظ الإسعافية كتاب الفرق	الرباط ١٩٧٥ د ١٩٧٤
أحمد الأخضر غزال	في قضايا اللغة العربية ومستوى التعليم العربي	د ١٩٦٧

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
أحمد الأخضر غزال	القضية اللغوية في حركة «راء» المشتركة	الرباط ١٩٧٣
أحمد الأخضر غزال	وحيش المغرب «الطيور»	د ١٩٧٥
جامعة الدول العربية	دليل دور الوثائق ومراكز التوثيق في الوطن العربي	القاهرة ١٩٧٣
جامعة الدول العربية	الدوريات العربية	د د
محمد عبد النبي حسن، د عبد العزيز الدسوقي	روضة المدارس	د ١٩٧٥
سامي خلف حمارة	فهرس المخطوطات العربية في الطب والصيدنة المحفوظة في المكتبة البريطانية	د د
المرتضى الزبيدي تحقيق عبد العليم الطحطاوي	تاج العروس الجزء الرابع عشر	الكويت ١٩٧٤
أحمد عزة البغدادي تحقيق عبد الرحيم محمد علي	البيان المفيد في رسم خط القرآن المجيد	النجف ١٩٧٥

تصويبات الأخطاء المطبعية

الصفحة السطر	الصواب	الصفحة السطر	الصواب
٤٦٣	١ مغبرة	٥٠٨	١٣ أيوب السختياني (١)
٤٦٧	١١ الزمّعان (٢)	٥١٠	٦ بن أبي الحسن
٤٧١	١٣ بزل	٥١٤	١٢ قال
٤٧٤	٨ مؤثّر	٥١٤	١٩ قاسم بن ثابت بن حزم
٤٨١	تحت عنوان يضاف الرقم (٢) إشارة	٥١٦	٣ بن ثابت بن حزم
	المقال إلى أن المقالة هي الثانية	٥١٧	١٩ الصفار
٤٨١	١٢ بزاوية تمكروت أيضاً	٥١٩	١٤ بصرة
٤٨٤	٧ والثاني :	٥٢٦	١٤ حكى
٥٠٠	١٤ تمحذف لفظة حديث	٥٢٧	١٧ الياء واواً
٥٠٠	٢٠ مج ٤١	٥٨٤	٨ أودى
٥٠١	٧ والضحاك	٥٨٧	١٠ لفظة يسهو ، كلها في
٥٠١	٨ النمان		الشرط الأول
٥٠١	٩ د أبي هريرة	٥٩١	تذييل اللوحة بالجملة
٥٠٣	١١ ٢٣٣		التالية : انموذج من عمل
٥٠٦	١٢ استدركتها		الفنان محمد أنور شريف
٥٠٦	١٨ وجاء في الحاشية	٦٢١	١٠ الأدبية
٥٠٧	١٤ وكذلك البال ،	٦٣٣	١٥ ٧٩/٥

(١) كذا جاء اسم أيوب السختياني في النسخة بين الصحابة وهو من تابعي التابعين توفي سنة ١٣١ هـ ولعل السبب أنه يروي عن ابن سيرين حديثاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه .

فهرس الجزء الثالث من المجلد الحادي والخمسين

المقالات

ص		
٤٦١	بقايا الفصاح	الأستاذ شفيق جبيري
٤٦٥	نظرة في معجم المصطلحات الطبية . . . (٣١)	الدكتور حسني مبيع
٤٨١	كتاب الدلائل في غريب الحديث	الدكتور شاكر الفحام
٥١٨	نظرة في مأخذه ابن الشجري على مكبي . . .	الدكتور أحمد حسن فرحات
٥٣٧	نص مستدرك من كتاب العبر	الأستاذ رياض عبد الحميد مراد
٥٧٤	قصيدة من إفريقية	الدكتور عمر الأسعد
٥٩٢	الإمام المحدث عبد الحق الدهلوي	الأستاذ محمود أحمد غازي

التعريف والنقد

٦١٢	حركة الإحياء اللغوي في بلاد الشام . .	الأستاذ شفيق جبيري
٦١٦	ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون . . .	الدكتور شكري فيصل
٦٢٢	شعر مروان بن أبي حفصة	الأستاذ محمد يحيى زين الدين
٦٣٧	الأوائل لأبي هلال العسكري	الأستاذ إبراهيم صالح

آراء وأنباء

٦٤٦	الفقيه الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار .	
٦٤٨	الفقيه الأستاذ أمين نخلة	
٦٥٠	حفل استقبال الزميل محمد هيثم الخياط :	
٦٥١	خطاب الدكتور شكري فيصل	
٦٧٠	خطاب الدكتور محمد هيثم الخياط	
٦٨٨	الكتب المداة	
٦٩٤	تصويبات الأخطاء المطبعية	



مجلة

مجمع اللغة العربية بالقاهرة

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



شوال سنة ١٣٩٦ هـ

تشرين الاول « اكتوبر » سنة ١٩٧٦ م

الحياة في كتاب الأغاني

الأستاذ شفيق جبوري

إذا كنا ننظر إلى كتاب الأغاني من ناحية ما قاله صاحبه في مقدمته من أنه جمع فيه ما حضره وأمكنه جمعه من الأغاني العربية ، قديماً وحديثاً ، فإننا نعلم أبا الفرج لأنه جمع فيه ما هو أجلّ قدراً من ذلك ؛ وإذا كنا ننظر إلى هذا الكتاب العظيم من ناحية ما جمعه صاحبه فيه من آثار وأخبار ، وسير وأشعار متصلة بأيام العرب المشهورة وأخبارها الماثورة وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام ، فإننا نعلم أننا لأن وراء هذا كله حياة اجتماعية كامنة لا ينبغي لنا أن ننقل عنها . .

إن الذين قالوا : لقد وقع الاتفاق على أن كتاب الأغاني لم يعمل في بابه مثله لم ينحرفوا عن الحق في قولهم ، ولست في حاجة إلى ذكر ما قاله القدماء في قيمة هذا الكتاب أمثال صاحب بن عبّاد وعضد الدولة والوزير المهلب وعبد العزيز بن يوسف والشعالي وياقوت وابن خلدون .

أما الأغاني التي جمعها أبو الفرج وأما المصطلحات التي استعملها أمثال قوله : الثقل الأول وخفيفه الثقل الثاني وغير ذلك من هذه المصطلحات ،

أما هذا كله فقد يتفرد بعرفته رجال الموسيقى ، ولست منهم في شيء ، والذي سمعت أنهم في عصرنا قد أحاط علمهم بكل هذه الرموز وأصبحوا يعرفون ما يراد بالتقيل الأول والثقل الثاني وغير ذلك ، فهذا لا يعنيننا أمره في هذا المقال ، وكما أنني لا أعنى بالأغاني ومصطلحاتها في كتاب الأغاني فكذلك لا أعنى في هذا المقال بالأدب المستفيض في هذا الكتاب ، إن هذا الأدب إنما هو كنز لا يفنى مع الإنفاق ، وهذا التعبير اقتبسته من ابن المقفع لأنه وحده يليق بالافصح عن منزلة كتاب الأغاني ؛ فإذا كنا لا نقرأ هذا الكتاب إلا للانتفاع بأدبه فقد يتم لنا من هذا الانتفاع شيء كثير نصفي به ذوقنا ونمتي به معرفتنا وتقف على طبقات كثيرة من الشعر على اختلاف عصوره وأطواره . ولكن كتاب الأغاني ينبغي لنا أن نقرأه لأسباب ثانية .

وسنطلع في هذه القراءة على فوائد لا تقل عن الفوائد الأدبية ، ستمتع بالوقوف على الحياة بمخاضاتها في بعض المواضع من عصورنا ، لقد ذهبت عنا أخبار كثيرة من هذه الحياة فإذا افترقنا إلى شيء فإننا نفتقر إلى الإحاطة بمظاهر تلك الحياة فلا نعرف مثلاً أين كان تدريس الطلاب ولا كيف كانت معاملة المعلمين للطلاب ولا كيف كانت مجالس الطلاب وأساليب دراستهم وطبيعة هزلهم . غير أن الحياة لا تقتصر على حياة الطلاب وحدهم فإنها تمتد إلى آفاق أبعد ، إلى اللهو والشراب والزينة ، إلى داخل الدور وما تشتمل عليه هذه الدور من الأواني والفرش والسياب .

هذا بعض ما نحتاج إليه من معرفة الحياة الاجتماعية في تاريخنا ، ولا سيما حياة العامة ، فإن أدبنا في القديم قد حُبس على الخاصة وأهمل أكثره معرفة أمور العامة .

وفي كتاب الأغاني أشياء غير قليلة من هذه المعرفة ، غير أن حياة

الخاصة ، ولا سيما حياة الخلفاء ، كانت أظهر في كتاب الأغاني فقد نفع فيه على أمور كثيرة من قصور الخلفاء وفن البناء في الحجاز والشام والعراق. ماذا أحصي من مظاهر الحياة الاجتماعية في كتاب الأغاني ، أفلا يهنا أن نعرف أندية تلك العصور ومطامعها وخافاتها وقصصاتها وأفراحها وأحزانها ؟ وأما المرأة وحياتها فقد كانت مسرراً من الأسرار ، إلا أن أبا الفرج قد كشف لنا عن هذا السر بكلامه على حرية المرأة في الزواج وتفكيرها في حرية الطلاق وتحديثها إلى الرجال وحجابها وسفورها ، ونحن في أشد الحاجة إلى مثل هذا الكشف ولو كان قليلاً .

هذا بعض ما نهتدي إليه في كتاب الأغاني ، دع عنك أشياء ثانية تتصل بالغناء في القصور وبمواكب الحج وغير ذلك ، والذي نستغربه كل الاستغراب إنما هو أمر اللهو والتبذير ، وحسبنا بيتان قليلا في التبذير وردا في كتاب الأغاني .

وحلة تنشر ثم تطوى وطيلسان يشتري فيغلى
لبد عبد أو لمولى مولى يا ويح بيت المال ماذا يلقى

ليس هذا كل ما يحتوي عليه كتاب الأغاني الخالد على تعاقب العصور ولكنني أكتفي بالإشارة إلى بعض محتوياته حتى نعلم أن هذا الكتاب ليس مجرد ذكر الأغاني العربية ، وذكر آثار وأخبار وسير وأشعار ، ولكنه صورة حياة اجتماعية مجذافيرها غمر في تضاعيف سطوره بطائفة من أسرار هذه الحياة بما لا غمر في غيره بأشبابها فإذا نحن جمعنا هذه الآثار والأخبار والسير ، ونسقتناها في كتاب خاص حصلت لنا بذلك صورة الحياة الاجتماعية في بعض أيامها .

قد نستغرب هذا الأمر فنقول : لماذا لم ينسق أبو الفرج كتابه على

الشكل الذي يصور لنا الحياة أوضح تصوير ؟ ! إنه قد فطن إلى هذا التنسيق ولم يذهب عنه ، ولكنه اعتقد أن في طباع البشر حجة الانتقال من شيء إلى شيء ، والاستراحة من معهود إلى مستجد ، وكل مُنتقل إليه أشهى إلى النفس من المُنتقل منه ، والمتنظر أغلب على القلب من الموجود .

غير أنا في هذا العصر نميل إلى التنسيق وإلى الاختصاص ، فإذا تفرغنا لموضوع فإننا نحب أن نتفرغ له بشيء كثير من التبويب والتنسيق ، وهكذا نجد أن أساليب التأليف تختلف من عصر إلى عصر وأن الأذواق تتباين من دهر إلى دهر . وكيف كان الأمر فإذا وجدنا في كتاب الأغاني ذخيرة لأدبنا وصورة لكثير من أشعارنا على اختلاف أيامها نصفّي بها أذواقنا في الشعر ، ومظهراً من مظاهر النقد الأدبي نهدي به إلى المحاسن والمساوي ، إذا وجدنا هذا كله فقد آن لنا أن نجد في كتاب الأغاني صورة حياتنا الاجتماعية في كثير من أنماطها ، وأن نملأ قلوبنا وعقولنا من هذه الصورة فنخرج من هذا كله بنتيجتين :

علو منزلة أبي الفرج في الأدب والذوق .

وعلو منزله في تصوير الحياة .

وهذا ما يدخله في جنات الخالدين .

شفيق جبري

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور أ. ل. كيرفيل
نقله إلى العربية الأستاذة مرشد خاطر
وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٣٢ -

الدكتور حسني سبع

١٠٧٥٦ أجروح ريفير 10756 potion de rivière

وأفضل شراب ريفير لما تقدم من السبب آنفاً

١٠٧٦٠ إبهامٌ مُشَقٌّ ، مُشَطَّرٌ 10760 pouce bifide

وأفضل إبهام مشطور (إلى شطرين) كما جاء في الترجمة

الألمانية من المعجم الأصلي^(١)

١٠٧٦١ ذَرٌّ ، رشٌ المستحوق أو الذرور 10761 Poudrage

وأفضل ذر الذرور أو المسحوق دون الرش^(٢) وكذلك

تغير وتعغير كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي^(٣)

١٠٧٦٣ ذرور مُلتَصِقٌ 10763 poudre adhérente

وأرجع ذرور لاصق

(١) (zweigeteilter Daumen) .

(٢) في لسان العرب : الرش ليلهاء والدمر والدَّمَعُ ، والرش رشك البيت بالماء وقد رششت المكانَ رشاً .

(٣) (inspersion, powdering, dusting) .

- 10764 poudre en boîte, poudre conditionnée
١٧٠٦٤ ذَرُورٌ في عُلْبَةٍ ، ذَرُورٌ مُحْكَمٌ ، مُسْتَوِيٌّ الشُّرُوطُ
وأفضل ذَرُورٌ مُعَلَّبٌ ، ذَرُورٌ مُهَيَّأٌ
- 10767 poudre gazogène laxative
١٠٧٦٧ مَسْحُوقٌ مُوَلَّدُ الْغَازِ مُلَيِّنٌ
مَسْحُوقٌ مُلَيِّنٌ قَوَّارٌ ، وَذَرُورٌ سَنَلِيحٌ ، كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي^(١)
- 10770 poudre à souh poudres
١٠٧٧٠ مَسْحُوقٌ لِلذَّرِّ ، لِلرَّشِّ
مَسْحُوقٌ أَوْ ذَرُورٌ لِيَلْذَرَّ أَوْ التَّعْفِيرُ كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي^(٢) الرِّش
- 10775 pouls alternant
١٠٧٧٥ نَبْضٌ مُتَنَاقِبٌ ، مُتَنَاقِبٌ
النَّبْضُ الْمُتَنَاقِبُ فَقَطْ
- 10776 pouls bigéminé ou géminé
١٠٧٧٦ نَبْضٌ مُضَاعَفٌ أَوْ مُزْدَوِجٌ
وأفضل نَبْضٌ ثُنَاتِيٌّ أَوْ مُزْدَوِجٌ
- 10777 pouls bondissant ou capricant
١٠٧٧٧ نَبْضٌ قَاقِيزٌ أَوْ قَافِيزٌ
وَأَرْجَحُ نَبْضٌ قَافِيزٌ أَوْ مُرْتَجِعٌ ، كما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي^(٣) وَلَا أَرَى لَفْظَةَ قَافِيزٌ تَعْنِي ذَلِكَ^(٤)

(١) (Seidlitz powder) .

(٢) (dusting powder) .

(٣) (jerky pulse, goat leap, caprizant pulse, bonding pulse)

(٤) في لسان العرب : الْقَفِيزُ الْخَفَةُ وَالنَّشَاطُ أَوْ الْوَثْبُ ، قَفِيزٌ يَقْفِيزُ

قَفِيزاً فَهُوَ قَفِيزٌ وَالْقَفِيزُ نَحْوُهُ وَالْقَفِيزُ النَشِيطُ إِلَى أَنْ قَالَ : قَفِيزٌ قَفِيزاً

فَهُوَ قَفِيزٌ تَقْبِيزٌ وَتَشَجُّجٌ مِنَ الْبَرْدِ .

10778 pouls capillaire (insuffisance aortique)

١٠٧٧٨ نبض شعري (قصور الوتين)

وأرجع نبض شعري (قصور الأهر)^(١)

10780 pouls dans la compression cérébrale aiguë

١٠٧٨٠ نبض في انضغاط الدماغ الحاد

وأرجع النبض البطيء الخاص بفرط الضغط داخل الجمجمة

كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي^(٢)

10781 pouls de Corrigan (bondissant et bref)

١٠٧٨١ نبض كوريجان (قافز ووجيز)

وأفضل نبض قوريجان (قافز وقصير)

10783 pouls en fil de fer tendu

١٠٧٨٣ نبض كسيلك من حديد مؤثر

وأفضل نبض كسيلك حديد مشدود ، أو نبض

كسيلك الحديد ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من

المعجم الأصلي^(٣)

10785 pouls instable

١٠٧٨٥ نبض غير ثابت

وأرجع النبض المتغير

(١) سبقت الملاحظة على هذه اللفظة ، وأن يجمع اللغة العربية في القاهرة عترب

اللفظة بالآورطى (الصفحة ٧٣ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة) .

(٢) (slow pulse characteristic of intracranial pressure) .

(٣) (wiry pulse) .

10786 pouls myure

١٠٧٨٦ نبضٌ كَارِزٌ (أئ تضعف دَقَاتُه تدرجفياً ثم تتلأش)
وأفضل النبض التلأشف (١) والنبض المقتضب والنبض
على هيئة ذنب الفأر ، كآ آاء فف الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي (٢)

10787 pouls paradoxal نبضٌ غرِيبٌ ، مُستَقَرَّبٌ

وأرجع النبض المَجِيب أو الملتقارِق

10795 poumon d'acier رئةٌ فُولاذِفَةٌ

وكذلك مُتَفِيتَةٌ دِرْشكر أو كُثَامتة ، كآ آاء فف الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي (٣)

10796 pouponière دَارٌ حَضَانَةٌ ، قَاعَةٌ حَضَانَةٌ

وأفضل دَارٌ حَضَانَةٌ الأطفال النُشَارِية

10797 Pourpre rétinien ثَرْفِيرٌ شَبَكِي

وأرجع ثَرْفِيرٌ الشبكية أو الطبقة الشبكية والفرفير
البَصْرِي ورودبسن ، كآ آاء فف الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي (٤)

10798 pourri, ie, putréfié, ée جَوْرٌ ، مُتَفَسِّخٌ ، مُتَدَعِصٌ

(١) فف آآج العروس : لشآ آفسٌ بَعْدَ رِقْعَةٍ ، تَلأش الشيء اضمحل .

(٢) (decurtate, myurous or mouse - tail pulse) .

(٣) (Drinker respirator) .

(٤) (visual purple, rhopodsin) .

10799 Pourriture, putréfaction, décomposition cadavérique

١٠٧٩٩ جَوَى ، تَقْسُخ ، تَدْعُص ، تَجَزُّوْ جيفي

وأرجع قاسد ومُتَقَسِّخ في الأولى ، وقساد وتَقْسُخ

وتجيف وتَدْعُص (١) في الثانية

واللفظة جوى معاني أخرى توقيح الالتباس (٢)

10800 pourriture d'hôpital, mal d'hôpital, gangrène
nosocomiale d'hôpital, diphtérie des plaies, ulcère
putride ou gangréneux

١٠٨٠٠ جوى المستشفى داء المستشفى موات المستشفى ،

غشائية الجروح ، قرحة عفنة أو مواتية

(١) في لسان العرب : وقد جافت الجيفة واجتافت انتنت وأروحت .

وفيه أيضاً : وتَدْعُص اللحم تهرأ من فسادِه والمُتَدْعِص الميت

إذا تفسخ شبه بالدِغص (قدر من الرمل مجتمع) لورمه وضعفه . وجيفت الجيفة
تجيفاً إذا اصلت .

(٢) في تاج العروس : الجوى هوى باطن كما في المحكم وأيضاً الحزن ، والماء

النتن المتغير ، وفي الصحاح الحرقنة وشدة الوجند من عيشق أو حزن ،

والجوى السل وتناول المرض وقيل داء يأخذ في الصدر ، وقيل كل داء يأخذ

في الباطن لا يستمرأ معه الطعام ، وقد جوى كرضي جوى فهو جوى بالتخفيف

وجوى وصف بالصدر وامرأة جوية وجوية كرضية واجتواه كرمه .

وأرجح كثرة المستشفى^(١) أذى المستشفى^(٢)، غنرينا^(٣)
التمريض (وقد أهملتها اللجنة) أو غنرينا المستشفى،
ديفتريا^(٤) الجروح، والديفتريا الجراحية، كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي^(٥) والقرحة التتنة أو القنقرينية

10802 poussée nouvelle, rechute, récidence, récurrence

١٠٨٠٢ هجمة جديدة، ارتداد، نكس، تكرر

ودرجت على ترجمة اللفظة الثانية (rechute) بالمعاودة
والثالثة (récidence) بالنكس وأفضل ترجمة
(récurrence) بالرُجوع

10804 poussier de motte, tourbe pulvérisée

١٠٨٠٤ دق، مدّر الفحم، طورب مسحوق

وأفضل دقيق الخث أو مسحوقه أو دقاقه^(٦) وكذلك

(١) الصفحة ٦٥٢ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) إن لفظة (mal) تعني الضرر والأذى لا الداء حصراً وهو المقصود هنا .

(٣) الصفحة ٨٤٤ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .

(٤) الصفحة ٢٩٣ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٥) (wound or surgical diphteria) .

(٦) في لسان العرب : الخث غشاء السيل إذا خلفه ونضب عنه حتى

يجف وكذلك الطحلب إذا يبس (لعل هذا هو المقصود) .

في لسان العرب : والدقاق والدقاق ما ندق من الشيء وهو التراب اللين

الذي كسحه الريح من الأرض، ودقق التراب دقاقه وأحدثها دقة، والدقاق

فئات كل شيء .

الغزوي الخشي والفراش الخشي ، كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي^(١) إذ يبدو أن المقصود من
مدلول هذه اللفظة غير الطية ما يضاف إلى الجيس من
مستحوق من أصل نباتي ليعول دون اتفاحه بعد جيله
بالماء ووضع الضماد الجبسي ، في تثبيت أحد أجزاء الأطراف
وليس لألفاظ الدق والمدّر والطّوب هذه الدلالة^(٢)

10805 Poussière

١٠٨٠٥ غبار

ومستحوق أو ذرور ، كما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي^(٣)

10806 Poussif, emphysémateux, euse, asthmatique (vét.)

١٠٨٠٦ زلي، مُنتَفَخ الرئة، رَبّوي (ببطرة)
وأرجع كَرَيوري أو مُصاب بالكُرَيرة^(٤) أو بالزُّرّة^(٥)
(بالضم) ومُنتَفِخ الرئة وَرَبّوي، ومُنتَقِطع النَّفَس
كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي^(٦)

(١) (peat gauze, peat - litter) .

(٢) المدّر قطع الطين اليابس وقيل الطين الميك الذي لارمل فيه
واحدته مدّرة، هذا ويبدو أن لفظة طوب (ولعلّ الأفضل أن ترسم بدون واو
طُوب) هي من تعريب اللجنة .

(٣) (dust, powder) .

(٤) في لسان العرب : الكُرير صوت في الصدر مثل الخُرجة وليس بها
وكذلك هو من الخيل في صدورها كُرّ يَكُرّ بالكسّر كُريراً مثل كُرير المَحْتَق .

(٥) في تاج العروس : والزُّرة بالضم ضيق النَّفَس .

(٦) (asthmatical, puffy, broken-winded, chest - foundered)

١٠٨٠٧ قُدْرَة دَائِقَة 10807 Pouvoir adhésif

وأرجع قُدْرَة لاصِقَة ، وسبق للجنة أن ترجمت (adhésion)
بالتزاق والتصاق وتثبيت (اللفظة ٣٢٧)

١٠٨١٠ قُدْرَة مُحَدِّدَة (للعدسية) 10810 pouvoir définissant d'une lentille

وأرجع القُدْرَة المَوْضِحَة أو المَبَيِّنَة (لإحدى العدسات)
لأن المقصود من هذا المصطلح قدرة إحدى العدسات على
إظهار الأشياء اظهاراً بغاية الوضوح ، كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي^(١)

١٠٨١١ قُدْرَة التَّمْيِيز 10811 pouvoir de discrimination

والتفريق كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي^(٢)

١٠٨١٢ قُوَّة مُسَيِّخَة 10812 Pouvoir flocculant

وأرجع قوة مُنْدِفَة^(٣) لأن التسيخ معاني طية أخرى^(٤)
وسبقت للجنة أن ترجمت (léthargie) بسَبَخ وسُبَات
(اللفظة ٧٨٢٦) ثم عدلت عن السَبَخ

(١) (power of lens to give sharp picture of objects) .

(٢) (power of discernment, of discrimination) .

(٣) في لسان العرب : النَدَف طرق القطن بالمِندَف ، نَدَفَ القُطْنُ
يَندِفُه ندفاً ضربه بالمِندَف فهو نَدِيف .

(٤) في لسان العرب: التسيخ التخفيف إلى أن قال والتسيخ أيضاً التسيخ
والسكون ، والسبخ والتسيخ النوم الشديد .

10813 pouvoir pénétrant (d'un objectif)

١٠٨١٣ قُدْرَة نَافِذَة (العَدْسِيَّة جُرْومِيَّة)

وأفضل قُدْرَة النُفُوذ (لعدسة شَيْثِيَّة) كما أقرها مجمع
اللغة العربية في القاهرة

10817 pouvoir séparateur ou résolvant (d'une lentille)

١٠٨١٧ قُوَّةٌ عَازِلَةٌ أَوْ مُحَلِّلَةٌ (العَدْسِيَّة)

وأفضل القدرة المفرقة أَوْ المُحَلِّلَة (للعدسة)

10820 Praticabilité

١٠٨٢٠ سَلُوكِيَّةٌ ، قَابِلِيَّةُ السُّلُوكِ

وأفضل قابليته الإجراء والعمل والسلوك

10822 Praxie

١٠٨٢٢ تَنْسِيقُ الْحَرَكَاتِ

وأفضل إحكام العمل ، لأن ماتعنيه اللفظة أداء العمل
الذي تعلّمه الإنسان إداءً صحيحاً بالإتيان بمجمل حركات
متابعة وبانتظام

10830 précipitation en flocons, flocutation

١٠٨٣٠ تَوَسَّبٌ مَبَائِغٌ ، تَسْبِغٌ

وأفضل تَوَسَّبٌ عَلَى هَيْئَةِ فِدَائِفٍ (١) وَتَسْدِيقٌ

10832 Précipité, ée

١٠٨٣٢ مُرْسَبٌ ، مُتَرَسِّبٌ

وأفضل مُرْسَبٌ وَمُرْسَبَةٌ

10839 préconiser

١٠٨٣٩ أَطْتَبُّ ، أَطْرَأُ

والصحيح أَوْصَى أَوْ اقْتَرَحَ استعمال علاج
(préconiser un médicament) وهو المقصود من هذه

اللفظة في هذا المعجم الطبي

١٠٨٤٠ قَبْلُ الشُّعُور 10840 Préconscient

وأرجع ما قبل الوعي أي ما يبدأ أن يشعر به فاقد
الوعي، وكما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

١٠٨٤١ أمام القلب 10841 Précordial, lc

ومقدم الصدر

١٠٨٤٣ هَضْمٌ سابقٌ بدؤه الهضم 10843 Prédigestion

وأفضل طبيعة الهضم أو بدؤه

١٠٨٤٤ مُؤَثِّب 10844 prédisposant, te

وأقر جمع اللغة العربية في القاهرة : مُهيِّئٌ ، وجاء في الشرح
أي شيء يؤثر في الجسم فيجعله قابلاً لتأثير المهيِّج

10845 Prédisposition au développement d'une tumeur

١٠٨٤٥ تَأْهَبٌ لِنُموْرٍ ورم

وأفضل تأهب لتكوين ورم أو تكوينه

١٠٨٤٨ قَبْضٌ ، تَنَاوَل 10848 Préhension

وأرجع الإمساك أو الالتقاط ، لأن أكثر ما تستعمل اللفظة

في المنعكس الذي يحمل هذا الاسم (refl. de préhension)

ويقلب ظهوره في أورام الفص الجبهي

١٠٨٤٩ أَخَذَ ، أَخِيذَةٌ لِلتَّجَرِبَةِ 10849 prélèvement, prise d'essai

وأفضل إختراع أو أخذ في اللفظة الأولى حسب المادة

المخترعة أو المأخوذة ، فإذا كانت دماً قبل أخذ الدم وإذا

- كانت قطعة من نسيج قبل إختراع خِزاعة من النسيج
أو من الورم ، ثم أخذ للاختبار في الثانية
- ١٠٨٥٠ أخذُ تَمَازِجُ 10850 prélèvement (faire un) d'échantillons
وأفضل أخذ عَيِّنَة أو عَيِّنَات كما أقرها مجمع اللغة العربية
في القاهرة ، وأخذ عَيِّنَة لأجل الفحص أو الدراسة كما
جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي^(١)
- ١٠٨٥٤ إسعافٌ أول 10854 premier secours
وأرجع الاسعاف الأولي
- ١٠٨٥٦ المياه الأولى (قبالة) 10856 premières eaux (obs.)
ولعلها الساياء^(٢)
- ١٠٨٦٣ بَرْدٌ وأصيبَ بِبَرْدٍ 10863 prendre froid
وأرجع بَرْدٌ وتَبَرْدٌ . هذا وإن مجمع اللغة العربية في
القاهرة قد أقر لفظة البرد ترجمة لـ (cold) الانكليزية ،
ويُعرف بالزكام (وهو الصحيح) وجاء في الشرح : تَزَلَّة
تصيب أغشية الجهاز التنفسي المخاطية .
- ١٠٨٦٥ مَشْغُولٌ ، قَلِقٌ 10865 Préoccupé, ée
وأرجع مُشْتَغِلٌ تاركاً مشغول ترجمة لـ (occupé)
وقَلِقٌ لـ (anxieux) .
- ١٠٨٦٧ مُجَهِّزٌ ، مُعِدٌ 10867 Préparant, te

(١) (taking a specimen or sample for examination)

(٢) في لسان العرب : والساياء الماء الكثير الذي يخرج على رأس الولد .

وأفضل مُهَيَّء ، مُحَضِّر ، وكذلك إعدادي كما جاء في
الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي^(١)

10868. Préopératoire قَبْلَ البَتْحِ ١٠٨٦٨

وأفضل قبل الجراحة أو قبل التوسط الجراحي أو
المدخلة الجراحية

10870 préparation culinaire 'مُحَضَّر طَبْخِي ١٠٨٧٠

والصحيح تحضير للطبخ ، وكما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي^(٢)

10872 préparation à l'état frais ou préparation fraîche

١٠٨٧٢ 'مُحَضَّر عَيْطٍ أو طَرِي

وأرجح التحضير بالحالة الطازجة و'مُحَضَّر طازَجٍ أو تحضير
بحالة الطيبة ، كما جاء في الترجمة الألمانية من المعجم الأصلي^(٣)

10873 préparation par impression 'مُحَضَّر بالانطباع ١٠٨٧٣

وأفضل 'تَحْضِير بالطبع وبالضغط مع التماس ، كما جاء
في الترجمة الألمانية من المعجم الأصلي^(٤)

10877 Préparation remplaçant le sang, produit de substitution ou succédané du sang

١٠٨٧٧ مُبَيِّتًا يَقُومُ بِمَقَامِ الدَّمِ ، مادة تعويض عن الدم

(١) (preparatory) .

(٢) (preparation, cooking of food) .

(٣) (Nature präparat) .

(٤) (Abklatsch - Klatsch - Kontaktpreparation) .

وأرجع مُحَضَّر عِيَّض من الدم ، مُنتَج بديل عن الدم
أو بديل الدم ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من
المعجم الأصلي^(١)

١٠٨٧٨ مُحَضَّر جاف 10878 Préparation sèche ou à sec

وأفضل مُحَضَّر جاف وَحَضَّر بالتجفيف (بلا ماء) ، وكما
جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي^(٢)

١٠٨٨٠ حَضَّر وَوَزَّع وأعطى أدوية 10880 Préparer, distribuer, et administrer des médicaments

وأفضل مَيَّأ الأدوية ووزَّعها وأوصى بها للمريض

10881 préparer un milieu de culture

١٠٨٨١ حَضَّر بيئَة للزَّرْع تجهِّز مُستَنبَتًا

وأفضل حضر أو مَيَّأ مستنبتًا للزراع

10882 Prépondérant , ante , prévalent, ante, d'importance exagérée

١٠٨٨٢ راجِعٌ ، غَالِبٌ ، ذو شأن عَظِيم

وأفضل مُرَجَّحٌ ، مُتَفَوِّقٌ ، ذو شأن مُبَالِغٍ فِيهِ

١٠٨٨٦ وَقَر الشَّيْخُوخَة 10886 Presbyacousie

يُسْتَدَل من اشتقاق اللفظة إنها تعني سَمْع الشَّيْخُوخَة ،

وجاء التعريف في معجم دُورلاند^(٣) حالة خاصة في الشيوخ

(١) (blood substitute) .

(٢) (dry, dried preperation) .

(٣) لَفْظَة (presbyacusia) في معجم (Dorland's Illustrated

(Medical Dictionary .

- بحيث يتقل السمع من الأذنين معاً وتدرجياً وبازدياد
مطرود . لذا أرجح حالة السمع الشيخي
- ١٠٨٨٧ قُصْر البصر 10887 Presbyopie, presbytie
سبقت الملاحظة على هذه اللفظة^(١) وأقر مجمع اللغة العربية
في القاهرة ترجمتها أيضاً بإبصار الشيخوخى ، وجاء في
التعريب : ضعف في إبصار المروثيات القريبة ، سببه تغير
شيخوخى في قدرة العدسة على التكيف
- ١٠٨٨٨ قاصي البصر 10888 Presbiopique
وأرجح ذو إبصار شيخوخى
- ١٠٨٩٢ ثبات الجنان ، بديهة 10892 présence d'esprit
وأرجح سُرعَة الخاطر
- ١٠٩٠٤ يَتَنُّ (تحيىء بالقدمين) 10904 présentation des pieds
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة . يَتَنُّ للجنة بالمعقدة
وجاء في الشرح : خروج مقعدة الحبل من الرحم قبل رأسه
والصحيح ما ذكرته اللجنة^(٢)
- ١٠٩٠٦ تحيىء بالقُمة 10906 présentation du sommet
والحيء الجمجمي والرأسي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من
المعجم الأصلي^(٣)

(١) الصفحة ٣٩٧ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .
(٢) في تاج العروس : اليتن أن تخرج رجلا المولود قبل يديه ورأسه ، وتكره
الولادة إذا كانت كذلك وقد خرج يتناً .
(٣) (cranial presentation, head presentation) .

10912 Presseur, hypertenseuse

١٠٩١٢ ضَاغِطٌ مُوتَرٌ ، زَائِدُ الضَّغْطِ

وَأَفْضَلُ ضَاغِطٍ ، مُزِيدُ التَّوَتُّرِ أَوْ رَافِعُ التَّوَتُّرِ

10914 pression d'une ampoule à gaz

١٠٩١٤ ضَغْطُ حُبَابَةِ غَازٍ

وَالصَّحِيحُ الضَّغْطُ فِي أَنْبُوبِ ذِي غَازٍ أَوْ ضَغْطُ الْغَازِ

فِي أَنْبُوبِ الْأَشِعَّةِ السَّيْنِيَّةِ ، كَمَا جَاءَ فِي التَّرْجُمَةِ الْإِنْكَلِيزِيَّةِ

مِنَ الْمَعْجَمِ الْأَصْلِيِّ (١)

10917 pression dans l'axe du foetus

١٠٩١٧ ضَغْطُ بِحَسَبِ مَحْوَرِ الْجَنِينِ

ضَغْطُ مَحْوَرِ الْجَنِينِ أَوْ الْحَمْلِ (بِمَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي

الْقَاهِرَةِ) ، وَكَمَا جَاءَ فِي التَّرْجُمَةِ الْإِنْكَلِيزِيَّةِ مِنْ

الْمَعْجَمِ الْأَصْلِيِّ (٢)

10918 pression critique

١٠٩١٨ ضَغْطُ مُجْتَرَانِي

وَالصَّحِيحُ الضَّغْطُ الْخَارِجُ كَمَا جَاءَ فِي مَعْجَمِ وَبِستِر (٣)

10918 pression des muscles de la paroi abdominale

١٠٩١٨ ضَغْطُ أَعْضَلَاتِ الْجِدَارِ الْبَطْنِيِّ

وَأَرْجِعُ ضَغْطَ أَعْضَلِ جِدَارِ الْبَطْنِ أَوْ أَعْضَلَاتِهِ

10919 pression partielle

١٠٩١٩ ضَغْطُ قِسْمِي

وَأَفْضَلُ ضَغْطُ جُزْئِي

(١) (pressure of the gas in a x - ray tube) .

(٢) (foetal - axis pressure)

(٣) لفظة (critical) فِي مَعْجَمِ وَبِستِر (Webster's Third New International Dictionary) .

- ١٠٩٢٠ *10920 pressoire d'Herophile* مصب هيروفيل
وأفضل مُلتقى هيروفيلوس (وهو الاسم المعروف به عند
العرب) وملتقى الجيوب (*confluent sinus*) أيضاً وثمة
غلط مطبعي في (برسوار) إذ وردت بدون c
- ١٠٩٢١ *10921 Pressoréceptif, ive, pressosensitif, ve* حاس بالضغط
وأفضل مُستقبل بالضغط في اللفظة الأولى (وقد أهملتها
اللجنة) مدرك بالضغط
- ١٠٩٢٢ *10922 Pressorécepteur* مُشعر بالضغط
وأفضل مُستقبل بالضغط
- ١٠٩٢٥ *10925 Préventorium* دار الوقاية ، موقى
وأفضل مُنتجع الوقاية
- ١٠٩٢٩ *10929 Priapisme* قساحة ، كثرة الشعوط
وأرجع القساح أو الشعوط ائلمستير أو الدائم وهو الناجم
عن حالة مرضية لاعن فرط الشهوة الجنسية
- ١٠٩٣٣ *10933 Principe actif* عامل مؤثر ، جواهر مؤثر
وأرجع الجواهر المؤثر السريع كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي^(١)
- ١٠٩٣٤ *10934 principe hépatique protecteur* عامل كبدي صائن
مادة كبدية واقية أو حامية كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي^(٢)
- تاركاً عامل ترجمة لـ (*facteur*) (اللفظة ٥٥٢١) للبحث صلة

(١) (active component , active quick principle) .

(٢) (protective hepatic substance) .

مزايع بناء اللغة على التوهم (*)

الأستاذ محمد بهجة الأثري

- ١ -

هل بُني في اللغة العربية شيء من الألفاظ المشتقات على التوهم ؟
بناء اللغة على التوهم ، أو الخطأ ، يعني انحراف السلاتق عن قانونها
النفسى الذى يحكمها ، وتجري عليه صورها الاشتقاقية اطراداً على
نستق متعين .

وفى حدود ما أعلمه وأطمئن إليه أستطيع أن أدعي أن اللغة العربية ،
بأساليبها الكثيرة الدقيقة ومناحيها المختلفة فى الاشتقاق وتوزيع الصور
الكلامية ، هي أقرب إلى النظام الطبيعى والتزامه سعيّة وسليقة — من
هذه اللغات الواسعة الانتشار ، التى نعرف بعضها معرفة تكاد تضارع
معرفة أهلها المتميزين بها ، أو نلم بها إلماماً غير قاصر نفقه معه طبيعتها ،
أو يصف. لنا علماء اللغات أحوالها وخصائصها فنستشف منها نظامها العام فى
التأصيل والاشتقاق .

(*) بحث ألقى فى مؤتمر جمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٧٦

ولكن هذا النظام الطبيعي ، الذي تتميز به العربية ، قد يبدو بعض جوانبه في كتب النحو وعليه سمات من الاختلال اليسير ، كما تلمّح في هذا الاضطراب الذي نجده في تأصيل بعض مآصله النشأة واللغويون ، رحمهم الله ، من الضوابط ، وفي هذا الاختلاف بينهم في مسائل السماع والقياس ، وما يتصل بها من القول بالشنوذ والندرة والبناء على التوهم ونحو ذلك من أقوال .

وحدث مثل هذا الاضطراب والاختلاف في تقرير مسائل اللغة العربية ، أمر طبيعي ومعهود في كل لغة أخرى . ومردفه في اللغة العربية إلى جملة عوامل ، اعتملت فيها في تاريخها المديد ، فألقت ظلها على أذهان اللغويين والنشأة وعلى بعض ما استنبطوه من ضوابطها وقواعدها العامة .

وحالة اللغات جمعاء ، هي كذلك أيضاً . . تخضع لأمثال ما خضعت له العربية ، من حيث هي كوائن حيّة ، يعتورها عادة ما يعتور الأحياء من تغير وتطور ، وكون وفساد ، ونمو وضمور ، فيعكس ذلك كله على ضوابطها المستنبطة منها وما يقال فيها أحياناً من الشنوذ ونحوه .

وأكثر ما نرى ذلك يعرض لأبنية اللغات الكبيرة ، التي تقادمت عهودها وكانت لها جذور تاريخية وتكلمت بها شعوب كثيرة في بقاع شتى وأزمان متطاولة .

واللغة العربية ، كما نعلم ، لغة عريقة قديمة معنة في القدم ، ضاربة في أعماق التاريخ البعيد . وقد عايش حضارات أخصبت في الحجاز واليمن وحضرة موت وعُمان والبحرين ، بل أخصبت في قلب الجزيرة أيضاً ، كما دلّ على ذلك التنقيب عن الآثار وشهرة الباحثون في العصر الحديث . واتصلت بالأمم التي تجاورها في البر من فارس وروم ، وبالأمم التي تسكن وراء

بمجارها من الشرق والغرب والجنوب . وعاشت كذلك البداوة في العصر الجاهلي ، الذي اتصل به ظهور الإسلام وقدمرت مدته بمئتي سنة . فعرفت بفضل هذه المعاشات المختلفة ، ألواناً شتى من ألوان الحياة في صعودها وهبوطها ، وفي حضارتها وبداوتها في مختلف الأحوال المادية والمعنوية ، وزخرت بذلك مادتها زخوراً منقطع المثال في تاريخ اللغات ، وحملت من ألفاظ الحضارة والبداوة معاً ما ننع به من مادتها الثروة وراثتها الوافي .

ونحن نعلم أنها في عصورها الحضارية القديمة كانت لغة متعددة اللهجات والسيات ، ولكنه التعدد الذي لا يطغى على الأصل الجامع . وكذلك ظلت بعد اندثار تلك الحضارات ، واضطراب العرب بسبب ذلك إلى الانتشار في البوادي ما بين قيا في الحجاز ونهامة ، ومهامية الأحقاف والهامية ، وفي أطراف الجزيرة وحواشها من أسياف البحر وتخوم البر .. فتوزعوا فيها قبائل وبطوناً وأفخاذاً ، وعاشوا رُحلاً جوَّارين ، ينتقلون في جزيرتهم من أرض إلى أرض ، يسعون في اتّجاع المراعي ومساقط الأمطار ، ولما كانوا يلتقون إلا متنازعين على موارد العيش .. هكذا تباعد بعضهم عن بعض ، فاستبغ تباعدهم هذا على مرور الزمن تباعد لهجاتهم في أشياء غير قليلة ، وإكته لم ينل من الأصل العام الذي ظل محتفظاً بنفسه ومستقراً في النحائر واللاتق .

وبهذه القبائل والبطون والأفخاذ العربية المتبدية ، وتلك كانت حالة اللغة من الانتشار وتعدد اللهجات .. اتصل رواية العربية ، بعد أن نجم الإسلام وانبثقت الثورة العلمية التي رافقت دعوته بدءاً بنشر الكتابة والقراءة في الأميين ، وانتهاءً بالتدوين والتأليف ووضع النحو وصنع المعجم العربي .

أخذوها منهم وهي لغات قبائل ، لا لغة قبيّة واحدة بعينها ، ودونوها جميعاً ولكن من غير أن يستقوها بحسب كل قبيّة ، وإن لم يفهم أن يشيروا في أثباء ذلك إلى اختلاف اللهجات . هذا إلى أن ما دونه منها ، على عظمه وغزارته ، لم يكن كلّ ما تكلمت به العرب ، وإنما كان قليلاً من كثير درّس وذهب بذهاب أهله كما أجمع على ذلك المؤرّخون .

ثم كانت هذه الأصول ، وهي على هذه الحال ، هي عمدة اللغويين والنشأة في تأصيل ضوابط العربية التي استنبطوها ابتداءً وابتداءً فأحسنوا ، رحمهم الله ، الإحسان كلّ . وكان طبعاً جداً أن يجتهدوا فيما استنبطوه وأصلوه ، أو في أشياء مما أصلوه ، اجتهاداً متفائراً ، وأن ينشأ بينهم اختلاف في الآراء ، وتعدد في المذاهب ، وأن يقرر هذا غير ما يقرره ذاك ، وأن يحدث القول بالشدوذ ، أو الشذرة ، أو البناء على التوهم . على أن هذا كله ، ليس بالقدر الذي يخل بجملة نظام اللغة ، ولا هو بالذي يستحي على التصحيح لمن أراد ، لا أعني تصحيح اللغة ، ولكن تصحيح ما تشعث من بعض ضوابطها التي بنيت على الاستقراء الناقص عند بعض النحاة ، وعلى الفكر المتزمت عند آخرين .

ولقد اهتمت الدراسات الحديثة المتعمقة ، التي قامت في هذا العصر على التحرر من قيود المتابعة العمياء ، إلى أشياء من هذا التصحيح ، أصابت فيها حظوظاً من التوفيق في إبراز عبقرية العربية وتبديد ما ران عليها من بعض القواعد الضاغطة ، من مظاهر العصر والجمود ، وكان لها أثر محمود في الدلالة على حيويتها ، وفي النظرة إلى يسرها وطواعيتها . ومن ذلك ما تهدي إلى هذا الجمع ، الجليل موفّقاً منذ أول نشأته ، وما يزال

دائماً في طريقه ، وإنه لمرجوه أن تراعي دراساته الحثثيين : أصالة العربية ، وملاحظة مطالب الحياة في ضوء هذه الأصالة .

و كنت قد عرضت ، في بحث سابق ، لقيود اشتقاق اسم الآلة ، وحصص النشأة لها في أوزان ثلاثة ، وتنجيزهم بذلك الواسع من تصرف العربية في هذا الباب الخطير الذي إليه المفرع في هذا العصر الآلي الذي يتقاضا في كل يوم مئتين من ألفاظ الأجهزة والأدوات والآلات في غير تلبث ولا وناء ، فدللت به على طواعية هذه اللغة وقدرتها على الاستجابة إلى ما يراد منها .

كما عرضت من بعده لمزاعم الشذوذ في المشتقات ، فرددت كل لفظ من المشتقات الموصوفة بالشذوذ في بابي اسم الفاعل واسم المفعول خاصة إلى قانون اللغة النفسي الذي تجري عليه هذه العربية سليقةً وتنجراً .

وأعرض اليوم لمزاعم البناء على التوهم ، وأنا أرجو أن أستشرف من اجتهادي في تبديد هذا التوهم وإبطاله إلى ما أطمح إليه من التوفيق إن شاء الله .

- ٢ -

أصبت في أقوال النشأة واللغويين في كيار كتب النحو ودواوين اللغة أنواعاً من مزاعم التوهم نسبوها إلى العربية ، أنا ذا كرها بحسب ما انتهى إليها علمي ومفنديها واحدة فواحدة ، وهي :

١ - توهم حذف الحرف الزائد .

٢ - توهم حذف الحرف الأصلي .

٣ - توهم التغير .

٤ - توهم زيادة الحرف الأصلي .

٥ - توهم أصالة الحرف المتحول .

٦ - توهم أصالة الحرف الزائد .

٧ - العطف على التوهم .

وأفرغ الآن لأنواع الستة ، وأرجىء بحث النوع السابع إلى وقت آخر أعالجه فيه .



١ - توهم حذف الحرف الزائد :

ويسميه بعض أهل اللغة « شاذاً » وهو كل ما ورد في كلام فصحاء العرب من المشتقات على « فَعِيل » أو « مفعول » ، ولم يسمعوا فعله الثلاثي ، وإنما سمعوا منه الفعل الرباعي الذي يبنى اسم المفعول منه على « مَفْعَل » ، ليس غير ، فيخرجونه على أنه مبني على توهم حذف الحرف الزائد من فعله ، أو على أنه جاء على خلاف القياس .

ومن أمثله : (ذَهَيْب) بمعنى (مُذْهَب) في قول حميد بن ثور من مخضرمي الجاهلية والإسلام :

موشحة الأقرباب : أمّا بترأتها فمئس ، وأما جلدُها فـ (ذَهَيْب)^(١)

قال أبو منصور : « أراه على توهم حذف الزيادة ، أراد الشاعر المذهب ، فتوهم (ذَهَبَهُ) ، وبناء عليه » .

(١) هذه رواية « تهذيب اللغة » ، نقلها « لسان العرب » و « تاج العروس » . برواية ديوان الشاعر :

بوحشية : أمّا ضواحي متونها فمئس ، وأما خلقها فغليب

فلا شاهد فيه .

والذي حمل أبا منصور على هذا القول أنه سمع الفعل الرباعي :
أذهب ، إذا طلاه بالذهب ، ولم يسمع ذَهَبَتْ ، فأرسل حكمه على
(ذَهَيْب) بأنه على توهم حذف الزيادة . وليس ذلك بصواب كما سأوضحه .

ومنها : (منبوت) في رَجَزٍ غامض مجهول قائله ، وربما حكى
(منبوت) بالثاء المثلثة في موضع النون ، وهو :

وبلد يُغْضِي على الشُعوتِ يُغْضِي كإغضاء الرومي المنبوت

قال ابن سيده الأندلسي : « أراد (المُنْبِت) ، فتوهم (نَبَتْ) »
كما قال الآخر (المُسَرَّ) وأراد (المسرور) ، فتوهم (أَسَرَّ)
بمعنى (سَرَّ) ، قال : « وقد ورد هذا اللفظ في مثل قديم ،
وهو : « كلُّ مُجَنَّرٍ في الحَلَاءِ مُسَرَّ » ، أي : مسرور . هكذا
حكاه أفتار بن لقيط ، (١) .

ومنها : (مبروز) في قول لبيد بن ربيعة العامري :
أو مُذْهَبٌ جَدَدٌ ، على التواحيد الناطق (المبروز) والمختوم
وقد أنكر أبو حاتم (المبروز) ، وقال : « لعله (المزبور) ،
وهو المكتوب » . ذلك لأنه سمع (أبرزه) ، ولم يسمع (بَرَزَة) ،
وقال غيره : « كتاب مبروز ، أي : منشور ، على غير قياس ، يعني
أن الشاعر توهم حذف الزيادة .

وغير هذه الأمثلة كثير في الكلام الوارد عن فصحاء العرب ،

(١) هو أبو مهدية الأعرجي . رجل من « باملة » دخل الحواضر ، واستفاد
الناس منه اللغة . وكان به عارض من مس . وترجمته في : فهرست ابن النديم ،
وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي ، وإنباء الرواة .

بما لا يجوز أن ينسب كله إلى توهم حذف الزيادة ، ويرقف عنده ، ولا تبحث الأسباب .

وقد أوردت طائفة من ذلك في بحثي : « تحرير المشتقات من مزامع الشذوذ » ، فلا أحاول إعادتها هنا ، وحشي منها التمثيل ببعضها لما زعم أنه مبني على توهم الحذف الزائد من أفعال الألفاظ المشتقات .

والحق أن هذه المشتقات ، التي جاءت على « فَعِيل » أو « مفعول » ، وظن أبو منصور وابن سيده وأبو حاتم وآخرون غيرهم أنها بنيت على توهم حذف الحرف الزائد ، إنما هي مشتقات من أفعال ثلاثية ، سمعها غيرهم ولم يسموها هم ، وثبتت عن قبيل من العرب تعترى العربية بفصاحتهم ، وتتناقل الناس أشعار شعرائهم ، ويحتج أهل اللغة بكلامهم . وهؤلاء هم (بنو عامر) ، وهم قوم حميد بن ثور ، وليد بن ربيعة ، صاحبي اليتيم الذين أسلفتهما ، فلا جرَمَ أنها — ومثلها غيرها لم أذكرهم — إنما تكلموا بلغة قومهم ، ولم يتوهموا في شيء مما بنوه عليها من كلام .

وقد ذكر بعض أهل اللغة أن أبا حاتم لما أنكر (المبروز) في قول لبيد :

أَوْ مَذْهَبٌ جَدَدٌ ، عَلَى الْوَحِيدِ النَّسَاطِقُ (المبروز) والختومُ
استظهروا عليه بأن لبيداً قال في كلمة أخرى له :

كَمَا لَاحَ عُنُوتُ (مبروزة) يُلُوحُ مَعَ الْكَفِّ عُنُوتُهَا

وقالوا : « فهذا يدل على أنه لغته ، والرواة كلهم على هذا ، فلا معنى لإنكاره » .

ومعني « أنه لغته » : أنه لغة قومه (بني عامر) ، ومقتضاه أن

ماورد عن فصحاء العرب ، وصحت روايته من مثل هذه المشتقات ، يجب أن يرد إلى لغة (بني عامر) ، وبنو عامر يقولون : ذهبَ فهو ذَهِيبٌ ، ونبتة الله فهو منبوت ، وبرزه فهو مبروز . . النخ ، وغيرهم يقولون : أذهب وذهب فهو مُذْهَبٌ ومُذْهَبٌ ، وأنبته الله فهو مُنْبَتٌ ، وأبرزه فهو مُبْرَزٌ . . النخ . على أنه ربما وافق (بنو عامر) غيرهم أيضاً فقالوا : أذهب فهو مُذْهَبٌ ، كما قالوا : ذهب فهو ذَهِيبٌ ، كما جاء في قول ليلى المتقدم :
أو (مُذْهَبٌ) جَدَدٌ ، على التواحي . الناطق (المبروز) والختم
فقد جمع ليلى في هذا اليت بين اللغتين .

وبهذا تسقط دعوى بناء أمثال هذه المشتقات على التوهّم : توهّم حذف الحرف الزائد ، إذ لا توهّم في ذلك ، لأنها مبنية على أصول ثلاثية ، هي فروع منها ، ولا يمكن أن تكون فروع من غير أصول . وقد لحظ أبو علي الفارسي وصاحبه ابن جني ذلك ، فاتخذوا الاستهداء بالوصف على فعله أصلاً معتداً ، وقالوا : إذا صحّت الصفة فالفعل حاصل في الكف . . وهو قول سديد ، فيه قطع طريق لاحبة ، يزداد بها بيان اللغة سمة على سعتيه ، وتطرد مقاييسها ، ويتنفي عنها كثير مما يضاف إليها من الشذوذ والبناء على التوهّم .

٢ - توهّم حذف الحرف الأصلي :

وذلك في مثل قول العرب : أرَضُون في جمع أرض ، ودُهَيْدِرْهُونَ في جمع دَهْدَاه - وهي القِطعة من الإبل ، وفَتَكِرُون في جمع فَتَكَر ، وأَبْيَكِرُون في جمع أَبْيَكِر تصغير أبكر ، والبَرَحُون في جمع البَرَح ، والأَقْوَرُون في جمع أقور . . وفَتَكِر ، والبَرَح ، والأَقْوَر ، قالوا : إنها أسماء الدواهي .

وقد ذكر هذه الإلتفاظ ، على هذا النحو ، أحمد بن عبد النور الملقبى الأندلسي المتوفى سنة ٧٠٢ هـ في « وصف المباني في شرح حروف الماني » (١) ، وقال : « إنها جمعت بالواو والنون ، دلالة على أنها قد حذفت منها شيء (توهماً) ، وهو التاء التي تدل على التأنيث ، فأرض مؤنثة ، فحقها أن تكون بتاء التأنيث ، فلما استعملت بغير التاء ، بقيت التاء (متوهمه) فيها في التقدير ، فجعلت الواو تدل عليها ، وجرت التاء في ذلك مجرى اللام المحذوفة (٢) ؛ لأن بين تاء التأنيث ولام الكلمة مناسبة من جهات . . . ثم قال : « وأما أبْيَكِرُونَ ، فجمع أبْيَكِر ، تصغير أبكر . وكان حقه أن يقول : أبكرة ، كأثدريّة ، وأجرية ، جمع جَرَوْ ، فيؤنث على معنى القطعة . فلما توهم ذلك ، جمع بالواو والنون ، دلالة على ذلك ، وأما فَكْكِرُونَ ، والبُرْحُونَ ، والأقْوَرُونَ ، فكل واحد منهم (؟) جمع ما هو في معنى الداهية ، والداهية مؤنثة ، وكذلك ما في معناها . فلما (توهموا) ذلك ، جعلوا الجمع بالواو والنون دلالة على ذلك ، وجمع ذلك كله على معنى الكثير في الأمر الداهي ، واختلاف أنواعه . »

وقد فهمت ما حكاه ، وتقلّس فيه ، وما هو بشيء ! إن لم أقل فيه غير هذا !.

(١) طبعه مجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمي العربي - سابقاً) ، سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ، وقد حققه أحمد محمد الخراط .

(٢) يعني قول العرب : « ميثُونٌ في جمع مَيْثَة ، وثَبُونٌ في جمع ثَبَة ، وِظْبُونٌ في جمع ظَبَة .. إلخ » .

وهذه ألفاظ سمعت من بعض العرب على هذا النحو، ولحظ النحاة الخالفون الذين بالغوا في التعليل الواو والنون في أواخرها ، وشاؤوا إخضاعها لما أصطلوه من قصر الجمع بالواو والنون على المذكر العاقل ، فطفقوا يلقنون لها أمثال هذه الحال الباردة التي لم تمر بخواطر العرب ، ولا جالت منهم في وهم ولا في خيال .

والمالقي ، قد ناقض نفسه ، وجمع بين الضب والنشون ، حين نسب إلى العرب التوهم والديابة في وقت معاً ، وذلك قوله : « إن العرب قد حذفت من هذه الألفاظ حروفاً معينة (نوهماً) ، ثم جمعتها بالواو والنون (لتدل على المحذوف) . وهذا كلام متناقض ، يجمع بين التوهم والقصد ، وهما نقيضان لا يجتمعان .

وأقرب شيء إلى العقل ، وأقومه في المنطق ، أن يقال في هذا : إن العرب إنما جمعت الأرض جمع مذكر سالماً إنزالاً لها منزلة العاقل ، وعلى ذلك جاءت الآية الكريمة : ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَاسِمِينَ ﴾ .

ومثله يقال في كل ما جاء على هذه الوتيرة من الألفاظ ، كالدّهيديين والأبتكرين - وقد وردت هذه مجموعة جمع مؤنث سالماً أيضاً في رَجَز في الأصميات ، :

قد رَوَيْتُ إِلَّا دُهَيْدِيْنَا أَيْكِرَاتٍ وَأَبْتِكِرِيْنَا
الْفُتُكِرِينَ ، وَالْبَرْحِينَ ، وَلَأَقْوَرِينَ ، وقد قالوا في هذه الثلاثة : جمعت بالواو والنون ، ولم يستعملوا فيها الأفراد فيقولوا : فَتُكِرٌ ، وَبَرْحٌ ، وَأَقْوَرٌ ، من حيث كانوا يصفون الدواهي بالكثرة والعموم والاشتغال والغلبة ، ولم يقضوا بما قضى به المالقي عليها من جمعها بالواو والنون على التوهم والتفويض .

وفي العربية غير ما ذكره المالقي ألفاظ أخرى من هذا القليل ، جمعت بالواو والنون ، ولم يتوفر فيها شرط قاعدة جمع المذكر السالم .

منها : عِلْيُون ، جمع عِلْيٍ ، في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلْيِينَ ﴾ . ووايلئون في قول الشاعر :

فأصبحت المذاهب قد أذاعت بها الإحصار ، بعد الوايليين
أراد المطر بعد المطر . ومَرَقُون ، وقد قال بعض رواة العربية :
سمعت العرب تقول : وأطعمنا مَرَقَه مَرَقَيْن ، تريد اللشمان إذا طبخت
بماء واحد ، وأنشد :

قد رويت إلا دُهَيْدِ هِينَا أَيْكِرَاتٍ وَأَيْكِرِينَا

وما أدرانا أن هذا الجمع بالواو والنون كان هو الأصل في العربية القديمة المعركة في القدم ، ثم جرى التطور فيها في صيغته ، فتعددت صورته على النحو المعروف ، وبقيت هذه الألفاظ شواهد على ذلك الأصل القديم الذي لم يميز بين تذكير وتأنيث ، ولا بين عاقل وغير عاقل !

٣ - توهم التغير :

ذكر أحمد بن عبد النور المالقي في « وصف المباني » من هذا النوع ثلاثة ألفاظ ، قال : إنها غُيِّرَتْ (توهُمًا) ، وجمعت جمع مذكر سالماً للدلالة على هذا التغير .

وهي : إَوَزُون ، وإَحَرُون ، وحَرُون .

أما (إَوَزُون) ، فقد وردت في قول النابغة الذبياني يصف امرأة بدوية قد تحضرت ، وهو في « لسان العرب » (وِزْز) :

تَلَقَى الْإَوْزَيْنَ فِي أَكْنَافِ دَارَتِهَا قَرَضَى، وَبَيْنَ يَدَيْهَا التَّيْنُ مَشُورٌ (١)

قال في تفسيره : إن هذه المرأة تحضرت ، فالإوز في دارتها تأكل التين ، وإنما جعل ذلك دلالة على التحضر لأن التين إنما يكون في الأرياف ، وهناك تأكله الاوزة .

وأما (إَحْرَونَ) فقد وردت في قول زيد بن عثابة الشيمي :
لَاخْتُمْسَ إِلَّا جَنْدَلٌ (الْأَحْرَيْنَ) وَالْحُمْسُ قَدْ أَجْشَمَكَ (الْأَمْرَيْنِ)
جَمْزاً إِلَى الْكَوْفَةِ مِنْ قِشْرَيْنِ

وأما (حَرَّونَ) فقد وردت في رجز غير منسوب ، وهو (٢) :
لَكِنْ حَتَّى تَزْلُوا بِذِي بَيْنٍ فَمَا حَوَتْ ثَقْدَةً ، ذَاتَ (حَيْرَيْنِ)
أَوْ ذَاتَ الْحَيْرَيْنِ ،

قال المالقي في « وصف المباني » : هذه الألفاظ غُيِّرَتْ (توهماً) ، فدلّت الواو على ذلك .. وكان الأصل : إَوْزَزَةٌ ، وإَحْرَرَةٌ ، وَحَرَرَةٌ في معنى أحيرة ، فجرت مجراها ، فلما نقلت حركة الزاي الأولى ، والراء الأولى إلى الواو والحاء ، لاجتماع التلين ، سَكَنَتْ ، فاندغمتا فيما بعدهما ، فجعل الجمع بالواو والنون عوضاً عن التفسير المذكور ، ولا يقاس على شيء

(١) وروايته في الديوان (ص ٩٤) :

تَلَقَى الْإَوْزَيْنَ فِي أَكْنَافِ دَارَتِهَا بَيْضاً ، وَبَيْنَ يَدَيْهَا التَّيْنُ مَشُورٌ

كذا رسم فيه (التين) بالباء الموحدة !

(٢) ذكره ابن يعيش في شرح المفصل ، وياقوت في « حرة ثقدة » من معجم البلدان ، واقتصر المالقي على الثاني . وثقده ، بالتاء المثناة الفوقية ، وتروى : ثقدة ، بالنون : موضع .

منها غيرها ، وإنما عُلِّل من ذلك ما عُلِّل بعد السماع ، لأنه ليس باباً يُبنى عليه .

وأقول : إن تعليل الماقيي جمع هذه الألفاظ بالواو والنون بأنه عوض عن تغييرها المتوهم ، فاسد ، لأنه غير معقول ، ومتناقض ، لأنه يجمع بين التوهم والدراية .

وقد عللها غيره بما عللها به ، ولم يذكرها هذا (التوهم) ، فقالوا في تعليل جمع (الإوزة) : « إن قال قائل : ما بالهم قالوا في جمع إوزة : (إوزثون) بالواو والنون ، وإنما يفعل ذلك في الم حذف ، نحو : ظبئة وظيفون وثبئة وثببون ، وليست إوزة بما حذف شيء من أصوله ، ولا هو بمنزلة (أرض) في أنه بغير هاء ؟ فالجواب : أن الأصل في : إوزة ، إوزرة ، إعتلة ؛ ثم إنهم كرهوا اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد ، فأسكنوا الأول منها ، ونقلوا حركته إلى ما قبله ، وأدغموه في الذي بعده . فلما دخل الكلمة هذا الإعلال والتوهين ، عوضوها منه بالواو والنون ، فقالوا : إوزثون .

وفي (إحترين) و (حرين) ، قال سيويه : « زعم يونس أنهم يقولون : حرثة وحرثون ، جمعوا بالواو ، يشبهونه بقولهم : أرض وأرضون ، لأنها مؤنثة مثلها ، قال : « وزعم يونس أيضاً أنهم يقولون : حرثة وإحترثون ، يعني الحيرار ، كأنه جمع إحترثة ، ولكن لا يتكلم بها .

وقال بعض النحاة : « إن قال قائل : ما بالهم قالوا في جمع حرثة وإحترثة : حرثون وإحترثون ، وإنما يفعل ذلك في الم حذف ، نحو ظبئة

وخطبُون وثبّة وثبُون . وليست حرّة ولا إحترّة بما حذف منه شيء من أصوله ، ولا هو بمنزلة (أرض) في أنه مؤنث بغير هاء ؟ فالجواب : أن الأصل في إحترّة : إحتررة ، وهي إفعلة . . إلى آخر ما تقدم مثله في إوزّة . قال : ولما فعلوا ذلك في إحترّة ، أجروا عليها حرّة فقالوا : حرّون ، وإن لم يكن لحقها تغيير ولا حذف ، لأنها أخت إحترّة من لفظها ومعناها . قال : وإن شئت ، قلت : إنهم قد أدغموا عين حرّة في لامها ، وذلك ضرب من الإعلال لحقها .

وقال ثعلب : « إنما هو » الأحرّين ، جاء به على « أحرّ » ، وكأنه أراد هذا الموضع الأحرّ ، أي الذي هو أحرّ من غيره ، فصيروه كالأكرمين والأرحمين .

قلت : عني ثعلب أنه أنزل منزلة العقلاء ، فجمع جمع مذكر سالماً . فالقول بـ (توهم التغيير) في هذه الألفاظ ، وتعويضه عند الجمع بالواو والتون ، بحسب زعم المألقي ، لم يرد في كلام الأوائل . وما قاله ثعلب هو لقبول السائق . على أن هذه الجموع ربما كانت من بقايا صيغة الجمع في العربية القديمة قبل تطورها ، وحدث تعدّد صورته كما قلت من قبل .

٤ - توهم زيادة الحرف الأصلي :

القول بتوهم زيادة الحرف الأصلي ، قول حديث .. توهمه صديقنا العلامة عبد القادر المغربي ، عليه رحمة الله ، فطفيش يلنج به ، ويذيعه في مجوّه ، محاولاً أن يتخذ قاعدة جديدة في العربية يُعمل بها ويقاس عليها . وقد تكلف لها طلب الشواهد ، فلم يظفر — بعد جهد ومعاينة

بحث - بنير سبعة ألفاظ ، وأما تسعفه في تقرير ما يريد تقريره من هذه القاعدة الجديدة ، وتعسف في تخريبها وتكلف ما شاء ، وليس في شيء منها غشاء .

هذه الألفاظ السبعة ، هي :

- ١ - أشياء .
- ٢ - بُراء جمع بريء .
- ٣ - أملاك جمع مَلَك .
- ٤ - منائر جمع منارة .
- ٥ - طعنان ، مُسَمَّى به . ٦ - فينان .
- ٧ - تعلت لغاتاً .

وقد نسب إلى أن في كل لفظ من هذه الألفاظ حرفاً أصلياً (توهمه) العرب زائداً ، وقال : إنه يؤسس قاعدته هذه : قاعدة توهم الحرف الأصلي زائداً ، على تعليل الكسائي د منع صرف (أشياء) أن العرب (اشتبه) عليهم أمر همز هذه الكلمة ، لوقوعها بعد الألف ، فظنوها زائدة كهزمة : حمراء ، مع أنها أصلية كهزمة : أفياء ، ومنعوها من الصرف ، بناء على هذا (الاشتباه) ، بل هذا (التوهم) .

هكذا عزا هذا التعليل بألفاظه إلى الكسائي .

والكسائي ، فيما علل به منع صرف (أشياء) ، لم ينسب إلى العرب (الاشتباه) ، ولا (التوهم) في أمر همز هذه الكلمة ، وإنما ذكر (التشبيه) ، والتشبيه هو غير الاشتباه والتوهم بداهة .

وعبارته ، في « لسان العرب » . وقد وردت فيه في صورتين ، خلقتا من الاشتباه والتوهم .

أما الصورة الأولى : ، فقد نقلها عنه أبو إسحاق الزجاج ، قال - وهو يسرد أقوال أهل اللغة في تعليل منع (أشياء) من الصرف - :
« وقال الكسائي : « (أشبه) آخرها آخر حمراء ، وكثر استعمالهم لها فلم تصرف » ..

وأما الصورة الثانية في « لسان العرب » ، فهي :
« وقال الكسائي : « (أشياء) ، أفعال ، مثل : فروخ وأفراخ ، وإنما تركوا صرفها لكثرة استعمالها ، لأنها (شئيت) بفتلاء » .

فأين (الاشتباه) و (التوهم) في كلام الكسائي ؟
على أن الزجاج قد قرر أن البصريين وأكثر الكوفيين ، أجمعوا على أن قول الكسائي خطأ في هذا ، وألزموه أن لا يصرف (أبناء) و (أسماء) .

وقال مؤسس النحو الحقيقي (الخليل بن أحمد الفراهيدي) ، رحمه الله : « إن (أشياء) اسم للجمع ، كان أصله قَعْلَاء ، شَيْئَاء ، فاستقل الهمزتان ، فقلبوا الهمزة الأولى إلى أول الكلمة ، فجعلت لَفْعَاء ، كما قلبوا أَثَوُفًا ، فقالوا : أَيْثُفًا ؛ وكما قلبوا قُرُوسًا ، فقالوا : قِيسِيًا .
قالوا : « وتصدق قول الخليل ، جمعهم أشياء : أشاوتى وأشايا » .
قالوا : « وقول الخليل ، هو مذهب سيويه والميازني وجميع البصريين إلا الزيادي منهم » (١) .

(١) يرى أحد الفضلاء الباحثين المعاصرين ، وهو : د . رمضان عبد التواب غير هذه الآراء في المسألة ، وأوافقه فيما يذهب إليه ، إذ يقول (مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١١٩/٣٣) :

فما أسسه عليه العلامة المغربي من هذه القاعدة ، إنما أسسه على شفا جرّوف هارٍ ، ولم يسلم له الدليل الذي استعان به ، لا لأنه تصرف في عبارة الكسائي فصير (التشبيه) : (اشتباهاً) ، 'حسب' ، بل لأن الكسائي لم يصب في تعليقه منع صرف (أشياء) شاكلة الصواب أيضاً .

وأما شاهده الثاني ، وهو (بُراء) - على وزن عُراب - في جمع بريء ، الذي منع صرفه ، فقد قال فيه : « إن قوماً منعه من الصرف ، مع أن همزته أصلية لازائدة ، ثم ساق ما علّل النحاة به منعه من الصرف ، ولم يرتضه ، وزعمه تعسفاً وفرطاً تكلف ، وقال : « والأولى أن نخرجه تخريج الكسائي لمنع الصرف في (أشياء) ، استناداً إلى (قاعدة توهم الزيادة) ! » .

قال ، وأضاف (التوهم) إلى نفسه وإلى من ظنه معه : « فإننا (توهمنا) زيادة همزة (بُراء) ، مع أنها أصلية ، ومستندنا في هذا (التوهم) رأي الكسائي في تخريج منع صرف أشياء ، وأنها منعت (لمشايتها) لبراء ! » . وهذا ، أعني قوله (لمشايتها) ، هو لفظ الكسائي جاء به هنا مطابقاً لأصله ، وهو يبطل (الاشتباه) أو (التوهم) الذي نسب قبله إلى الكسائي مرةً ، وإلى نفسه مرة .

= « ولعل المسؤول عن منع كلمة (أشياء) من الصرف ، وقوعها في القرآن الكريم ، في سياق تتوالى فيه الأمثال لو صرفت ، في قوله تعالى (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم) « سورة المائدة ١٠١/٥ » ، إذ لو صرفت لقل : (عن أشياء إن) ، ولا يخفى ما فيه من تكرار المقطع : (إن) . وليست العربية بدعاً في سلوك طريق الحذف ، للتخلص من توالي الأمثال » .

على أن (بُراء) ، بوزن (عَرَاب) ، لا يبدو أن يكون تسهيل (بُراء) ، روعي أصله فأبقي ممنوعاً من الصرف . وقال ابن جني : « يجمع بريء على أربعة من الجموع .. ورابعها : بريء وبُراء ، مثل ما جاء من الجموع على فُعَال ، نحو : تَوَام ورُباب ، في جمع : تَوَام ورُبَيّ ، فهذا هو ، واللغة تقل وسماع ، وليست تعليلاً وأهواء .

وأما شاهد الثالث (أملاك جمع مَلِك) ، فقد قال : إنه « ليس في هذا الشاهد منع صرف ، وإنما فيه جمع (مَلِك) على (أملاك) . ووجه الغرابة والشذوذ في هذا الجمع أن (مَلِك) (؟) أحد ملائكة السماء ، مشتق من الألوكة ، وهي الرسالة .. » .

وتكلم على أصل هذه الكلمة ، وتصرف العرب فيها ، ثم قال : « وسواء أقلنا : إن أصل مَلِك : مَأْتِك ، أو مَلَأَك ، أو مَلَأَك ، فإن همزته أصلية لازائدة . وإذا كانت الجموع ترد الأشياء إلى أصولها ، فيكون جمع مَلِك ، إنما هو : مَلَانِك ، وملائكة بالهمزة الأصلية . لكننا سمعناهم يجمعونها أيضاً على أملاك ، كأفراس جمعاً لفرس . وقد أشبهت أملاك التي هي جمع مَلِك السماء ، أملاك التي هي جمع للملك المكسور اللام : أحد ملوك الأرض ، فيها : أملاك وأملاك جمعان متفقان لفظان ، مختلفان معنى وتخريجاً ، .

وانتهى من هذا إلى أن اللغويين يعدون ذلك شاذاً ، ويراه (هو) « مخترجاً على (قاعدة توم الزيادة) ! » أي زيادة الهمزة في : مَأْتِك ومَلَأَك ، مع أنها أصلية .. غير أن العرب — على حد قوله . (توهما) الهمزة في مَأْتِك ومَلَأَك زائدة ، وأن وزن ملك الخفف منها هو فَعَل ،

بالتحريك ، وفعل يجمع على أفعال ، فقالوا ، بناء على هذا (التوهم) :
أملك ، كما قالوا : ملائكة ، على الأصل ، .
هذا ما قرره ، ولم أجد أحداً غيره قاله .

والذي في دواوين اللغة ، هو : أن أملاكاً جمع ملك ، بكسر
اللام ، أحد ملوك الأرض ، ليس غير ، أما الملك ، بفتح اللام ، فجمعه
فيها ملائكة وملائكة ، ولا ثالث لهما .

ففي د لسان العرب ، وغيره ، واللفظ له في (م/ل/ك) :

« والمَلِكُ ، والمَلِكُ ، والمَلِكُ ، والمَلِكُ : ذو الملك . ومَلِكٌ ،
ومَلِكٌ ، مثال : فَتَخَذَ ، وَفَتَخِذْ ، كأن المَلِكَ مخفف من ملك ،
والمَلِكُ مقصور من مالِك أو من ملك ، وجمع المَلِكِ ملوك ، وجمع
المَلِكِ أملاك ، وجمع المَلِكِ مُلُكَاءَ ، وجمع المَلِكِ مُلُكٌ ومُلُكٌ .
والأَمْثَلُوكُ اسم للجمع . ورجل ملك ، وثلاثة أملاك إلى العشرة ،
والكثير ملوك ، .

وفي (أ/ل/ك) :

« والمَلَكُ ، مشتق منه [أي من : ألك] . وجمع ملائكة ،
دخلت فيها الهاء ، لا لعُجْمَة ولا لتَسَبُّب ، ولكن على حد دخولها في
القَسَاعِمَةِ والصِّيَاقِلَةِ ، وقد قالوا : الملائك ، . ولم يَزِدْ .

وفي (ل/أ/ك) :

« والمَلَأَكُ : المَلَكُ ، لأنه يلبِّغ الرسالة عن الله ، عز وجل ،
فحذفت الهمزة ، وألقت حركتها على الساكن قبلها ، وجمع ملائكة ،
جمعوه مَلَمَمًا ، وزادوا الهاء للتأنيث . . .

وبهذا سقط شاهد الثالث أيضاً .

وأما شاهد الرابع ، وهو (منائر) بالهمزة في جمع منارة ، فقد قال فيه : « إن ألف منارة أصلية ، لا زائدة .. لكنهم (توهموها) زائدة ، وقد ظهر أثر هذا (التوهم) في الجمع فقالوا : منائر ، بالهمزة ، والقياس : منابر ، بالياء ، إذ القاعدة في ذلك أن الواو والياء ، إذا وقعتا في فعائل جمعاً بعد ألف تهمزان إذا كانتا زائدتين ، كياء فضيلة الزائدة ، يقال فيها : فضائل : وتبقيان على حالتها إذا كانتا أصليتين ، كواو منارة ومنارة ، فيقال في جمعها : مناور ومغاور ، لكنهم في مناور قالوا : منائر ، بالهمز ، ولا يمنع أن يقال فيه : مناور ، بالواو أيضاً كما هو القياس . »

وقد أجاب بعضهم عن هذا بأنه تطور جديد للكلمة ، فلا يخضع للتوهم . والجواب الصحيح أنه لغة من لغات العرب ، جرى أهلها في أمثال هذا على همزة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَاشٍ ﴾ سورة الأنعام ١٠/٧ ، في بعض القراءات المروية في الآية ، فلا توهم في ذلك ، ولا تطور !

وأما شاهد الخامس ، وهو (طحّان) علماً لرجل ، فقد قرّر أن العرب (توهموه) كسكران ، فأجروه مجراه ، ومنعوه من الصرف . أما علماء العربية ، فقد ذهبوا في هذا وأشباهه مذهباً آخر غير (التوهم) ، وقرروا أن العرب (يشبهون) النون الأصلية في (طحّان) مثلاً بالنون الزائدة في مثل (سكران) ، فيمنعونه من الصرف ، وذلك إذا سمّوا به .

قال القراء : « وهذا عند أهل الكوفة أسوغ منه عند البصريين » .
 وإنه لرأي سديد للكوفيين والبصريين ، على الاختلاف اليسير بينها ،
 يضيف إلى ما اشترطوه في منع الكلمة من الصرف ، إذا زيد في آخرها
 الألف والنون ، ما يشبهها في ذلك ، وإن كان أحد هذين الحرفين أصلياً ،
 ويجرونه مجراه إذا كان علماً ، طرداً للباب ، وتوحيداً للنظائر . وفي
 هذا توسعة لقاعدة مواعن الصرف ، وتخفيف لبعض القيود .

وقد اعتدى الأستاذ المغربي إلى هذا النص في « كتاب عبث الوليد »
 لأبي العلاء المعري ، ولكنه لم يرتضه ، وأبى إلا مخالفته ، وإن كان
 قد أطبق عليه نحاة الميصرين ؛ وهم بئساة النحوي العربي ، وأصرّ على
 القول ببناء ذلك على (التوهم) ! ، ليستقيم له ما يريد ، وهيئات !
 وأما شاهد السادس (فينان) ، فإنه نقل فيه قول أبي العلاء
 المعري في « عبث الوليد » شارحاً بيت البُحتري :

أنت بركات الأرض من كل وجهة
 وأصبح غصن العيش (فينان) أخضرا

قال أبو العلاء : « شعر فينان ، وغصن فينان : من التقتن ،
 فوزنه فيفعال^(١) . لكن يترك صرفه كأنه على وزن فعلان » .

قال المغربي : « وإذا كان على وزن فعلان ، كانت نونه زائدة ،
 كنون (سكران) ، فيمنع من الصرف . فقول المعري : « لكن
 يترك صرف (فينان) كأنه على وزن « فعلان » ، لا معنى له إلا كون

(١) قال المغربي : « أي فتكون نونه أصلية ، لازائدة ، فلا يمنع من الصرف » .

وزنه على فعلان الزائد النون أمراً مفروضاً فرضاً ، أو معتبراً اعتباراً ،
أو (متوهماً توهماً) ، وهو التعبير الصحيح الشائع على ألسنة اللغويين .
وأقول : إن ما قرره المعري في هذا اللفظ ، هو المذهب الذي
منته النحاة واللغويون قبله بأزمان متطاولة ، تبدأ بأوائل العهد بنضج النحو
على يد الخليل ويونس وسيبويه وغيرهم من الأئمة . وهم قد بنّوا رأيهم في
أمثال هذا اللفظ على معنى اللفظ ومادته الاشتقاقية ، فأداروا الكلام عليها وفقاً
لمنطق اللغة والاشتقاق والمعنى ليس غير . وهذا هو السبيل ، ولا مناص من
سلوكه . وليس في المسألة أمر مفروض فرضاً ، أو معتبر اعتباراً ،
أو (متوهم توهماً) ، ، ولم يرد فيما قرره من ذلك هذا (التوهم)
الذي يحلو الأستاذ المغربي ترديده ، وليس هو بـ « التعبير الصحيح » ،
ولا هو بـ « الشائع على ألسنة اللغويين » ، على النحو الذي يتخيله ، أو
يتعمد تحييله !

وإنما الصحيح هو ما ذكرته من مذهبهم ، الذي تابعهم المعري عليه
لأنه منطق المعنى والاشتقاق ، وقد قال هؤلاء في لفظ (الفينان) نفسه ،
ولاحظوا فيما قالوه مسادته الاشتقاقية ومعناه ، ما أرويه بحروفه ، وأبدأ
بسيبويه . قال : « شرفينان : معناه أن له قنونا كقنون الشجر ،
ولذلك حُرِفَ ، ورجل فينان وامرأة فينانة » ، قال ابن سيده : « وهذا
هو القياس ، لأن المذكر فينان مصروف مشتق من أفنان الشجر » .

وقال أبو منصور : « فينان ، فيعال ، من الفتن ، والياء
زائدة » . وفي التهذيب : « وإن أخذت قولهم « شعر فينان » من
الفتن وهو الغصن صرفته في حالي النكرة والمعركة ، وإن أخذته من

القيّسة وهو الوقت من الزمان ألحقته يباب فملأت وفعلانة فصرفته في التكررة ، ولم تصرفه في المعركة ، (١) .

ومكذا يقولون في أمثاله ، ومن ذلك (حسان) اسم رجل ، قالوا : « إن جعلته فعلاً من الحُسن أجريته ، أي صرفته ، لأن النون حيثئذٍ أصلية ، وإن جعلته فعلاً من الحس وهو القتل ، أو الحيس بالشيء ، لم تجزئه » ، (٢) .

فالصرف والمنع عندهم تابعان للاشتقاق والمعنى ليس غير ، ولا وجود (للتوهم) في المسألة .

وأما شاهد السابغ ، وهو باعترافه عاثر بين توهم الأصالة وتوهم الزيادة ! ، فقد قال : « إنه نوع من التوهم غريب : لا هو من توهم الأصالة ، ولا هو من توهم الزيادة ، وإنما هو من توهم الحرف الزائد حرفاً زائداً آخر » ، ! وذكر مثاله فقال : « مثاله لغات جمع لغة ، فإنه جمع مؤنث ينصب بالكسرة ، تقول : سمعت لغات العرب ، لكن حكى الجوهري في « صحاحه » : أن العرب (يتوهمون) تاء جمع التأنيت زائدة ، كالتاء التي يوقف عليها هاء في نحو : قضاة ورؤاة ، فكما يقولون : رأيت قضاة البلد ، بفتح تاء قضاة ، يقولون : سمعت لغات العرب ، بفتح تاء التأنيت » .

ثم استدرك بأن « الجوهري عبّر عن هذا (التوهم) بـ (التشبيه) ،

(١) ينظر لسان العرب (ف/ن/ن) .

(٢) الصحاح ، ولسان العرب (ح/س/س) و (ح/س/ن) .

فقال : إنهم (سبّوها) تاء لغات بتاء قضاة ، ، وحكى عبارته ، ونصّها :
 « وجمعها ، أي جمع لغة : لثى ولغات أيضاً ، وقال بعضهم : سمعت
 لغاتهم ، بفتح التاء ، و (سبّوها) بالتاء التي يوقف عليها ، انتهى .

فإن الشاهد على (التوهم) في تعليل الجوهري فتح تاء جمع المؤنث
 السالم ، وهو لم يذكر غير (التشبيه) ؟ فهل عرف من معاني (التشبيه)
 في كلام العرب : (التوهم) ، ليصح الاحتجاج به ؟

على أنني أرفض تعليل الجوهري ، إذ لا أرى للتشبيه الذي يذكره
 وجهاً .. فإن فتح تاء جمع المؤنث السالم إنما هو لغة قوم بعينهم من العرب ،
 انفردوا بها ، وجروا عليها قياساً متبعاً في كلامهم . ولو كان ما يقوله
 الجوهري في لغة قبيلة واحدة لجاز حمل شيء منها على شيء آخر . ولكن
 الأمر ليس كذلك . وفتح تاء جمع المؤنث السالم ، هو لغة بني عدي
 كما يؤخذ من رواية راويها عنهم . و « بنو عدي » يطلق على بطون
 كثيرة من القحطانيين ومن العدنانيين أيضاً . والراوي لهذه اللغة عنهم هو
 واحد منهم ، وهو أبو خيرة بن نسل بن زيد العدوي ، ولم يذكر من
 أئمه هو ؟ وهو أعرابي بدوي ، دخل الحاضرة ، وأفاد ، وأخذ الناس
 اللغة عنه ، وصنف في الغريب كتباً ، منها : كتاب « الحشرات » .
 وقد روي عنه هذا الخبر ، وفيه « لغاتهم » مرة ، و « لغاتهم »
 و « عيرقاتهم » مرة أخرى ، وكلتا الروايتين يرويها ثعلب أحمد بن
 يحيى اللغوي المشهور في مسألة بعينها ، هي فتح تاء جمع المؤنث السالم .
 قال : « قال أبو عمرو بن العلاء لأبي خيرة : كيف تقول :

حفرت^(١) إراتيك^(٢) ؟ فقال : حفرت إراتك^(٣) ، قال : فكيف تقول :
استأصل الله عيرقاتهم^(٤) ؟ فقال أبو خيرة : استأصل الله عيرقاتهم ،
فلم يعرفها أبو عمرو ، وقال : لان^(٥) جلدك^(٦) ، يا أبا خيرة ! يقول :
أخطأت ، . .

لكن ثعلباً أقر أبا خيرة على ما قال ، واعتد عن أبي عمرو بأنه
لم تبلغه هذه اللغة .

وقال ابن جني : « سأل أبو عمرو أبا خيرة عن قولهم : استأصل
الله عيرقاتهم ، فنصب أبو خيرة التاء من عيرقاتهم ، فقال له أبو عمرو :
هيات ، أبا خيرة ، لان^(٧) جلدك ! وذلك أن أبا عمرو استضعف النصب ،
بعدما كان سمعها منه (؟) بالجر ، قال : ثم رواها أبو عمرو فيما بعد
بالجر والنصب ، فإما أن يكون سمع النصب من غير أبي خيرة ممن ترضى
عربيته ، وإما أن يكون قد قوي في نفسه ما سمعه من أبي خيرة
بالنصب ، ويمجوز أيضاً أن يكون أقام الضعف في نفسه فحكى النصب
على اعتقاده ضعفه ، قال : وذلك لأن الأعراي ينطق بالكلمة يعتقد أن
غيرها أقوى في نفسه منها .. » .

وليس يعني من كلام ابن جني إلا ما يذكره من رواية أبي عمرو
ابن العلاء ، فيما بعد ، الفتح والجر في نصب جمع المؤنث السالم ، والوجه

(١) الإرات : جمع الإرة ، وهي الحفرة التي توقد فيها النار .

(٢) العرقات : جمع عرق وعيرقة ، وعرق الشيء أصله وأرومه .

(٣) وفي رواية : « يا أبا خيرة ، أريد أكثف منك جلداً ، جلدك قد
رق » يعني أنه لا يس الحضارة وعاشر أهلها ، ففسدت لغته .

الأول الذي عليها به ، وهو سماعه الفتح من غير أبي خيرة ممن ترضى
عربيته ، وهو أقوى الوجوه الثلاثة التي ذكرها .

هـ - توهم أصالة الحرف المتحول :

ويعني القائلون بهذا التوهم الناحية الخاصة بالواو والياء ، وهي باب
عظيم في العربية ، تدخل فيه صور شتى من كلام العرب ، ولكل صورة
منها نظام مطرد تخضع له .

ومن هذه الصور ، إشار بعض القبائل الياء على الواو ، وإشار
غيرهم العكس . ويجسبه الذين لا يلاحظون ذلك تحوُّلاً من حرف إلى
حرف ، ويؤمنون ذلك (توهماً) . ولو كان ذلك صادراً من قبيلة واحدة
لجاز هذا الحكم .

فأهل الحجاز ، يؤثرون الياء ، فيقولون مثلاً : صَيَّامٌ ، وقَيَّامٌ ،
وصَيَّاعٌ .

وغيرهم يقولون : صَوَّامٌ ، وقَوَّامٌ ، وصَوَّاعٌ .

والقائلون بتوهم أصالة الحرف المتحول ، يجعلون الأصل في ذلك
الواو . وما جاء على الياء من الألفاظ مخالفاً للأصل الواوي الذي أصْلوه ،
يعدونه مبنياً على (التوهم) ، وليس الأمر ما يذهبون إليه .

ومن هذه الصور أيضاً ، ما حُوِّلَت واوه ياءً ، لأثر لغوي يقتضي
تحويل صيغته ، فتبدل الواو ياءً ، وذلك في مثل : غصن مَريِّحٍ ، وماء

مَشِيب . وقد بُنِيَ على : رِيحَ ، وشِيبَ . ونظام اسم المفعول في منطق العربية إنما يتبع الفعل المبني للمجهول . لا الاسم . ويأبى من يقول بالتوهم إلا تخريج مثل هذا على (التوهم) .

ومن هذه الصور أيضاً ، ما اقتضى التطوُّر الاجتماعي وغيره استحداثه في اللغة من أصل واوي ، فنقلوه إلى الياء ، وألزموه إياها ، وجعلوه أصلاً ثانياً ، وتصرفوا في الاشتقاق منه ، للدلالة على المعاني المستحدثة .

وذلك مثل (العيد) . فإن أصل يائه الواو لا جَرَمَ ، وصيغة هذا الأصل : العيود ، فلما سكَّنت الواو وكسر ما قبلها ، صارت ياء . أو نقول : قلبوا الواو ياءً ، ليفرقوا بين الاسم الحقيقي والاسم المصدري ، وألزموا الياء في الواحد ، فصار أصلاً جديداً في بناء مادته ، وجمعوه على (أعياد) ليفرقوا بذلك بينها وبين (أعواد) الخشب ، كما قالوا في تصغيره : (عُيَيْد) ليفرقوا بينه وبين (العُويْد) تصغير (العود) .

وأمثال هذا اللفظ كثير في العربية ، وقد بنتها العرب على هذا التأصيل لأداء معان جديدة في صيغ جديدة اقتضاها التطور ، واستجابت له مرونة اللغة وطواعيتها من غير تمحُّل ولا تكلف ولا اقتصار ، وجرى فيها من ذلك ما جرى عن وعي وإرادة وقصد ، لا عن غفلة وتوهم . ومن ذهبوا غير هذا المذهب ، وقالوا بالتوهم ، فقد أعرَبوا ، عن غفلة ، عن طبيعة هذه اللغة وقوانينها الدقيقة العجيبة .

٦ - توهم أصالة الحرف الزائد :

وفي العربية نظام آخر في التأصيل مَرِن ودقيق ، يأذن في حدود

منطقها بيناء تأصيل لاحق على تأصيل سابق ، وذلك بإعطاء الحروف المزيدة حكم الحروف الأصلية ، لأنها إنما زيدت لزيادة المعاني ، فلا بد أن ترعى حرمة الزائد في الكلمة ، ويجري الاشتقاق منه لإفادة المعاني المستحدثة التي تفرضها سنة التطور ودواعي الحياة المتجددة .

وقد فطن قدامى اللغويين والنحاة لهذا النظام في العربية ، ولما أُستطيع أن أُسميه التأصيل الثاني ، وعقلوا ما أرادت العرب من زيادة الحروف على الأصول ، وما يجري في كلامهم من الاشتقاق من المزيد ورعاية حرمة الحرف الزائد ، تنويعاً لصور الألفاظ بحسب الدلالات ، ومدى لأديم اللغة من جنس منطقها وأصولها .. فأقروه قانوناً من قوانين العربية ، ونبتوها على آثاره ودلالاته كما سأوضحه .

ولكن جهيل النحاة الخالفون ، أو قلة منهم ، هذا القانون ، فقرروا الاشتقاق من الحروف الأصول وحدها ، ومنعوا الاشتقاق من الزوائد ، وحكموا على كل ما وقعوا عليه من ألفاظ وردت عن فصحاء العرب مشتقة من الزوائد بالتوهم والخروج عن القياس .

وهذا النوع من الألفاظ في العربية كثير ، وأكثره يبدأ باليم ، فلم يعرض لهم شيء منها حيث يعرض إلا وصفوه بالتوهم ، لأنه يخالف قاعدتهم في تأصيل الحروف الأصلية والاشتقاق منها وحدها .

وقد تأثر صديقنا العلامة المغربي ، طيب الله ذكراه ، بهذا المذهب ، وآمن إيماناً ميقناً بالأول (بتوهم) أصالة الحرف الزائد ، وأبدأ فيه وأعاد

ما شاء داعياً إلى اتخاذ قاعدة مقربة مقيسة ، ونقل دعوته إلى هذا المجمع الموقر ، حتى انعكست آثارها على مقرراته في شيء من التحفظ . فجاء في « كتاب : في أصول اللغة » (ص ٤٤) :

« ٧ - توهم الحرف الزائد أصلياً : رأت اللجنة في ضوء ما أثر عن اللغويين أن توهم أصالة الحرف الزائد ، أو المتحول ، لم يبلغ درجة القاعدة العامة . غير أن هذا التوهم ضرب من ظاهرة لغوية فطن إليها المتقدمون ودعمها المحدثون ، ولهذا ترى اللجنة أن في وسع المجمع أن يقبل نظائر الأمثلة الواردة على (توهم أصالة الحرف الزائد أو المتحول) بما يستعمله المحدثون ، إذا اشتهرت ودعت إليها الحاجة . »

وجاء في الحاشية :

١ - « صدر القرار في ج ٨ مؤتمر د ٣١ سنة ١٩٦٥ » .

ب - « في ج ١١ دورة ١٤ (المؤتمر) عرض الشيخ عبد القادر المغربي على المؤتمر بحثاً له بعنوان (بين اللغة والنحو) ، أشار فيه إلى موضوعين : توهم أصالة الحرف الزائد ، وتوهم زيادة الحرف الأصلي . وبعد المناقشة فيه ، وافق المؤتمر على (توهم أصالة الحرف) في بعض الكلمات ، وجاء في تلخيص أعمال المؤتمر : (الموافقة على جواز توهم أصالة الحروف في بعض الكلمات العربية) . »

وليس الشأن في المسألة كذلك .

فإن ما فطن له المتقدمون من هذه الظاهرة اللغوية ، هو غير هذا الذي جاء في قرار لجنة الأصول في المجمع ، وهو حرمة الزائد في الكلمة عند العرب ، وإقراره إقراراً لأصول على سبيل القصد والإرادة والتأصيل ،

لا على سبيل الغفلة والتوهم والاعتباط ، وهو في جملة يقوم على التفرق بين الأسماء وملاحظة اختلاف المسميات في الصفات . وهذا المذهب هو الأشبه بطبيعة عبقرية العربية وقانونها العام .

ومن أمثله الموضحة :

تنطق وتنطق ، وتدرع وتدرع ، وأسلم وتمسلم ، وتولى وتولى ، وترق وترق ، وتكحل وتكحل ، وتسكن وتسكن . . ونحو ذلك من هذه الألفاظ المبدوءة باليم ، وهي أكثر ما يجيء في هذا الباب .

فإن كل لفظ من هذه الألفاظ ، ما اشتق منها من الحروف الأصلية وما اشتق من الحروف الزوائد التي اتخذت أصلاً ثانياً للاشتقاق ، له دلالة خاصة غير دلالة صاحبه :

فتنطق ، أو انتطق : ليس أو اتخذ النطق ، وتنطق : ليس أو اتخذ المنطقة . ولكل من هذين اللفظين : النطق والمنطقة ، صفة عند العرب ، تلحظها وتراعيها فتخالف بينهما فيما تشتقه لهما من الأفعال .

وادرع ، وتدرع : اشتقتا من الدرع ، لبوس الحرب المعروف ، وقمص المرأة ، والثوب الصغير تلبسه الجارية الصغيرة في بيتها . وتدرع : اشتق من المذرعة ، وهي ضرب آخر من القمصان ، ولا تكون إلا من الصوف خاصة . ففرقوا بين الدرع والمذرعة ، لاختلافهما في الصفة واللفظ .

وأسلم : دخل في الإسلام مؤمناً به ، وتمسلم : تسمى « مسلماً » ، وحكى الرُّؤاسي : كان فلان يسمى « محمداً » ثم تمسلم ، أي : تسمى « مسلماً » .

وتولاه : اتخذ ولياً ، وتمولى : تشبه بالموالي ، وفي فلان مولوية :
إذا كان شبيهاً بالمولى ، وهو يتمولى علينا : أي يتشبه بالموالي ، وما كنت
بمولى وقد تموليت .

وترفق : توكأ على المِرْقَة ، وتعرفق : إذا أخذ مِرْفَقَه .
وتكحل : وضع الكحل في عينه ، وتمكحل : أخذ مكحلة .
وتسكن : اشتق من السكون ، وتمسكن : اشتق من المسكن
على معنى التشبه به في زيه وحاله ، وتمسكن لله : تضرع لله ، وفي
الحديث عن النبي ﷺ أنه قال للمصلي : « تبأس وتمسكن »
وتقنع بديك ، .

وهكذا ما لم أذكره ، وهو كثير .

فعال الاشتقاق من الزوائد ، هو كفعال الاشتقاق من الحروف
الأصلية في عرف العربية ، وكل منها يراد لدلالته الخاصة ، ويقصد إليه
قصداً للتفريق بين دلالة ودلالة أخرى ، فلا توهم في شيء من ذلك . وإنما
التوهم قائم في أنفس القائلين به .

وقد قلت إن قدامى اللغويين والنحاة قد فطنوا لهذه الظاهرة اللغوية ،
فرعوا حرمة الزوائد ، وقرروا الاشتقاق منها ، وهو أمر يقتضيه التطور
والتوسع ، وتستجيب له طبيعة العربية المرنة ولا تستعصي عليه .

وإذ قد بلغت بالمسألة هذه الغاية من الإبانة عما أردته ، فلاذكّر
كلام إمام النحاة الأوائل فيها ، الإمام العبري العربي المفكر (الخليل
ابن أحمد الفراهيدي) ، رحمه الله ، و « كل الصيد في جوف الفراء » .

وقد ألفت نصه في « لسان العرب » وهو غير معزوف إليه ، كأنه من كلام مؤلفه ابن منظور . لكن دل عليه العلامة السيد محمد مرتضى الزبيدي في « تاج العروس » ، فردّ حقه إليه . ولعزّو الأقوال إلى أربابها شأن خطير في الدراسات ، يهدي إلى مناشئ الآراء وتطورها ، ويحدد زمن ظهور الرأي ، فتوضع القضايا في نُصُبها الصحيحة ، وتجنب الزيغ والفساد .

قال (الزبيدي) ، رحمه الله في « تاج العروس » ، (د/ر/ع) :
 « وقال (الخليل) : فرّقوا بين أسماء الدرع ، والدّرعة ، والميدّرة ، لاختلافها في الصفة ، إرادة إيجاز في المنطق . وتدرّع ميدّرته ، وادّرعها ، وتدرّعها . تحملوا ما في بقية الزائد مع الأصل في حال الاشتقاق ، توفية للمعنى ، وحراسة له ، ودلالة عليه . ألا ترى أنهم إذا قالوا : تدرّع ، وإن كانت أقوى اللغتين ، فقد عرضوا أنفسهم لتلا يعرف غرضهم : أمين الدرع هو ، أم من الميدّرة ؟ وهذا دليل على حرمة الزائد في الكلمة عندهم ، حتى أقروه إقرار الأصول ، ومثله : تَمَسَّكَنَّ ، وتمسّم . »

و « قطعت جبهة قول كل خطيب » .

هذا هو قانون العربية في حرمة الزائد في الكلمة والاشتقاق منه عن وعي وقصد وإرادة .. نهدى إليه إمام النجاة (الخليل) بفطنته وزكاته وفقهه وذكاته النافذ ، وإليه يجب أن يصار في تحرير جملة ما توصم به العربية العبقريّة العظيمة من هذه الوصمة الشنعاء : وصمة البناء على التوهم ، وتبرتها منها جملة وتفصيلاً ، وذلك ما قصدت إليه في تدوين هذا البحث .

فالعربية إنما تجري سلبقتها على قانونها النفسي الذي يحكمها ، ومنه تستمد صورها الاشتقاقية اطراداً لا توقف فيه ، وعلى نسق متعين قويم ، على ما قررت في صدر البحث .

وهذا القانون النفسي يظل دائماً هو المرجع المعترف بأصالة وسلامته ، وإليه يصار ويحتكم في قضايا اللغة ، أصولها وفروعها ، وبه تتمين السلامة كما يتمين الروم الذي يتورط فيه الخاطؤون والواهمون .

وقفنا الله للصواب ، وجنبنا الزلل والوهم ، وأعانتنا على السمو بهذه العربية العروبية : لسان الوحي والفرقان ، ولغة العلم والحضارة والعمران ، إلى مقامها الكريم ، وأوجها الرفيع .

محمد بهجة الأثري

بغداد ١٣٩٦/٣/٤
١٩٧٦/٣/٦

عبر التاريخ

الدكتور محمد كامل عياد

من السهل جداً أن نذم التاريخ . فقد لاحظ الناس منذ القديم أن الأخبار التي يرويها المؤرخون لا يمكن الوثوق بصحتها : يختلط فيها الصدق بالكذب ويعتريها التشويه والتحريف والتزوير . ووصف بعضهم كتب التاريخ بأنها ليست سوى سجل لجرائم البشر وحقاقتهم والمصائب التي جرت عليهم مطامعهم ومنازعاتهم .

قال للإمام البخاري : « إن بعض الناس يتعمون عليك اشتغالك بالتاريخ ، يقولون : « فيه اغتيال الناس » . فقال البخاري : « إنما رويناه ذلك ولم نقله من عند أنفسنا » . وكان البخاري زائد التوقي ، بليغ التحري ، أكثر ما يقول عند ذكر رواية الحديث : هذا سكتوا عنه وذاك فيه نظر أو تركوه . وقل أن يقول : كذاب أو وضاع وإنما يقول : رماه فلان بالكذب .

وكتب المؤرخ المشهور ابن الأثير يقول : « رأيت جماعة ممن يدعي المعرفة والدراية ويظن بنفسه التبحر في العلم والرواية يحقر التواريخ

ويزديدها ، ويعرض عنها ، ويلقيها ، ظناً منه أن غاية فائدتها إنما القصص والأخبار ، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسماء . وهو بعد أن يعدد فوائد علم التاريخ ، الذي يكسب الإنسان تجربة ومعرفة ، ويزيده ادراكاً وعقلاً يقول : « ولهذا الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد . قال الله تعالى : « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » كما قال : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب » . ثم يضيف ابن الأثير قائلاً : « ومن ظن أن الله تعالى أراد بذكر الحكايات الأسماء فقد تمسك بآراء أهل الزيغ الذين قالوا : « أساطير الأولين » اكتتبها فهي تملئ عليه بكرة وأصيلاً » .

بل إن (شمس الدين السخاوي) (٨١٣ - ٩٠٢ هـ) ، من علماء القرن الخامس عشر الميلادي ، قد اضطر إلى تأليف كتاب خاص في هذا الموضوع عنوانه : « الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » .

ومازال بعض الباحثين يدعون أن التاريخ ليس علماً بالمرّة لأنه لا يكشف عن حقائق وقوانين عامة ولا يصدر أحكاماً يقينية ، برهانية ، بل يقتصر على سرد وقائع فردية وحوادث جزئية ، محدودة بشك غالباً في صحة الروايات المتناقلة عنها . وتساؤل آخرون فقالوا : إنه لا يمكن اعتبار التاريخ علماً إلا من حيث طرائق بحثه فقط ، أما من ناحية الموضوع والنتائج فهو أقرب إلى الفنون الأدبية ، وإن كان لا يبلغ مستواها في الإبداع والتأثير..

ويتساءل الكثيرون : ما الفائدة من الاشتغال بالتاريخ والرجوع إلى الماضي في هذا العصر الذي يسيطر عليه القلق وأخذت فيه الأمم تتسابق نحو المستقبل ؟ ماذا نتقنا أن نعود إلى حوادث الماضي التي انقضى عهدها ولا يمكن أن تكرر ؟ لقد تبدلت أوضاع العالم وأحوال البشر ، فهل

يجوز لنا أن نشغل أنفسنا بأمور وقعت في ظروف تختلف كل الاختلاف عن ظروفنا المصرية المتجددة بسرعة مدهشة ؟

كان (هنري فورد) ، صاحب معامل السيارات المشهورة ، قد زار في سنة (١٩٢٧) مدينة (اكسفورد) . ولما دعي إلى مشاهدة الأماكن الأثرية اعترف ، ولم يرغب في زيارة سوى معمل للسيارات . ثم صرح بهذه المناسبة أن التاريخ كله عبارة عن هراء وسخف . ولم يستغرب الناس هذا القول ، الذي يدل على تفكير صياني ، سطحي ، من رجل أمريكي ليس لبلاده في الماضي تاريخ يذكر ..

كان المستر (فورد) يعتقد إذ ذاك بأنه قد اكتشف الدواء الناجع لحل المشكلة الاقتصادية في هذا العصر وهو دواء بسيط يتلخص في دفع أجور أعلى إلى العمال ليزداد بذلك الاستهلاك والطلب وتستمر حركة الانتاج وتتسع - ولم يكن المستر (فورد) يعرف شيئاً عن تاريخ الأزمات الاقتصادية الدورية التي رافقت تطور النظام الرأسمالي ، وكأن هذا التاريخ أراد أن ينتقم من المستر (فورد) ويلقنه درساً ، فلم تمض سنتان حتى حدث الانهيار الاقتصادي الهائل في سنة ١٩٢٩ وتعرضت الولايات الأمريكية المتحدة قبل غيرها إلى أزمة اقتصادية خطيرة زعزعت أركانها ولم تنتعش منها إلا بعد سنوات عديدة وجهود كبيرة بذلتها (روزفلت) بعد انتخابه لرئاسة الجمهورية وإعلانه « البرنامج الجديد » في سنة ١٩٣٣ ..

وقد هاجم الفيلسوف الألماني (نيتشه) التاريخ مدعياً بأن الالتفات إلى الماضي يحرم البشر من التمتع بحياتهم الحاضرة ويشل فعاليتهم ويمنعهم من الخلق والإبداع . وكانت (نيتشه) يغبط الحيوانات لأنها تعيش في

الحاضر فقط .. فهي سعيدة ، حسب رأيه ، لأنها لا تتذكر الماضي ولا تفكر في المستقبل ..

إنه من السهل حقاً أن نطمئن في التاريخ . ولكن من الصعب جداً أن نتحرر منه ونستغي عنه .

فقد عني الناس منذ أقدم العصور يجمع أخبار الأجيال السابقة ورواية الحوادث الماضية ، وكانوا دوماً يتناقلون الأساطير القديمة . إنهم كانوا وما زالوا يشعرون بحاجة إلى ترديد ذكريات الماضي . وقد بدأ الناس منذ القديم يسجلون الحوادث الهامة على جدران المعابد والأبنية العامة والمنشآت التذكارية ويحفظون الوثائق والآثار . ثم أخذوا يؤلفون الكتب التي تبحث في تاريخ البشرية وأصبح التاريخ من أهم العلوم الانسانية يدرسه الناشئون ويعتني بمطالمة المثقفون وقادة الجيوش ورجال السياسة والأدب ، وصار يعتبر من أقوى دعائم الثقافة العامة وأسس التربية الوطنية ..

إن التاريخ يقوم لدى الشعوب مقام الذاكرة عند أفراد البشر . والذاكرة التي تحفظ التجارب الماضية لها شأن كبير في تكوين شخصية الانسان إذ اليها يرجع الفضل في شعور الشخص بذاته وهويته ، كما إنه يستند إليها في التفكير وفي اتخاذ القرارات الهامة . فالتفكير إنما يعني الرجوع إلى الذاكرة ومقارنة المشاكل التي نتجأنا بها بشبهاتنا السابقة .

وهناك ذكريات تعيسة ، مؤلمة كثيراً ما نكتبها وتناساها ، ولكنها تبقى في أعماق الشعور وتؤثر في سلوكنا . وقد كشف علماء التحليل النفسي عن خطورة هذه الذكريات المكبوتة . وردت في مذكرات السيامي الفرنسي (تاليران) العبارة التالية : « أقول هنا ، للمرة الأولى وعلى أمل أن

لأعود وأفكر في ذلك أبداً ، إنني ربما كنت الشخص الوحيد من أسرة نبيلة الذي لم يتمتع بالعيش تحت سقف واحد مع أبويه ولولادة أسبوع فقط من حياته . في هذه الكلمة تتجلى المرارة واللوعة اللتان كان (ناليران) لا يزال يشعر بها وهو يكتب في الستين من عمره وكان يتمنى لو استطاع نسيانها ... وقد استدل المؤرخون من ذلك أن (ناليران) عاش مهملًا من أبويه بتولى تربيته الخدم والأتباع ، فاعتاد معاشرته من هم دونه وتقم على الطبقة الارستقراطية التي يمثلها أبواه ولم يكثر بسقوط هذه الطبقة بعد الثورة الفرنسية بل أسرع إلى التعاون مع رجال تلك الثورة ثم مع نابليون وأخيراً مع أسرة (بوبون) .

تختلف أهمية الذاكرة باختلاف مراحل حياة الأفراد . فالشاب الناشئ ليس لديه تجارب كثيرة يمكن ان يتذكرها وأن تؤثر في تكوين شخصيته . لذلك نراه يتجه بخياله إلى المستقبل ويندفع مع الأحلام . ولا شك في أن تصور المثل الأعلى لدى الشباب كثيراً ما يعبر عن استعداداتهم وإمكاناتهم ومطامعهم ويساعد على انكشاف مواهبهم وقدراتهم - على شرط أن يكون هذا التصور واقعياً ومدعوماً بجهود إرادية ، متواصلة . مثل هؤلاء الشبان يستحقون أحياناً من الاحترام والتقدير أكثر مما نبديه تجاه شخص بلغ القمة من سيرته فأصبح وزيراً أو قائداً ؛ ذلك لأن الشاب الناشئ قد يصبح أيضاً وزيراً أو قائداً . ولكن ربما يبلغ أكثر من ذلك فيصير مخترعاً أو فناناً كبيراً .

كلما تقدم الانسان في الحياة تزداد أهمية الذكريات والتجارب السابقة في تكوين شخصيته ونرى سلوكه في الحاضر يتأثر بسيرته الماضية ، فإذا

سبق له أن تمسك بالنزاهة والصراحة والإخلاص ، بصعب عليه بعد ذلك أن يتنكر لمقائده ومبساته وآرائه السابقة ، والشخص الذي يخطئ ويرتكب جريمة ، من المسير عليه التخلص من الشعور بالذنب ومن تأنيب الضمير كما أنه يكاد يستحيل عليه بعد ذلك نيل ثقة الناس واحتلال مكانة في المجتمع .

خلافًا للشبان الذين يحملون بالمستقبل يعيش أكثر الشيوخ في الماضي . فطنى الذكريات على نفوسهم وتفصلهم عن الحاضر . هكذا كان الأمر مثلاً مع (أميل أوليفيه) ، الذي تولى رئاسة الوزارة الفرنسية مدة ستة أشهر في سنة (١٨٧٠) ، فقد ظل طوال عشرين عاماً حتى وفاته لا يتحدث إلا عن ذكريات رئاسته .

لا يمكن للفرد أن يتمتع بذاكرة جيدة يستفاد منها في التفكير وكسب المعرفة إلا إذا استطاع جمع المعلومات اللازمة واختزانها ثم استدكارها عند الحاجة إليها . وهذا يتوقف على حسن انتقاء المواد التي يجب عليه حفظها من مشاهداته ومسموعاته ومطالعاته . ولا سبيل إلى حفظ كل شيء عدا أنه لا فائدة في ذلك ، وقد قيل بحق إن شرط التذكر الصحيح هو النسيان . ونحن لا يمكننا أن نسترجع الذكريات المطلوبة إلا إذا نسبنا أكثر الأحداث والأقوال النافذة التي نمر بها . كذلك لا بد من تصنيف الذكريات المهمة وتوثيقها وربط بعضها ببعض حتى يسهل استحضارها .

وهكذا التاريخ بالنسبة إلى الشعوب : فإنه لا مجال إلى تدوين كافة الأحداث التي تمر بها في مجرى حياتها ولا تقع في استقصاء كل الأمور وذكر الأسماء ووصف الحروب والفتن ، إنه لا بد من عملية اصطفاء لإبراز

الحوادث الخطيرة والمواقف الحاسمة ، والإشادة بالأبجداد القومية ، وانتقاد الأخطاء ، وبيان أسباب النكبات والنكسات لاستخلاص العبر منها ، وكم لدينا من تقاليد وعادات بالية ، وكم من نفرات وغنعات مستهجنة وكم من عصبيات ومنازعات مخيفة انتقلت إلينا من الماضي ولا بد لنا من نسيانها والتخلص منها إذا أردنا السير في طريق التقدم . وهناك عقائد وخرافات ومخلفات لغوية ورواسب اجتماعية من مختلف العهود البائدة - كلها تؤلف عبئاً ثقيلاً يعرقل مسيرتنا ومن الواجب التحرر منها أو تطوير ما يصلح منها لتلائم حاجات العصر .

إن موقف الشعوب من تاريخها يشبه موقف الأفراد من ذكرياتهم الماضية . فالشعوب الفتية لا تهتم إلا بالمستقبل وتنصرف في الحاضر إلى تكوين ذاتها وبناء حضارة جديدة . وحين تتوقف هذه الشعوب عن النمو والتوسع والإبداع تتجه إلى الماضي ، تتغنى بأبجاده أو تدعو إلى إحيائه والرجعة إليه .. ثم عندما تهرم هذه الشعوب وتشمرب أن حضارتها صارت مهددة بالانهيار والزوال - حينئذ تبدأ في دراسة تاريخها وتبحث في أسباب التقدم والتأخر ، ولذلك يعتبر (الوعي التاريخي) دليلاً على الهرم ونذيراً بالانقراض . وقد قال بعضهم : « ما أسعد الشعب الذي ليس له تاريخ » !.

على أن الذين ابتلوا بالوعي التاريخي لا يستطيعون فقدان هذا الوعي مهما حاولوا . وأكثر تعاسة من هؤلاء هم أولئك الذين لا يعرفون إلا القليل من التاريخ لأن المعرفة المشوهة والثقافة الناقصة أكثر الأمور خطراً وفساداً . فمن الأفضل أن نسمى إلى الوعي التام ، الواضح وأن ندرس التاريخ لنعرف : من نحن ؟ إلى أي مرحلة من التطور وصلنا وفي أي طريق نسير ؟.

هناك شبان يرغبون في التحرر من الماضي والتحول إلى الحاضر والمستقبل ويعتبرون دراسة التاريخ لهواً وعبثاً وهروباً من مجابهة المشاكل الحالية . إنهم يصرخون قائلين : نريد أن نعيش الحياة الحاضرة ، حياة عصرنا ؛ ولا يهمننا الماضي الميت . ولا اعتراض على ذلك . فمن واجب كل جيل أن يهتم بحياته الحاضرة وبمستقبل الأمة القريب والبعيد . ولكن ما هو الحاضر ؟ هل نغني به اللحظة المباشرة التي نعيش فيها والتي لا تلبث إلا قليلاً حتى تصبح من الماضي . إن الحاضر ليس سوى امتداد الماضي ونحن لا يمكننا أن نفهم أوضاعنا ومشاكلنا الحاضرة وأن نعالجها معالجة صحيحة ، ناجعة وأن نرسم الطريق إلى المستقبل إلا بالرجوع إلى الماضي وإدراك الأسباب الفسادة والعوامل المؤثرة التي أدت إلى خلق تلك المشاكل . فالعراقيل التي تعترضنا ، والعيوب التي نشكو منها ، والصعوبات التي تواجهنا كلها لها جذورها وأصولها في التراث الذي تسلمناه من الأجيال السابقة . وكما ورثنا عن الماضي المشاكل كذلك نكتسب منه تجربة وحكمة . وقد قال (شيشرون) قبل أكثر من ألفي سنة : « إن الذي يجهل ما حدث قبل ولادته - يبقى دوماً طفلاً » . وقال فيلسوف حديث : « الذي لا يعرف التاريخ مكتوب عليه أن يعيده » .

إن حياة البشر ، سواء كانوا أفراداً أو جماعات أو شعوباً ، ليست سوى سلسلة متصلة الحلقات يتبع بعضها بعضاً . ولا سبيل إلى تحليل الحوادث في أي مرحلة إلا بالرجوع إلى المراحل السابقة وربط الأسباب بالمسببات والعلل بالنتائج . إننا في التاريخ ندرس كيف كانت المجتمعات البشرية في الماضي ثم كيف تطورت تدريجياً حتى أصبحت على ما هي عليه اليوم .

وبذلك نتوصل إلى معرفة العوامل التي أثرت في هذا التطور واكتشاف التيارات والقوى التي دفعت إليه وما زالت تدفع كما نطلع على البواعث والخوافز والاختلافات والتناقضات التي أسهمت وتسهم في تكييف الحوادث . وبدون هذه الدراسة يتعذر علينا أن نفهم الشؤون السياسية والاجتماعية عامة وأن ندرك مشاكل عصرنا واتجاهاته . إن العالم الذي يحيط بنا يظل لغزاً إذا لم نعرف كيف تكون . ولا بد أن نشعر بأننا غرباء ضمن المجتمع الذي نعيش فيه إذا جهلنا منشأ العادات والتقاليد والمعتقدات والمؤسسات والنظم والقوانين السائدة فيه والتي ليست جميعها سوى محصول ظروف تاريخية معينة ونتيجة التطور خلال العصور المتعاقبة ، بل إننا لا نستطيع حتى فهم آرائنا الشخصية والأحكام المسبقة التي نتمسك بها وردود الفعل العاطفية التي نجابه بها الأحداث إذا لم نعرف الميراث الذي ورثناه عن أسلافنا . وإذا تساءلنا لماذا يختلف موقف العربي عن موقف الانكليزي مثلاً أو الفرنسي في الظروف الخاصة أو العامة فإن التاريخ وحده يعطينا الجواب .

مثلاً أن التاريخ ضروري لفهم الحاضر فهو كذلك لا بد منه للاعتياد على التفكير الواقعي . وبينما تتعلق في العلوم الطبيعية والرياضية بالمفاهيم المجردة والأحكام المطلقة فإننا في التاريخ نبحث الموضوعات الانسانية المعقدة بصورة مشخصة وضمن شروط زمنية ومكانية معينة ونتعلم بذلك معنى النظرة النسبية ، إذ نرى كيف أن جميع الأحداث يرتبط بعضها ببعض ويؤثر أحدها في الآخر ، وأن أحوال البشر في تطور دائم ، وأن كل حالة ليست سوى مرحلة في طريق لا تنتهي ، وأنه لا يمكن الوصول إلى الحقيقة الموضوعية المطلقة ومعرفة الأحداث التاريخية كما جرت فعلاً وإنما نحكم عليها من وجهة نظر محدودة وبالنسبة إلى الظروف المتغيرة .

ما زال الكثيرون في عصرنا النغمي يتساءلون : ماذا يفيدنا التاريخ ؟ لا يكفي ، في نظرم ، لتبرير دراسة التاريخ أن تكون له طريقة علمية موثوقة وأن يلبي كثيراً من حاجاتنا الفكرية وأن يثقف أذهاننا ويصقل عقولنا ويجملنا أقل غباوة عند البحث في شؤون البشر والنظر في مشاكلهم السياسية والاجتماعية الحاضرة . إنهم يريدون أن يعرفوا : ما هي فائدته في حياتنا العملية ؟ هل هو عبارة عن ترف فكري ، أم إنه ينفعنا في تحقيق أهدافنا ؟.

لقد اعتقد الناس في جميع العصور بأنه من الممكن استخلاص عبر ودروس من التاريخ يسترشدون بها في أعمالهم .

وإذا كان (هيرودوت) ، أبو التاريخ ، لم يفكر عند تأليف كتابه عن « الحروب الميديّة » ، إلا في تلبية رغبة الآثينيين في المعرفة وتقديم أخبار غريبة وقصص ممتعة إليهم ، فإن (توكيديديس) ، الذي تبعه بعد جيل واحد ، قد ذهب إلى أن التاريخ يتضمن دروساً عملية . وهو يصرح بأن كتابه عن (الحروب اليلوبونيزية) يهدف إلى رسم صورة واضحة ، حقيقية عن الماضي وحوادثه التي يمكن أن تتكرر في المستقبل وأنه يريد استخلاص العبرة العملية التي قد تفيدنا في أوضاع سياسية مماثلة وذلك ، كما يقول ، لأن طبيعة البشر واحدة ، ولأن أعمالهم تتشابه .

وتجلى النزعة العملية بصورة أوضح عند مؤرخ يوناني آخر ظهر في القرن الثاني قبل الميلاد وعاش تحت حكم الرومان أعني به (بوليبيوس) الذي مارس السياسة وكان على معرفة واسعة بأحوال اليونان والرومان على السواء ، وكان خلال مدة طويلة على صلة وثيقة بالزعماء السياسيين في

الشرق والغرب ورافق قادة الجيوش وعرف أساليب الحرب وقام برحلات طويلة في البر والبحر وطاف في مختلف البلدان واطلع على أحوالها . وقد امتاز (بوليبيوس) بروح الإنصاف والتسامح ، وكان يتمسك بالحقيقة المطلقة ، ولا يتحيز في أحكامه على الأشخاص والأحداث ، وكانت له نظرة ناقية تكتشف الشخصيات الكبيرة وتميز الوقائع الهامة وتقدر المواقف الحاسمة . وكان يكره كرهاً شديداً الأساليب الخطائية والألعاب اللفظية والمظاهر الشكلية . إنه يمد ، بحق ، من أكبر المؤرخين القدماء .

كان (بوليبيوس) يحرص على معرفة الوقائع التاريخية الحقيقية لأن هذه وحدها تصلح لإرشادنا في الحياة العملية وفي إدارة الشؤون العامة .

إن الموضوع الأساسي في كتابه عن (التاريخ العام) هو : كيف استطاعت (روما) في مدة لا تزيد عن خمسين عاماً أن تستولي على حوض البحر الأبيض المتوسط وتبسط سيطرتها على العالم الممور إذ ذاك ؟

كان اليونانيون يعزون انتصارات (روما) إلى الحظ وليس إلى كفاءة الرومان ومزايا جمهوريتهم . فقام (بوليبيوس) ، الذي كان يمتاز بالحكمة والتفكير الفلسفي ، وألف كتابه القيم ليبدد أوهام مواطنيه ويكشف لهم عن الأسس المتينة التي قامت عليها عظمة (روما) . وفي مقدمة الأمور التي اهتم بها من هذه الوجهة تحليل الاستقرار الذي اتصف به نظام الحكم في (روما) ، على عكس ما كان سائداً بين اليونانيين من اضطراب وتقلب فقال : إن استقرار دولة (روما) يرجع إلى مزجها بين أشكال الحكم المختلفة وجمعها بين العناصر الجوهرية لكل من هذه الأشكال وتحقيق التوازن بينها . ذلك أن حكومة الجمهورية الرومانية

كانت تقوم أولاً : على القناصل الذين يمثلون الحكم الفردي ، وثانياً : على مجلس الشيوخ الذي يمثل سلطة النخبة الأرستوقراطية ، وثالثاً : على المجالس الشعبية التي تمثل النزعة الديمقراطية .

يقول (بوليبيوس) : « إن معرفة أحداث الماضي هي أفضل وسيلة لإصلاح الطبيعة البشرية . وأكثر المؤرخين كانوا يهدفون إلى هذه الغاية عند تأليف كتبهم ، فترام يصفون دروس التاريخ بأنها مدرسة للتربية الوطنية والتدريب الاجتماعي والإعداد للحياة السياسية . وهم يقولون : إن دراسة عيوب الآخرين وأخطائهم هي الطريقة الوحيدة لتكوين الشخصية التي تستطيع مجابهة الأحداث وتقلباتها . ولذلك كان (بوليبيوس) يلح على الذين يؤلفون كتب التاريخ أو الذين يطالعونها بأن يركزوا اهتمامهم ليس على سرد الوقائع ورواية الأخبار بل على كشف الأسباب وملاحظة الظروف المحيطة ومعرفة النتائج ؛ وهو يتساءل أخيراً : « ماذا يفيد القارئ أن يعرف وصف الحروب والمعارك وحصار المدن واستعباد الشعوب واستئثارها إذا هو لم يتوصل إلى إدراك الأسباب التي ساعدت جماعة على النجاح وأدت بأخرى إلى الفشل في ظروف مماثلة ، ؟ .

وبين المؤرخين القدماء المشهورين الذين أرادوا استخلاص العبر من التاريخ نذكر (ديودوروس الصقلي) الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد . وقد جاء في كتابه « مكتبة التاريخ العام » قوله : « إننا نعرف قيمة التاريخ من ثمراته ، فهو داعية إلى الحق يفضح الشر ويمدح الخير ؛ إنه يقدم إلى الدارسين خلاصة التجارب البشرية والحكمة الإنسانية ، . ويدعي (ديودوروس) أن التاريخ قادر على تعليمنا دون أن يتعرض

إلى الأخطار والآلام فيقول : د إنها لنمة كبرى أن نتياً لنا الفرصة لإصلاح أنفسنا وتحسين أوضاعنا عن طريق الاطلاع على عيوب الآخرين وأخطائهم فتعذر منها ونسعى إلى اجتناب أمثالها : وما أجل أن نكون أحراراً في هذه الحياة الفانية ، المليئة بالخطوط والتقلبات فنتبع أساليب النجاح الماضية عوضاً عن أن نضطر إلى القيام بتجارب جديدة مؤلمة ! إنه ، بفضل دراسة التاريخ ، يتوصل الشبان إلى فهم الأجيال السابقة ويمجدون في تجارب المتقدمين حوافز تدفعهم إلى السعي وراء الشهرة الخالدة كما أن الأشراف يجدون في التاريخ رادعاً يندوم بالحزى الأبدى إذا هم اندفعوا مع أصواتهم الخبيثة ، وبصورة عامة فإن أجداد التاريخ تثير التقدير والإعجاب ومن شأنها أن تدفع الكثيرين إلى الإقدام على أعمال عظيمة من تأسيس الممالك أو سن قوانين تضمن سلامة الأمة أو الوصول إلى اكتشافات علمية أو اختراعات عملية تستفيد منها البشرية جمعاء .

وإذا انتقلنا الآن إلى المؤرخين العرب نرى أن أكثرهم كانوا يصدون من دراسة التاريخ قبل كل شيء استخلاص العبر التي تفيد في الحياة العملية . تبرز النزعة السياسية العملية بشكل واضح عند (مسكويه) في القرن الخامس الهجري والقرن الحادي عشر الميلادي . لقد اشتغل (مسكويه) بالفلسفة والأخلاق والفقه والأدب والتاريخ ، وجمع في كتابه « تجارب الأمم » مادة جيدة ، ولا سيما فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية في العصر العباسي . وكان تفكيره الفلسفي يدفعه إلى البحث في أسباب الحوادث ونتائجها . وبدل عنوان كتابه على أنه اعتبر التاريخ خلاصة لتجارب الشعوب في العصور السابقة واعتقد أنه يمكن للأجيال اللاحقة أن تستفيد من هذه التجارب .

ولعله من المفيد أن نستعرض أقواله في مقدمة كتابه حيث يشرح فائدة علم التاريخ ويأتي بكثير من الآراء الطريفة والقيمة .

يقول (مسكويه) : « إني لما تصفحت أخبار الأمم وسير الملوك وقرأت كتب التاريخ وجدت فيها ما تستفاد منه تجربة في أمور لا يزال يتكرر مثلها وينتظر حدوث شبيها كذكر مبادئ الدول ودخول الخلل فيها بعد ذلك وتلافي من تلافاه ، إلى أن عادت إلى أحسن حال وإغفال من أغفله قال الأمر إلى الاضمحلال والزوال ، وذكر ما يتصل بذلك من سياسات الوزراء وأصحاب الجيوش . ولما كانت أمور الدنيا متشابهة وأحوالها متشابهة صار جميع ما يحفظه الإنسان من أحداث التاريخ كأنه تجارب له وكأنه عاش الزمن كله ، فيعد لكل شيء عدته . وشتان بين من كان بهذه الصورة وبين من كان غمراً غمراً لا يتبين الأمر إلا بعد وقوعه ولا يلاحظه إلا بعين الغريب عنه ، يحيره كل خطب يستقبله ، ويدعشه كل أمر يتجدد له . »

يجدر بنا أن تأمل في هذه الكلمات التي تعبر عن اعتقاد (مسكويه) بوجود حالات متشابهة في حياة البشر تؤدي فيها الأسباب نفسها إلى نتائج مماثلة . وهو يشير إلى موقف الجهلة الأغرار الذين لم يحصلوا على ثقافة تاريخية فيعيشون غرباء في خضم أحداث هذا العالم تستولي عليهم الدهشة تجاه الانقلابات ويختارون عند المصائب والأزمات . ويحتم (مسكويه) مقدمته باستقاد المؤرخين الذين يجمعون الأخبار التي تجري مجرى الأسهم والخرافات والتي لا فائدة فيها غير استجلاب النوم بها . ثم يقول إنه لذلك ألف كتابه ولم يتعرض لذكر معجزات الأنبياء (صلوات الله عليهم) وما تم لهم من

السياسات بها لأن أهل زماننا لا يستفيدون منه تجربة فيما يستقبلونه من أمورهم اللهم إلا ما كان منها تديراً بشرياً لا يقترن بالإعجاز .

ولعل أشهر نموذج للمؤلفات العربية التي تنظر إلى التاريخ كدراسة للسياسة العملية هو كتاب « الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية » . ومؤلف الكتاب (ابن الطيِّقُصْطِي) « ٦٦٠ - ٧٩٠ هـ » من رجال أواخر القرن الثالث عشر الميلادي إنما يهدف إلى الكشف عن أسرار السياسة وأسابيب الحكم وقواعد الإدارة عن طريق دراسة التاريخ الإسلامي وتحليل حوادثه واستخلاص العبر من هذه الحوادث ليستفيد منها والي الموصل (فخر الدين عيسى بن إبراهيم) الذي أهداه كتابه ، ويقول (ابن الطيِّقُصْطِي) عن مؤلفه : « إنه ليفيد العقل قوة والذهن حدة والبصيرة نوراً . وهو للخاطر الذكي بمنزلة المسن الجيد للقولاذ » .

وأكتفي بنقل المقطع التالي من الكتاب : « كان الوزراء قديماً يكرهون أن يقف الملوك على شيء من السير والتاريخ خوفاً من أن يتفطنوا إلى أشياء لا يجب للوزراء إطلاعهم عليها .. طلب الخليفة (المكتفي) من وزيره كتباً يلهم بها ويقطع بمطالعتها وقتها . فتقدم الوزير إلى نوابه بتحصيل ذلك وعرضه . إليه قبل حمله إلى الخليفة . فحصلوا على بعض كتب التاريخ وفيها شيء مما جرى في الأيام السالفة من وقائع الملوك وأخبار الوزراء ومعرفة التحيل في استخراج الأموال . فلما رأى الوزير ذلك قال لنوابه : والله إنكم أشد الناس عداوة لي ! أنا قلت لكم حصلوا له كتباً يلهم بها عني وعن غيري . وقد حصلتم له ما يعرفه مصارع الوزراء ويرشده إلى الطريق لاستخراج المال وبين له خراب البلاد من عمارتها ..

ردّها وحملوا له كتباً فيها حكايات تلهيه وأشعار تطربه . وهذا كلام لا يحتاج إلى شرح أو تعليق ! .

ولا بد من أن نذكر بين المؤرخين العرب في القرن الرابع عشر (ابن خلدون) الذي أراد أن يجعل من التاريخ علماً بالمعنى الصحيح بل فرعاً من فروع الفلسفة يقوم على دراسة العمران والاجتماع البشري ومعرفة قوانين التطور . ولا مجال هنا للبحث في نظرية (ابن خلدون) في التاريخ والاجتماع فأكتفي بالإشارة إلى أنه كان هو أيضاً ، مثل المؤرخين السابقين ، يعتقد بأن للتاريخ فائدة عملية وهي الاقتداء بالأنبياء في سيرهم والأمم في أخلاقهم والملوك في سياساتهم كما نلاحظ ذلك حتى في عنوان تاريخه الذي سماه « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر » .

إلا أن (ابن خلدون) كان يطالب بملاحظة تبدل الأحوال في الأمم والأجيال مع مرور الأيام واختلاف الأخلاق والعوائد والمذاهب من عصر إلى عصر . وكان يدعو إلى المقارنة بين الحوادث لمعرفة ما بينها من تشابه أو تباین وتعليل ذلك ، ويجند من أن نحكم على أخبار الماضين حسب أوضاعنا دون أن تنفطن لما جرى من تغيرات وانقلابات . كذلك يجدر بنا أن لا ننسى نظرية (ابن خلدون) في حتمية التطور التاريخي ، هذه النظرية التي تذهب إلى أن كل مجتمع يجتاز في تطوره أدواراً معينة تتكرر بانتظام وتشبه مراحل نمو الكائنات الحية وفنائها . وهو يدعي بأن هناك قوانين تاريخية مثل القوانين الطبيعية لا تتغير . لذلك ليس هناك في التاريخ من مجال للمصادفات أو المعجزات . وفي سبيل تأييد رأيه يقول

(ابن خلدون) : « جاء في الحديث : ما بعث الله نبياً إلا في منعة من قومه . وإذا كان هذا صحيحاً في الأنبياء وهم أولى الناس بخرق العوائد فما ظلك بغيرهم ألا تخرق له العادة في الغلب بغير عصية ، وهو بعد أن استشهد بغزوة (أحد) ختم كلامه قائلاً : « وهكذا حال الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) في دعوتهم إلى الله بالعشائر والعصائب وهم المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء ، لكنه إنما أجرى الأمور على مستقر العادة » .

وقد بين (ابن خلدون) في مقدمته المشهورة كيف أن الحوادث التاريخية أيضاً تخضع لقانون السببية والحتمية . ومن الواضح أنه لا سبيل إلى الاستفادة عملياً من عبر التاريخ إذا لم نؤمن بأن لكل حادث سبباً . وبأن الأسباب نفسها لا بد أن تؤدي إلى النتائج ذاتها .

أما في أوروبا فقد اتجه الاهتمام منذ عهد النهضة إلى دراسة التراث اليوناني والروماني القديم وعلى الأخص المؤلفات التاريخية التي أخذ الكتاب ينهون منها ويعلقون عليها وينسجون على منوالها . وكانوا جميعاً يريدون استخلاص العبر واستنباط الدروس من التاريخ كما نرى ذلك بالدرجة الأولى لدى (ماكيافيلي) الذي سعى إلى تأسيس علم السياسة بالاستناد إلى تجارب التاريخ ودروسه فاستقى معظم تعاليمه السياسية من كتاب المؤرخ الروماني (ليفيوس) .

وكان رجال السياسة والقادة المسيحيون في الغرب منذ القديم ينصرفون في أوقات فراغهم إلى مطالعة كتب التاريخ للاستفادة منها ، بل إن الكثيرين منهم مثل (يوليوس قيصر) حتى (ونستون تشرشل) قد

أقدموا على تدوين تجاربهم وآرائهم وخلفوا لنا مؤلفات تاريخية قيمة تتضمن كثيراً من الدروس المفيدة .

إننا جميعاً نستند إلى ذكرياتنا وتجاربنا السابقة لمعرفة ما يمكننا توقعه من حوادث في مواقف مينة يبدو لنا أنها تشبه الظروف الماضية ؛ عندما رُحفت الجيوش الهتلرية على (بولندا) في سنة ١٩٣٩ كان بين الغزاة جندي ألماني سبق له أن وجد في العاصمة (فرسوفيا) سنة ١٩١٨ ، فالتفت إلى رفيق بجانبه قائلاً : « في المرة الماضية تولت امرأة غسالة تجريدي من سلاحي . يا ترى من سوف يقوم بذلك هذه المرة ؟ » ، إن هذا الجندي المسكين قد تعلم من دروس الماضي فكان يتوقع هزيمة ألمانيا المعتدية مرة أخرى كما في سنة (١٩١٨) . وذكرى تلك الهزيمة هي التي كانت في سنة ١٩٤٠ ، بعد انتصارات (هتلر) السريعة ، تشجع الحلفاء على الصمود وتدعم الروح المعنوية لدى الانكليز والفرنسيين « الأحرار » .

على أن الاعتقاد العام بإمكان الإفادة من عبر التاريخ أخذ يتزعزع منذ أوائل القرن التاسع عشر . فقد كتب الفيلسوف الألماني (هيجل) في ذلك الوقت يقول : « الشيء الوحيد الذي نتعلمه من التاريخ هو أن لا أحد قد يتعلم من دروس التاريخ شيئاً » . إن هذا القول الذي قصد صاحبه أن يصوغه في قالب متناقض ربما لا يخلو من المبالغة والالتباس ولكنه ينطبق على الواقع إلى حد بعيد . فالتاريخ يذكر لنا أمثلة كثيرة عن العاقبة الفجيعة التي ينتهي إليها الظلم والطغيان ولكن ذلك لم يصبح رادعاً للطغاة المستبدين الذين ما زالوا يطمعون في الاستئثار بالحكم وخنق حرية الشعوب . وقد أثبت التاريخ خطيئة (نابليون) الفاحشة في اعتدائه

على روسيا وزحفه على (موسكو) في سنة ١٨١٢ . ونرى (بسمارك) في مناسبات عديدة ، يحذر الألمان من الاشتباك في حرب مع الروس والدول الغربية في وقت واحد . وكان (هيتلر) ، الذي لا تنكر عبقريته على الرغم من قص ثقافته وعدم اتزانه وغروره ، قد اطلع على رأي (بسمارك) وتعليقات الخبراء العسكريين عليه وأعلن مراراً بأنه لن يرتكب مثل هذا الخطأ . ولكنه مرعان ما وقع فيه فاستعجل بذلك خاتمته الفجيعة وجر بلاده إلى أعظم نكبة أصابتها .

وكان القائد (فون كلاوزيفيتس) في كتابه المشهور (عن الحرب) ، الذي ظل منذ سنة ١٨٣٠ حتى اليوم المرجع المعتمد في النظريات الاستراتيجية ، قد بين أنه عندما يكون هناك عدو واحد ينبغي توجيه الهجوم رأساً إلى عاصمته . أما إذا كان هناك أكثر من عدو فيجب السعي أولاً إلى قطع خطوط المواصلات بين الخصوم . وكان الألمان قد خالفوا هذه القاعدة في سنة ١٩١٤ ولصكهم تحاشوا هذا الخطأ في سنة ١٩٤٠ إذ اندفعوا منذ البداية إلى مرافئ بحر (المانش) وقطعوا الطريق على الإنكليز الذين انسحبوا من (دونكيرك) وبذلك سهل على الألمان الزحف على باريس واحتلالها . على أن (هيتلر) الذي نسي نصيحة (بسمارك) وهاجم روسيا في سنة (١٩٤١) لم يتبع أيضاً قول (كلاوزيفيتس) فطمع في الاستيلاء على (موسكو) عوضاً عن أن يوجه جيوشه أولاً إلى القفقاس لقطع الطريق على نجدات الحلفاء إلى روسيا . ولا شك في أن الانتصارات السريعة التي أحرزها الألمان باديء الأمر قد خدعت (هيتلر) وتفتخت فيه الغرور وجعلته يهمل القواعد العسكرية ولا يعبأ بآراء مستشاريه المجرين .

إذا أمعنا النظر في كلمة (هيغل) يتضح لنا أنها لا تعني أنه يستحيل استخلاص العبر من التاريخ ولكنها تعلن أن البشر ، أفراداً وشعوباً وحكومات ، لا يستفيدون من هذه العبر إما لجهلهم أو طيشهم أو ضعف إرادتهم واتقيادهم للأناية وما يتفرع عنها من طمع وحسد وخوف وحقد . للاستفادة من دروس التاريخ يجب أن تكون لدينا معرفة جيدة ، دقيقة للحوادث وأن نحسن تفسيرها ونلاحظ اختلاف الظروف التي وقعت فيها بالنسبة إلى الأوضاع الجديدة .

بعد حرب (القوم) ١٨٥٤ - ١٨٥٦ ، قام أحد الضباط الفرنسيين اسمه (فروسار) ، الذي كان استاذاً في كلية الأركان ، فوضع نظرية استخلصها من التجارب في ساحة تلك الحرب المحدودة ، تعتمد على مبدأ الدفاع المنظم في الحنادق . فلما نشبت الحرب في سنة (١٨٧٠) تمسك الفرنسيون بهذه النظرية بينما أقدم رئيس الأركان الألماني (فون مولتكه) ، الذي درس بإيمان معارك نابليون ، فوضع خطة الحرب الحاطفة والحركة السريعة وحقق بذلك نصراً باهراً . وعلى أثر ذلك تخلى المخططون الفرنسيون عن نظرية (فروسار) ومالوا إلى طريقة الهجوم المتواصل ولكن الخسائر الفادحة التي تكبدتها فرنسا في الحرب العامة بين ١٩١٤ - ١٩١٨ أدت إلى ظهور عقدة خط (ماجينو) لدى السياسيين والعسكريين الفرنسيين . وقد برهنت الحرب العالمية الثانية على أن هذا الخط لم يكن متناسباً مع تقدم الفنون الحربية الحديثة .

عندما انفجرت الثورة البلشفية في سنة ١٩١٧ انبرى بعض الكتاب والسياسيين يتنبؤون بأن الجيوش الروسية سوف تندفع إلى القتال بروح جديدة وحماسة ثورية وكانوا يستشهدون بما حدث بعد الثورة الفرنسية .

إلا أنهم نسوا أن حرب سنة ١٧٩٢ قد نشبت في السنة الثالثة بعد الثورة في حين أن ثورة ١٩١٧ حدثت في السنة الثالثة بعد الحرب وبذلك غفلوا عن ملاحظة الفرق الأساسي بين الحالتين وهو أن الفلاح - الجندي الفرنسي إنما أسرع سنة ١٧٩٢ إلى القتال للدفاع عن الأرض التي كان انتزعها من الاقطاعيين في حين أن الفلاح الروسي المجند قد انسحب سنة ١٩١٧ من جبهة الحرب للاستيلاء على الأرض .

وعندما وقع (تشمبرلين) في سنة ١٩٣٨ على اتفاقية (مونيخ) وأعلن قبوله لمبدأ الاستيلاء على الأراضي في أوروبا الوسطى على شرط أن يتم ذلك عن طريق اتفاقيات « معقولة » وليس باستخدام القوة - أثبت أنه كان يهرب من مواجهة الواقع وأنه كان ينقصه التفكير التاريخي الصحيح ، إذ لا يذكر لنا التاريخ أن أي شعب أوروبي قد تخلى عن الأرض دون أن يتعرض إلى العنف .

إن كلمة (هيغل) قد أثارت العلماء ودفعتهم إلى البحث في ماهية المعرفة التاريخية وإلى دراسة العوامل المؤثرة في تطور المجتمعات البشرية . وارتفعت أصوات كثيرة تؤكد على أن أهم درس نتعلمه من التاريخ هو أنه لا يعيد نفسه وأن الصفة المميزة للحدث التاريخي هي أنه فريد ومقيد بمكان معين وزمان محدود وظروف خاصة وأنه لا يتكرر أبداً بالشكل ذاته وعلى الصورة نفسها وبجميع التفاصيل . وقد أنكر قسم من العلماء أن تكون هناك قوانين تاريخية ثابتة مثل القوانين الطبيعية وحجتهم في ذلك هي أن الحوادث التاريخية معقدة ، تؤثر فيها عوامل متعددة ، مختلفة من طبيعة ونفسية واجتماعية لا يمكن الاحاطة بها . كما أن المصادفات لها دور

كبير في حياة البشر . وقبل كل شيء يستند هؤلاء العلماء إلى مبدأ حرية الإرادة فيقولون إن البشر هم الذين يصنعون تاريخهم وأن الشخصيات التي ترمم الخطط وتتخذ القرارات وتوجه الأعمال تتصف بحرية الاختيار عدا أن بعض زعماء الشعوب كثيراً ما يتبعون الأهواء ويتقلبون مع الظروف ويناقضون أنفسهم ، فكيف نستطيع في هذه الحالات معرفة اتجاه الحوادث واستنتاج قواعد أو وضع قوانين يمكن الاستناد إليها في المستقبل ؟ وإذا كانت حوادث التاريخ لا تتكرر ولا تجري تبعاً لقوانين ثابتة ، بل تخضع للمصادفات وتنبعث من إرادة الأفراد الشخصية وتتكيف حسب رغباتهم وآرائهم الذاتية فكيف يمكن أن نستخلص منها الدروس والعبر ؟.

لا مجال هنا للبحث في مشكلة حرية الإرادة من الوجهة الفلسفية . ويكفي أن نشير إلى اجتهادات علماء الكلام المسلمين ثم إلى دراسات علماء النفس الغربيين الذين يتفقون على أن الإنسان في أعماله يشعر بأنه يتمتع بحرية الاختيار أي أنه يستطيع أن يفعل هذا الشيء إذا شاء أو لا يفعله وأن يقرر أمراً ثم يرجع عنه متى أراد . ولكن هذا الشعور لا يعني أن أعمال البشر في مجملها لا تخضع لقانون السببية والحتمية ولا تتبع نظاماً معيناً .

يقول الفيلسوف الألماني (كنت) : « مهما كان رأينا في حرية الإرادة من وجهة نظر ما بعد الطبيعة فإن مظاهر هذه الحرية أي الأعمال البشرية مقيدة مثل سائر الحوادث الطبيعية بقوانين عامة . وعلم التاريخ الذي يروي لنا هذه الأعمال البشرية يبين لنا أنها في مجموعها ، على الرغم من خفاء أسبابها ، تتبع سيراً منتظماً وتخضع لقوانين معينة . وهكذا بينا تبدو أعمال الأفراد معقدة ، فوضي ومتناقضة فإننا إذا نظرنا إلى الجنس

البشري كله نراه يسير باستمرار ، ولو بصورة بطيئة ، في طريق التطور المطرد ، . ثم يأتي (كنت) بنال من علم الإحصاء فيقول : « إن عقود الزواج التي تخضع لإرادة الأفراد ورغباتهم الشخصية وحوادث المواليد والوفيات التي تتأثر بعوامل كثيرة — هذه كلها يبدو أن ليس لها من قاعدة معينة تساعد على حسابها مسبقاً ، ولكن على الرغم من ذلك فإن الإحصائيات السنوية في البلدان الكبيرة تثبت لنا أنها تتبع قوانين طبيعية ، ثابتة ؛ وأنه في استطاعتنا التنبؤ بها ورسم خط بياني يحدد اتجاهاتها ، تماماً كما هو الأمر مع تقلبات الطقس التي يصعب تحديد مظاهرها الجزئية ولكنها لا تخلو في مجملها من نظام معين ثابت ، .

إننا في التاريخ نتحدث عن أفراد البشر بصفاتهم كائنات اجتماعية ومن وجهة نظر علاقاتهم بعضهم ببعض . ومن المعروف أن شخصية كل فرد إنما تكون تدريجياً ضمن مجتمع معين وفي عصر محدد ، وهذه الشخصية تتألف من عناصر عديدة وراثية ومكتسبة كالغرائز والأمزجة والاستعدادات والمواهب التي تؤثر كلها في سلوك الفرد بالإضافة إلى الدوافع العاطفية والخوافز العقلية . ونحن جميعاً نسعى إلى ملاحظة ودراسة شخصيات الأفراد الذين نعيش وتعامل معهم لنعرف كيف سيكون سلوكهم في مختلف المواقف وماذا يمكننا أن نتوقع منهم في كل ظرف من الظروف . وكثيراً ما نحكم على بعضهم بالاستناد إلى أقوالهم حيناً وإلى أفعالهم مرة أخرى ونفترض أن هذه الأقوال والأفعال تعبر بصدق عن أفكارهم وآرائهم وتمكس المصالح التي يسعون إليها .

على أن الدراسات النفسية الحديثة قد علمتنا أن أفراد البشر لا يتبعون

دوماً صوت العقل ولا يدركون في الغالب مصالحهم الحقيقية وقلما يلتزمون بالصدق بل إنما يندفعون مع الأهواء والتزعات والتزوات ويخضعون لعوامل لا شعورية ويتأثرون بالأوهام والخرافات . . ثم إن كل فرد يتلقى من مجتمعه ومن البيئات المختلفة حوله وسائل التفكير والتعبير ويقتبس كثيراً من العقائد والتقاليد والعادات التي يتأثر بها إيجابياً عندما يخضع لها وسلبياً عندما يثور عاياً ويرفضها .

والتاريخ إنما يصنعه الملايين من هؤلاء الأفراد الذين تجمع بينهم روابط كثيرة ويتكثرون تحت تأثير عوامل مختلفة اقتصادية وسياسية وعاطفية شعورية أو لا شعورية . وإذا كانت الجماهير لا تتحرك ولا تفعل شيئاً إلا إذا تولى تنظيمها وتوجيهها قادة قلائل فإن هؤلاء القادة بدورهم يحتاجون إلى الجماهير .

وقد أشار (تولستوي) إلى أن بعض المؤرخين يبالغون في تقدير أثر الشخصيات الكبيرة في التاريخ ، واستطاع في روايته المشهورة « الحرب والسلام » أن يبرهن على أن « منطق الأحداث » في حرب ١٨١٢ كان أقوى من مخططات (نابليون) و (إسكندر الأول) و (كوتوزوف) وأن النصر كان من صنع الأفراد غير المعروفين الذين لا حصر لهم والذين خاضوا غمار المعارك وحرقوا (موسكو) واخترعوا حرب الأنصار وراء خطوط العدو .

ولعل أحسن وصف للشخصية التاريخية العظيمة هو ، كما قال (هينل) ، الفرد الذي يستطيع أن يتبين ما هي إرادة عصره فيعبر عنها بكلمات واضحة ومحقة بالفعل . إنه هو الذي يكشف عن روح عصره ويجسده

ويعت في الحياة والحركة ؛ وبعبارة أخرى : إن الشخصية العظيمة ليست سوى الفرد البارز في المجتمع والذي هو محصول الأحداث التاريخية وفي الوقت نفسه صانع هذه الأحداث والمؤثر في توجيهها .

كتب مرة المفكر الفرنسي الشهير (باسكال) في القرن السابع عشر العبارة الساخرة التالية : « لو كان أنف كليوباترا أقصر لتبدل مجرى أحداث العالم » . ولم يفهم بعضهم المقصود من هذه الكلمة فتساءل : « ما شأن أنف كليوباترا في التاريخ » . ومن الواضح أن (باسكال) لم يقصد ذلك وإنما أراد الإشارة إلى أن (كليوباترا) ما كانت لتصف بجبالها المشهور لو أن أنفها مثلاً كان أقصر أو أطول وبالتالي ما كان القائد الروماني (أنطونيوس) ليقع في غرامها وينهزم في معركة (آكسيوم) ويستولي خصمه (أوقتاويوس) على مصر وخزائنها ويؤسس الامبراطورية الرومانية . ونرى بعض المؤرخين الحديثين ، الذين يعارضون مبدأ الحتمية في التاريخ ، يكثر من الاستشهاد بهذه الكلمة ليبرهنوا على أن حوادث التاريخ ليست سوى مجموعة من المصادفات التي ترجع إلى أسباب عرضية ، تافهة في الغالب .

ومثال آخر للمصادفات ما يرويه (تشرشل) في مذكراته عن ملك اليونان اسكندر الذي كان يوماً يداعب قرداً صغيراً فعضه القرد وأدى تسمم الجرح إلى موت الملك في خريف سنة (١٩٢٠) . ويضيف (تشرشل) قائلاً : « بسبب هذه العضة مات ربع مليون من البشر » ، ذلك لأن اليونانيين أعادوا إلى الحكم الملك قسطنطين الذي كان يحلم بإحياء الامبراطورية البيزنطية فاستأنف الحرب ضد الأتراك التي سقط فيها ذلك العدد من القتلى وانتهت بهزيمة اليونان .

لا يمكن أن ننكر أثر المصادفة والحظ في التاريخ ولكن لا بد من الملاحظة أن المصادفة لا تتنافى مع قانون السببية والحتمية . فإن عشق (انطونيوس) لكليوباترا كانت له أسباب حتمية ، لأن (كليوباترا) كانت جميلة حقاً ولأن من الطبيعي أن يفتن الرجال بالجمال الرائع . كذلك هزيمة (انطونيوس) في المعركة كانت لها أسبابها الموجبة . والمشكلة إنما نشأت من اصطدام هاتين السلسلتين من الأسباب اللتين لا صلة حتمية بينهما . وهذا هو معنى المصادفة . والمؤرخ الذي يريد الاستفادة من تجارب الماضي لا يتساءل : كيف كانت ستجري الأمور لو لم يهزم (انطونيوس) فهو إنما يدرس ما حدث بالفعل ويسعى إلى تحليله ومعرفة الأسباب التي قد تتكرر ويمكن أن يستخلص منها قاعدة عامة . أما حادث التقاء (أنطونيوس) مصادفة بكليوباترا فلا يمكن أن يستنتج منه أن قادة الجيوش عامة ينجسرون المعارك إذا هم وقعوا في غرام ملكات جميلات .

وقد أشار (كارل ماركس) إلى أن المصادفات والحظوظ نادرة في تاريخ العالم وأنه ليس لها من أهمية كبيرة ولا تؤثر في مجرى التاريخ واتجاهاته العامة . ونحن إنما نطلقها في الغالب على بعض الأحداث التي نجعل أسبابها ..

هل نستنتج من كل هذا أننا لا نستطيع استخلاص عبر ودروس من التاريخ تفيدنا في حياتنا العملية ؟ كلا . إن التاريخ يمكن أن يكون مرشداً لنا في أوضاعنا الحاضرة وفي طريقنا إلى المستقبل إذا فهمنا الدروس التي يتضمنها وعرفنا كيف نقارن بين الحاضر والماضي ونذكر وجوه التشابه والاختلاف ونستبر بالتجارب السابقة ، ثم إذا كانت لدينا الإرادة الصادقة والقدرة الكافية لاتباع إرشاداته .

صحيح إن التاريخ لا يعيد نفسه ، كما يقولون ، ولكن هذا لا يعني أن ليس هناك في تاريخ الشعوب أوضاع متشابهة قد تؤدي إلى نتائج مماثلة إذا عولجت بالأسلوب ذاته . وقد لاحظ المؤرخون بعد دراسة مختلف الثورات مثل الثورة الانكليزية سنة (١٦٤٠) والثورة الفرنسية (١٧٨٩) والثورة البلشفية (١٩١٧) أنها جميعاً كانت تبدأ بأزمات متشابهة ثم تجتاز مراحل مماثلة . ومن المعروف عن رجال الثورة البلشفية أنهم قاموا بدراسات واسعة عن الثورة الفرنسية ثم الثورات الأوروبية (سنة ١٨٤٨) وعن حكومة اللجنة الثورية (قومون) في باريس سنة ١٨٧٠ للاستفادة منها في أعمالهم . وكان البلاشفة يخشون أن تنتهي ثورتهم كما انتهت الثورة الفرنسية التي تمخضت عن (نابليون) . لذلك كانت تساورهم الشكوك تجاه (تروتسكي) الذي كان أكثرهم شبهاً بنابليون فلم يثقوا به وعملوا على إقصائه من صفوفهم .

على أننا نخطئ كثيراً إذا اعتقدنا بأن التاريخ يزودنا بمجموعة من الأمثولات يمكن أن نستخدمها في الوقت الحاضر فنقلدها أو نتجنبها حسب الحاجة . ومن المؤسف أننا نرى الكثيرين من الكتاب والخطباء يشيرون إلى دروس التاريخ ويتحدثون عن « حتمية التاريخ » دون أن يأثروا بأمثلة واقعية يقومون بتحليلها وبيان وجوه الشبه بينها وبين الأوضاع الحاضرة ومدى إمكانيات الاستفادة منها .

إن التاريخ لا يقدم لنا وصفات جاهزة وحلولاً كاملة . فهو إنما يروي لنا كيف تطورت المجتمعات البشرية لتعرف ما هي العوامل التي تؤثر في هذا التطور وما هي القوى والتيارات التي تدفع الشعوب إلى الأمام أو

تغرق سيرها . وكما أن التجارب التي تمر على الفرد في حياته يمكن أن توسع آفاق فكره وتزيده نضجاً وحكمة إذا تذكرها وعرف كيف يستفيد منها ، كذلك التاريخ فهو ذاكرة البشرية ويروي لنا خلاصة تجارب الشعوب على مر العصور . وفي استطاعتنا ، إذا أحسنا دراسة هذه التجارب وقمنا بتحليلها أن نستوحي منها كثيراً من الآراء والملاحظات التي تساعدنا على فهم الحوادث الحاضرة . إن تجارب التاريخ ليست غاذجاً نقدي بها وتقلدها ، بل هي مادة للتأمل والتفكير والمقارنة .

تتعلم من التاريخ أن أحوال البشر في تطور دائم وأن الشعوب التي تريد الحياة لا بد لها من مجازاة الزمن في سيره واللاحق يركب الحضارة . كذلك يعلمنا التاريخ كيف تفكر تفكيراً واقعياً انتقادياً ، ويجردنا بذلك من الأوهام والأضاليل والأساطير ويبين لنا أن مقدرات الأمم مرتبطة بإدراكها للعوامل التاريخية التي نشأت عنها أوضاعها الحاضرة وبمعرفتها للرواسب التي انتقلت إليها من الماضي ، وأن نجاحها يتوقف على ما تتصف به من وعي وقوة إرادة وحزم وثبات . على أننا لا نستطيع الاستفادة من عبر التاريخ إلا إذا نظرنا إليه نظرة موضوعية مستتيرة . يجب أن نسعى قبل كل شيء إلى معرفة الحقائق الواقعية ، كما يجب في تاريخنا القومي أن نربط بين أجدادنا وتقاليدنا الماضية وبين حاضرتنا فلا يجوز أن نغرق في الماضي ونستسلم إلى سحره وننسى واقعنا ومتطلبات عصرنا . إن الانغماس في الماضي قد يورث الضعف بدلاً من القوة ويشل الإرادة عوضاً أن يدفعنا إلى النهوض وبذلك قد يصبح الماضي عبئاً ثقيلاً يمنع تقدمنا لمصدر إلهام وقوة حافزة .

كان قادة النهضة العربية في القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن على حق في اعتقادهم بأن الجيل العربي الجديد يجب أن ينكب على دراسة الحركات القومية الحديثة ولا سيما تاريخي الوحدتين الألمانية والإيطالية لأنه يستطيع أن يتعلم من ذلك الشيء الكثير .

وكم من العبر يمكننا أن نستخلص من دراسة تاريخ اليونان مثلاً . فترى كيف أن اليونانيين القدماء لم ينجحوا في صد الغارات الفارسية إلا بفضل ما أظهره سكان (أثينا) وحدها دون سائر المدن اليونانية من وعي سياسي وحماة في سبيل الدفاع عن حريتهم ، ومن المعروف أن هذا الوعي لم يكن سوى نتيجة للنظام الديمقراطي الذي كانت (أثينا) تعيش في ظله قبل الحروب الفارسية ، فقد تمتع الآثينيون بالحق في إدارة شؤونهم بأنفسهم وعرفوا معنى الحرية والمساواة وأدركوا أنهم سيحرمون من كل شيء إذا هم فقدوا استقلالهم ؛ ولم يخف عليهم أن المحافظة على كياناتهم تتطلب منهم التضامن والتعاون مع غيرهم من اليونانيين . أما المدن اليونانية الأخرى التي كانت تعيش تحت الحكم الدكتاتوري أو الأرستوقراطي فإنها لم تظهر أي حماسة للدفاع عن كياناتها ولم تشعر بأنها تملك شيئاً عزيزاً يستحق أن تضحي في سبيله . إن اعتيادها الاتقياد للطفان الفردي أو الاستبداد الطبقي جعلها تقبل بسهولة الخضوع للحكم الأجنبي .

لنأخذ مثلاً آخر من التاريخ الحديث : لما استدعى ملك بروسيا (غليوم الثالث) في سنة (١٨٠٤) السياسي الألماني المشهور (فون ستاين) لتولي الوزارة وتنظيم حركة المقاومة ضد نابليون لم يقبل ذلك إلا بشروط ، بينها إصدار قانون بتحرير الأتقان وآخر بتنظيم ملكية الأراضي .

ولتبرير هذا الطلب قال (فون شتاين) : « كيف أستطيع ، يا صاحب الجلالة ، أن أدعو الفلاحين الذين يؤلفون أكثرية الشعب إلى الدفاع عن أرض لا يملكون منها شيئاً ؟ وكيف نطالب أفراد الشعب بأن يقاتلوا في سبيل حرية بلادهم إذا لم يكونوا هم أنفسهم أحراراً يعرفون معنى الحرية ويدركون قيمتها ؟ ».

وتجدر هنا الإشارة إلى أن (فون شتاين) كان بعيداً عن الآراء المتطرفة ومعارضاً لمبادئ الثورة الفرنسية . إنه كان من النبلاء المحافظين الذين لا يريدون قطع الصلة بين الماضي والحاضر ، بل يسعون إلى البناء بالاستناد إلى العناصر الحية من التراث القديم . ولكن نزعتة المحافظة لم تكن تمنعه من الدعوة إلى الإصلاح في سبيل مصلحة بلاده . وقد أصدر قانوناً يهدف إلى إشراك الشعب في إدارة الشؤون العامة لاعتقاده بأن الشعب لا يبلغ النضج السياسي ولا يدافع عن كيانه ولا يتمك بوحده وعزته القومية إلا إذا تمتع بالسيادة وتدريب على تقرير مصيره بنفسه وأشرف على الحكم وعرف معنى المسؤولية . وفي مذكرة قدمها إلى ملوك ألمانيا وأمراثا كتب يقول : « على السلاطين والوزراء الحاكمين بأمرهم أن يتذكروا بأن الشعوب أيضاً قد منحتها العناية الإلهية نصيباً من الحرية والكرامة .. ».

وأخيراً ها نحن في الوطن العربي عندما تفكر كل يوم في تحرير فلسطين نمود بنا الذاكرة رأساً إلى جهاد صلاح الدين الأيوبي الذي طرد الصليبيين من الأراضي المقدسة . وعلى الرغم من معرفتنا بالفروق العديدة بين الأوضاع التي كانت سائدة في القرن الثاني عشر وبين الحالة في الوقت الحاضر فإننا

نعتقد بأن أعمال صلاح الدين يمكن أن تكون عبرة وحافزاً لنا ودرساً نتعلم منه . وبديهي أننا لا نستفيد شيئاً من إحياء ذكرى صلاح الدين إذا اقتصرنا على الإشادة بصفاته السامية ومزاياه النادرة والتغني بأعماله الحميدة . إنه لا بد لنا من دراسة دقيقة للخطط السياسية البعيدة التي رسمها والأساليب العملية التي اتبعها لبلوغ الهدف ، ليس بجشد الجنود وجمع المتاد والذخائر فحسب ، بل كذلك بإنشاء الطرق والجسور وتسهيل وسائل الجيش للشعب بإلغاء المكوس وتخفيض الضرائب ثم توفير الأفكار بتأسيس المدارس ونشر العلم . وهو لم يكتب له النجاح في طرد الصليبين إلا لما اتصف به من بعد النظر والمهارة السياسية والثقة بالنفس والحزم في تنفيذ ما يصبم عليه والصبر على الشدائد والعمل المتواصل دون كلل أو ملل . فكان حقاً مثال البطولة في تاريخ الإسلام ، بل كانت ، باتفاق آراء المؤرخين المسلمين والفرنج على السواء ، من أعظم عباقرة العالم . وإن في سيرته لعبرة لمن يتفكرون !.

دمشق

محمد كامل عياد



فقيه العريضة
محمد بن حجة البطار

فجوي افتقرناه

محمد حب البيطار

١٣١١ - ١٣٩٦ هـ

الدكتور عدنان الخطيب

أخلاق تتسامى إلى المثل الأعلى ؛
سماحة تتجلى في الأخذ والعطاء ؛
طهارة تنبع من القلب ، وعفة تقبض اليد وتعقل اللسان ؛
كل هذا كان في بردي عالم دمشقي كبير من المنافحين عن الضاد ،
القائمين على خدمة لغة التنزيل العزيز .
كان عالماً فذاً يزين علمه العمل به ، ويجمّله حب نشره بين الناس .
كان مجراً زاخراً بالعلوم والمعارف ، هادئاً هدوء النسيم العليل ،
صافياً صفاء الماء النмир .
كان رجلاً حلو الشمائل ، جماً التواضع ، رضي الخلق .

كان إنساناً جبيل من حنان وعطف وحبٍ للآخرين .

كان مسلماً بما تحمله هذه الكلمة من معاني وصفات .

كان مؤمناً لا تراه إلا هاشماً باشاً كالذين وصفهم الله عز وجل بقوله :
﴿ وعبادُ الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ .

كان خلقه العظيم وعاء علمه النافع ودينه الصحيح .

إنه شيخنا الجليل محمد بهجة البيطار أحد أركان مجمع اللغة العربية ،
وقد تمثلت فيه أخلاق السلف الصالح ، وكأنه الوارث له علماً وفضلاً
واطمئنان نفس .

لحق شيخنا بالرفيق الأعلى ، ونعاه مجمع دمشق يوم السبت في الثلاثين
من جمادى الأولى سنة ١٣٩٦ للهجرة ، الموافق للتاسع والعشرين من أيار
سنة ١٩٧٦ للميلاد .

مات الشيخ البيطار وافترقت مجامع اللغة العربية بموته أحد
المناضلين حملة لواء الدفاع عن أمّ اللغة ، ما كل يوماً وما ونى ، وقد
جاوز الثمانين ، إلى أن سقط واللواء بيده ﴿ مِنَْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ
صَلُّوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ
وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ .

رحم الله الفقيد رحمة واسعة وعوض العربية عنه خيراً .

سيرة الفقير حياته وآثاره

مولده وأسرته

ولد فقيدنا محمد بهجة البيطار بدمشق في الثاني من رمضان سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٤ م) في أسرة دمشقية عريقة ، اشتهر كثيرون من أبنائها بالعلم والأدب والتقوى ، وكان جدما الأعلى هبط دمشق مهاجراً من « بليدة » من أعمال الجزائر في المغرب العربي ، واختار لسكناه حي « الميدان الشهير » .

نشأ الفقيد في حجر والده الشيخ محمد بهاء الدين (١٢٦٥ - ١٣٢٨ هـ) ابن عبد الغني بن حسن بن إبراهيم الشهير بابن البيطار ، وكان والده الفقيد عالماً أديباً يقرض الشعر ، محبوباً من الخاصة لفضله ومن العامة لمؤانسته إياهم ، وقد تولى الإمامة فيهم بعد وفاة أبيه .

تزوج والد الفقيد ابنة عمه الشيخ عبد الرزاق (١٢٥٣ - ١٣٣٥ هـ) ابن حسن البيطار ، وكان من كبار علماء دمشق العاملين على نشر المذهب السلفي ، بارعاً في علوم العربية وآدابها ، حسن الرواية حاضر البديهة ، ترك عدداً من المؤلفات أهمها : كتاب « حلية البشر في تأريخ القرن الثالث عشر » حققه وتولى التعليق عليه سبطه فقيدنا الغالي محمد بهجة البيطار وقام بجمع اللغة العربية بطبعه بدمشق في ثلاثة أجزاء سنة (١٩٦١ - ١٩٦٣ م) .

دراسته وشيوخه

تلقى الفقيد مبادئ علوم الدين واللغة على والده وأتم دراسته الابتدائية

في المدرسة الرّيحانية والإعدادية في المدرسة الكاملة بدمشق .

وتابع دراسته العالية في العلوم الدينية والعربية والعقلية على والده وعلى جده لأمه الشيخ عبد الرزاق البيطار ، وعلى كل من الشيوخ الأعلام في عصره جمال الدين القاسمي الدمشقي ومحمد الخضر حسين التونسي نزيل دمشق وعلى محدث الديار الشامية الكبير محمد بدر الدين الحسني ، ونال الاجازة منهم في مختلف العلوم النقلة والعقلية .

الوظائف والمناصب التي تولّاها

أولاً : — تولى الفقيه سنة (١٣٢٨ هـ — ١٩١٠ م) الخطابة والإمامة والتدريس في جامع القاعة بحي الميدان خلفاً لوالده ، ثم تولى سنة (١٣٣٥ هـ — ١٩١٧ م) الخطابة والتدريس في جامع كويم الدين الشهير بالدقاق خلفاً لحله ، وهذا الجامع هو مسجد المحلة التي تقطن أسرة البيطار فيها ، وكانت الإمامة والخطابة فيه في أسلاف الفقيه بما يتد لأكثر من مئة عام .

وظل الفقيه ، بما عرف عنه من همة ونشاط ، يخطب ويُدرس مختلف العلوم في مسجد محله إلى أن لحق بالرفيق الأعلى ، ما انقطع عن ذلك إلا لمرض أو سفر .

اشتهر الفقيه بخطب كان يلجأ فيها على الأغلب إلى تفسير آيات من الذكر الحكيم تناسب زمنها ، وكثيراً ما قصد مسجده لسماعها كبار الشيوخ والعلماء من أصدقائه أو من زوار دمشق فضلاً عن مريديه من التلامذة وطلاب العلم ، حتى إذا ما أدبت صلاة الجمعة ، اصطحب الفقيه زوار مسجده إلى الدار ، حسب تقاليد الحي الدمشقي العريقة ، فإذا كان العصر أدوا الصلاة وانتشروا .

ثانياً : - عين الفقيه سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) من قبل مديرية معارف دمشق ، معلماً في مدرسة الميدان الابتدائية ، وظل قائماً بتدريس المواد الموكلة إليه حتى سنة ١٣٤٦ هـ (غاية أيلول ١٩٢٦ م) إذ يشير سجل الحكومة إلى أنه استأذن بالسفر إلى الديار المقدسة ولم يعد إلى وظيفته .

ثالثاً : - اشترك الفقيه سنة ١٣٤٥ هـ (في خريف ١٩٢٦ م) بمؤتمر العالم الإسلامي الذي دُعي إلى عقده في مكة المكرمة ، وبعد انتهاء المؤتمر استبقى الملك عبد العزيز آل سعود الفقيه في مكة ليشراف على المعهد العلمي السعودي ، فبقي تلبية لطلب الملك يدير المعهد المذكور مدة خمس سنوات ، قلده الملك خلالها المناصب القضائية والعلمية التالية :

١ - عضو محكمة مكة الشرعية الكبرى ، ثم نائب رئيس هيئة المراقبة القضائية ، ولكن الفقيه رغب عن المناصب القضائية فطلب إعفائه وتم له ما أراد .

٢ - مفتش التعليم في مدارس الحجاز .

٣ - أستاذ مادي التوحيد والتربية اللتين كانت يجمع لهما مديرو وأساتذة مدارس مكة .

٤ - عضو مجلس المعارف العمومية .

٥ - مدرس في الحرم المكي .

٦ - عضو هيئة مراقبة التدريس في الحرم الشريف .

رابعاً : - عندما غلب الحنين إلى دمشق الفقيه التمس من الملك السعودي السماح له بالعودة إلى البلد الذي أحب ، وأحبه أهله ، وعاد سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) ليؤم أهل حبه كل يوم ويخطبهم كل أسبوع ،

وكان إلى جانب هذا يقوم بتدريس العلوم الدينية والعربية في المسجد وفي بعض المدارس الخاصة ، كما قولى تدريسها سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) ولبعض الوقت في كليتي المقاصد الخيرية للبنين والبنات في مدينة بيروت .

خامساً : - عين الفقيه سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) من قبل دائرة الافتاء العامة مدرّساً عاماً في مدارس دمشق .

سادساً : - أعيد تعيين الفقيه أيضاً في السنة نفسها من قبل وزارة المعارف السورية مدرّساً للعلوم الدينية في مدارس حي الميدان الابتدائية .

سابعاً : - عين الفقيه سنة ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) من قبل وزارة المعارف أستاذاً للعلوم الدينية في تجهيز دمشق للبنات .

ثامناً : - عهدت مديرية الأوقاف إلى الفقيه سنة ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م) بتدريس مادتي التفسير والأخلاق في كليتها الشرعية بدمشق .

تاسعاً : - وفي السنة نفسها عهدت وزارة المعارف إليه بتدريس تفسير القرآن من الوجهة الأدبية في دار المعلمين العليا .

عاشراً : - عندما عازمت الحكومة السعودية على إنشاء ثانوية كبرى في مدينة الطائف باسم (دار التوحيد السعودية) أعلن الملك عبدالعزيز آل سعود رغبته في أن يتولى فقيداً إدارة هذا المعهد ، فنزلت الحكومة السورية عند رغبة الملك وأوفدت الفقيه اليطار سنة ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م) حيث أقام في الطائف مدة ثلاث سنوات .

أحد عشر : - عهدت جامعة دمشق إلى الفقيه سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٧ م) القيام بتدريس مادتي التفسير والحديث في كلية الآداب .

اثني عشر : - في سنة ١٣٧٤ هـ (نهاية عام ١٩٥٣ م) أحيل

الفقيه على التقاعد من وظيفته الحكومية ، فقصر نشاطه على محاضرات في التفسير كلف إلقاءها في كلية الشريعة وعلى التدريس الديني ووظائف وزارة الأوقاف إلى جانب إلقاء الأحاديث الدينية والاجتماعية في الإذاعة السورية ، وعلى أعمال جمعية عديدة .

الفقيه في المجالس العلمية النعوية

انتخب الفقيه عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٤٢هـ (٣٠ آذار ١٩٢٣ م) .

انتخب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العراقي في سنة ١٣٧٥ هـ (٦ حزيران ١٩٥٤ م) .

وعندما تم توحيد مجمي دمشق والقاهرة سنة ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م) باسم « مجمع اللغة العربية » كان الفقيه في مقدمة أعضاء المجمع الذين شاركوا في مؤتمر القاهرة لسنة ١٩٦١ م

كان الفقيه من أكثر أعضاء مجمع دمشق حيوية ونشاطاً ، شارك زملاءه في إلقاء المحاضرات العامة والأبحاث المتعمقة وفي تحرير مجلة المجمع وبالتعريف على صفحاتها بالكتب والمطبوعات التي تدخل موضوعاتها في اهتماماته الشخصية .

وشغل الفقيه في مجمع دمشق منذ سنة ١٣٧٣ هـ (حزيران ١٩٥٣ م) عضوية لجنة المطبوعات واستمر على القيام بمهامها في الإشراف على مجلة المجمع ومطبوعاته حتى أقعده المرض قبل انتقاله إلى دار الخلود بأسابيع معدودات .

سيرة الفقيه بين المشرق والمغرب

إن سيرة الفقيه أرتجت أجواء المشرق العربي بعطرها الندي ، ولم أكن لأعلم أن شذى طيها الفواح ، تجاوز المشرق العربي إلى مغربه . أولاً أصقاعه وفيافيه ، فضلاً عن البلاد الإسلامية النائية ، حتى رأيت إخواناً من الهند والباكستان يشيدون بفضله وعلمه وكريم خلقه ، وحتى زرت الجزائر وانتشيت بما سمعته معتزاً بدمشقي^(١) أصيل تعطر ذكراه مسامع القوم ، وظننت بادئ ذي بدء أن لأرومة الفقيه أثراً فيما سمعت ثم وضع لي ما بدد ظني وجلا لي الأمر .

إن سيرة الفقيه عبقث أرجاء المغرب العربي بفضل أحد كبار رواد الاستقلال الجزائري ، العالم المجاهد والأديب الفذ نزيل دمشق الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، إذ كان يتغنى بترداد ذكرياته يوم نزل دمشق وعرف كرام الرجال فيها ، وكأنه لم يكتف رحمه الله بما كان يحدث الناس به ، فقد نشر في جريدة « البصائر » مقالاً أثبت فيه بعضاً من تلك الذكريات وخص فيها فقيدنا اليطار بالنصيب الأوفى من الثناء وتعداد المحامد ، ورأيت من الوفاء لمدينة دمشق وللفقيه إثبات مقالة الشيخ الإبراهيمي برمتها فيما يلي ، تجديدأً لذكرى كاتبها ولما تركه في نفوس الدماشقة من حب وتقدير .

قال الشيخ رحمه الله (١) : « الأستاذ الشيخ محمد بهجة اليطار علم من أعلام الاسلام ، وإمام من أئمة السلفية الحقة ، دقيق الفهم لأسرار

(١) نشرت في العدد ٦٤ من جريدة البصائر سنة ١٩٤٩ ، وانظر : عيون

الكتاب والسنة ، واسع الاطلاع على آراء المفسرين والمحدثين ، شديد البحث في تلك الآراء ، أصولي النزعة في الموازنة والترجيح بينها ، ثم له - بعد - رأيه الخاص . يوافق ما يوافق عن دليل ، ويخالف ما يخالف إلى صواب ، لأنه مستكمل للأدوات المؤهلة لذلك ، ولأنه يفهم القرآن على أنه أصل ترجع إليه الآراء والمذاهب والفهم ، وأنه كتاب الكون ودستور الانسانية ، لا كما يفهمه كثير ممن كتبوا في التفسير . فجردوا أقلامهم لتسطير أفهام غيرهم ، وجردوا القرآن من خصائصه العليا ، وقيدوا هدايته العامة بمذاهبهم الخاصة .

والأستاذ اليطار مجموعة فضائل ، ما شئت أن تراه في عالم مسلم من خلق فاضل إلا رأيت فيه ، مجاوز للحدود المذهبية والإقليمية ، يزن هذه المذاهب الشائعة بآثارها في الأمة ، لا بأقدار الأئمة ، ويعطي كلاً ما يستحق ؛ جرىء على قوله الحق في العليسيات ، ولكن الجرأة منه يُلطفها الوقار ، والوقار فيه تزيّن الجرأة ، فيأتي من ذلك مزاج خلقي لطيف ، متساوي الأجزاء ، ملتحم الحلأ ، قل أن تجده في أحد من علمائنا المعدودين .

والأستاذ اليطار مفكر عميق التفكير ، وخصوصاً في أحوال المسلمين بصير بعلمهم وأدوائهم ، طب بعلاجهم ودوائهم ، يرى أن ذهاب ريجهم من ذهاب أخلاقهم ، وأن معظم بلائهم ، آت من كبرائهم وأمرائهم وعلمائهم ، وهو بعني كبراء الدعوى ، وأمراء السوء ، وعلماء التقليد . يرجع في ذلك كله إلى استقلال في الفهم والاستدلال ، ومقارنات في التاريخ والاجتماع ، وتطبيقات مصيبة للحقائق الدينية على السنن الكونية ،

وله في الإصلاح الديني سلفٌ صدق ، حققوه علماً ، وطبقوه عملاً .
يعتمد في تحصيله وتربيته على طودين شائخين من أطواد العلم والعمل :
أحدهما : الإمام عبد الوزاق البيطار . والثاني : الإمام المحدث جمال
الدين القاسمي ، عنها أخذ ، وفي كنفها نشأ ، وعلى يدهما تخرج فضاء
علماء من ذلك الطراز الذي تقرأه في التراجم ولا نجده فيمن تقع عليه
العين من هؤلاء العلماء الذين يقرأون ويحفظون وينقلون ولكنهم لا يفقهون ..
هذا العديد المتشابه الذي كأنه نُسَخ من طبعة واحدة من كتاب ،
لا يقع التحريف في واحدة منها إلا وقع في جميعها ، ولا يزيد واحد
منهم في العدد إلا كما يزيد كتاب في مكتبة ، لا كما يزيد فارس في
كتيبة بآية أنهم ما كثروا في الأمة إلا قلت بهم الأمة ، ولا نُقلوا في
أنفسهم إلا خف وزنها في الأمم ، ولا تغالوا في التعاضم إلا كان
ذلك نقصاً من معاني العظمة فيها ، وبآية أن علمهم لم يؤهلهم لقيادة الأمة ،
فتركوا القيادة لغيرهم ، وأصبحوا كأدوات التصدير التي يدب بها حرف
الجر ، فيدخل عليها ويعمل فيها ، وبآية أن العالم في أوربا لا يعد عالماً
إلا إذا زاد في العلم شيئاً ، أو كشف من خفيه شيئاً ، أو جلا من
غامضه شيئاً . ونقض - مع ذلك - على العلم من روح زمنه شيئاً ،
ولا عجب .. فالعلم عندهم بإقوثة في منجم ، وعندنا ... لفظة في معجم
والأولى تستخرج بالبحث والإلحاح ، والثانية تستخرج بمعرفة الاصطلاح ،
والأولى حظ المجتهد العامل . والثانية حظ المقلد الحامل .

بدء معرفتي به : خرجت من المدينة - فيمن خرج - إلى دمشق في
أخريات سنت عشرة ميلادية ، وكنت أتمنى لو أن دواعي ذلك الخروج كانت تقدمت

ببضع سنوات لأدرك الإمامين الذين كانت لهما في تقسي مكانة . وهما :
عبد الرزاق البيطار وجمال الدين القاسمي . وكنت وأنا بالمدينة -
قرأت للقاسمي عدة كتب عرفت منها قيمته ومنزله ، وقرأت عن البيطار
وسمعت ما دلني عليه وأدقاني منه .

وفي أول اندلاع الثورة الشريفة قدم المدينة من دمشق جندي
شاب من آل المارديني ، وتعرف إلي في مكتبة شيخ الاسلام عارف
حكمت ، وتردد على دروسي مرات في الحرم النبوي ، فانعقدت بيننا
ألفة روحية لا تأتي بمثلها الأسباب ، وذلك الشاب شقيق الأستاذ جودت
المارديني . ولاسرة المارديني بدمشق صلة متينة بأسرتي القاسمي والبيطار .
فكنت أسأله عما يهمني من دمشق وأحوالها وعلمائها ، وعن القاسمي والبيطار ،
كان هاتفاً من وراء الغيب ألقى إلي أنني سأرحل إلى دمشق . فأخبرني
ذلك الشاب أن الله تعالى أبقي من بيت البيطار وارثاً لعلم الإمامين
ومشربها في الإصلاح ، هو الأستاذ محمد بهجة البيطار ، وأن له من
الشباب المحصل صعباً قليلاً عددهم يوافونه على الفكرة ويلتقون معه على
المبدأ ، وأنه هو إمامهم ومرجعهم ، فشوقي حديث الشاب إلى الأستاذ ،
وعلمت أن الروحين تعارفتا ، فتلفنا ، ولم يبق إلا تعرف الأجساد .

ثم رجع الشاب إلى دمشق فأخبر الأستاذ عني بمثل ما أخبرني
عنه ، فتم التجاوب الروحاني بيننا ، وتنادت الروابط الفكرية إلى
الاجتماع فكان .

ولما دخلت دمشق بعد ذلك بقليل ، كنت أول من زارني - بعد
حجرام الجالية الجزائرية - من أصدقائي السوريين الذين عرفوني بالمدينة

المنورة - الأستاذ عبد القادر الخطيب المظفر ، وذلك الشاب المارديني الذي أنساني الزمان اسمه ، وإن لم ينسني ذكراه ، فكاد يطير فرحاً بمقدمي ، وطار إلى أبناء المشرب ، كما كان يسميهم ، يؤذّن فيهم ، فزاروني لأول مرة في رهط أذكر منهم شيخ الجماعة الأستاذ البيطار : والأستاذ عبد الحكيم الطرابلسي ، والأستاذ جودت المارديني ، والأستاذان قاسم ورضا القاسمين ، والأستاذ سعيد الغزي ، والأستاذ عبد القادر المبارك وكان بيتنا في لحظة ما يكون بين إخوان الصفا وإخوان الصبا من تأكد المحبة ، وارتفاع الكلفة ، وسقوط التحفظ . ثم تعاقبت الاجتماعات وانتظمت ، واتسقت أسباب اللقاء ، واتسعت آفاق البحث في الأسفار ، وكثر الصخب ، وما منهم إلا السابق المنبر ، والكاتب المحبر والليسن المعبر ، فكنا لانفترق من اجتماع ، إلا على موعد لاجتماع ، وكان واسطة العقد في تلك المجالس الأستاذ الجليل والأخ الوفي الشيخ الأستاذ محمد الخضر الحسين مد الله في حياته . وقد آمنت بين أولئك الصحب الكرام أربع سنين إلا قليلاً ، فأشهد صادقاً أنها هي الواحة الخضراء في حياتي المجدبة ، وأنها هي الجزء العامر ، في عمري الغامر ، وأنني كنت أقر عيناً وأسمد حالاً من ذلك الذي نزل على آل المهلب شاتياً ، فوجد الإدبار رائحاً والإقبال آتياً . ولا أكذب الله ، فأنا قرير العين بأعمالي العلمية بهذا الوطن (الجزائر) ، ولكن ... من لي فيه بصدر رحب ، وصحب كأولئك الصحب ؟

إن نيت فان أنسى ساعات كنت قضيتها في مكتبة آل القاسمي متماً عيني وذهني في مخطوطات جمال الدين ، ومسودات مباحته في التفسير

والحديث ، وفي ذلك المخطوط الحافل الذي مارأت عيني مثله في موضوعه وهو كتاب « بدائع الغرف ، في الصنائع والحرف »^(١) لجدّه الشيخ محمد سعيد الحلاق ، أرخ فيه لصناعات دمشق الجليلة التي أخفى الزمان على أكثرها ، وجلا فيه صفحات من مجدها الصناعي البائد .

ويا رعى الله عهد دمشق الفيحاء وجادتها الهوامع وسقت ، وأفرغت فيها ماوسقت ، وخصّت بالمتقلات الدوالج مجامع الأحياب ، وأندية الأصحاب ، من الصالحية والجسر واليريين المزة والربوة . فكم كانت لنا فيها من مجالس نتناقل فيها الأدب ، ونشجاذب أطراف الأحاديث العلمية . على ودر أصفى من : بردي يصفق بالرحيق السلسل

ووفاء أثبت من أواسي قاسيون ، وأرمى من ثلجان ذي الهضبات . لاتوبن في مجالسنا حرمة ، ولا يكلم عرض ، ولا يقارف مآثم . وإغما هو الأدب ، بلا جذب ، نهصر أفئانه ، والعلم ، بلا ظلم ، نطلق عنانه والفن ، بلا ضن ، نروّق دنانه ، والنادرة ، بلا بادرة ، نلقفها . والنكتة بلا سكتة ، نخطفها .

ويا توبة الدحداح ، بوركت من تربة ، لا يذوق الغريب فيها مرارة الغربة . ولا زلت مسقطاً لرحمات الله . إنني أودعت ثراك أعز الناس علي : أبي وابني وجدي أولادي . فاحفظي الودائع إلى يوم 'نجزى الصنائع .

(١) إن هذا المؤلف القيم الذي يشير إليه الكاتب صنفه ، الشيخ محمد سعيد القاسمي وأتمه من بعده ابنه الإمام جمال الدين وصهره السيد خليل العظم ، وقد صدر في دمشق عام ١٩٦٠ في جزئين بتحقيق حفيد المؤلف الأول وابن الثاني الأستاذ النقيب ظافر القاسمي باسم « قاموس الصنائع الشامية » وقدمه للقراء المستشرق لويس ماسنيون .

ويا جنات القوطة ، وقراها المغبوبة ، لا زلت بحملى الفطر ،
والحد الفاصل بين البدو والحضر ، أشهد ماعشوت من الغرب إلى نار ،
ولا عشت منه بنور . ولأنت التي تمكين دمشق أن تبتد ، ومن فيها
أن يمل تبارك من رواك بسبعة أودية ، وكساك من وثنى آذار بخضر
الأردية . كم قنتت بمنظرك الشعرية ، وأخذت بمجاليك السحرية ، وكم
ترودت عيناى فيك بروضة وغدير ، وكم تمتعت أذناى من جداولك وأشجارك
بحفيف وهدير .

ويا يوم الوداع ما أفساك ، وإن كنت لا أنساك . لا أنسى بعد
ثلاثين سنة ولن أنسى ماحيت موقف الوداع بمحطة البرامكة والأستاذ
الحضر يكفكف العبرات ، وتلامذتي الأوفياء : جميل صليبا ، وبديع
المؤيد ، ونسيب السكري ، والأيوبي ، يقدمون إلى بخطوطهم كلمات في
ورقات ، مازلت محتفظا بها احتفاظ الشحيح بماله .

عهد لم يبق إلا ذكرها في النفس ، وصداها في الجوانح ، والحنين
إليها في مجامع الأهواء من القواد . ولولا أن السلوة كالزمن يتقدم ، وأن
الهوى مع العقل يتصادم لقلت مع المتنبي : « أبوكم آدم ^(١) . . . » ،
ولقد راجعت مذكراتي ، المنقوشة في ذاكرتي فوجدتها حافظة لتلك
العهد بأيامها ولياليها وأحاديثها ، فليت شعري أذكر الأحياء من

(١) يقول المتنبي في قصيدة شعب يوان :

يقول بشعب يوان حصاني أعن هذا يسار إلى الطعان
أبوكم آدم من المعاصي وعلمكم مفارقة الجنان

إخوان الصفا مثل ما أذكر ؟ ذلك ما تكشف عنه رسالة الأخ الأستاذ محمد بهجة البيطار التي نشر بعضها بعد هذه الكلمات . وهي التي أثرت هذه الذكريات في نفسي فكتبتها ، ليعلم هذا الجيل الذي تقوم على تربيته أن في هذه الدنيا بقايا من الوفاء والمحبة ، تتأسك بها أجزاء هذا الكون الإنساني ، وأنه لولا هذه البقايا لانحدر الانسان إلى حيوانية عارمة كالتي بدت آثارها في الجماعات التي جفت نفوسها من الوفاء والمحبة ، فخلت من الإحسان والرحمة فهوت بها المطامع ، إلى ما يراه الراي ويسمعه السامع . وإن منبت الوفاء الشرق ، وإن زارعه وساقيه والقيم عليه هو الإسلام ، وعسى أن تحمل البصائر هذه الذكريات إلى الاخوات الأصفياء في دمشق فتتأدم على البعد ، وتلتقي على الذكريات وتتأشد.

إنا على البعاد والتفرق للنتقي بالذكر إن لم نلتقي

وعهداً لأولئك الإخوان أني ما جفوت وما غفوت ، وأنني لم أزل - منذ افترقنا - أتسقط أخبارهم من الصحف ومن السفار ، ولولا الهزاهز والفتن ما انقطع بيننا للصلة جبل ، أه ..

الفقيد يقرض الشعر

جري الفقيد على عادة علماء السلف ، يقرض الشعر في ساعات الفراغ ، يورخ به لحادثة جرت ، أو يهني صديقاً بنعمة أو يعزيه بمصيبة ألمت به ، ويستعين بالنظم أحياناً في تلخيص علم أو تدوين قاعدة .

ترك لنا ديواناً صغيراً فيه شعر يمدح به الرسول الأعظم ﷺ ، كما يتضمن أحياناً ومقطوعات ومساجلات كان يتعاورها مع بعض أصدقائه وزملائه المجمعين ، أمثال الأساتذة عز الدين التوخي ومحسن البرازي بدمشق ، وأحمد العزاوي في مكة ومحمد سعيد حين كمال في الطائف .

رحلات الفقيد

قام الفقيد برحلات علمية ودراسية عديدة ، أروع لها في نهاية كتابه « الرحلة النجدية الحجازية » وشملت رحلاته البلاد العربية والإسلامية والروسية والولايات المتحدة الأمريكية ، موضعاً الدافع إلى كل منها ، وأهم ما وقع له خلال بعضها . ولعله ترك بين آثاره المخطوطة مزيداً من المعلومات .

إن رحلات العلماء والأدباء «مجمّع» على فوائدها العلمية والأدبية والاجتماعية ، وأهمية رحلات الفقيد بادية في إراثها العربية والتاريخ الحديث بما نشره أو دونه عنها وعن الخدمات التي أداها خلالها للعروبة والاسلام ..

ولا يفوتني التنويه بأن كتاب الفقيد عن « الرحلة النجدية الحجازية ١٣٣٨ هـ ، ١٩٢٠ م » تضمن بعض الوثائق المفيدة في التأريخ السياسي .

الفقيد والنشر بأسماء مستعارة

يلجأ كثير من العلماء والأدباء والشعراء في ظروف خاصة بهم أو لأسباب تتعلق بالموضوع الذي طرّقوه ، إلى نشر أبحاثهم أو مقالاتهم أو قصائدهم برموز أو بأسماء مستعارة .

والفقيد ، بما جيل عليه من صراحة وصدق وبعد عن العنف وعن السياسة ، لم يكن بحاجة إلى إغفال توقيعه على ما كان ينشره من أبحاث دينية وعلمية وتربوية ، ومع هذا فقد تحرينا للحقيقة عن هذا الأمر فلم نعثر إلا على عدد من مقالات التعليق على بعض الأبحاث أو التعريف ببعض الكتب ، وقد ذيلها تخفيفاً على الطابع أو القارئ بتوقيع : م ب ب

أو : م ب ، أو : ب ب ، أو : ب ، كما عثرنا على ما يفيد بأن الفقيه
نشر في شبابه بعض الردود بتوقيع الشيخ فاصر الدين الحجازي الأثري ،
ومن ذلك رسالة « النفحة على النفحة » يرد بها على رسالة « النفحة الزكية »
لمؤلفها الشيخ عبد القادر الاسكندراني نشرها دفاعاً عن العقيدة السلفية ،
وكذلك رسالة « نظرة في النفحة الزكية في الرد على شبه الفرقة الوهابية »
نشرها ذيلًا للرسالة السابقة بتوقيع « أبو اليسار الدمشقي الميداني » .

مؤلفات الفقيه وآثاره

ترك الفقيه ، فضلًا عن المؤلفات ، بحوثًا كثيرة نشرت له في مختلف
الصحف والمجلات السورية والعربية السعودية والمصرية والعراقية . طبع بعضها
مستقلًا ، وما زال الكثير منها شتيتًا في باطن المجلدات ينتظر .

أما تأليفه وما طبع مستقلًا من أبحاثه فهو :

١ - كتاب « نقد عين الميزان » ، يقول الفقيه عنه : « ألفت
أيام الطلب والتحصيل انتصاراً لأستاذنا القاسمي وأئمة الرواية في الأخذ عن
كل ثقة ثبت صدوق » .

طبع في مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٣٣١ هـ

٢ - رسالة « نظرة في النفحة الزكية » يصفها الفقيه قائلًا : « هي
دعوة إلى مذهب السلف الصالح ونبذ المعتقدات الزائفة والآراء الفاسدة » .

طبعت في مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٩٢٢ م

٣ - رسالة « النفحة على النفحة والمنحة » طبعت باسم مستعار
مع الرسالة السابقة في الرد على رسالة « النفحة الزكية في الرد على شبه
الفرقة الوهابية » . .

٤ - رسالة « الثقافتان الصفراء والبيضاء » وهي عبارة عن محاضرة ألقاها الفقيه في ردمة مجمع دمشق ، وطبعت مستقلة على مطابع ابن زيدون ووجدت طباعتها في كتاب « كلمات وأحاديث » سنة ١٩٧٤ م

٥ . تفسير « سورة يوسف » أكل الفقيه التفسير الذي بدأه السيد رشيد رضا مع التقديم له . طبع في مصر وأعيد طبعه في المطبعة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٣٩ م

٦ - كتاب « قواعد التحديث » من فنون مصطلح الحديث لجمال الدين القاسمي « حققه الفقيه وخرج أحاديثه . طبع في دمشق سنة ١٩٢٥ م

٧ - كتاب « مسائل الإمام أحمد » لتليذه الإمام أبي داود السجستاني « يصفه الفقيه بقوله : « هو أقدم كتب المكتبة الظاهرية ، وقد طبع في مطبعة المنار مع تعليقات لي ، وتحقيقات للسيد صاحب المنار . طبع في القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ وقد طبع للمرة الثانية في بيروت .

٨ - كتاب « البخلاء للجاحظ » طبعه مكتب الشر العربي بتحقيق لجنة من أعضاء مجمع دمشق اشترك الفقيه معهم بتخريج الأحاديث الواردة فيه . دمشق - ١٩٣٨ م

٩ - كتاب « المعاملات في الإسلام وتحقيق ماورد في الربا » وقد بدأه صاحب المنار وأكمل الفقيه ووضع مقدمته .

طبعته دار المنار في القاهرة .

١٠ - كتاب « الموفي في النحو لصدر الدين السكتراوي »

شرحه الفقيه وعلق عليه وطبعه مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٥٠ م

- ١١ - كتاب « أسرار العربية » للأنباري « حققه الفقيه وطبعه مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٥٧ م
- ١٢ - كتاب « حياة شيخ الإسلام ابن تيمية » طبعه المكتب الإسلامي بدمشق سنة ١٩٦١ م
- ١٣ - كتاب « حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر » تأليف جد الفقيه الشيخ عبد الرزاق اليطار . حققه الفقيه وعلق عليه وشره مجمع اللغة العربية بدمشق في ثلاثة أجزاء سنة ١٩٦١ - ١٩٦٣ م .
- ١٤ - رسالة « الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة » طبعه المكتب الإسلامي في بيروت سنة ١٩٦٦ م
- ١٥ - رسالة « الكوثري وتعليقاته » مقال كتبه الفقيه في بيان اقراءات زاهد الكوثري في تعليقاته على عقيدة أهل السنة . طبع مستقلاً مع ردود أخرى بمصر سنة ١٩٣٨ م
- ١٦ - كتاب « الرحلة النجدية الحجازية » يتضمن صوراً من حياة البادية سنة ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) طبع في المطبعة الجديدة بدمشق سنة ١٩٦٧ م
- ١٧ - كتاب « كلمات وأحاديث » جمعها المكتب الإسلامي في بيروت وطبعها سنة ١٩٧٤ م
- ١٨ - بحث عن « حجة الإسلام أبي حامد الغزالي » مستخرج من كتاب الذكرى المئوية طبعه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بمصر سنة ١٩٦٢ م .

١٩ - بحث « الانجيل والقرآن في كفتي الميزان » طبع في دمشق سنة ١٩٦٧ م .

٢٠ - بحث « الاشتقاق والتعريب » ألقاه الفقيه في مجمع دمشق ونشر في مجلته وطبع مستقلاً سنة ١٩٦١ م .

٢١ - بحث « علاوة ثانية في اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية » كان الفقيه نشره في مجلة المجمع ثم قام محمد حامد الفقي بطبعه ضمن مجموعة علمية منها أحكام الطلاق في مصر سنة ١٩٥٣ م .

ثبت بما نشر للفقيه في مجلة مجمع دمشق

عني الفقيه ، إلى جانب أبحاثه الدينية والاجتماعية ، بالتعريف بالكتب التي كانت تهدي إلى المجمع ويكلف التعريف بها ، وقد ذخرت مجلة المجمع (١) مذ استقر الفقيه بدمشق إلى قيل وفاته بكثير من ذلك إضافة إلى الموضوعات العلمية والتاريخية التي كان يعطرقها ، وفيما يلي ثبت بجميع ما نشره في مجلة المجمع العلمي العربي « مجمع اللغة العربية بدمشق » (٢) :

(١) من المجلات العربية التي نشرت للفقيه مجلة العالم الإسلامي في بغداد ، وقد نشرت في مجلداتها الأول الصادر سنة ١٣٥٧ هـ أبحاثاً بعنوان : الأخلاق الفاضلة ، واليهود في التوراة والقرآن ، وبين ابن تيمية وابن بطوطة .

ومنها مجلة التمدن الإسلامي بدمشق ، وقد نشرت في مجلداتها الثالث الصادر سنة ١٣٥٦ هـ بحثاً بعنوان : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفي مجلداتها السابع عشر أبحاثاً بعنوان : السلام في الإسلام ، وحقيقة التقوى ، ووصف لأصول الفقه في الإسلام .

(٢) إن الرقم بين قوسين يلي عنوان البحث يدل على عدد صفحاته ، والموضوع الذي لا يليه رقم دلالة على أنه لا يتجاوز الصفحة الواحدة .

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
١٩٣٣	١٨٨/١٣	رسالة « الدر الثمين » لأحمد الغساطوي .
	١٨٩/١٣	كتاب « عبدة الشيطان في العراق » لعبدالرزاق الحسني .
	٢٥٥/١٣	كتاب « منتهى آمال الخطباء » لمصطفى أبو سيف .
١٩٣٥ ^(١)	٢٨٥/١٣	محاضرات في الترية والتعليم لواصف البارودي (٢) .
	٣٤٨/١٣	كتاب « حقوق النساء في الاسلام » لمحمد رشيد رضا (٢) .
	٥٠٢/١٣	كتاب « قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث » لجمال الدين القاسمي (٣) .
١٩٣٦	١٥٨/١٤	نقد كتاب « حياة محمد هيكمل » لعبد الله الفصيمي .
	٣٠٩/١٤	كتاب « التعليق الصيغ على مشكاة المصابيح » محمد إدريس الكاندهلوي (٣) .
	٣٩٠/١٤	كتاب « علوم الحديث لابن الصلاح وشرحه للحافظ العراقي » لمحمد راغب الطباخ .
١٩٣٧	٢٤١/١٥	كتاب « معالم السنن للخطابي البستي في شرح سنن أبي داود » لمحمد راغب الطباخ (٣) .

(١) إن المجلد الثالث عشر ابتدئ إصداره سنة ١٩٣٣ ثم توقفت المجلة

ولم يستأنف إصدارها إلا سنة ١٩٣٥

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
	٣٦٤/١٥	وفاة السيد محمد رشيد رضا - ١ - (١٠)
	٣٩٦/١٥	تقيب على محاضرة الأمير شبيب أرسلان (٢)
	٤٧٤/١٥	وفاة السيد محمد رشيد رضا - ٢ - (٧)
١٩٤١	١٢٩/١٦	كتاب « الإجابة لآراء ما استدركته عائشة على الصحابة للزركشي ، تحقيق سعيد الأفغاني (٣) »
	٣٧٧/١٦	كتاب « محمد رسول الله ﷺ » لمحمد رضا ، (٣).
١٩٤٢	٢٩/١٧	« المرأة في عهد النبوة وفي عصرنا الحاضر » - محاضرة - (١٩)
	٩٤/١٧	كتاب « ابن حزم الأندلسي ورسائله في المفاضلة بين الصحابة ، لسعيد الأفغاني (٢) .
	٣٧٩/١٧	بين ابن تيمية وابن بطوطة أيضاً تعليق على ما كتب الطباخ (٣) .
١٩٤٣	٨١/١٨	مصنفات محمد الحضر حسين (٤) .
١٩٤٤	٨٠/١٩	كتاب « المقنع في معرفة رسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتاب النقط ، للإمام الداني - تحقيق محمد أحمد دهمان .
	٢٧٤/١٩	اعلام شرعي أصدره القاضي الاهدي في الرد على الكافي بتحريم طبع مصحف الحافظ عثمان (٢) .
١٩٤٥	٥٦٢/٢٠	تفسير الإمام القرطبي « الجامع لأحكام القرآن » تصحيح البيلاوي (٤) .

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
١٩٤٦	٦٧/٢١	كتاب « نظرات في الصيام » لشوكة موفق الشطي (٢) .
	٤٤٦/٢١	كتاب « ضوء في تاريخ التوحيد » لأحمد صبري شويمان (٣) .
١٩٤٨	٢٧٧/٢٣	كتاب « الخلافة » لتوماس آرنولد ترجمة جميل مطي (٧) .
	٤٤٦/٢٣	كتاب « الرسالة العلمية في الشفاعة » خليل جريج (٤) .
١٩٤٩	٥٩/٢٤	المدرسون تحت قبة النسر في جامع بني أمية (عن كتاب حلية البشر) - ١ - (١٤) .
	١١٨/٢٤	كتاب « النظرية العامة للموجبات والمقود في الشريعة الإسلامية » لصبحي الحمصاني (٧) .
	١٢٥/٢٤	كتاب « الدور المباحة في الحظر والإباحة » للشيباني الشهير بالحللوي (٢) .
	٢٢٢/٢٤	المدرسون تحت قبة النسر في جامع بني أمية - ٢ - (١٢) .
	٤١٧/٢٤	تحقيق وتعليق على كتاب « الموفي في النحو الكوفي » لصدر الدين الكنتغراوي « - ١ - (١٤) .
	٤٥١/٢٤	كتاب « نظرة عامة في فكرة الحق والالتزام ونظريتي الأموال والأشخاص في الفقه الإسلامي » لمصطفى الزرقا (٤) .

السة	المجلد والصفحة	الموضوع
	٥٦٠/٢٤	تعليق على كتاب «الموفي في النحو الكوفي للكنفراوي» - ٢ - (٢٣)
	٦٠١/٢٤	كتاب « نظرية الإسلام السياسية للمودودي » (٢)
	٦٠٣/٢٤	كتاب « منهاج الانقلاب الإسلامي للمودودي » (٢)
	٦٠٤/٢٤	كتاب « الدين القيم للمودودي » (٢)
	٦٠٦/٢٤	« دعوة المجد » شعر أحمد مظهر العظمة (٢)
١٩٥٠	١٤٢/٢٥	كتاب « المذكرات لمحمد كرد علي » (٥)
	٢٢٣/٢٥	تعليق على كتاب « الموفي في النحو الكوفي للكنفراوي» - ٣ - (٢٤)
	٣٩٩/٢٥	تعليق على كتاب « الموفي في النحو الكوفي للكنفراوي » - ٤ - (١٦)
	٥١١/٢٥	تعليق على كتاب «الموفي في النحو الكوفي للكنفراوي» - ٥ - (٢٤)
	٥٨٩/٢٥	تفسير « جزء تبارك » لعبد القادر المغربي (٦)
	٥٩٥/٢٥	كتاب « على هامش التفسير » لعبد القادر المغربي (٢)
١٩٥١	٨٥/٢٦	تعليق على كتاب « الموفي في النحو الكوفي للكنفراوي » - ٦ - (١٦)
	١٩٩/٢٦	تعليق على كتاب « الموفي في النحو الكوفي للكنفراوي» - ٧ - (٢٤)

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
	٤٠٧/٢٦	تعليق على كتاب « المؤفي في النحو الكوفي للكنغراوي » — ٨ — (١٦)
	٥٧٧/٢٦	تعليق على كتاب « المؤفي في النحو الكوفي للكنغراوي » — ٩ — (١٣)
١٩٥٢	١٢٣/٢٧	كتاب « تهذيب الإيضاح للقزويني » شرح عز الدين التونخي (٩)
	١٧٥/٢٧	شيخ الإسلام ابن تيمية — محاضرة — ١ — (٢٣)
	٢٩٣/٣٧	كتاب « نظام الحياة في الإسلام للمودودي » (٢)
	٢٩٥/٢٧	كتاب « الجهاد في سبيل »
	٢٩٦/٢٧	الجماعة الإسلامية في باكستان
	٢٩٧/٢٧	كتاب « نقض المنطق لابن تيمية » تحقيق محمد حمزة (١٠)
	٤٠٨/٢٧	شيخ الإسلام ابن تيمية — ٢ — (١٠)
	٤٥٣/٢٧	كتاب « الذيل على طبقات الخسابة لابن رجب البغدادي » تحقيق لاووست وسامي الدهان (٦)
	٥٥٩/٢٧	شيخ الإسلام ابن تيمية — ٣ — (١٢)
	٦٠٦/٢٧	كتاب « بصائر جغرافية » لرشيد العابري (٥)
	٦١٠/٢٧	كتاب « من هدي القرآن » لمحمد غر الخطيب .
	٦٢٣/٢٧	حول كتاب « المؤفي في النحو الكوفي » تعليق علي نقد عبد الخالق عزيمة (٤)

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
١٩٥٣	١١٧/٢٨	شيخ الإسلام ابن تيمية - ع - علاوة ثالثة (٩) .
	٣٢٥/٢٨	استدراك آخر على مقال محمد زكي عبد القادر (٣).
	٤٠٣/٢٨	شيخ الإسلام ابن تيمية - ٥ - (١٧) .
	٤٧٣/٢٨	كتاب « التبشير والاستعمار في البلاد العربية » لمصطفى الخلدی وعمر فروخ (٤) .
	٤٧٧/٢٨	كتاب « الأسرة في الشرع الإسلامي » لعمر فروخ (٣) .
	٦٠٨/٢٨	كتاب « الوحدة الإسلامية بين الأخذ والرد » لمحمود الملاح .
	٦٠٩/٢٨	كتاب « الزربة في القصيدة الأزرية » لمحمود الملاح (٢)
١٩٥٤	١٢٩/٢٩	كتابا « أوائل المقالات في المذاهب والمختارات » و « شرح عقائد الصدوق » لابن النعمان (٤)
	١٣٣/٢٩	كتاب « آيات الخلق الكونية والنفسية » لرشيد العابري
	٢٧٧/٢٩	معجم « ألفاظ القرآن الكريم » لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (٢) .
	٢٧٩/٢٩	« تفسير القرآن الكريم » لمحمود حمزة وحسن علوان ومحمد برائق (٢)

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
	٤٣٧/٢٩	« رسالة الهدى ، أرجوزة محمد سعيد صفر ومقال في حكم قتال الكفار لابن القيم . »
	٤٣٨/٢٩	تفسير جزء (قد سمع) لمحمد حمزة وحسن علوان ومحمد براتق .
	٦٠٤/٢٩	كتاب « سيرة الرسول ، لمحمد عزة دروزة (٥) »
١٩٥٥	١٢٤/٣٠	كتاب « مذكرات سائح في الشرق العربي ، لأبي الحسن الندوي (٦) »
	١٥٢/٣٠	رسائل : « رأس الحسين ، لابن تيمية ، « محنة شيخ الإسلام ابن تيمية ، بقلمه ، « أحكام الطلاق ، لابن عبد الهادي « في اختيارات ابن تيمية ، لمحمد بهجة البيطار ، نشر محمد عبد الرزاق حمزة (٤) »
	١٥٦/٣٠	كتاب « طليعة التنكيل بما في تأنيب الكوثر من الأباطيل ، لعبد الرحمن المعلى . »
	٣١٤/٣٠	« القرآن الكريم ، تفسير محمد عزة دروزة (٤) »
	٤٨٠/٣٠	كتاب « فقه الإسلام ، لحسن أحمد الخطيب (٥) »
	٥٦٠/٣٠	« في إعجاز القرآن ، مقدمة لكتاب نعيم الحمصي (١٢) »
	٦٣٦/٣٠	كتاب « مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية ، نشر عبد الصمد شرف الدين (٢) . »
	٦٣٨/٣٠	كتاب « التفسير القيم لابن القيم ، (٣) »
١٩٥٥	٦٤٠/٣٠	كتاب « دلائل النبوة للأصبهاني ، (٢) »

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
	٦٤٢/٣٠	رسالة « في الهداية والضلالة » للصاحب بن عباد (٢)
	٦٤٤/٣٠	كتاب « انبأىء الشرعية في الحجر والنقعات والموارث والوصية في المذهب الحنفي والتشريع اللبناني » لصبحي المحمصاني (٢)
	٦٤٦/٣٠	كتاب « مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص عليه » محاضرات لعبد الوهاب خلاف (٣)
	٦٤٨/٣٠	كتاب « محاضرات في الميراث عند الجعفرية » لمحمد أبو زهرة (٣)
	٦٥١/٣٠	كتاب « محاضرات في الفقه الاسلامي » لمحمد يوسف موسى (٣)
١٩٥٦	٩٠/٤١	بين ابن المطهر الحلي وابن تيمية - ١ - (١٦)
	١٢٢/٣١	كتاب « تلخيص البيان في مجازات القرآن » للشريف الرضي (٢)
	١٣٠/٣١	كتاب « تنبيه النبي إلى تكفير ابن عربي » وتحذير العباد من أهل العناد ، لبرهان الدين البقاعي تحقيق عبد الرحمن الوكيل (٦)
	٢٥٣/٣١	بين ابن المطهر الحلي وابن تيمية - ٢ - (١٨)
	٣٠٤/٣١	كتاب « نوابغ المغرب العربي » لحسن حسني عبد الوهاب (٢)

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
	٣٠٦/٣١	كتاب « مصادر الحق في الفقه الإسلامي » ، للسنبوري
	٣٠٧/٣١	كتاب « الإمام الملك عبد العزيز » ، لعبد الحميد الخطيب (٣)
	٢١٠/٣١	كتاب « أبحاث علمية إسلامية وفتاوى في مسائل حديثة شرعية » ، لعبد الله القلقيلي (٢)
	٦٥٤/٣١	كتاب « مستقبلك في يدك متى عرفت ربك » ، لعبد الحميد الخطيب (٤)
	٦٥٨/٢١	كتاب « من شم العرب » ، لعبد المالك (٣)
	٦٦٠/٣١	رسالة « المثل العليا في الإسلام لافي بجمدون » ، لكاشف الغطاء في الرد على جمعية أصدقاء الشرق الأوسط (٤)
	٦٦٣/٣١	رسالة « الصلاة » ، لمحمد عبد الرزاق حمزة (٣)
	٦٦٦/٣١	رسالة « إلى الحياة » ، لمهدي عبيد.
١٩٥٧	٣٦٧/٣٢	كتاب « عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير » ، تحقيق أحمد شاكر (٣)
	٣٧٠/٣٢	رسالة « القرآن والترجمة » ، لعبد الرحيم محمد علي النجفي (٣)
	٣٧٢/٣٢	رسالة « جوهر الدين ومنظومة إلى عموم المسلمين » ، لعبد الحميد الخطيب (٢)

السة	المجلد والصفحة	الموضوع
	٤٩٢/٣٢	العقل والنقل عند الامام ابن تيمية - ١ (٥)
	٥٢٨/٣٢	كتاب د الدستور القرآني في شؤون الحياة ، لمحمد عزة دروزة (٥)
١٩٥٨	٥٦/٣٣	العقل والنقل عند الامام ابن تيمية ٢ - (٢٤)
	٤٨٤/٣٣	كتاب د الطريق إلى مكة ، لمحمد أسد نقله عفيف العلبي (٤)
	٦٥٧/٣٣	تفسير د محاسن التأويل ، لجمال الدين القاسمي (٥)
١٩٥٩	١٣٣/٣٤	كتاب د الثقافة الإسلامية في الهند ، لعبد الحى الحسني (٥)
	١٣٨/٣٤	د ديوان مومى الطالقاني ، تحقيق محمد حسن الطالقاني (٧)
	٣٤٩/٣٤	كتاب د الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ، لابن بطة المكبري ، تحقيق هنري لاوست (٣)
	٣٥١/٣٤	كتاب د الأئمة الاثنا عشر ، لابن طولون ، تحقيق صلاح الدين المنجد (٢)
	٣٥٣/٣٤	د تفسير القرآن الكريم ، للطاهر بن عاشور (٥)
	٣٧١/٣٤	علاوة خامسة في فوائد تاريخية وعلمية من حياة ابن تيمية (٥)
	٣٨٣/٣٤	تعليق على مقال عضيمة في أسرار العربية للأبباري .

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
	٥٠٨/٣٤	كتاب « وجوب التعاون بين المسلمين وموضوع الجهاد الديني وبيان كليات من براهين الدين » لعبد الرحمن آل سمي .
	٥٠٩/٣٤	كتاب « توضيح الكافية الشافية » ود الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية ، لعبد الرحمن آل سمي (٣)
	٥١٢/٣٤	كتاب « البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار » لابن المرتضى و « جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من جلة البحر الزخار » للصعدي (٤)
	٥١٥/٣٤	كتاب « فتح القفار المشتمل على أحكام مئة نبينا المختار » للرباعي اليمني (٣)
	٦٦٣/٣٤	كتاب « الإمام محمد بن عبد الوهاب » لأحمد عبد الغفور عطار (٥)
	٦٦٨/٣٤	كتاب « الشيوعية والإسلام » لباس محمود العقاد وأحمد عبد الغفور عطار (٢)
١٩٦٠	١٣٧/٣٥	كتاب « المبادئ الشرعية والثانوية في الحبر والنقعات والموارث والوصية في المذهب الحنفي والتشريع اللبناني » لصبحي الحمصاني طبعة جديدة (٢)
	٣١٩/٣٥	كتاب « الحوادث والبدع » للطرطوشي تحقيق الطالبي .

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
	١٤٠/٣٥	خطب حمدي عبيد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢)
	٢٩٨/٣٥	كتاب « أضواء وأنوار » لعبد الرحمن الكيالي .
	٦٨١/٣٥	كتاب « الإسلام » لألفريد غيوم ، ترجمة مصطفى هدارة وشوقي البباني (٦)
١٩٦١	٤٨٤/٣٦	كتاب « مباحث في علوم القرآن » لصبحي الصالح .
	٤٨٥/٣٦	كتاب « علوم الحديث ومصطلحه » لصبحي الصالح (٢)
١٩٦٢	٤٧٦/٣٧	كتاب « مقدمة في إحياء علوم الشريعة لصبحي المحمصاني (٤)
	٤٧٩/٣٧	كتاب « الاقتصاد في الاعتقاد » للغزالي تحقيق إبراهيم آكاه جوبوقجي وحسين آتاي (٢)
	٥١٢/٣٧	حول ما كتبه عبد الرحمن الكيالي عن كتاب « حياة شيخ الاسلام ابن تيمية » (٥)
	٤٦٤/٣٧	كتاب « الفرق المفرقة بين أهل الزيغ والزندقة » لابن الحسن العراقي تحقيق ميسار قوتلو آي (٢)
	٦٦٦/٣٧	التفسير الحديث « السور المرقبة حسب النزول » لمحمد عزة دروزه (٣)
١٩٦٣	٢٣٨/٣٨	كتاب « حلية البشر في تاريخ القرون الثالث عشر » للبيطار (٦)

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
١٩٦٤	٦٥٢/٣٩	كتاب « مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين » للإمام الأشعري بتحقيق ريتز (٢)
	٦٥٤/٣٩	كتاب « فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد للإمام البخاري » تأليف فضل الله الجيلاني (٢)
	٦٥٦/٣٩	« تفسير غريب القرآن الكريم » اختيار حمدي عبيد .
	٦٥٧/٣٩	كتاب « تفسير النصوص في الفقه الاسلامي » لمحمد أديب صالح (٢)
	٦٥٩/٣٩	كتاب « تخريج الفروع على الأصول » الزنجاني . تحقيق محمد أديب صالح (٢)
١٩٦٥	٣٣١/٤٠	كتاب « مكتب عنبر » لطاهر القاسمي (٣)
	٨٨١/٤٠	كتاب « تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف » للإمام المزي ومعه « النكت الظراف على الأطراف » تعليقات الحافظ العسقلاني (٣)
١٩٦٦	١٦٨/٤١	كتاب « الكاظمي في ذكره الثلاثين » لعبد الرحيم محمد علي (٣)
	١٧٠/٤١	كتاب « سنن الترمذي » (٢)
	٣٥٢/٤١	رسائل « الإيمان » لابن أبي شيبة ، و « الإيمان » لابن سلام ، و « العلم » لأبي خيثمة ، و « اقتضاء العلم » للخطيب البغدادي . تحقيق محمد ناصر الدين الألباني (٧)

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
	٣٧١/٤١	الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (٣)
	٥١٠/٤١	كتاب « المعتمد في اصول الفقه » لابن الطيب البصري تحقيق محمد حميد الله (٧)
	٥١٧/٤١	« تفسير القرآن الكريم » لابن مسروق الثوري (٤)
	٥٢١/٤١	كتاب « النسائيات من الأحاديث النبوية الشريفة » لمحمد صالح فرفور (٣)
	٧١٢/٤١	كتاب « الشهداء المميريون العرب في الوثائق السريانية » لاغناطيوس يعقوب الثالث (٢)
١٩٦٧	٥٩/٤٢	كتاب « جمال الدين القاسمي وعصره » لظافر القاسمي (١٦)
	٥٧٤/٤٢	كتاب « التكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل » للمعلمي العنمي (٦)
	٥٨١/٤٢	كتاب « تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف » للمزي مع « النكت الظراف على الأطراف » لابن حجر العقلاني (٤)
	٥٨٥/٤٢	كتاب « من تاريخ سورية » لحسن الحكيم (٤)
١٩٦٨	١٨٦/٤٣	بيان عن « مقام إبراهيم عليه السلام » من رابطة العالم الإسلامي (٢)

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
	٤٣٩/٤٣	كتاب « دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام والقضاء في الأحكام » للقاضي أبي حنيفة النعمان . تحقيق آصف أصفر فيضي (٥)
	٤٧٥/٤٣	تصحيح خبر عن ابن تيمية نقله الدجيلي في أعلام العرب في العلوم والفنون (٢)
	٨٦٤/٤٣	كتاب « الديانة » لعبد الغني حمادة .
	٨٦٥/٤٣	رسالة « صحّح صلاتك » لعبد الغني حمادة .
	٨٦٦/٤٣	كتاب « القضاء والقدر » لعبد الغني حمادة (٢)
	٨٦٨/٤٣	كتاب « أبوبكر الصديق رضي الله عنه » لعبد الغني حمادة (٣)
	٨٧٠/٤٣	كتاب « المختار من أحاديث سيد الأبرار » لجواد المرابط (٣)
١٩٦٩	٧٤/٤٤	« مجلة المجمع العلمي العربي » بمناسبة بلوغ المجمع ٥٠ عاماً (١٧)
١٩٧٠	١٦٦/٤٥	كتاب « النبوة - إصلاح تقتضيه رحمة الله » لسعدي ياسين (٢)
	٣٧٦/٤٥	كتاب « الآلىء المتشورة في الأقوال المأثورة » نقلها عن السريانية البطريك يعقوب الثالث (٢)
	٣٧٧/٤٥	كتاب « الفوائد المهمة في حكمة التشريع وفضل القرآن العظيم » لوحيّد الجاوي (٤)

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
	٦٥٧/٤٥	كتاب « شخصية المسلم كما يصورها القرآن » لمصطفى عبد الواحد (٤)
	٦٦١/٤٥	كتاب « لماذا أسلمنا » لنبهة من رجال الفكر ترجمة مصطفى جبر (٤)
	٦٦٥/٤٥	كتاب « شيخ الباحثين آغا بزرك » لعبد الرحيم محمد علي (٣)
	٨٥٢/٤٥	كتاب « فتاوى الإمام محمد رشيد رضا » تحقيق صلاح الدين المنجد (٤)
	٨٥٥/٤٥	كتاب « ولاية الله والطريق إليها » دراسة وتحقيق لكتاب « قطر الولي على حديث الولي » للإمام الشوكاني « لأبراهيم إبراهيم هلال (٤)
١٩٧١	١٤٠/٤٦	كتاب « الأسماء الحسنى » لمحمد درويش (٧)
	١٤٦/٤٦	كتاب « قاعدة جلية في التوسل والوسيلة » لابن تيمية (٤)
	٣٨٤/٤٦	كتاب « العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » لمحمد الحسني المكي (١٣)
	٣٩٧/٤٦	كتاب « العذب الفائض شرح عمدة الفارض » لأبراهيم الفرضي على « ألفية الفرائض » لصالح الأزهرى الحنبلي ، (٤)
	٧٦٨/٤٦	كتاب « خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب » لابن شعيب النسائي تحقيق محمد هادي الأميني (٥)

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
١٩٧٢	٣٩٤/٤٧	كتاب « نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر » لعبد الحي الحسني (٤)
	٥٠٣/٤٧	الفقيد الشيخ محمد نصيف .
	٦٦١/٤٧	كتاب « الإيضاح في تاريخ الحديث وعلم الاصطلاح » لسعدي ياسين (٤)
	٨٦٧/٤٧	كتاب « الرد الشافي الوافر على من نفى أمية سيد الأوائل والأواخر » لأحمد بن حجر آل علي (٣) .
١٩٧٣	٦٧١/٤٨	كتاب « الإمام الشافعي فقيه السنة الأكبر » لعبد الغني الذكر (٣)

دمشق تشيع فقيدها

ماكاد يجمع دمشق ينعي الفقيد الكبير حتى اهتزت دمشق لهذا النبأ
الفاجع ، وحمل البرق النعي إلى سائر أقطار العالم العربي ، واسرعت
الرابطة الإسلامية في مكة المكرمة إلى نعي الفقيد إلى مختلف البلاد الإسلامية .
وزحفت دمشق إلى حيّ الميدان تشيع بالدموع والزفرات جثمان
الفقيد إلى مثواه الأخير ، ووقف العلماء والأدباء على قبره يعددون مآثره
وما تمثل فيه من أخلاق السلف الصالح . ثم وري الجثمان في مقبرة « باب
مصر » إلى جوار الطاهرين من أفراد أسرته الكريمة .

رجع الصدى

حملت أسلاك انبرق كما حملت البرد من شرق العالم الإسلامي إلى
مغرب العالم العربي ، رجع الصدى عبرات منيرة ودموعاً سخية ، وتبادلت
الهيئات والمؤسسات التي فجعها النبا التمازي بالفقيد الكبير راجية له جنان
الخلد مع النيين والصديقين والعربية والمسلمين خير العوض .

وكتب إلي علامة العراق شاعر العربية الكبير محمد بهجة الاثري
يقول : . . . وقد هالي النبا فذهبت من فوري أرثي الصديق العزيز
وأبكيه ، لما تعلم من قدم مودتنا وصفاتها طوال ٤٥ عاماً . . . ،
وبعث بقصيدة من رائع الشعر الذي يزين ديوان العرب ، تحمل الحب
كل الحب ، والصدق كل الصدق ، والوفاء كل الوفاء ، اثبتنا فيما يلي .
قال حفظه الله :

صلى على أثوابه الظهري

واصلت "ثم هجرت ، والمجر"	- يا نفس - متس مذاق مره
ما أنت ؟ غاية علمنا نفس :	إن بان ، يقن بيئته العمر
عجلى ، مفارقة بلا سبب ،	مستوفر برحالك الظهر
عجيت بك الأيام أو أنيت ،	فكما بين ويختفي الفجر
طيف . . يللم بنائم صرعاً ،	ويغيب . . لا أثر ، ولا ذكر
قد جاء من غيب ، وخف إلى	غيب . فما المفزى ؟ وما السر ؟
يا عقل ! لا تكلفن عتاً ،	ما كل غامضة لها فسر

محبوبة عن كل باصرة ، ستر عليها . . دونه ستر
جلت ودقت ، ليس يكشفها فكر يقصر مدته الجزر
ما ثم من عبث ، ومحتننا في الفكر ، إذ يتطامن الفكر

* * *

أ (دمشق) ! ما نبأ لذت به سمعي ، كان حروفه جمر
أذكي حشاي ، ولج في كيدي وقنذا ، وضع بناره الصدر
إن الذي تنعين خاشعة علم الهدى والمصلح الخير
غال على المهجات ، حالة مجهاده الآثار والعصر
فذه ، عزيز المثل ، جوهرة ذاك كأنفاس الشذا يره
متفرّد بخلائق غرر في كل صالحة . . له خبر
تبارك الحسني بخلتيه ، بجهلها يتفاخر الفخر
ولكل محمدية . له صور ، يمنا ، وخلته لها ذخيرة
ولقد بلوت خياله زمناً وصرثها ، فإذا هي التبر
أربت على الحسين لمشا بهفو ويطفح فوقها البشر
يغلو ونساء كلما قدّمت أبامنا ، وكذلك الحرة
صاف كاه الزمن . . ظاهره كضميره ، وكبيره الجهر
بشر . . ولكن في هدى ملك ، صلى على أثوابه الطهر
يا حزن نفسي ! سوف تصحبي حتى يوارى جسي القبر

* * *

هو (بهجة) الإسلام : غرته ،
 علم .. على الذرورات رف ، كما
 العليم ، ملء جنانه ، دقق
 تألقت (الفصحى) على تفيه
 كرمت عليه كدینه ، فغدا
 ركنان .. قام عليها فسما
 والدين (دين الله) عصمته ،
 عال على الأهواء ، متشيع
 مصباحه (الفرقان) .. يتبعه
 بنحو ويسلك ما تفهمه
 وبقیم من مائوا به جفأ
 كم نزه (الإسلام) من يدع
 مقبوحة شواء .. شاه بها
 كان الحكيم الطب .. بلسمه
 يثي إلى إصلاحه ليقا ،
 أدب (النبوة) ما تنخله ،
 بلغ المدى ، واليسر يبلغ ما

و (جماله) و (مناره) البدر (١)
 رقة البينا ، وقلامع السور
 والعقل خلف لسانه وقر
 زهوا كما يتألق الدرة
 وله على حرمتها خفر
 صرح العلى ، وتعززالنصر
 ومسارده الإصلاح والبر
 بجبا .. له في لمح غور
 أشى أشارت آية الزهر
 منه النبی وصحبته الغر
 حتى يثوب إلى الهدى الصغر
 قد باضها الشيطان والكفور
 وجه الهدى ، وتلوث الطاهر
 رفق الحديث وفقه البحر
 وبيانه غرض الجنى نقر
 والحكمة الزهراء ، واليسر
 يمينا يعض طلابه العسر

* * *

(١) إشارة إلى مصدري علم الفقيده ومنهجه الاصلاحى ، العالمين المجددين :
 شيخه جمال الدين القاسمي ، والسيّد محمد رشيد رضا صاحب « انوار الأنوار »

أَبْقِيَّةُ السُّلَفِ الصُّكْرَامِ زَهَتْ
(بِرَدَى) إِلَى اللَّتْقَا بِهِ ظَمَأُ ،
بِل (عَالَمُ الْإِسْلَامِ) قَاطِبَةٌ
لَهْفًا إِلَى وَجْهِ . . تَهَلُّلٌ فِي
نَظَرَاتِهِ لَطْفٌ ، وَبَسْمَةٌ
خَلَعَ الْحِيَاءَ عَلَيْهِ بِهَجْتِهِ ،
بِجَلَالِكَ الْحُرُمَاتِ وَ (الذِّكْرُ)
وَ (دِمَشْقُ) فِي أَحْسَانِهَا حَرَّةٌ
قُطُنَاتُ الْبَادُونِ وَالْحَضَرُ
أَسْرَارُهُ الْإِخْلَاصُ وَالْخَيْرُ
رُحْمَى ، وَعَذْبُ حَدِيثِهِ تَشْرُ
وَلَهُ جَلَالُ السَّيْنِ وَالْقَدَرُ

* * *

هَذَا الْوَدَاعُ . . أَتَمُّ مِنْ أَمَلٍ
صَلَّى عَلَيْكَ الْمَسْكُ وَالنَّشْرُ
وَمَلَأْتُكَ (الرَّحْمَنُ) قَانَتَهُ
لِلْقَائِنَا ؟ أَمْ يَوْمُهُ الْخَشْرُ ؟
وَهَذَا عَلَيْكَ النُّورُ وَالزُّهْرُ
تَسْبِيحُهَا وَصَلَاتُهَا عِطْرُ

* * *

إِرْحَمِ أُمِّي .. مِيشَتْ بِهَ كِيدِي ،
قَطَعَ مُمَزَّقَةً ، تَوَزَّعَهَا
عِذْرًا إِلَيْكَ ، فَقَدْ وَهَى جِلْدِي
مَا بَعْدَ رُوحِي مَا أَذْوَبَهُ ،
أَنْتَرَاهُ .. بِحِمْلٍ بَثَّةُ الشَّعْرِ ؟
تَرَأَ ، كَانَتْ لَهَا بِهَا قِطْرُ
وَحَبَتْ قَوَايِي وَخَانِي الصَّبْرُ
يَا لَيْتَ شَعْرِي . هَلْ وَفَى الْعُذْرُ ؟

* * *

مصادر ترجمت للفقيد

سيرة الفقيد العطرة مشهورة بأريجها الفواح ، أما ترجمته فقد وردت في
مصادر عديدة أهمها :

١ - ترجمة كتبها بخط يده محفوظة في ملفه الجمعي ، وهي مؤرخة

في سنة ١٣٨٣ هـ ، ١٩٦٣ م .

- ٢ - سيرة ذاتية نشرها في كتابه « الرحلة النجدية الحجازية » المطبوع بدمشق سنة ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ م .
- ٣ - « من هو » في سورية - إصدار الوكالة العربية للنشر والدعاية لجورج فارس . طبع دمشق سنة ١٩٤٩ م .
- ٤ - « عالمنا العربي » لنعمة زيدان - الحلقة الأولى طبع بيروت سنة ١٩٥٦ م .
- ٥ - « من هم » في العالم العربي - إصدار مكتب الدراسات السورية والعربية لجورج فارس - الجزء الأول طبع في دمشق سنة ١٩٥٧ م .
- ٦ - « أعلام الفن والأدب » لأدم الجندي - الجزء الثاني طبع في دمشق سنة ١٩٥٨ م .
- ٧ - « معالم وأعلام » في بلاد العرب لأحمد قدامة - الجزء الأول طبع بدمشق سنة ١٩٦٥ م .
- ٨ - « عيون البصائر » لمحمد البشير الابراهيمي . الجزء الثاني طبع في بيروت سنة ١٩٧١ م .
- ٩ - « المجمعون » لعبدان الخطيب - الجزء الثاني (مخطوط) .

عبدان الخطيب

دمشق في ١٠/٦/١٣٩٦

مَلَامَح من تطور المغرب العربي

في بدايات العصور الحديثة (*)

الأستاذ محمد المنوني

ظهرت بوادر التحرك الأجنبي نحو المغرب الكبير ، مع مطالع
المائة الهجرية التاسعة ، أو عند بداية القرن الميلادي الخامس عشر ، وستين
أن إسبانيا قامت في التاريخ ذاته بنفس مدينة تطوان ، ليأتي بعدها دور
الاعتداء البرتغالي على سبتة عام ١٤١٨ هـ / ١٤١٥ م .

وهذا التاريخ - يكون - على العموم - هو منطلق الفترة المعنية
بالدراسة التي نعرضها ، حتى تنتهي بعد حدث الجلاء الأندلسي الأخير عام
١٠١٨ هـ / ١٦٠٩ م .

(*) أعد برسم المؤتمر الأول لتاريخ المغرب وحضارته، المنعقد بتونس : ٢٤ - ٢٩
ديسمبر ١٩٧٤ م .

إن المصادر والمراجع التي يتكرر النقل عنها ، يكتفى - في المرة الأولى -
بذكر المعلومات الضرورية للتعريف بها : المطبعة أو مكان المخطوط ورقمه ، فضلاً
عن اسم المؤلف إن وجد دون أن نكون بحاجة إلى إعادة هذه التوضيحات
عندما يتكرر الرجوع إلى نفس المصدر أو المرجع .

مع ملاحظة أن هذا المدوان ائزدوج ضد الشمال الافريقي ، لم يبلغ حدته إلا عندما أطلقت فترة العصور الحديثة ، بعد فتح القسطنطينية عام ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م .

* * *

أما المغرب المعني بهذه الدراسة فهو يستوعب مفهومه الواسع ، ليشمل كلاً من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى .

* * *

وقد عرفت هذه المنطقة — خلال الفترة المشار إليها — أربعة أحداث بارزة :

- الغزو الأجنبي .
- الهجرات الأندلسية .
- الوجود العثماني .
- وفادات من جنسيات أخرى .

وهدف هذه المحاولة شرح أثر تلك الأحداث في تطوير المظاهر الحضارية للمغرب الكبير ، غير أنه سيكون من المناسب التمهيد بمدخل عن طبيعة الأحداث ذاتها ، ثم رد الفعل المغربي ضد التدخل الأجنبي .

وقد جاءت غارات البرتغاليين والإسبان على السواحل المغربية في مقابل انتصارات العثمانيين على أوروبا وبدأت المعركة — أول الأمر — من المغرب الأقصى عند الساحل المغربي للمتوسط ، وامتدت — بعد ذلك — متجهة نحو شرق الساحل نفسه ، وإلى الشاطئ الأطلسي ، وعندما اشتدت المعركة تدخل البابا الإسكندر السادس عام ٨٩٩ هـ / ١٤٩٤ م ، وفرض النزاع بين الدولتين المعتدبتين ، فصار معظم المغرب الأقصى من

نصيب البرتغال ، بينما يختص الإسبان ببقية المغرب الكبير (١) .

ومن المؤكد أن الحملة صارت تهدف إلى الاستيلاء على الشمال الافريقي عن طريق احتلال الشواطئ ، حتى ينحدر المغرب الكبير إلى التصير أو الإبادة .

وبما يفسر هذا أن مدينة مراکش صارت مهددة باحتلال البرتغاليين بعدما تمكنوا من التسرب إلى نواحي أكادير .

ومدينة فاس - بدورها - كانت هدف جيوش سيبيستان في موقعة وادي المخازن ، ومن الثابت أن الغزاة - في هذه الحملة - أعدوا صلباناً ليقوموا بتعليقها قريباً من مساجد فاس ومراكش (٢) .

وفي الجزائر كان الإسبان قد توغلوا - فعلاً - إلى تلمسان ونواحيها ، وهي نفس الخطة التي كانت مبيتة ضد بقية الشمال الافريقي .

* * *

وقد استمرت عمليات الغزو -- على مستوى المغرب العربي - قرابة قرن ونصف القرن ، وبدأت بطيئة متقطعة ، ثم تصاعدت بعد فتح القسطنطينية والقضاء على بيزنطة عام ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م .

(١) كان هذا من مستنجات معاهدة توردسيلاس Torde Sillas ، وهناك وثيقة عن مراحل وتفاصيل هذا الاتفاق ، حيث أثبتها محمد بن تاوريت التطواني ، في موضوع : « من زوايا التاريخ المغربي » ، مجلة « تطوان » : العدد السابع ، ص ١٠٥ - ١٠٦

(٢) محمد الفاسي : « موقعة وادي المخازن الخامسة » - مجلة « البحث العلمي » العدد التاسع ، السنة الثالثة ، ص ٢٢٣

وكانت الأسبقية لإسبانيا ، فقامت بتخريب قطوان القديمة عام
٨٠٣ هـ / ١٤٠١ م (١) .

وبعد هذا تسلسل احتلال البرتغاليين لشواطئ المغرب الأقصى حسب
التواريخ التالية :

سبنة : عام ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م القصر الصغير : ٨٦٣ هـ / ١٤٥٨ م

طنجة : ٨٦٩ هـ / ١٤٦٤ م أنقا : ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م

أصيلا : ٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م البريجة : ٩٠٧ هـ / ١٥٠٢ م

أكادير : ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م أسفي : ٩١٢ هـ / ١٥٠٦ م

أزمور : ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م المهديّة : ٩٢٠ هـ / ١٥١٥ م

أما مدينة مليلية فقد احتلها الإسبان عام ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م ، وعادوا
لاحتلال باديس عام ٩٧١ هـ / ١٥٦٤ م كما استولى هؤلاء في بقية الشمال
الأفريقي على مجموعة أخرى من القواعد والمدن ، منها :

بونة « عناية » عام ٨٦٧ هـ / ١٤٦٣ م

المرسى الكبير ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م وهران : ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م

بجاية : ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م طرابلس : ٩١٦ هـ / ١٥١٠ م

تونس : ٩٤١ هـ / ١٥٣٤ م

* * *

وقد كان من عواقب هذه الغارات المزدوجة على المغرب الكبير ،
انحسار نفوذ الحكام الوطنيين إلى الداخل ، وأفضى الوضع بالمغرب الأقصى

(١) « الاستقصا » نشر دار الكتاب بالدار البيضاء ، ج ٤ ص ٨٩ - ٩٠

إلى استبدال السعديين بدولة بني وطاس ، وهؤلاء حولوا العاصمة من فاس إلى مدينة مراكش . وفي باقي المغرب الكبير حل العثمانيون مكان الحكم الوطنيين ، وانتقلت عاصمة المغرب الأوسط من تلمسان إلى مدينة الجزائر ، بينما دمر كثير من معالم تونس العاصمة .

ومن جهة أخرى تدهور الاقتصاد الداخلي ، وتقلص ظل التجارة الخارجية نتيجة احتكار المحتلين للمبادلات مع الخارج ، وتدفق بضائعهم على الداخل ، زيادة على أن المغرب أخذ يتحمل تكاليف حرب دفاعية طويلة المدى .

هذا إلى أنه وقع القضاء على الحياة الحضرية في المدن التي وقع تخريبها على ساحل المتوسط أو المحيط ، وما أعيد بناؤه منها جاء على الطراز الأجنبي .

وقد أثرت هذه الحملات في سير الثقافة على العموم ، ففترت الهمم وانصرف أهل العلم إلى الجهاد أو الدعوة له بدلاً من الانقطاع للتعليم أو التعلم ، وكانت نكبة تونس أكبر ، فتوقفت الحركة العلمية في مجموع القطر بعد إعلان الحماية الإسبانية ونزح كثير من أعلام الحضراء إلى المشرق أو المغرب (١) .

أما محنة الكتب العلمية وخزائنها فكانت من أعظم الفواجع ، فاستولى

(١) «تنمية شجرة النور الزكية» لمحمد بن محمد مخلوف التونسي : المطبعة

السلفية بالقاهرة ، ص ١٥٣

البرتغاليون على ما كان بسبب من الكتب بعد احتلالها (١) ، وفي تلمسان عث الإسبان بمؤلفات العلم والدين بها (٢) ، والكارثة الكبرى هي التي حاقت بخزائن تونس العاصمة بعد الحملة الإسبانية الثانية عام ٩٨٠ هـ - / ١٥٧٢ م ، وعن هذا التاريخ يقول ابن أبي دينار (٣) .

« . . . وفي تلك الأيام أمين المسجد الأعظم « الزيتونة » ، ونهبت خزائن الكتب التي به ، ودرست بأرجل الكفرة معالم المدارس ، وتفرق ما جمع فيها من دواوين العلوم ، وتبددت في الشوارع ، حتى قيل : إن المار من شرقي الجامع إنما يمر على الكتب المطروحة هناك » .

قال ابن أبي الضياف (٤) : « وهذا هو السبب في قلة تآليف الفحول

(١) يقول ابن حجر العسقلاني في هذا الصدد : « ... ونقلوا ما كان بها حتى الكتب العلمية ، وكان بها منها شيء كثير إلى الغاية » - « إنباء النمر » : مطابع الأهرام التجارية بالقاهرة ، ج ٣ ص ٤١ ، وعبارة عبد الحي بن العماد الحنبلي « ... وأخذوا ما كان بها من الأموال والذخائر حتى الكتب العلمية » ، « شذرات الذهب » : نشر مكتبة القدسي بالقاهرة ج ٧ ص ١٢٤

ويلاحظ أن المصدرين يورخان الاعتداء على سببته بعام ٨١٧ هـ ، خلاف الوارد في المصادر المغربية والأجنبية ، حيث كان تاريخ الحادث هو ١٥ جمادى الآخرة عام ٨١٨ هـ ، الموافق ٢١ غشت ١٤١٥ م .

(٢) « تاريخ الجزائر العام » تأليف عبد الرحمن بن محمد الجبلاي : المطبعة العربية بالجزائر ، ج ٢ ص ٢١١

(٣) « المونس » في أخبار إفريقية وتونس : مطبعة النهضة بتونس سنة ١٣٥٠ هـ ، ص ١٥٢

(٤) « إتحاف أهل الزمان » ، بإخبار ملوك تونس وعهد الأمان : المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، ج ٢ ص ١٩

من أهل هذا القطر ، فإنها ضاعت شذّر مذر في هذه الواقعة .
وبعد هذه الغارات المسلحة على الكتب والمكتبات ، بدأت في الفترة
ذاتها حملات من نوع جديد - لابتغاع المخطوطات المغربية واختطافها
لتنقل إلى أوروبا ، حتى جاء في تاريخ الوافي في المسألة الشرقية : أن من
مكتبة فاس والعراق اغتنت مكاتب أوروبا (١) .

ومن جهة أخرى : فإن هذه النكسة استتبعته انحلالاً خلقياً
وعقائدياً ، فشاعت البدع ، وظهرت جماعات منحرفة مثل الطائفة اليوسفية
بالمغربين (٢) . والشايين بتونس (٣) ، زيادة على تفاقم بدع طائفة العكازين
بالمغرب الأقصى (٤) .



(١) نقله في خاتمة التراتيب الادارية : المطبعة الوطنية بالرباط ، ج ٢ ص ٥٥٥
(٢) تعرف - أيضاً - بالشرافة (بتشديد الراء) ، وم فرقة من أتباع الامام
الجليل أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي الملباني ، المتوفى عام ٩٢٧ هـ ، وقد
انحرف هؤلاء عن طريقة أستاذهم الذي كان إمام سنة وهدى ، ويقول عنهم ابن عسكر :
« ... ولم يكن - اليوم - بالمغرب من طوائف المبتدعة سوى هذه الطائفة ..
ولقد أشار الفقهاء على السلطان الغالب بالاعتناء بحسم مادة فساد هذه الطائفة ،
فسجن جماعة منهم وقتل أربعة آخرين ، وهؤلاء المبتدعة ليسوا من أحوال الشيخ
(أبي العباس الملباني) في شيء ، بل فعلوا كفعل الروافض والشيعة في أئمتهم » -
« دوحه الناشر » ، المطبعة الحجرية القاسية عام ١٣٠٩ هـ ، ص ٩٢

وقد شنع عليهم ابن القاضي بدوره ، وأفاد ظهور فرق مبتدعة جديدة
لعهده ، زيادة على الطائفة اليوسفية ، وهو يقول في هذا : « ... إذ هم أحلوا
ما حرّم الله تعالى ، وقد اختلفوا بدعتهم : من ترك الصلاة والصوم واستباحة =

وعن ردّ الفعل المغربي : كان واقع الحملات البرتغالية والإسبانية قد أذكى في مجموع الشمال الإفريقي روحاً فضالية جديدة ، ونشبت المعركة - في بداية الأمر - على النطاق الشعبي ، امتداداً من المغرب إلى ليبيا ويقول الناصري^(١) عن المغاربة :

« ولما نزل بأهل المغرب الأقصى ما نزل من غلبة عدو الدين ،

= الزنا والديانة والعباذ بالله ، أذلهم الله وأخزاهم ، وغير هذا مما الشيخ منزّه عنه ، رحمة الله عليه ، وهي طائفة من الطوائف المعدودة بالمغرب ، التي خرجت عن الحق إلى الزيغ - « درة الحجال » : المطبعة الجديدة بالرباط ، رقم ١٩٠

وانظر - أيضاً - عن الطائفة نفسها : « مرآة المحاسن » لأبي حامد محمد العربي الفاسي : المطبعة الحجرية الفاسية - ص ٢٢٤ مع « الاستقصا » ، ج ٥ ص ٥٠ - ٥١ (٣) م أنباع الشيخ عرفة : الم رابط القيرواني وجدّ الشايبين ، انظر عنه « المؤنس » ص ١٤٤

(٤) للتعريف بهذه الطائفة ، ارجع إلى محمد المنوني : « التيارات الفكرية في المغرب المربي » - مجلة « الثقافة المغربية » ، العدد الخامس ، ص ١٢٩ - ١٣١ وبالإضافة إلى هذه الطائفة وسابقتها عرف جنوب المغرب الأقصى نخلة المقيطي : عمرو بن سليمان السيف الشبظمي ، المتوفى قرب عام ٨٩٠ هـ ، وكان قد جمع الجموع على الجهل والفساد والخروج عن الحق ، وسمى أصحابه بالمريدين بضم الميم ، قال الشيخ زروق : وما أحقهم بالفتح .

انظر عن نخلة المقيطي : « المعيار » للوشريسي : المطبعة الحجرية الفاسية - ج ٢ ص ٣٠٨ - ٣٠٩ مع « تمتع الأسماح » لمحمد المهدي الفاسي ؛ نفس المطبعة عام ١٣٠٥ هـ : الملزمة الثانية ص ٤ - ٦

(١) الاستقصا ، ج ٤ ص ١١١

واستيلانه على ثغور المسلمين ، تباروا في جهاده وقتاله ، وأملوا الحيل والرجل في مقارعة وتزاله ، وتوفرت دواعي الخاصة منهم والعامة على ذلك ، وصرفوا وجره العزم لتحصيل الثواب فيما هنالك ، فسكن من رئيس قوم قام بنصرة الدين غيرة واحتساباً ، وكم من ولي عصر وعالم مصر باع نفسه من الله ورأى ذلك صواباً ، حتى لقد استشهد منهم أقوام وأسر آخرون وبلغ الله تعالى جميعهم من الثواب ما يرجون .

وفي بقية المغرب العربي هبت القوى الشعبية للمقاومة ، واستعانوا بالعثمانيين ، لتنظيم الجهاد ضد المعتدين .

وهكذا : فإن علماء الجزائر قالوا للقائد التركي خير الدين باشا وقد أراد الانتقال عن المغرب الأوسط : « يجب عليك المقام بهذه البلدة الإسلامية لحمايتها ، ولا رخصة لك في تركها نهبة للمفترس » (١) .

ومن طرابلس الغرب سافر وفد إلى الآستانة ليطلبوا النجدة من العثمانيين (٢) .

وفي تونس كاتب أهل القيروان الأتراك المجاهدين بالجزائر وليبيا ، ليهبوا إلى تخليصهم من الاحتلال الإسباني (٣) .

وإلى جانب هذه الفورات الشعبية ، كانت سلاطين شمال أفريقيا وأمراؤها ، عملوا — منذ بدء الحملات الاستعمارية — لتوحيد صفوفهم

(١) إنحاف أهل الزمان ، ج ٢ ص ١٠ .

(٢) « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ، تأليف أحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي : مطبعة جمال الدين أفندي بالاستانة ، ص ١٨٧ .

(٣) إنحاف أهل الزمان ج ٢ ص ٢٠ .

والتعالف فيما بينهم ، ثم كاتبوا قانصوه الغوري عاهل الكنانة ، وطلبوا منه الانضمام إلى هذا الحلف ، والقيام - من جهته - بطرد تجار الفرنج المقيمين بإيالاته ، والعمل على غلق كنيسة القيامة في وجه حجّاجهم (١) .

وعلى مستوى التعاون المغربي الجزائري ، كان أبو العباس أحمد الوطاسي استعان به أبوزيان أحمد الثالث ، ضد أخيه محمد السابع الذي احتفى بالإسبان وهم يحتلون تلمسان ، وقد أمدّه العاهل المغربي بالرجال ، وبالأسلحة المتنوعة : مدافع ودروع وقسي ومعدات أخرى ، وقال لأmir تلمسان : داري دارك ، وأنا لك بمنزلة الوالد ، وابني بمنزلة أخيك (٢) .

(١) « الممالك والفرنج » تأليف الدكتور أحمد دراج : نشر دار الفكر

العربي بالقاهرة ، ص ١٢٩

(٢) ارجوزة « عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل » لمحمد الكراسي

المطبعة الملكية بالرباط ص ٣٨ - ٣٩

ومن ملحقات هذا الموضوع ماورد في كتاب : « دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر » ، تأليف الأستاذ عبد الحميد بن أبي زيان بن أشهو ، مطبعة الجيش بالجزائر ، غير أن الأمر - هنا - يتعلق بأمير سابق لإبي العباس الوطاسي ، وهو والده محمد المعروف بالبرتقالي بن محمد الشيخ ، وقد جاء في هذا الصدد بالمصدر المشار له ص ٧٦ : .

« ... وبمجرد ماوصل عروج إلى تلمسان ، وجّهه إلى السلطان الوطاسي مولاي محمد ليتحالف معه ، كي يوجه إليه النجدة ، مقابل شد عضده في محاربة السعديين ، الذين أخذت شوكتهم تتقوى في بلاد سوس ومراكش ، وفعلاً وجه الوطاسي جنداً يقارب ٢٠٠٠٠ محارب على طريق مليبية ، وإذا كان عروج ينتظر وصولهم حاصره العدو وشدد عليه الخناق ، كما سنشرحه فيما بعد » . =

وبعد قيام السعديين تحقق تحالف مغربي تركي لتحرير مدينة وهران^(١).
وقد اهدى عبد الملك المعتصم للعثمانيين كمية من الذخيرة تتألف من
عشرين مدفعاً ، يشتمل أولها على تسع فوهات ، حسب مؤرخ سعدي
يعقب ويقول عن النفض الكبير : « وهو - الآن - يباب الجزيرة

= ولما ذكر نفس المصدر رواية استشهاد القائد العثماني عروج باشا في بني
يزناسن ببلاد المغرب ، عقب عليها ص ٧٩ :

« إننا نؤكد هذه الرواية التي تثبتها محالفة عروج مع سلطان فاس محمد
الوطاسي ، الذي لم يسعه الوقت لتوجيه النجدة ، فإن عروج قرئحو الغرب لعله
يلاقى الحملة المغربية الآتية من مليلية ، وحين قربت من وجدة وصل خبر عروج
أنه استشهد مع رفقاته ، فرجعت الحملة إلى فاس ، وأثبت الأمر ايبولار مترجم
كتاب الحسن بن محمد الوزان عن وصف افريقيا .

وبعد هذا لم يبق مجال للتردد في أمر هذه النجدة ، بعدما أثبت واقعها الوزان
الفاسي ، وقد تشكك فيها الأستاذ أحمد توفيق المدني ، في كتاب « حرب الثلاثمائة
سنة بين الجزائر واسبانيا » ص ١٩٠ حسب الفقرة التالية :

« وقد قيل - وليس بأبدينا ما يؤكد هذا القول أو ينفيه - إن عروج كان
ينتظر النجدة من قبل ملك فاس الوطاسي المريني تنفيذاً لاتفاق عقد بينها ،
وأن الملك المريني قد أرسل - فعلاً - بجيش لنصرة عروج ، وتمكينه من
الدفاع عن تفسان ضد الإسبان وأنصارهم ، لكن ذلك الجيش سار على طريق
مليلية ، فطال به السير ولم يتمكن من الوصول إلى ميدان المعركة في الوقت اللازم ،
فلما تم الأمر قفل راجعاً » .

(١) مجلة « تطوان » : العدد الخامس ص ١٣٣ ، مع العدد السابع

بالجزائر ، (١) .

ونسق المجاهدون - من المغربين - العمليات البحرية فيما بينهم ،
فصار المغاربة في واجهة المحيط ، بينما كان الجزائريون يعملون بالمتوسط (٢).
وكان هؤلاء يتزودون - عند الاقتضاء - من المغرب عند مرمى
تطوان وغيرها (٣) ، ومن مستبعات هذا التعاون حسن استقبال المغرب
للمهاجرين الجزائريين ، ومنهم العلماء التلمسانيون الذين وفدوا عام ٩٦٨ هـ / ١٥٦٢ م ،
وكان فيهم محمد بن عبد الرحمن بن جلال المغراوي ، وأبو العباس
أحمد بن سمية العبادي ، وقدم مع هذا الأخير محمد شقرون بن هبة الله
الوجدجي وأبو العباس أحمد بن محمد بن قاسم العقباني (٤) .

قال في «دوحة الناشر» (٥) في ترجمة العبادي : « ولما قدم على فاس
عام ثمانية وستين - يعني وتسعمائة - في جملة فقهاء تلمسان ، لما رحلهم
السلطان الغالب من تلمسان ، حين وقعت الفتنة بينهم وبين الترك ،
واستغاثوا فأمدم بالأجناد ونقلهم إلى فاس ، ووصل كلاً منهم على قدر

(١) « تاريخ الدولة السعدية » المؤلف مجهول الاسم : المطبعة الجديدة
بالرباط ، ص ٥٣

(٢) مجلة « تطوان » العدد الرابع والخامس « مزدوج » ، ص ٧٠

(٣) نفس المجلة : العدد التاسع ، ص ١٢٦ - ١٢٧

(٤) انظر تراجم الوافدين الأربعة في «دوحة الناشر» : ص ٨٦ - ٨٨
و ٩٠ - ٩١ ، وفي مخطوطة فهرس المنجور : « وسمعت - أيضاً - من جماعة ممن
قدم على فاس من فقهاء تلمسان » .

(٥) ص ٨٧ ، مع تصحيح النص المطبوع عن نسخة مخطوطة .

حاله ، ووصله بألف مثقال ذهباً ، وأمر له بكساء وإقامة جليلة ، وقال :
لا تسروه بأحد من الفقهاء وغيرهم ، فإن همت كبيرة .

* * *

ومن الوافدين على المغرب من تونس في الفترة ذاتها نعرض ثلاثة :
أبو الطيب بن محمد الظريف التونسي ، وكان شيخاً مرشداً بجامع
الزيتونة ، وبعد الحملة الإسبانية الأولى هاجر إلى المغرب واستوطن مدينة
فاس ، وبها صارت له ألفة مع أحد علمائها المرموقين : أبي الحسن علي
ابن هارون ، الذي خاطبه بقطعة شعرية يتفجّع فيها على نكبة
تونس ، ومطلعها :

جادك الغيث إذا الغيث انهر حضرة الأنس البديع المونس^(١)

وبعد الظريف التونسي كان محمد بن خروف الأنصاري ، قد
أسره الإسبان في مدينة تونس بعد الحملة الأولى ، واستمر في الأسر
— بإسبانية — ستة أعوام غير قليل ، إلى أن فداه الأمير أبو العباس الوطاسي
عام ٩٤٧ هـ / ١٥٤٠ م ، بإشارة من فقيه فاس محمد اليسيتي ، فانتقل العالم
المقدسي إلى مدينة فاس واستوطنها . حتى توفي بها عام ٩٦٦ هـ / ٥٥١ م
وهو يتحدث عن مأساته وفدائه ويقول :

« . . . وكانت مدة أسري ستة أعوام غير قليل ، محفوظاً فيها
في ديني وبدني فضلاً من الله سبحانه له الشكر على ذلك ، إلى أن خلصني

(١) مخطوطة « فهرس المنجور » عند ترجمة أبي الحسن علي بن هارون .

مع « جذوة الاقتباس » لابن القاضي : المطبعة الحجرية الفاسية ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣

الله تعالى خلاصاً جيلاً ، على يدي مولانا السلطان المؤيد ، أبي العباس أحمد الوطامي ، أجل الله تعالى خلاصه ، فبذل في فدائي مالا كثيراً يقرب من ألف دينار وبعد محاولة عظيمة يطول ذكرها ، وعاملني - بعد الخروج - بما لا أحصي عده ، جعله الله تعالى له عدة .

وأول يوم قابلته به - وذلك في أول رجب الفرد ، عام سبعة وأربعين وتسعمائة ، وقد خلع عليّ من أحاسين ملابسه - أنشدته من نظمي بحضرة خواص أصحابه وبعض التونسيين حاضر (١) . . .

أما الوافد التونسي الثالث فكان من طبقة الأطباء . وانتظم للعمل في بلاط المنصور الذهبي . وذكرته رسالة سعدية مشيرة إلى مهته ووطنه دون التعريف باسمه (٢) .

(١) محمد المتوني : « مواقف المغرب ضد الحملات الصليبية » ، مجلة « دعوة الحق » : السنة ١٣ ، العدد ٣ ، ص ٥٦

(٢) الرسالة واردة عند الأفراني في « نزهة الحادي » : المطبعة الحجرية الفاسية ، حيث وردت بها الإشارة المعنية ، ص ١٦٦ ، وانظر « المنتقى المقصور » لابن القاضي : مخطوط المكتبة الملكية رقم ١١٥٣ أوائل الباب الثاني ، حيث يذكر اسم أبي العباس أحمد بن محمد بن الحكيم التونسي الوافد على المغرب الأقصى . ونضيف إلى هذا التعليق وافدين تونسيين زيادة على الثلاثة السابقين :

محمد التونسي الحفصي ، جد محمد المأمون بن محمد شارح العقيدة السنوسية الصغرى ، قال الأفراني عند ترجمة هذا الحفيد : « وكان جد صاحب الترجمة ، قدم على السلطان أبي عبد الله المهدي السعدي ، حين أخرجهم الأتراك من تونس واستولوا على مملكتنا ، ففرح به السلطان المذكور ، وظن أنه قصده يطلب =

وإلى هنا تبينا ملامح ردّ الفعل المغربي ردّاً على الحملات الأجنبية ، وقد عاد هذا الموقف بالنتائج المتوخاة . وحررت - تباعاً - غالبية الجهات المحتلة . وننتقل بعد هذا إلى عرض الأحداث الأخرى التي عرفها المغرب العربي في الفترة ذاتها .

* * *

وقد عاصر هذه الفترة تصاعد الهجرات الأندلسية إلى المغرب العربي في وفادات متعددة .

فكانت وفود الأندلسيين بناة مدينة تطوان عام ٨٨٩ هـ / ٨٤ - ١٤٨٥ م .

وبعد هذا وقع سقوط غرناطة عام ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م . وصار من استطاع من الأندلسيين الهجرة ينتقل إلى المدوة الأخرى : ومنهم الوافدون عام ٩٠٢ هـ / ٩٦ - ١٤٩٧ م ، حيث توزعوا بين تونس والجزائر وتطوان وفاس ومراكش وغيرها (١) .

= المعونة منه على الأتراك ، فاختر المسكنة ، ولم يزل عنده في الخطوة إلى أن توفي « - صفوة من انتشر » المطبعة الحجرية الفاسية - ص ١٠٩

الثاني : ذكره - عرضاً - أبو حامد محمد العربي الفاسي هكذا : « الفقيه ، الكاتب ، أبو عبد الله محمد الأندلسي ، وكان كاتب السلطان حميدة ، آخر ملوك بني حفص يافريقية » - « رآة المحاسن » ص ٢٣٠ - ٢٣١

(١) خاتمة « الأنوار السنية » ، في آباء خير البرية ، تأليف محمد بن عبد الرقيب الشريف الأندلسي : المخطوط الآتي الذكر أواخر هذه الدراسة .

وفي عام ٩٧٠ هـ / ٦٢ - ١٥٦٣ م وقد على المغرب الأقصى جالية كبرى سكن معظمهم بفاس وبمدينة مراكش (١).

ثم كان الجلاء الأخير إلى مجموع الشمال الإفريقي عام ١٠١٨ هـ / (٢) ١٦٠٩ م .

ويقدر مؤلف عربي قريب من عصر الحادثة (٣) عدد الوافدين في هذه الهجرة بنيف وستائة ألف يضاف لهؤلاء المهاجرين المسلمين جالية يهودية طردت من إسبانيا في تاريخ سابق : عام ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م ، فقصد المغرب الأقصى نحو مائة ألف نفس . وتوزع شطر هذا العدد بين بقية المغرب العربي (٤) .

* * *

(١) « تاريخ الدولة السعدية » لمؤلف مجهول الاسم ، ص ٣٨ - ٣٩ ، مع بنية الناظر والسامع » لأبي القاسم الزياني ، مخطوطة المكتبة الملكية رقم ٦٧٨

(٢) جاء في « نهاية الأندلس » : « وقد صدر قرار النفي - كما قدمنا - في ٢٢ سبتمبر سنة ١٦٠٩ ، وهو يوافق جمادى الثانية سنة ١٠١٨ ، ولكن الرواية الاسلامية تضع تاريخ القرار في سنة ١٠١٦ هـ أو سنة ١٠١٧ هـ ، وهو تحريف واضح » : الطبعة الأولى ص ٢٩٨ ، ويؤخذ على المؤرخ عبد الله عنان أن تحريف الرواية الاسلامية لم يكن شمولياً ، حيث ان مصدراً مغربياً يوقت الحادث بعام ١٠١٨ هـ ، حسب « تاريخ الدولة السعدية » لمؤلف مجهول الاسم ص ٩٦

(٣) هو محمد بن عبد الرفيع الأندلسي عند خاتمة « الأنوار السنية » : المخطوط الآتي الذكر .

(٤) « تحفة الزائر » في مآثر الأمير عبد القادر ، وأخبار الجزائر » تأليف ابنه محمد : المطبعة التجارية بالإسكندرية ، ج ١ ص ٩

وساق هذه الهجرة الأندلسية وفود جاليات شرقية على المغربين الأوسط والأدنى ، وكانت هؤلاء هم الأتراك الممانيين الذين ابتداء حكمهم بالجزائر من عام ٩٢٤هـ / ١٥١٨ م ، وفي ليبيا عام ٩٢٦هـ / ١٥٢٠ م . وبتونس عام ٩٨١هـ / ١٥٧٣ م .

يضاف للجاليات الأندلسية والعثمانية الأسرى من البرتغاليين والاسبان ومن أمم أوربية أخرى ، وكان عددهم كثيراً في مجموع الشمال الإفريقي ، واعتنقوا الإسلام في نهاية الأمر ، حيث صار الواحد منهم يعرف باسم العليج ، ليؤدي مدلول مملوك أبيض البشرة (١) .

وأخيراً : ظهر بالمغرب الأقصى عنصر المماليك الذين استعملهم المنصور السعدي من السودان (٢) .

وقد خلف هؤلاء الوافدون - أنداسيون وأتراك وسوام - مجموعة من التأثيرات التي كانت - في غالبيتها - إيجابية ، وبرزت في الوضع السكاني والاقتصاد ، والعمارة ، ونظم الحكم ، والثقافة ، وسوى ذلك ، وسيكون

(١) حسن حسني عبد الوهاب : «ورقات عن الحضارة العربية ، بإفريقية التونسية» نشر مكتبة المنار بتونس ، القسم الثالث ص ٢٦٢ ، انظر مجلة «قطوان» العدد التاسع ص ٦٦

(٢) كان المنصور السعدي أضاف إلى الجيش المغربي فرقة سودانية ، وهو ما يثبت مؤرخو العصر العلوي الأول ، انطلاقاً من أبي القاسم الزياني إلى الناصري في الاستقصا ج ٧ ص ٩٦

تحليل هذه التأثيرات هو موضوع الأبواب التالية ، بعد أن انتهى مدخل هذه الدراسة .

* * *

ونذكر - أولاً - أن هذه الوفادات المتنوعة ، أحدثت تبديلاً واضحاً في الوضع السكاني على امتداد المغرب الكبير ، حيث طرأت عليه عناصر بشرية لم تكن معروفة به من قبل ، وقد ضاعفت هذه المجموعات الوافدة عدد السكان السابقين ، وانبثق عنها طبقات جديدة تتميز بأنظمة حياتها وتقاليدها .

* * *

وبالنسبة إلى العنصر الأندلسي ، صار تأثيره واضحاً في المغارب الثلاثة ، وبخاصة في حقل الفلاحة والصناعة والمعمار .

فالذين نزحوا منهم بأرياف تونس اغتصوا الكروم والزيتون وغرائب الفواكه والثمار ، كما حفروا القنوات ، وصنعوا المجلات ، ومهدوا بها الطرق للمسافرين ، وشيدوا الجسور .

وابتنوا - من جديد - أكثر من عشرين بلداً أكبرها مدينة تستور (١) التي شيدت منارتها على هندسة بديعة ، حتى إن الناظر إليها من أعلاها يشاهد

(١) « المؤنس » ص ١٨٣

« الحلل السندسية » في الأخبار التونسية « للوزير السراج » عند أوائل المجلد الثاني من مخطوطة الخزنة العامة بالرباط ، سنة ١٢٦٦ ، و « المحاف أهل الزمان .. » ، ج ٢ ص ٣١

قعرها ، حيث وضعت على شكل أسطواناني فارغ الوسط (١) ، وكانت مرصعة بساعة زادت في بهجتها (٢) .

وفي تونس العاصمة استوطنوا حومة الأندلس ، وزقاق الأندلس وغيرهما ، وأسسوا بحومة الأندلس جامعها ، وبنوا المدرسة الأندلسية (٣) .

(١) « تعاليق حاضر العالم الإسلامي » للأمير شبيب أرسلان : الطبعة الثالثة ج ٢ ص ٤٩

(٢) « تاريخ معالم التوحيد » لمحمد بن الخوجة : المطبعة التونسية ص ٨٣ وهناك دراسة عن مدينة تستور أنجزها المستشرق الفرنسي جورج مارسيل باسم « تستور وجامعها الكبير » ، ونشرها « بالمجلة التونسية » بالعدد ٤٩ لسنة ١٩٤٢ م ، ثم عربيا - عن الفرنسية - الأستاذ التونسي مصطفى زبيس ، ونشرت الترجمة بمجلة « الثريا » ، ابتداء من المجلد الأول عدد ١٢

(٣) « إنحاف أهل الزمان » ج ٢ ص ٣٠ ، ويقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في محاضراته : « مصير الأندلسيين » : « ... فأما تونس فنزلها منهم أهل الصنائع والفنون : فأهل الصنائع الدقيقة سكنوا المدينة ، وهم أهل الثروة منهم ، وبنوا لأنفسهم حومة تعرف بزقاق الأندلس قرب جامع القصر ، وأما أهل الصنائع الأخرى وبعض الفلاحين من أهل الحواضر فسكنوا ريف باب السويقة ، وهم أول من بنى هناك خارج السور ، فبنوا الحومة المعروفة بحومة الأندلس ، ولم يزل من يقايام هناك عائلات منهم عائلة الأندلوس .

ثم يقول بعد هذا : « أما بلد بنزرت فقد سكنها الأندلسيون ، وبنوا بها حومة تعرف - الآن - بحومة الأندلس ، وأسسوا قريبا قرية منزل جميل ، ومنزل عبد الرحمن ، والعالية ، وغار الملح » .

وقد وردت مقتبسات من المحاضرة العاشورية في « تعاليق حاضر العالم الإسلامي » ، ج ٢ ص ٥٩ - ٦٣

وبالجزائر تزلوا بعدة جهات : منها تلمسان ووهران ودلس وغيرها ،
وكان منهم من نزل سهل متيجة بنواحي البليدة ، وأحدثوا به غراسة
النارنج والبرتقال (١) .

والذين سكنوا الجزائر العاصمة ، أسسوا - بحارتهم - معهداً كان
يشتمل على مدرسة علمية ، وكتاب قرآني ، ومسجد للصلاة (٢) .

وقد أسس الأندلسيون بالمغرب الأقصى مدينة تطوان ، وجدّدوا
مدينة الرباط ، وبمدينة مراكش اعتمروا جانبها الغربي الذي صار يعرف
بروض الزيتون ، وبنوا بالمشيدات الثلاثة الدور والقصور والمرافق ،
واغتمسوا خلف أسوارها جنات معروشات وغير معروشات ، في مساحات
شاسعة (٣) ، وتميزوا بطريقة خاصة في تشييد المباني السكنية في تصاميمها

(١) « تاريخ الجزائر العام » ج ٢ ص ٣٠٦ - ٣٠٧

(٢) صفحات في تاريخ مدينة الجزائر « لنور الدين عبد القادر ، مطبعة
البعث بقسنطينة ، ص ١٦٥

(٣) ورد ذكر اعتمار الأندلسيين بمدينة مراكش، عند القشتالي في « مناهل
الصفاء » ، مطبعة ومكتبة عصرية بالرباط ص ٤٢ ، مع « بغية الناظر والسامع »
للزياني : المخطوط الوارد عند التعليق رقم ١ ص ٨٤٢

وقد تكرر ذكر الأندلسيين - سكان مراكش - بعد هذه الفترة التي نعرضها ،
فأبو سالم العياشي يشير لأحدهم ، آخر رحلته المنشورة بالمطبعة الحجرية القاسية :
ج ٢ ص ٣٧٢

وقد عاد من رحلته بتاريخ ١٧ شوال عام ١٠٧٤ هـ =

وزخرفتها وشكل بواباتها ، وهو النموذج الذي استمر مفضلاً في القصور القديمة بالرباط وسلا وتطوان . وفي فاس : كانت مباني السلطان أبي عبد الله ابن الأحمر الوافد على هذه المدينة بعد سقوط غرناطة ، ويقول عنه المقرئ (١) « وبني بفاس بعض قصور على طريق بنيات الأندلس ، رأيتها ودخلتها » .

كذلك امتاز الأندلسيون بصناعات وفدوا بها على المغرب الكبير ، أو أحيوا بها صناعات قديمة ، مثل المنسوجات الحريرية ، والصياغة ، وصناعة الجوارب ، وعمل الحصر ، ومن ذلك صناعة القلائس الجمرة : الطربوش التونسي بتونس ، والشاشية في فاس (٢) .

وفي الرباط وتطوان : نشير إلى « صندوق العروس » ، وكان

= ثم ورد ذكره عند محمد المكي بن موسى الناصري بمناسبة وصفه لحفلة صلاة العيد التي ترأسها السلطان العلوي : المولى سليمان ، وهو يقول في هذا : « ثم جاء أهل الأندلس القاطنين (كذا) بالحمراء ، وبين أيديهم لواء أخضر ، وامتازوا به عن غيرهم وجعلوا يخرجون البارود ... » ، « الرياحين الوردية في الرحلة المراكشية » ، ضمن كنانة بالخزانة العامة بالرباط ، ج ٨٨

(١) « نفح الطيب » : المطبعة الأزهرية المصرية ، ج ٢ ص ٦١٧

(٢) « دائرة المعارف الإسلامية » : انترجمة العربية ، مج ٦ ص ٤١ - ٦٤

محمد السائح في مقدمة « سوق المهر » ، إلى قافية ابن عمور : المطبعة الاقتصادية بالرباط ، ص كح .

« ورقات عن الحضارة العربية » القسم الثالث ، ص ٢٦٦

يصنع من عود العرعر الصلب في هيكل غاية في الكبر ، لتجمع به العروس لباسها ورباشها (١) .

هذا إلى تجديدات أندلسية طورت تصنيع عدد من المعدات الدفاعية . ويقول ابن الخوجة (٢) عن التأثير الأندلسي في تونس بالخصوص : « وكان امتزاج الأندلسيين بأهل تونس كلقاح خصيب للأمة التونسية ، لأن أسلافنا أخذوا عنهم أحوالاً كثيرة في باب الصنائع اليدوية ، ومنها تجليد الكتب وزخرفتها بأبداع أسلوب ، وتعلموا عنهم - أيضاً - كيفية عرض البضائع للبيع بالحوانيت : من جمعها وضم المتشابه منها بعضه لبعض . وكان لنسوة الأندلس فضل على بنات تونس ، لأنهن علّمن ابنة البلاد تدبير المنزل من تأنيث وطبخ وحلاويات ، وكانوا - في تونس - لا يحسنون قبل ذلك من أصناف الحلويات غير الفالودج ... » .

وهكذا نتين نماذج من التأثيرات التي وفد بها الأندلسيون على تونس وسائر المغرب الكبير ، فاستفاد منهم المغاربة أساليب جديدة في تطوير الفلاحة والصناعة والمعمار ، وقد ذكر ابن القاضي (٣) عن المنصور الذهبي أنه ظهر في عصره حرف مهمة لم تكن معروفة بالمغرب ، ومن المتبادر أن تكون الحرف الأندلسية الوافدة مما يندرج في فقرة المؤرخ السعدي .

* * *

(١) مقدمة « سوق المهر » ، ص كح .

(٢) « تاريخ معالم التوحيد » ، ص ٨٣ .

(٣) مخطوط المتتقى المقصور : عند المقدمة .

وقد برز التأثير العثماني على مستوى نظم الحكم ، وهو ما اتسمت به أنظمة المغريين الأدنى والأوسط في الإدارة والدفاع ومشتقاتها ، ولحسن الحظ فإن هذه التجديدات التركية بالجهات المشار إليها ، قد فصلت إجراءاتها المصادر المعنية بالأمر (١) .

بينما كانت مشلات هذه الترتيبات بالمغرب الأقصى لا تزال بحاجة إلى توضيح فلهذا سنتوسع - قليلاً - في عرضها .

ونشير إلى أن المغرب اقتبس - قليلاً - من الأنظمة التركية الإدارية .

وكان أولها ظهوراً إحداث رتبة المفتي ، بحجارة لتقليد تركي قديم من عهد محمد الفاتح ، ويبتدىء ذكر هذه الحطة بالمغرب من أيام محمد الشيخ السعدي ، حيث قلد منصب الفتوى بفاس لمحمد بن عبد الرحمن بن جلال ، المغراوي التلمساني تزيل فاس (٢) .

(١) من نماذج هذه المصادر عن تونس : « إتحاف أهل الزمان » ج ٢

ص ٢٦ - ٢٧

« خلاصة تاريخ تونس » تأليف حسن حسني عبد الوهاب ، الدار التونسية

للنشر ، ص ١٦٠

وعن الجزائر : « تاريخ الجزائر العام » ، ج ٢ ص ٢٧٧ - ٢٨٨

« صفحات في تاريخ مدينة الجزائر » ص ٧٢ - ٩٣ . ومن مستنبعات هذه الظاهرة انبعاث المذهب الحنفي بالمغريين : الأدنى والأوسط ، وهناك معلومات عن هذه الظاهرة بالنسبة لتونس ، في تاريخ معالم التوحيد ص ٣٩ - ٤٠

مع ص ٩٠ - ٩١

(٢) « دوحه الناشر » ، ص ٩٠ - ٩١

وفي عصر عبد الله الغالب - خلف محمد الشيخ - أسند نفس الخطة بمدينة مراكش إلى محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي التلمساني نزيل المغرب (١) وقد سلف ذكره مع سابقه .

ومن الأنظمة الإدارية التي لم تكن معروفة بالمغرب من قبل ، وضع العلامة أو الطابع بأعلى المراسيم ، وهي عادة قديمة في الدولة السعدية ، وعن عصر المنصور يفرق القشتالي (٢) بين موضوعات الكتب ذات العلامة ، والأخرى ذات الطابع ، وهو يقول في هذا عن مخدومه : « . . . فتارة بيده الكريمة إن كانت الكتب أجوبة أو ظواهر ، وتارة بالطابع إن كانت مظالم أو براوات الأشغال والعطاء » .

ثم كلف من التجديدات الإدارية التي عرفها المغرب أيام المنصور السعدي ، إحداث مؤسسة استشارية باسم « الديوان » ، وهذا - بدوره - تنظيم تركي ، عرفه المغربان في مجمع يضم - أصالة - شخصيات عسكرية ينضاف لها مستشارون مدنيون (٣) ويقول الإفرائي (٤) عن الديوان المغربي :

(١) « المصدر » ، ص ٨٦

(٢) « مناهل الصفا » ص ٢٠٦

(٣) يقول ابن أبي دينار عن تربيّات العثمانيين بثونس : « وجعلوا قوانين يتميزون بها ، وحذوا في أول أمرهم - في الأحكام - حذو ديوان الجزائر » ، « المؤنس » ، ص ١٧٩ . وجاء عند ابن أبي الضياف عن القائد التركي : سنان باشا : « ورتب أعياناً من أهل البلاد يحضرون في ديوان العسكر قائلين لقلوبهم » الخاف أهل الزمان ج ٢ ص ٢٧

(٤) « نزهة الحادي » ، ص ١٤٢

« كان المنصور .. مشاوراً في قوام الأمور ، وقد اتخذ يوم الأربعاء^(١) للمشاركة وسماه يوم الديوان ، يجتمع فيه وجوه الدولة وأعيانها ، ويتطارحون فيه وجوه الرأي فيما ينوب من جلائل الأمور ، وعظام التوازل .

وقد استمرت هذه المؤسسة إلى ما بعد أيام المنصور ، حيث جاء عن إجراءات بيعة محمد الشيخ الدلائي بفاس ، أنها حضرها الجم النفير من أهل الديوان^(٢) ، وكان محمد بن الأنهب من أعضائه في هذا الوقت بالذات^(٣).

* * *

وبعد هذه الاقتباسات الترككية في حقل الإدارة ، تأتي تجديدات الدفاع المغربي ، ومن الجدير بالملاحظة أن المغرب سار في هذا الصدد على الاستفادة من خبرات المهاجرين الأندلسيين ، ومعرفة الأسرى الأعلاج ، واقتبس كثيراً من الأنظمة العسكرية العثمانية ، كما حافظ على المفيد من أساليب الدفاع الوطني القديم .

* * *

(١) جاء عند كل من ابن القاضي والقشالي : أن الديوان المنصوري كان يتعقد أيام السبت والاثنين ، والأربعاء :

« مخطوطة المنتقى المقصور » أوائل الباب السابع . « مناهل الصفا » ، ص ٢٠٥

(٢) مخطوطة « البدور الضارية » لأبي الربيع سليمان الخوات ، عند الفصل الأول من الباب السادس .

(٣) المصدر نفسه ، عند الفصل الخامس من الباب السابع .

وقد كانت المفاجأة التي تفوق بها البرتغاليون هي الأسلحة النارية الحديثة ، ولذلك صار لها الأسبقية في استمدادات المغاربة لمعارك التحرير . ويرتقي أقدم نص معروف في هذا الاتجاه إلى أواخر أيام الوطاسيين : على عهد أبي العباس أحمد الوطامي ، المتوفى عام ٩٦١هـ / ١٥٥٣ م .

وقد أنشأ معملًا لصنع الأسلحة النارية بساحة القصر المملوكي من قاس الجديد ، وصار يستخدم لإنتاج المدافع والبندقيات والبارود (١) .

وبعد هذا — أوائل أيام السعديين — كان في جيش عبد الله الغالب فرقة مدفعية قوامها جيوش جرارة من الأندلسيين المهاجرين قبل الجلاء الأخير (٢) .

ثم تكاثر هذا السلاح من بعد ، حتى إن حملة عسكرية صارت مجهزة بمائة وخمسين من الأنفاض (٣) عام ٩٨٣هـ / ١٥٧٦ م ، وقد لا تكون هذه المدافع كلها من صنع محلي ، وإنما فيها مستوردات من الخارج .

واستكثر عبد الملك المعتصم من إنتاج هذه المدافع ، وكان عارفاً بصنعها ، وأشرف — بنفسه — على إعداد نحو ثمانية منها (٤) .

وبنى المنصور الذهبي معملًا جديدًا لإنتاج الأسلحة النارية باسم « دار

(١) أرجوزة « عروسة المسائل » ص ٣٦ - ٣٧

(٢) « مناهل الصفا » ، ص ٤٢

(٣) « تاريخ الدولة السعدية » لمؤلف مجهول الاسم ، ص ٥١

(٤) محمد المتونني : « صناعة الأسلحة النارية بالمغرب » ، مجلة دعوة الحق

السنة ١٣ ، العدد ٨ ، ص ١٠٤

العدة ، وكان مركزه بمقربة من القصة الملكية بمدينة مراکش ، ويقول القشتالي (١) عن وفرة منتجات هذا العمل ومستورداته :

« وأما ما يفرغ - مع الأيام - من مدافع النار ومكاحلها بدارالعدة المائلة قرب أبوابهم . . . إلى ما يجلب - مع الأحيان - على يد المعاهدن من تجار الحربيين : من السيوف الهندية ، والقسي الرومية ، والمكاحل النارية ، فشيء غصت به الخزائن السلاحية ، والديار العادية ، .

* * *

وإلى جانب هذا العمل الجديد ، اهتم المنصور - مرة أخرى - بابتناء الأبراج لاستخدام المدافع ، وشيدت على وضع بدافيه - واضحاً - تأثير الجاليات الوافدة من الأندلسيين والأعلاج ، وقد صارت هذه المشيدات يحمل الواحد منها اسم « بستيون » ، وهو تعبير إسباني عن الحصن .

وقد عرف المغرب من هذه الأبراج أربعة عشر موزعة بين أربع مدائن اثنان منها بمدينة العرائش ، وواحد بتازا ، واثنان خارج فاس العتيق على مقربة من بابي الافتوح والشربعة ، وقد كان هذا الأخير يعرف ببرج النار ، تدليلاً على مهمته المدفعية ، أما باقي الأبراج - وعددها تسعة - فقد أحاطت بأسوار فاس الجديد (٢) .

* * *

(١) « متاهل الصفا » ، ص ٢١٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦٣ - ٢٦٥ ، مع المنتقى المنصور عند الباب العشرين ، وهو الذي يحدد أبراج فاس الجديد بتسعة .

وفي حقل تنظيم الجيش على طراز جديد ، نشير إلى أن عبد الملك المعتم هو الذي تبنى هذه المبادرة ، وكان - قبل ولايته - زار الجزائر وتونس والاسطانة ، وأعجب بترتيبات العثمانيين ، ولهذا عمد ، لما صارت الدولة له ، إلى تنظيم الجيش المغربي على الطراز العثماني ، وأسرف في هذا التقليد ، وحمل الناس عليه حملاً عنيفاً أثار معارضة شديدة .

غير أن أخاه أبا العباس المنصور ، استطاع التوفيق بين التقليد العثماني والحفاظ على المشاعر الوطنية ، فاختص الرؤساء العرب بالمشورة وقيادة فرق الفرسان ، وأسند إلى الأعلّاج قيادة الفرق الأخرى للجيش البري^(١) ، بينما جعل قيادة الأسطول إلى أميرال مغربي^(٢) .

وباستثناء الأسطول فإن سائر أنظمة الجيش المنصوري صارت مقتبسة من العثمانيين : في ترتيب الجيش ، وألقاب الرتب ، وشكل اللباس ، وتنظيم المواكب .

كما أن لباس الملوك السعديين صار على الطراز العثماني ، ابتداء من عبد الملك المعتم الذي جاء في ترجمته^(٣) أنه كان يتزيّأ بزي الأتراك . ومن التقاليد العسكرية التي عرفها المغرب في عهد المنصور ، إطلاق

(١) « مناهل الصفا » ص ٢٠٠ - ٢٠١

(٢) المصدر نفسه ص ٢٠٤

(٣) « نزهة الحادي » ص ٧٠ ، وتلقيب - قديماً - من مؤرخ مغربي كبير أن الزي التركي استمر لباس سلاطين المغرب ، ولم يتغير إلى اللباس المغربي إلا من عهد السلطان العلوي أبي الربيع .

المدافع عند المناسبات ، وفي هذا يقول القشتالي (١) عن وقع هذه المدافع في مدينتي فاس :

« وإذا انتهت رعودها في العيدين عند العود من المصلى ، ولورود
بشارة عظمى ، فلا تسأن عن تزلزل الأرض ورجفانها ، ويمتد على البلدين
ركام البارود كأنما هو ليل مطبق .. » .

* * *

وقد أحيا المغرب السعدي حركة الجهاد في البحر ابتداء من أيام
المنتم الذي يقول عنه مؤرخ مغربي (٢) : « وأمر بإنشاء السفن في
العرائش وسلا ، وصار أهل الأندلس يسافرون في البحر مع أهل المغرب ،
وضيقوا بالنصارى أشد تضيق . وكثرت الغنائم » .

وبعد هذا تدخل المنصور الذهبي وأعد الأسطول بمرمى رباط الفتح .
ونوه بخطة أميرال البحر ، فأستدعاه مغربي . أذال منه فيما بعد بقائد تركي
يقول عنه القشتالي (٣) : « ... فهو اليوم — قبطان الأسطول الإمامي
الجهادي . ورئيس الجماعة من رؤساء المراكب الجهادية ، والقطائع البحرية » .

* * *

وننتقل — الآن — إلى الجور الثقافي لنحاول الكشف عن آفاق
التجديد التي عرفها هذا القطاع على امتداد المغرب الكبير .

(١) « مناهل الصفا » ، ص ٢٦٤

(٢) « تاريخ الدولة السعدية » لمؤلف مجهول الاسم ، ص ٥٣

(٣) « مناهل الصفا » ، ص ٢٠٥

وبلاظ - في البداية - أن كلاً من الحكام العثمانيين والسعديين لم يبذلوا محاولات لتطوير التعليم .

وساق هذه الظاهرة تبدل تلقائي في عدد من الكتب الدراسية ، لتحل محلها موضوعات حديثة التأليف طنى عليها أسلوب الاختصار طفيانه على عدد من المؤلفات الدراسية الأخرى .

ومن جهة أخرى فإن الحركة العلمية خمدت في تونس من بداية التدخل الإسباني إلى أوائل المائة الهجرية الحادية عشرة^(١) ، بينما نزح عنها بعض الأعلام مضافاً لهم عدد وافر من أعلام الجزائر نزحوا عن المغرب الأوسط في مناسبات مختلفة ، وقصدت غالبية هؤلاء وأولئك مدينة فاس ، كما أن علماء السواحل المغربية المحتلة لجؤوا بدورهم إلى نفس المدينة .

وبهذه الهجرات - من هنا وهناك - انبثق نوع جديد من التلاقح الفكري على مستوى المغرب العربي ، وصارت مدينة فاس ملتقى لهذا التلاقح ، بينما استمرت عناصر علمية أصيلة تزدان بها مدن من الجزائر .

وفي إطار هذا كله عرف المغربان - في ميدان التعليم والتأليف - بارقة تجديد تلقائي ، ولو أنه محدود ، وخاضع لأسلوب الاختصار الذي صار طابع الثقافة الإسلامية في هذا العصر .

* * *

(١) جاء في التاريخ الباشي عن الحاضرة التونسية في هذه الفترة : « وقد كان العلم - لأول دولة الترك - قد ارتفع منها بالمرّة » ، نقله - باختصار - في انجاف أهل الزمان ج ٢ ص ١١

. وهكذا استجد بالمغرب الأقصى دراسة بعض العلوم العقلية ، بعدما وفد إلى فاس محمد بن خروف الأنصاري التونسي ، وكان بارعاً في المنطق والكلام وأصول الفقه والمعاني والبيان^(١) ، والغالب أن الذي تجدد بالمغرب هو دراسة هذه المواد على طريقة المتأخرين .

كذلك انبث في نفس الجهة دراسة الهندسة بفاس ومراكش ، وهنا نحيل إلى بحث منشور في هذا الصدد^(٢) ، وإنما نشير إلى انبعاث تعليم الطب بالمغربين - معاً - اعتماداً على ألفية ابن سينا ، وقد علق عليها - بطلمان - محمد بن يوسف السنوسي شرحاً مات دون إكماله^(٣) ، وأقرأها بفاس كل من عبد الرحمان سفين العاصمي^(٤) ، وعبد الوهاب

(١) يقول عنه أبو حامد محمد العربي الفاسي : « الشيخ الإمام ، وحيد عصره بالمغرب في الأصولين ، والبيان ، والمنطق ، أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل خروف التونسي ، وكان قد قرأ في تونس ومصر وغيرها ... وأقام بفاس تقرأ عليه تلك العلوم ، فهو مجدد سدد تعليمها بالمغرب ، وعنه أخذت على الحقيقة » « مرآة المحاسن » ص ٩

(٢) انظر : محمد المنوني : أساتذة الهندسة ومؤلفوها في المغرب السعدي « مجلة « دعوة الحق » : السنة التاسعة ، العدد الثاني ، ص ١٠١ - ١٠٤

(٣) أحمد بابا التنبكي عند ترجمة السنوسي من « نيل الابتاج » ، المنشور بهامش الديباج المذهب لابن فرحون ، مطبعة المعاهد بالقاهرة عام ١٣٥١ هـ ص ٣٢٥ - ٣٢٩

(٤) جاء عنه أنه كان يشارك في الطب ويحسن ألفية ابن سينا ، حسب =

الزقاق (١) ، وعبد الواحد بن عاشر (٢) ، وبفهمارة : عبد الوارث بن عبد الله البصوتي (٣) .

= مخطوطي : فهرسي المنجور : الكبرى والصغرى ، ونقل أحمد بابا التنبكي عن نسخة ثالثة من فهرس المنجور : « بقرى ألفية ابن سينا » « نيل الابتاج » ص ١٧٧

(١) شرح أرجوزة طيبة لناظمها القائد عبد الكريم بن مؤمن بن يحيى العليج ، خ ، ع ، ج ، ١٦٢ ، وهو يذكر في مدخلها أنه قرأ جلّ أرجوزة ابن سينا على أستاذه عبد الوهاب الزقاق .

ومن الجدير بالإشارة أن المؤلف يذكر اختصاصه بالسلطان السعدي عبد الله الغالب ، وقد ورد ذكره - عرضاً - في « مناهل العفا » بوصف حاجب نفس السلطان ، ص ٢١٢ ، وعده في تزهة الحادي ص ٥١ من وزيارة مع اسمه بالجنوي ومثله في « الاستقصا » ج ٥ ص ٥٧

(٢) محمد مبارزة : في ترجمة أستاذه ابن عاشر ، من مخطوط « نظم الآتي والدرر » ، في اختصار مقدمة ابن حجر « ، خ . ع ك ٩٣١ : عند الفصل الأول .

(٣) « دوحة الناشر » ص ٦ ، ووقع في نسبه من « الدوحة » المطبوعة : البصوتي بتقديم الصاد على اللام ، وهو تحريف عن البصوتي بتقديم اللام ، نسبة إلى بلصو بفتح أوله وسكون ثانية وضم الصاد ، ويقال إنه ابن محمد بن أبان ابن الخليفة عثمان بن عفان (رض) ، كما يذكر أنه دخل المغرب عام ٩٠ هـ حيث نزل بقبيلة بني زروال من قبيل الأخماس ، قال أبو الربيع سليمان الحوات : واتخذها داره حتى لقي الله ، وبقي بها أعقابها ، وم - إلى اليوم - منتشرون ، وقبره فيها مزاراة كبرى على مرحلتين من شفشاون ... وعوام تلك الناحية يقولون له بارزو » .

قال في « دوحة الناشر » عن نسب الشيخ عبد الوارث الذي نعلق عليه : //

ومن أواخر هذه الفترة بدأت مدارس الزوايا الصوفية في الظهور ،
في مناهج تعتمد المواد الدينية والعربية ، مع تكوين أخلاقي رفيع ،
وكان أول ما عرف منها بالمغرب الأقصى مدرسة تستاوت الملحق بزاوية
الشيخ محمد بن مبارك الزعري^(١) عند عمالة خنيفرة ، ثم تتابع ظهور
هذه المدارس بالأطلس المغربي على امتداد أقسامه ، وفي الصحراء وفاس .

* * *

وقد بدأت حركة التأليف تنتظم - أكثر - بالمغرب ، وفي الميدان
الفقهي عرفت مدينة فاس نهضة جديدة تهدف إلى لون من فلسفة الفقه
المالكي : باستنباط أصول مسائل الخلاف ، واستنتاج قواعد المذهب ،
ومقارنة مسائله ، مع مراعاة تطورات المجتمع المغربي انطلاقاً من المائة
الهجرية التاسعة .

= « ويقال إن بالصو هذا جده هو يلصو بن عبد الله بن أبان بن عثمان بن
عفان رضي الله عنه » ، وقد عقب أبو الربيع الخوات على هذه الفقرة وقال :
« وهو خطأ صراح » ، إذ ليس في بني أبان بن عثمان من اسمه عبد الله .

انظر عن بالصو هذا مخطوطي :

« سنا المهندي » لعلي مصباح الزرويلي : عند خاتمة الكتاب .

مع « الروضة المقصودة » لأبي الربيع سليمان الخوات : عند الباب السابع ،
لدى ترجمة محمد بن سعادة الخمسي .

(١) هناك إشارة لهذه المدرسة وتسمية زمرة من طلابها الذين بلغ عددهم
ألف طالب ، حيث ورد ذلك بتقييد لمؤلف مجهول الاسم في الترجمة المباركية ،
حسب نسخة مخطوطة منه في المكتبة الملكية رقم ٧٢٦

وقد ساهم في خدمة هذا الاتجاه مجموعة من أكابر الفقهاء المشترعين :
 أبو الحسن الزقاق ناظم أرجوزة « المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب » (١) .
 ثم أبو العباس أحمد الوثيري التلمساني نزبل قاس ، مؤلف كتب
 « المعيار » و « إيضاح المسالك إلى قواعد الامام مالك » مع « عدة
 الفروق » في تلخيص مافي المذهب من الجروع والفروق (٢) .

وألّف محمد بن أحمد بن غازي « كليات المسائل الجارية عليها
 الأحكام » (٣) .

وعمد عبد الواحد الوثيري إلى « نظم كتاب إيضاح المسالك »
 لوالده نظماً مستوعباً مع إضافة زيادات موضوعية ، وله -- سوى هذا --
 نظم كثير من تظاير المذهب وكثير من مسائله (٤) .

(١) نشر بالمطبعة الحجرية الفاسية ضمن شرحه للنجور .

(٢) أول هذه المؤلفات وثلاثها منشوران بالمطبعة الحجرية الفاسية ، والثاني مخطوط
 في نسخ متعددة ، منها واحدة عتيقة متلاشية ، غير أنها مذيبة بثلاثة تقاريط ،
 آخرها لمحمد بن عبد الرحيم بن يحيى التازي ، وهي بالكتبة الملكية رقم ٨٥٢٢ ،
 وهناك نسخة بخزانة وزان رابعة ، مجموع رقم ٦٨٠ ، ومن المقرضين عليها : عبد الرحمن
 ابن محمد الجذامي الشهير بالبردعي ، وأحمد الغرناطي الشهير بالأندلسي ، وابن يحيى
 آتف الذكر ، وأحمد بن محمد الحباك ، وعبد الواحد الوثيري ابن المؤلف ،
 وأخيراً أحمد العبي .

(٣) نشر الموجود منها بالمطبعة الحجرية الفاسية .

(٤) « فهرس النجور » عند ترجمة أستاذه الوثيري ، ونظمه المشار له

ووضع أبو العباس المنجور « شرحاً على أرجوزة المنهج المنتخب » ،
الزقاق ، كما « شرح نظم أستاذه عبد الواحد الوثريسي لكتاب « إيضاح
المالك »^(١) .

وأخيراً : أبو الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي نزيل
الجزائر ، وهو ناظم « أرجوزة اليواقيت الثمينة » ، في العقائد والأدب
والنظائر في فقه عالم المدينة^(٢) .

وقد انبثق عن هذا المجهود الفكري ظهور تشریحات فقهية تسار

= لا يزال مخطوطاً ، ومنه نسخة بالكتبة الملكية رقم ٦١٥٥ ، وهي مذيبة بتقريب
عليها ، نظمه - في بحر الرجز - تلميذ المؤلف ومعلم أولاده : عبد الرحمن الكولالي
والد أبي سالم إبراهيم الكولالي الفقيه النوازلي المعروف .

(١) علم من التعليق رقم ٣ في الصفحة السابقة : أن شرح المنجور للمنهج المنتخب
منشور ، أما المؤلف الثاني فلا يعرف عنه سوى ذكره عند ترجمة الوثريسي من فهرس
الشارح حيث يذكر أن الشرح لا يزال لم يخرج من مبيضته .

(٢) هكذا ورد اسم المنظومة في ترجمة موجزها عند الهي في « خلاصة
الأثر » : المطبعة اوهبية بالقاهرة ، ج ٣ ص ١٧٣ - ١٧٤ ، غير أن الأرجوزة
حددت عنوانها ، في الأبيات الختامية : « باليواقيت الثمينة ، فيما اتسمى لعالم المدينة » ،
وقد فرغ من نظمها بمدينة الرباط ، بتاريخ الجمعة من صفر عام ١٠٣٩ هـ .

لا تزال هذه المنظومة مخطوطة في نسخ قليلة خاصة أو عامة ، ومنها واحدة
بخط جزائري - أول مجموع ، خ ، ع ، ك ١١٦٧ ، ويوجد شرحها بالخرانة نفسها
لمحمد بن أبي القاسم السجلماسي - بخط مغربي - ، آخر مجموع يحمل رقم

التطور المغربي في ميادين الأحوال الشخصية والمعاملات ، وهي المسائل التي صارت تعرف بالعمل القاسي ، حيث ألم ببذة منها أبو الحسن الزقاق أواخر منظومته « الزقاقية » في المسطرة القضائية ، ثم توسعت مسائل هذه العمليات ، لتظهر مجموعتها في فترة لاحقة ، منظومة في أرجوزة العمل القاسي ، لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر القاسي (١) .

وقد ازدهرت في الحقبة التي نعرضها كتابة التراجم انطلاقاً من :
« النجم الثاقب فيما للأولياء من المناقب » لمحمد بن سعد التلمساني (٢) .
و « دوحة الناشر لمحسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر »
لمحمد بن عسكر الشفشاري (٣) .

و « البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان » ، لمحمد بن مريم التلمساني (٤) .

و « جذوة الاقتباس » ، فيمن حل من الأعلام مدينة فاس ، ، مع

(١) تكرر نشرها هي واللامية الزقاقية بالمطبعة الحجرية والملكية :
منفردتين ومشروحتين .

ونستدرك هنا فنشير إلى أن ظاهرة جمع القواعد في هذه الفترة ، استخدمها أبو العباس أحمد زروق في تأليف رسالته التي تحمل اسم « القواعد » ، غير أن هذه تنازلت التصوف وأصوله ، في ٢١٧ قاعدة منشورة بالمطبعة العلمية بمصر عام ١٣١٨ هـ

(٢) لا يزال مخطوطاً في نسخ قليلة ، منها واحدة في مجلد بالمكتبة الملكية

رقم ٢٤٩١

(٣) نشرت - مرتين - بالمطبعة الحجرية القاسية .

(٤) منشور في المطبعة الثعالبية بالجزائر .

« درة الجبال في أسماء الرجال » : الاثنان لأبي العباس ابن القاضي الفامي .

و « أزهار الرياض » و « نفع الطيب » مع « روضة الأزهار العاطرة الأنفاس » في ذكر من أقيمت من أعلام الحضرتين : مراکش وفاس : الثلاثة لأبي العباس المقرئ التلمساني تزيل فاس (١) .

هذا فضلاً عن فهارس الأشياخ والتراجم الشخصية .

وقد كان أشهر طبيب مؤلف في هذه الفترة هو أبو القاسم الوزير الغساني الفامي ، ويقول عنه الدكتور الفرنسي رينو : « إنه عقلية مستثناة بالنسبة إلى عصره واجو الذي عاش فيه ، وينبغي الحكم على عمله بموازنته مع الكتب العديدة في مادة الطب لمؤلفين آخرين من العرب » (٢) .

وقد كان من مظاهر النشاط الثقافي في الحقبة ذاتها ، بحث حركة التعريب بكل من المغرب وتونس ، محاولة للاستفادة من معطيات الانبعاث بأوروبا ، وإسهاماً في بوارد النهضة الحديثة ، وصارت هذه الظاهرة — بالمغرب الأقصى — من اهتمامات كل من المنصور السعدي وابنه زيدان .

ففي أيام المنصور قام أبو القاسم الوزير الغساني الفامي بترجمة مؤلف إلى العربية ، وأعطى الترجمة اسم « معني اللبيب عن كتب أعداء

(١) هذه المؤلفات الخمسة كلها منشورة ، وأكثرها تكرر طبعه .

(٢) كتاب (العلم عند العرب) تأليف المستشرق الإيطالي الدوميلي : الترجمة

العربية المنشورة في مطابع دار القلم بالقاهرة ، ص ٤١٨

الحبيب ، ولم يوضح المصدر المعني بالأمر موضوع الكتاب المغرب ، ولا يبعد أن يكون في الطب أو الصيدلة .

وقد أنجزت - في نفس العصر - ترجمة أخرى تناولت مؤلفاً طيباً مباشرة أبي العباس أحمد بن أحمد بن الحسن المسفيوي المراكشي^(١) . وجاء عن زيدان : أن أسيراً إيرلاندياً يحمل اسم أنطوان ، كان يترجم - برسمه - الكتب اللاتينية إلى القشتالية ، وعن هذه اللغة ينقلها بعض الأعلاج إلى العربية^(٢) .

ولا يبعد أن تكون هذه نفس الطريقة التي تمت - بواسطتها - الترجمات الواقعتان على عهد المنصور ، حيث أشير لها وشيكا .

وقد كان في بلاط زيدان مترجم من مهاجري الأندلس : شهاب الدين أحمد بن قاسم بن أحمد الحجري الملقب بأفوفاي ، وبعد وفاة مخدومه قام بالمهمة نفسها لدى ولديه : (عبد الملك الثاني ثم الوليد) .

(١) انظر محمد التوني : « ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي » مجلة « اللسان العربي » : العدد الأول ، ص ٥٣ - ٥٥ .

وهناك نشرة ثانية مزيدة للدراسة نفسها : في صحيفة « معهد الدراسات الإسلامية في مدريد » : المجلدان ١١ ، ١٢ سنة ١٩٦٣ - ١٩٦٤ م ، ص ٣٢٩ - ٣٥٨ .
ونشرة ثالثة مزيدة أكثر في مجلة « دعوة الحق » : السنة العاشرة ، العدد الثالث ، ٧٤ - ٩١ .

(٢) Gaston Deverdun (Marrakech des origines à 1912)
Editions techniques Nord — Africaines — 1959 — I Texte —
Page 434 .

والظاهر أن من مترجمات الشهاب الحجري بالمغرب ، تعريب رسالة الزيج الذي وضعه - في تعديل الكواكب - إبراهيم زاكوط اليهودي الأندلسي السلنكي ، وكان هذا كتب رسالته بالعبرانية ، ثم نقلها - بمدينة مراکش - إلى القشتالية تليذ المؤلف : المعلم يوسف الأندلسي ، وعن هذه اللغة ترجمها الحجري إلى العربية .

وبعدما أقام هذا الأخير بالمغرب أكثر من ٣٨ عاماً انتقل إلى حاضرة تونس ، حيث أنجز - بها - ترجمة أخرى بعنوان : « كتاب العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع » ، وكان الأصل العرب - عن القشتالية - ألفه - في فن المدفعية الحديثة - مهاجر أندلسي إلى تونس : إبراهيم غانم بن أحمد غانم الأندلسي ، المعروف - بالإسبانية - بلقب الرباش^(١) .

وهكذا : سيكون « كتاب العز والمنافع » رابع المعربات في

(١) انظر محمد التنوي : « ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي » ، ص ٥٥ - ٦٣ من نشرة مجلة « اللسان العربي » المشار لها وشيكاً ، وقد ورد بهذا المصدر الإشارة إلى النسخة الوحيدة التي كانت معروفة من الزيج الزاكوطي ، وهي بالمكتبة الملكية رقم ١٤٣٣ ، ثم ظهر بالمكتبة نفسها نسخة ثانية من هذا الزيج برسالته وجداوله ، في سفر مستقل صار يحمل رقم ٨١٨٤ ، وجاء في آخر الرسالة في تعابير ضعيفة هكذا : « تمت الرسالة للجداول ، ترجمة من عبراني إلى لغة اللتين في لسان رمنص ، وهي اللغة العجمية المتصرفة في بلاد اسبانية ، وهي بلاد الأندلس . على يد المعلم يوشب (يوسف) قليذ المؤلف للجداول ، وترجمها - من اللسان الرمنص - عبد الله وأسير ذنبه ، الراجي عفوريه : قاسم بن أحمد ابن الفقيه قاسم بن الشيخ ، الحجري الأندلسي كان الله له بنه ، آمين » .

الفترة التي نعرضها ، ولحسن الحظ فإن هذه الترجمة مع تعريب الرسالة الزاكوطية ، استمرامعروفين في عداد المخطوطات ، بينما نجمل - الآن - مصير الترجمتين الواقمتين في عهد المنصور الذهبي .

* * *

ومتابع الآن عرض معطيات الجـو الثقافي الجديد ، ونشير إلى أن وضع الاحتلال بالمغرب الكبير ، أتاح الظهور لمحاولات تهدف إلى إصلاح الحالة الاجتماعية ، عن طريق أوضاع ثرية أو شعرية ، فكان هناك من يتناول الدعوة إلى الجهاد لتحرير البلاد ، بينما يربط آخرون واقع المغرب بتفاقم البدع ، أو بالانحلال انعقائدي أو الخلقي .

* * *

وفي صدد الذين تناولوا الدعوة للجهاد يقول الناصري (١) بمناسبة حديثه عن فترة الغزو الأجنبي بالمغرب الأقصى ، ويميز انبـمات أدب المقاومة الوطنية :

« . . . ولقد ألف الناس في ذلك العصر التأليف في الحـض على الجهاد والترغيب فيه ، وقال الخطباء والوعاظ في ذلك فأكثروا ، ونظم الشعراء والأدباء فيه وثرؤا .

فمن ألف في ذلك الباب فأفاد ، الشيخ ، المتفنن ، البارع ، الصوفي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن يـبش التازي ، قال في « الدوحة » وقفت له على تأليف ألفه في الحـض على الجهاد في سبيل الله ، فكان بما

(١) « الاستقصا » ، ج ٤ ص ١١٢

ينبغي أن يتناول باليدين ، ويكتب - دون المراد - بالبعين ، أودعه
نظماً ونثراً .

ومن نظم في ذلك فأجاد : الشيخ ، الصالح ، المتصوف ، المجاهد :
أبو عبد الله محمد بن يحيى البهلوي ، قال في « الدوحة » : كان هذا
الشيخ من لازم باب الجهاد وفتح له فيه ، وله في ذلك أشعار وقصائد :
زجلية وغيرها .

والتأليف الذي أشار له الناصري لا يزال مخطوطاً في نسختين : (خاصة)
يتخللها بتر ، والثانية ضمن مجموع رقم ق ٣٣٦ في الحزانة العامة بالرباط ،
وهو يحمل اسم « تنبيه المهم العالية » ، على الصدقة والانتصار للملة الزاكية
وقمع الشرذمة الطاغية .

أما أشعار البهلوي فلا يزال مجموعها غير معروف ، وأثبت في «دوحة
الناشر » مطالع ثلاث قصائد منها : ثنتان زجلتان ، والثالثة معربة .

* * *

وإلى جانب الدعوة للجهاد اهتم أبو العباس أحمد زروق الفاسي بنقد
بدع التصوف وبالحصوص في كتابه :

« عدة المريد الصادق من أسباب المقت » ، في بيان الطريق القصد
وذكر حوادث الوقت ، وهو مخطوط متداول .

مع « النصيح الأنفع والجنة » ، للمعتصم من البدع بالنسبة ، أشار
له السوداني (١) .

(١) « نيل الابتهاج » ص ٨٥ ، والغالب أن النصيح الأنفع عنوان ثان لكتاب
عدة المريد . وهكذا جاء عنوان العدة في مخطوطتين اثنتين : خ . ع . ق : رقم ٧١٠
آخر مجموع ، مع رقم ١٠٤٥ أول مجموع .

وكان لاتجاه الإمام زروق تجاوب - أكثر - بالمغرب الأوسط ،
فوضع أبو حفص عمر بن محمد الكهاد الأنصاري القسنطيني الشهير بالوزان
كتاباً في الرد على الشايين بالقيروان (١) ، مع العلم بأن المؤلف من
الآخذين عن الشيخ طاهر الزواوي تلميذ الشيخ زروق (٢) .

كما أن عبد الرحمن الأخضرى نظم الأرجوزة « القدسية » ، في
التصوف السني والتحذير من البدع ؛ ووالد ناظمها : الصغير بن محمد
الأخضرى تلميذ مباشر لزروق (٣) .

وستأتي هذه الأرجوزة رابعة المؤلفات التي تناولت بدءاً خاصة ،
ونذكر بعدها موضوع أبي محمد عبد الله الهبطي (٤) ، غير أن هذا اهم

(١) « فهرس التجويز » عند ترجمة أستاذه اليسيتي ، مع « درة الحجال »
رقم ١١٨٤

(٢) انظر ترجمة الزواوي في « نيل الابتهاج » ص ١٣٠ ، وعند ابن مريم
في البستان ص ١١٦

(٣) انظر المهدي البوعبدلي : « الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين :
الحفصية - والتركية وآثارها » مجلة « الأصالة » ، السنة الرابعة ، العدد ١٩ ، ص
١٤٤ - ١٤٥ ، وقد أشار إلى أن الأرجوزة نشرت ناقصة ضمن « مجموعة الرسائل
النيرية » عام ١٣٤٦ هـ ، غير أنها ليست واردة بالمجموعة المشار لها .

وقد فوه بالأرجوزة الأخضرى أبو العباس الطالب أحمد بن طوير الجنة الوداني ،
واقتبس منها ٢٥ بيتاً في شروط الذكر وما إليه ، حسب رسالته : « فيض المنان
في الرد على مبتدعة هذا الزمان » ، مخطوطة المكتبة الملكية رقم ٤٠٦ ؛

(٤) ترجمته في « دوحه الناصر » ص ٦ - ١٣ ، ولولده محمد بن عبد الله الهبطي
« أرجوزة » مطولة في ترجمة والده وأسماء عيون أصعابه ، ولا تزال مخطوطة .

بالبدع بصفة عامة في أرجوزته المطولة التي تحمل اسم : « الألفية السنية » ،
في تنبيه العامة والخاصة على ما غيروا في الملة الإسلامية ، ، وهو ينقد فيها
المجتمع المغربي على سائر المستويات ؛ ولا تزال مخطوطة .

وبالإضافة إلى هذه الألفية خلف المؤلف نفسه منظومات صغيرة
ورسائل في التحذير من بدع جبال غمارة ، وقد كان موقعها في مجاورة
منطقة المد البرتغالي ، ولا شك أن هذا الجوار للمحتل صار له تأثير في
وفرة الدعاة بهذه الجهات ، من أقران أبي محمد عبد الله الهبطي وتلاميذه
الذين نهجوا طريقته - نظماً وثوراً - في نقد الابتداع ، وكان منهم :

أبو البقاء عبد الوارث اليلصوتي (١) . وأبو حفص عمر بن عبد الوهاب
الحسني العلمي (٢) وأبو الربيع سليمان الحاج المالوي الزجلي (٣) . وأبو القاسم

(١) ترجمته في دوحة الناشر ص ٥ - ٦ ، وقد أثبت له أبو العباس أحمد بن
عرضون - آتي الذكر - قصيدة زجلية مطولة ضد جملة من مبتدعات قبيله ، حسب
« مختصر مقنع المحتاج في آداب الأزواج » ، ط. ف. ص ٢٦ - ٣١

وللشيخ عبد الوارث هذا رسالة لاتزال مخطوطة باسم « المسلك القريب الموصل
إلى حضرة الحبيب » ، وهو يحمل في مواضع منها على الانحراف الصوفي ، في هجة
قوية يبدر أنها موجهة ضد ابتداع الطائفة اليوسفية سابقة الذكر عند التعليق رقم ٢ ص ٨٣٣

(٢) ترجمته في « ممتع الأسماع » : المزمة ١٠ ص ٧ - ٨ ، حيث يقول عنه :
« وكان متين الدين ، صلباً في الحق ، قوالبه ، لا يخاف - في الله - لومة لائم » .

(٣) له قصيدة في جملة من محدثات قبيله ، أشار لها ابن عرضون في مقنع
المحتاج المخطوط ، وفي مختصره المنشور بالمطبعة الحجرية الفاسية ، ص ٣١ .

ابن علي بن خجّو الحسّاني^(١) . وأبو العباس أحمد بن الحسن بن
عرضون الرّجّلي^(٢) .

* * *

وعلى امتداد المغرب الكبير ظهر - خلال الفترة ذاتها - استعمال
التبغ : بالتدخين أو النشوق ، وكانت مناسبة لظهور أوضاع في الدعوة
لرفض هذا الوافد ، فحظّره الفقهاء المعنيون بالأمر ، ومن بينهم أبو العباس
المقري النّلمساني ، وأبو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي^(٣) ، وأبرز هذا
الأخير - في فتواه - عواقب استهلاك التبغ على العملة الوطنية حسب
الفقرة التالية .

(١) يصفه ابن عسّكر عند ترجمته بناصر السنة وميت البدعة ، حسب
« دوحه النّاشر » ص ١٣ ، ويقول عنه ابن عرضون في « مقنع المحتاج » :
« ورسائله في هذا المعنى - من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - لا تخص كثرة »
هذا بالإضافة إلى ماسجله في شرحه لترجيح مسائل ابن جماعة في البيوع ، حيث نبه
على محذّات قبيله ، وشنع على مبتدعاتهم .

(٢) هو مؤلف كتاب : « مقنع المحتاج في أدب الأزواج » الذي يقع في مجلد
كبير ، ولا يزال مخطوطاً في نسخ محدودة ، ثم استخرج منه مؤلفه مختصراً نشر
بالمطبعة الحجرية الفاسية في ١٢٠ ص ، وقد تبينا من الإحالات على المؤلفين ضمن
التعليقات القريبة نماذج من مناهضة ابن عرضون للبدع المنتشرة بين قبيله .

(٣) نقل محمد ميارة نص الفتويين - معاً - من خط صاحبيها ، وأثبتها في شرح
نظم تكميل المنهج : ط . ف : المزمة السادسة ص ٨ ، مع كامل اللزمتين :
السابعة والثامنة .

• • • • •

= ومن الجدير بالإشارة أن جواب أبي زيد بن محمد الفاسي ، نشر - بالطبعة الحجرية الفاسية - في صفتين من ورقة واحدة ، غير أنه جاء منسوباً لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي ، وهو سهو واضح من الناشر ، حيث تبيننا أن الجواب منقول من خط صاحبه مباشرة ، وثقله تلميذ للمجيب ، وليس تلميذاً لأبي زيد بن عبد القادر ، وإنما هذا من الآخذين عن ميارة ، حسب ترجمته في طالع شرح الميمري للعمليات الفاسية .

وبعد هذا نوضح أن جواب أبي زيد الفاسي جاء للرد على سؤال في الموضوع ، بعث به - من تطوان إلى فاس - ابن أخي المجيب : أبو حامد محمد العربي الفاسي ، وصاغه في أسلوب مطول استوعب أربع صفحات من الحجم الكبير ، وهذا السؤال هو الذي يسميه الإفرائي بـ «سهم الإصابة في حكم طابة» ، حسب ترجمة محرره من «صفوة من انتشر» ، ص ٧٩

ونعقب - الآن - بكلام في الاتجاه ذاته ، ورد في جواب لأبي سالم إبراهيم الكلالي ونصه بطوله :

« ... وأما ما يفعله سفلة التجار من سفرهم الاقتصادي إلى أرض الحرب ، والدخول تحت حكمهم ، ونقل ذخائر المسلمين من النقود الجيدة وغيرها من أنواع ما يستعينون به ويتقنون على المسلمين بسببه ، فلا يحتاج إلى جلب نص على منع ذلك وتحريره لشهرة ذلك في كل ديوان ، بل بما شاع وذاع عند خيبة قدرة تستد من مجرد سماعها الآذان ، وتطيش من فضيحتها العقول والأذهان ، وهي أعمال السفر لبلاهم ، والدخول تحت قهرهم وحكمهم ، بالنقود الجيدة : الذهب الخالص ، والفضة الخالصة ، وأنواع السلاح وما يؤثر إليه ، ودفع ذلك في أعشاب الأرض يسمونه بالنار والدخان ، فهي رزية وما أعظمها ، وبلية وما أخسها ، ومحنة عظيمة ولا خالده بن الوليد لها »

« . . . ولو نظر إلى ما عرض فيها من إضاعة المال كما هو صورة الواقع لكان صحيحاً وجلياً ، فقد تطرق من ذلك ضرر للإسلام وذو به ، ونفع لأهل الكفر ، بحيث اختصوا بالجليل من سكة الإسلام ، بل واستبدوا بالكثير من أموال المسلمين ، وفي ذلك ضرر عام يفضي إلى توهين الإسلام وقلّ حدة ، باستفراغ جل ما بأيديهم من عين الذهب والفضة ، وتقوية الكفرة بتلّ يدمر بما لا ينقص شيئاً من منافعهم وأقواتهم وذخائرهم ، ولا

= . ومن أغرب ما حدثني به بعض الثقات من أصحابنا التجار ، بعد أن سأله عن الذهب الجيد الذي كان يتبايع به المسلمون ، وأين ذهب ، وهل هو باق عند الناس في ذخائرهم ، وأين صار ؟ فقال لي : إن التاجر لا يختزن الدينار ولا الدرهم لعدم انتفاعه بفضل ذلك ، وإنما يختزن ما يكون له فيه ربح . فقلت له فأين ذهب ذهب المغرب كله ، قال لي : عند النصارى دمرهم الله في سلعة الدخان المشوم ، فاستغربت ذلك من قوله ، فقال لي : أحدثك بالواقع لي ، وذلك أنني سافرت إلى مدينة سبتة ، أعادها الله دار إسلام ، فثمت بها قريباً من عشرين يوماً أنتظر سلعة الهند ، لعلني أجد ما أشتري ، فلم أجد شيئاً ، فبينما نحن في انتظار ما يظهر من أغراض ، فإذا بسفن قدمت من عدوة النصارى ، ففرحت ، فلما أurst لم نجد فيها عدا الدخان ، فما كان من صبيحة الغد ، حتى كانت كلها موزونة على ذمة مشتر ، فيها خمس عشرة مائة قنطار ، لم يدفع في ثمنها إلا الذهب الجيد ، وبقيت بعد ذلك من خمسة عشر يوماً مقيماً أنتظر ما أشتري ، فقضيت بعض أغراضي ولم أستكملها بنلة ومهانة ، ورجعت لشغل تطوان فوجدت دخانها كلها قد نفذ ، وصار إلى من سخط الله عليه ، فنفدت نقود المسلمين كلها في دخان لا أصل له ولا حقيقة ، ولا منفعة حسية ولا معنوية ، ولا متكلم ولا نكير ، فإن الله وإنما إليه راجعون » نقله التسولي في « نوازل » ، أثناء باب الجهاد وملحقاته ، مخطوطة المكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم ٧٩٨ ، ج ١ ص ١٩٤ - ١٩٥

من عدتهم وعددهم ، وقد منع الشرع من جلب المنافع إليهم من طعام وشمع ، وأخرى السلاح ، وأي سلاح أقوى من الذهب والفضة .

فصار مدارها ومآل أمرها إلى إنجاد الكفرة ، وإقعاد المسلمين عن الدفاع ، وأي مفسدة فوق هذا .

على أنه عاد من ذلك ضرر وخرج في السكة يعرفه أهل المعاملات ، وكفى بذلك كله مانعاً .

ولاعطاء تحريم التبغ صبغته الرسمية ، حكم به قاضي فاس ، وسجل الحكم عليه بذلك ، واستناداً لهذا أمر المنصور السعدي بإحراق المتداول منها لدى الباعة ، فأحرقت بديوان فاس الجديد^(١) .

ونشير - الآث - إلى عالم جزائري كتب في موضوع تحريم الدخان في فترة لاحقة ، وهو عبد الكريم بن محمد الفكون القسنطيني ، وقد ألف جزءاً سماه : « محدّد السنان في فحور إخوان الدخان »^(٢) ،

(١) من جواب مخطوط في نفس الموضوع ، لشيخ الجماعة بفاس : أبي العباس أحمد بن الحياط الزكاري الحسني الفاسي ، مع « التوازل الوزانية الصغرى » ، ط . ف ، ج ١ ص ٢٧٦ ، وديوان فاس الجديد الوارد في الفقرة التي نعلق عليها ، جاء ذكره - أيضاً - في فوازل الشريف العلمي ، ط ، ف ، ١٣٣٢ ، الملزقة ٣٣ ص ٤ ، وهو يورده بتصوير مفسر هكذا : « ... ديوان النصاري كان هؤلاء هم الذين كانوا يتاجرون باستيراد التبغ وبيعه في فاس وغيرها من جهات المغرب » .

(٢) ترجمته في « شجرة النور الزكية » رقم ١٢٠٣

ثم نلص منه أبو سالم العياشي (١) ، وكان بما ورد في تخلصه في سياق ذكر المؤلف .

« . . . ثم نقل كلاماً في تحريره لصاحبه الأستاذ أبي عبد الله محمد السوسي المغربي المتوفى بأجزائر سنة ثلاث وعشرين بعد الألف . . . ونقل ما استحضره من كلام جمال الدين مفتي القيروان ، ثم نقل أجوبة في تحريره منظومة لبعض الفاسيين » .

وفي إطار حركة الإصلاح الاجتماعي الذي نتابع عرضه ، اتجه مفكرون - من المغريين - إلى تجديد الدعوة لتوعية الجماهير - رجالاً ونساء - بالتعريف بالمقيدة الإسلامية ، ولأشك أن هذا جاء في موازاة حركة التبشير المسيحي الذي يواكب الغزو البرتغالي والإسباني (٢) .

وتبنت هذه الدعوة العقائدية بأجزائر : محمد بن يوسف السوسي في أوضاعه الكلامية التي أخاف لها البراهين السمعية والعقلية ، حتى يتسلح الموحدون بما يدحضون به شبه الإنكار على عقائدهم .

(١) « الرحلة العياشية » ط ، ف ، ج ٢ ص ٣٩٦ - ٤٠٠

وتوجد نسخة كاملة من « محدد السنان » بالمكتبة الملكية أول مجموع رقم : ٦٩٢٩ ، بخط محمد بن عبد الرحمان الحسني التادلي ، كتبه بمدينة طرابلس الغرب سنة رجوعه من الحج الفرض ، وفرغ منه يوم الأحد ٢٧ رمضان عام ١١٧٨ هـ ، نقله من نسخة بها تصحيف وتحريف في بعض مواضعها ، وأيضاً يتخلل المنتسخ يياض في صفحة كاملة منه .

(٢) انظر « تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها » ، تأليف الدكتور شوقي

الجل ، المطبعة الفنية الحديثة بالقاهرة ، ص ١٢١ - ١٢٤

وبالمغرب الأقصى اتدب للاتجاه ذاته عبد الله الهبطي ، وألف بدوره عقائد مبسطة في مستوى الجماهير من الرجال والنساء والصبيان ، ويقول عنه في « دوحة الناشر » (١) : « وكانت كثيراً ما يحض على فهم مدلول الشهادتين بل اتخذ ذلك هجيراً وديناً لما رأى من استيلاء الجهل على الخلق ، وألف في علم الهيلة أجزاء كثيرة ، أكبرها جرماً وأكثرها فائدة : كتاب « الإشادة بمعرفة مدلول كلمة الشهادة » .

واحتذى حذو الهبطي تلميذه أبو القاسم بن خجو الحساني ، وكان يدعو إلى معرفة قواعد الإيمان بالكتابة وباللسان ، وبلغن التوحيد حتى باللهجة الغمارية لمن لا يعرف اللسان العربي (٢) .

ويبدو أن خطر التبشير المشار له ، كان الحافز لإدماج عقيدة التوحيد ضمن الوظيفة الجزولية (٣) ، حيث لا تزال تلتزمها بعض دروع هذه الطائفة المنبثة بسائر جهات المغرب العربي .

* * *

والآن : نتساءل هل خلف المهاجرون الأندلسيون أو الأمري من الأعلام تأثيراً في ثقافة هذه الفترة ؟

وفيما يخص الأندلسيين تبيننا سلفاً - أن غالبيتهم وفدوا على الشمال

(١) ص ١٢

(٢) ابن عريون في « مقنع الحجاج » : المخطوط المتكرر الذكر .

(٣) المعنى بالأمر هو المعروف « بحزب سبعان الدائم لا يزول » ، ويوجد نصه في « النور الشامل » ، تأليف أبي العباس أحمد بن المهدي الغزالي ، مطبعة الصدق الخيرية بالقاهرة ، ص ٥١ - ٥٢

الإفريقي بعدما قضوا مدة طويلة تحت المسخ والتبديل المسيحي ، لدينهم ولقنهم وثقافتهم ، بما لا يتحرك أثراً للتعاليم الإسلامية ، ولا يستثنى من هؤلاء سوى بضعة أفراد استطاعوا الحصول على درجة من الثقيف العربي في جو من السرية والحذر^(١) ، وقد حافظت النصوص على أربعة أسماء من هذه الفئة نعرضها حسب تسلسلها التاريخي تحقيقاً أو تقريباً .

ويحمل أولها اسم الشيخ شبان ، عالم الأندلسيين الوافدين على تونس ، وأستاذ مدرستهم التي شادوها بعاصمة الحضراء^(٢) .

أما الثاني : فهو الشهاب أحمد الحجري ، سابق الذكر في عداد المترجمين إلى العربية ، وقد ألف - أصالة - كتابين :

« رحلة الشهاب إلى لقاء الأحاب » ، والغالب أن موضوعها وصف رحلته عن الأندلس في هجرته إلى المغرب ، ولا يعرف منها - حتى الآن - سوى فقرات تناقلتها بعض المصادر المغربية .

والمؤلف الثاني الذي وضعه الحجري : هو « ناصر الدين على القوم الكافرين » كتبه - بمصر - باقتراح من عالمها أبي الحسن علي الأجهوري في اثني عشر باباً ، وضمنه مناظراته - بأوربا - مع النسيحين واليهود^(٣)

(١) من نماذج هذا الوضع قصة تلقين العربية لمحمد بن عبد الرفيص الأندلسي من طرف والده ، حسب خاتمة « كتاب الأنوار السنية » : المخطوط المتكرر الذكر .

(٢) إتحاف أهل الزمان ، ج ٢ ص ٣٠

(٣) انظر محمد التوني : « ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي » : الدراسة المنشورة بالعدد الأول من مجلة « اللسان العربي » ، ص ٥٥ ، ٥٧

وقد قامت المستشرق الإيطالية : كليا شارنلي بنشر القسم الخاص بالمغرب الأقصى من هذا الكتاب ، مع ترجمته إلى الإيطالية ، وذلك عن مخطوطته الكاملة المحفوظة بدار الكتب المصرية . وسيأتي - بعد الحجري - محمد بن عبد الرافع بن محمد الشريف الأندلسي المرسي الأصل ، التونسي المهجر ، المتوفى - بمكة المكرمة - عام ١٠٥٢ هـ / ٤٢ - ١٦٤٣ م ، وهو مؤلف « الأنوار السنية في آباء خير البرية » ، رتبها على ثمانية فصول ، ذيلها بخاتمة تشتمل على معلومات نادرة تتناول مأساة الأندلسيين بإسبانيا ، وحياة الجالية الأندلسية بتونس ، فضلاً عن معلومات أخرى عن ترجمة المؤلف نفسه ، وعن حاضرة تونس .

ولحسن الحظ فإن الكتاب لا يزال معروفاً في نسختين مخطوطتين : الأولى مغربية بالحزانة العامة بالرباط رقم ك ١٢٣٨ ، في ٣٦٣ ص ، ويبدو أنها بخط المؤلف الذي تولى مقابلتها بنفسه ، وخطه أندلسي أصيل واضح مليح ملون .

وقع الفراغ من تأليف الكتاب - بحضرة تونس - عشية الجمعة سادس شعبان عام ١٠٤٤ هـ / ١٦٣٥ م ، ومن انتساخه أواخر شعبان المؤرخ به في الأصل .

أما النسخة الثانية : فهي تونسية بالمكتبة العاشورية ، ويبدو من وصفها أنها منقولة عن المخطوطة المغربية ، بواسطة أخرى مكتبة بتونس العاصمة بتاريخ أواخر جمادى الآخرة عام ١٠٤٩ هـ ، ولا يعرف - الآن - مصير هذا الأصل ، وقد كتبت منه النسخة الماشورية بخط تونسي حديث ، بتاريخ الثلاثاء ١٥ صفر عام ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م .

اقتبس من خاتمة الأنوار السنية محمد بوجندار في « مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح » (١) ، وبواسطة هذا المصدر أورد نفس المقتبس الأمير شكيب أرسلان ، في كتابه الاثنين : « تعاليق حاضر العالم الاسلامي » (٢) ثم « الحلل السندسية » (٣) .

وأخيراً نشر الأستاذ التونسي عبد المجيد التركي — عن المخطوطة العاشورية — مقدمة الكتاب وخاتمة ، ضمن موضوع : « وثائق عن الهجرة الأندلسية الأخيرة إلى تونس » (٤) .

وننتقل الآن إلى المهاجر الأندلسي : يوسف الحكيم ، وكانت له خبرة ببعض العلوم ، ومنها الطب والتنجم والكلام والفلسفة ، وأقام بفاس ، حيث كان يتوحد إلى أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي ، وشهد له بالتقدم في مادتي الكلام والفلسفة (٥) .

وقد يكون هذا مؤلف « النور الباهر في نصرة الدين الطاهر » ، حيث يسمي نفسه : يوسف بن عبد الله الإسلامي ، وهو يذكر أنه انتقل إلى الاسلام من اليهودية — التي كان من أحبارها — بعد عام ١٠٢٠ هـ / ١١ - ١٦١٢ م .

(١) مطبعة الجريدة الرسمية : الرباط . ص ٢٠١ - ٢١٦

(٢) الطبعة الثالثة ، ج ٢٠ ص ٢٤ - ٣٥

(٣) المطبعة الرحمانية بمصر ، ج ١ ص ٣٨٠ - ٣٨١

(٤) « حوليات الجامعة التونسية » ، العدد الرابع ، سنة ١٩٦٧ ،

ص ٢٣ - ٦٣

(٥) « أزهار البستان » ، تأليف أبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر

الفاسي ، مخطوط المكتبة الملكية رقم ٥٨٣ ، آخر الباب الثالث .

وقد ساق في كتابه — عن التوراة — نصوصاً فاطقة بصحة دين الإسلام ، ولما لم يكن متين العربية فقد ناول الكتاب لقاضي الجماعة بسوس : عبد الرحمن التمارني ، فهدب عرييته ، وأتمه يوم الثلاثاء ٢٤ جمادى الثانية عام ١٠٥٣ هـ (١) / ١٦٤٣ م ، والكتاب لا يزال مخطوطاً في ٢٣ ص ، حيث صار في حوزة القاضي المرحوم مولاي سعيد بن الحسن بن السعيد العلوي .

وهنا نعيد إلى الذاكرة اسم المعلم يوسف الأندلسي ، الوارد ذكره — سلفاً — بمناسبة قيامه بترجمة رسالة الزيج الفلكي لإبراهيم زاكوط ، حيث نقلها من العبرانية إلى القشتالية .

ويهمنا أن نشير إلى أن هذا يتقدم عصر يوسف الحكيم الذي عاش إلى أوائل المائة الهجرية ١١ (٢) ١٧ م ، بينما كان مترجم الزيج الزاكوطي تلميذ المؤلف زاكوط المتوفى في العشرات الأولى من القرن العاشر هـ ق ١٦ م (٣) ، فلذلك لا يتوقع أن يكون هذا الأخير هو الذي يحمل اسم يوسف الحكيم .

(١) « خلال جزولة » لمحمد المختار السوسي . المطبعة المهدية بشطوان ،

تج ٤ ص ١٧٧ - ١٧٨

(٢) تعرف فترة حياته من خلال اتصاله بأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الغاسي ، وهذا كانت وفاته عام ١٠٣٦ هـ .

(٣) انظر : محمد المتوئي : « ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي » ، مجلة « دعوة الحق » ، حيث توجد بلشرة هذه المجلة إضافة عن حياة زاكوط : العدد الثالث ، السنة العاشرة ، ص ٨٦

وإلى هنا ينتهي عرض أربعة مؤلفات دونها - بالعربية - ثلاثة من الأندلسيين في المهجر المغربي ، ومن الواضح أن تأثيرها في الحقل الثقافي سيكون ضعيفاً .

وعلى عكس هذه المؤلفات نتوء بموضوعين سبقت الإشارة لها ، وخلفا أصداء ملحوظة .

الأول « زيغ » إبراهيم زاكوط اليهودي في تعديل الكواكب ، وكان مؤلفه - بالعبرانية - أقام بتونس عدة سنوات ، وصار لترجمة زيجه تأثير في عدد من المؤلفات الفلكية بالمغرب الأقصى^(١) .

الثاني : « كتاب المدفعية الحديثة » ، ألفه - بالاسبانية - إبراهيم غانم الأندلسي ساكن تونس ، وهو الذي ترجمه الشهاب الحجري باسم « كتاب النر والمنافع للمجاهدين بالمدافع » ، فأفادت منه المدفعية التونسية كثيراً^(٢) .

وإلى هنا يصل بنا المطاف إلى واقع الأعلاج الذين انتشروا بالمغرب الكبير في الفترة التي نقدمها ، وكان أكثر تأثيرهم من جهة الاستفادة من ثقافتهم التقنية .

ومن نماذج هذا أن فرقة إسبانية استسلمت - بتونس - للقائد سنان باشا ، وأشعروه أنه يوجد من بينهم مائتان وخمسة من رجالهم أهل صناعات غريبة ، وقد أمنهم القائد التركي ، واستخدمهم في تفريغ المدافع وسبك

(١) الدراسة انسابقة نفسها ، مجلة « اللسان العربي » العدد الأول ص ٦٣ - ٦٦

(٢) نفس الدراسة والمجلة ، ص ٦١

التحاس ، وعلق ابن أبي دينار^(١) على هذا ويقول : « ومن ذلك الزمان كثرت صناعة المدافع بتلك الديار » .

وبالمغرب السعدي استخدم الأعلاج في تقنيات معامل السكر ، وتشيد الحصون الدفاعية ، وتنظيم فرق من الجيش المنصوري ، وعلنا — سلفاً — أن بعض الأعلاج — في بلاط زيدان السعدي — كان يعمل في تعريب الكتب من القشتالية إلى العربية .

* * *

وستكون هذه النقطة خاتمة النماذج التي يعرضها هذا البحث ، وفيها خطوط بارزة لآفاق تطوير حضارة المغرب الكبير تأثراً بواقس الغزو الأجنبي ، وما واكبه من الهجرات الأندلسية ، والوجود العثماني ، ووفادات أخرى متنوعة .

وقد رأينا في تلك النماذج اقتباساً جديداً من الاقتصاد والمعار ، وتناول أنظمة الحكم ووسائل الدفاع ، إلى تجديد في القطاع الثقافي ، وبالحصوص في انبعاث دراسة العقلية والهندسة والطب ، ومحاولات في حركة التعريب ، إلى مجهودات لتطوير التشريع الفقهي ، وإذكاء الروح الإسلامية وتهذيبها من البدع والمحدثات .

وقد كان مجموع هذه النماذج صالحاً ليكون نواة لبدء انبعاث المغرب الكبير ، والسير به نحو انبثاق عصر النهضة المغربية العربية ، كما بدأ في

(١) « المؤنس » ، ص ١٧٥ .

المغرب الأوربي عصر النهضة الجديدة ، غير أن الشمال الأفريقي وقف عند
البداية ، ليتبع التساؤل :

— لماذا هذا التوقف ؟

— وعلى من تلقى التبعة ؟

— وما طرق العلاج ؟

أسئلة مطروحة تنتظر الإجابة عنها .

الرباط

محمد المنوني

التعريف والنقد

« روضة المدارس »

نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية

الدكتور محمد زكريا عناني

« هذه دراسة نقدية تحليلية لـ روضة المدارس المصرية ، أول مجلة ثقافية علمية تصدر في مصر في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، فُكِّرَ في إصدارها علمت من أعلام النهضة الحديثة في بلادنا ، هما : علي مبارك ورفاعة رافع الطهطاوي .

وعندما صدر العدد الأول منها يوم السبت ١٥ من المحرم عام ١٢٨٧ من الهجرة ، الموافق إبريل سنة ١٨٧٠ ، كانت تطرح هذا السؤال الهام : على أي منهج يكون تحولنا الحضاري ؟ هل نعود إلى الماضي وتتمم بالعيش في فردوسه المفقود ، ونقطع كل صلتنا بالحاضر ؟ أم نقفز إلى آفاق المستقبل ونقطع كل صلتنا بماضينا المجيد ونهمل كل موارثنا الروحية والحضارية؟

وكان الجواب حاضراً ، تجسده شخصية رفاعة رافع الطهطاوي ، فهذا الرائد العظيم ثمرة ناضجة من ثمرات امتزاج الماضي بالحاضر .

بهذه السطور يقدم د. عبد العزيز السنوسي دراسته عن مجلة « روضة المدارس » التي أنجزها بالإسهام مع الأستاذ محمد عبد الغني حسن .

وقبل أن نعرض لهذا العمل بالتحليل والنقد ، نود أن ننوّه بالجهود العلمية والأدبية الأستاذ محمد عبد الغني حسن ، الذي يعد واحداً من أكثر العاملين في حقل الثقافة في مصر إخلاصاً ، وصفاء عبارة ، وسعة معرفة . وتقع هذه الدراسة في أكثر من أربعمئة صفحة من القطع الكبير ، تستهلها توطئة كتبها د. مهدي علام ، أشاد فيها بالعمل ، وتحدث في إيجاز عن نشأة المجلات الثقافية في أوروبا والشرق .

وتأتي بعد ذلك المقدمة التي وضها الدكتور عبد العزيز الدسوقي ، وتعد بمثابة تحديد للموضوع ، وتعريف بالمنهج الذي اتبعه المؤلفان ، وتقسيمها للعمل فيما بينها ؛ فالأستاذ محمد عبد الغني حسن كتب الباب الأول والثالث ، أما د. الدسوقي فكتب الباب الثاني وشارك في الباب الرابع ، واستقل بكتابة المقدمة والخاتمة .

وأظن أنه لولا هذه الإشارة لحسب القارئ أن المؤلفين دججا معاً كل فصول الكتاب مجتمعة ، ولما عرف أن كلا منها استقل بكتابة قسم معين (وإن كان الملاحظ ، مع ذلك ، أن الهوامش لا تظهر ، على نحو عام ، إلا في الباب الثاني وفي بعض فصول الباب الرابع ، فلعل كاتب هذه الفصول ذات الهوامش ، هو نفسه كاتب الباب الثاني) .

والباب الأول يتناول « روضة المدارس وما حولها » ، ويقدم أول ما يقدم فصلاً عن « ملامح العصر » - عصر إسماعيل - من خلال الحديث عن الحركة الثقافية آنذاك ، متمثلة في التعليم وفي تكوين الجمعيات العلمية ، مثل جمعية المعارف ، وفي ظهور المجلات العلمية من قبيل مجلة « يعسوب الطب » و « روضة المدارس » .

وهكذا يقودنا الحديث إلى « مولد روضة المدارس » تحت نظارة رفاة بك ، مدرس الإنشاء بمدرسة الإدارة والألسن ، وهو ابن رفاة الطبطاوي نفسه . وفي هذا الفصل تحليل لافتتاحية العدد الأول ، وهي ، على أهميتها ، لا تحمل توقيع كاتبها ، وقد تضاربت حولها الأقوال ، فذهب د . أحمد أحمد بدوي إلى القول بأنها من إنشاء رفاة (انظر « رفاة الطبطاوي بك ، ط ١ ص ٦٧) . ومال إلى هذا الرأي الأستاذ محمد خلف الله أحمد (في « معالم التطور الحديث في اللغة والأدب » ، ١٤/١) والأستاذ عمر الدسوقي (في كتابه « في الأدب الحديث » ، ط ٥ - ٧٩/١) وغيرهم ، ولكن الأستاذ محمد عبد الغني حسن - كاتب هذا الباب - يذهب إلى القول بأن الافتتاحية من إنشاء علي فهمي بدليل ما جاء في ثناياها من أن علي مبارك « أحال على الفقير مباشرة تحريرها ، ومناظرة ما يلزم لتحريرها » ، ومباشر تحرير « الروضة » هو علي فهمي ، كما مرّ بنا .

ويتعرض هذا الباب كذلك لمجلس تحرير المجلة ، وطريقة تبويبها ، كما يعرض لـ « لغة روضة المدارس وأساليب ذلك العصر » وما ظهر فيها من مقالات ونبد وملاحق كتب .. إلى أن نصل للفصل الختامي في الباب (ص ٨٨) حيث نرى « الروضة » « بين التلقف والتوقف » ، أما التوقف فيأتي بعد قرابة ثمانية أعوام عاشتها في خدمة العلم والثقافة .

وبالباب الثاني ، عن « الاتجاهات الأدبية والفنية » ، يبدأ بفصل تمهيدي تشبه فيه « روضة المدارس » بالبوتقة التي تنضج فيها كل العناصر العلمية والثقافية ، وهذا التشبيه ينطبق كذلك على رفاة ، فقد كان الرجل بوتقة امتزجت فيها عناصر عدة ، شملت الأدب والفكر والاجتماع والعلوم العسكرية والجغرافيا والتاريخ والاجتماع ...

وتتابع بعد ذلك فصول مختلفة تتعرض لبعض الجوانب الفنية ،
فالفصل الثاني موضوعه « بين المقامة والدراسة الأدبية » ، والفصل الثالث
يعرض للأنواع الأدبية في المجلة ، ويحيى فصل مستقل عن « حسين
المرصفي وحركة البحث في النقد العربي الحديث » .

أما الباب الثالث فيتناول « روضة المدارس بين اتجاهات العلم والفكر ،
وفيه بسط بعض ألوان الدراسات الاجتماعية والجغرافية والتاريخية والفلسفية ،
وكذلك بعض موضوعات العلوم والطب والرياضة التي ظهرت بالمجلة .

ويأتي الباب الرابع ليحدثنا عن « أعلام الروضة وكتابتها : حياتهم
ومصادر ثقافتهم » ، ومن هؤلاء الأعلام رفاعة وعلي مبارك وعبد الله فكري
وعلي فهمي رفاعة وصالح مجدي وعبد الله أبو السعود ومحمد عثمان جلال
وحمزة فتح الله وإسماعيل صبري ومحمد دياب وميخائيل عبد السيد والشيخ
علي الليثي والسيد علي أبو النصر . . . وعشرات غير هؤلاء ممن كان لهم
دور بارز في حياتنا الثقافية والعلمية .

ونجى الخاتمة فتحاول أن تحدد « أثر روضة المدارس في الحياة
الأدبية والفكرية » ، فمن آثارها المباشرة أنها كانت « تلبي الحاجات الثقافية
والفكرية والروحية التي تحتاج إليها الأمة العربية في نهضتها وتحولها الحضاري ،
ومن هذه الآثار « إثراء اللغة العربية بمجموعة من مصطلحات العلوم والفنون
نتيجة للترجمة والتعريب ، ونقل منجزات الحضارة الحديثة إلى العربية » ، كما
أن المجلة أسهمت أيضاً في تطوير الصحافة الأدبية بما خطته من تقاليد جديدة
واحتشاد علمي وأدبي وفني وإخراج جديد .

وتنتقل الخاتمة من التعميم إلى التخصيص ، فتتناول بعض أوجه أهمية

« الروضة » ، فيما يتصل ببيادين الأدب والنقد ، وفتح الريادة في مجالات الرواية والأقصوصة والمقال الأدبي والدراسات العلمية .

* * *

هذه خطوط سريعة عرضنا فيها لبعض مناحي هذه الدراسة الجادة الطلية الممتعة ، ولنا ، من بعد ، بعض ملحوظات :

● ينقل الأستاذ مهدي علام في التمهيد عن فيليب دي طرازي قوله « من دواعي الافتخار أن القطر المصري كان سباقاً في مضمار الصحافة العربية إلى نشر الجريدتين الأولىين اللتين قرأهما أبناء الضاد ، وهما جريدة « التنبيه » التي صدرت في ٦ من كانون الأول سنة ١٨٠٠ في الاسكندرية ... وجريدة « الوقائع المصرية » التي ظهرت في كانون سنة ١٨٢٨ في القاهرة » . والذي نظنه أن فيليب دي طرازي لم يذكر بالمرّة جريدة باسم « التنبيه » في كتابه « تاريخ الصحافة العربية » بل ذكر صحيفة أسماها « الحوادث اليومية » وقد استنتج اسمها استنتاجاً بما ورد في « عجائب الآثار » للجبرتي ، واستنتاجه جاء - على كل حال - في غير موضعه ، لأن الجبرتي ، في معرض حديثه عن الشيخ إسماعيل الخشاب ، يذكر أن « الفرنساوية هينوه في كتابة التاريخ لحوادث الديوان وما يقع فيه كل يوم ، لأن القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية في جميع دواوينهم وأما كن أحكامهم ، ثم يجمعون المتفرق في ملخص يرفع في سجلهم بعد أن يطبعوا منه نسخاً عديدة يوزعونها في جميع الجيش . . . فلما رقبوا ذلك الديوان كما ذكر كان هو المتقيد برقم كل ما يصدر في المجلس من أمر .. ولم يزل متقيداً في تلك الوظيفة مدة ولاية عبيد الله مينو حتى ارتحلوا من الإقليم » .

من هذا النص استدل فليب دي طرازي « أن الجبرتي روى عن إسماعيل الحشاش أنه كان يعتني بضبط « الحوادث اليومية » ويطبع منه نسخاً وبرزعها على جميع الجيش » ولست أدري ما جدوى كثرة بالعربية يصدرها الشيخ الحشاش بالنسبة لضباط الحملة وجنودها الذين يجهلون العربية ؟ ونضيف أن دي طرازي (ومن تبعه) تخطب أبداً تخطب بإزاء تلك الصحيفة المزعومة ؛ إذ نراه في موضع آخر من كتابه (٨٢/١) يقول : إن « أول جريدة عربية هي التي أنشأها نابليون الأول سنة ١٧٩٩ » ثم نراه بعد ذلك يتراجع عن رأيه (دون أن يصرح بذلك) فيورد قائمة بأولى الدوريات التي ظهرت في مصر ، ولا يذكر فيها شيئاً من أمر « الحوادث اليومية » أو « التنبيه » أو أي اسم آخر (انظر ١٦٢/٤) . وسنعود إلى هذه القضية في مقال مستقل - إن شاء الله - نقاش فيه آراء مؤرخي الصحافة العرب والغربيين .

● وفي التمهيد نفسه ينوّه الأستاذ الدكتور مهدي علام كذلك بالترجمات التي قدمها المؤلفان ، وهو تنويه في موضعه ، لولا أنه يضيف « وبلغ من حرص المؤلفين على التعريف بهؤلاء الكتاب أنهم لم يتركوا أصحاب الوحدات ، أي الذين لم تزد مساهمتهم على مقالة واحدة طول عمر الحملة » .

وفي هذا القول شيء من المبالغة لأن المؤلفين لم يلتزموا بتقديم ترجمة لكل من كتب في « روضة المدارس » ولا يضير الدراسة في شيء أنها سكنت عن بعض الأسماء المجهولة وغير المجهولة ، من أمثال محمود وهبة (انظر ص ٦٩ من الكتاب) وعبد السلام سليم (ص ٧٠) وأحمد فتحي

(ص ٧٥) وسليم عمر الحنفي (ص ٧٦) ومحمد الطيب (ص ٧٦)
 ومحمد قناوى (ص ٧٧) وأحمد بليغ (ص ٧٨) ومحمود الحكيم (ص
 ٧٩) وعبد الحميد ثابت (ص ٧٩) وحسن محمود (ص ٨٣) بل إن
 الشيخ حسن العطار (أستاذ رفاة) يعقد محاضرة هامة مع محمود صفوت
 الساعاتي ، الشاعر الشهير ، وتسجل المجلة هذه المحاضرة (انظر الكتاب
 ص ١٦٢) ومع ذلك لا يقدم لنا الكتاب دراسة لا عن العطار ولا عن
 محمود صفوت الساعاتي (وليس لذلك تفسير ، خاصة حين نعرف أن للأستاذ
 محمد عبد الغني حسن كتاباً صغيراً غاية في الجودة عن الشيخ حسن العطار) .

● يتعرض الباب الأول لمسألة « تبويب مجلة روضة المدارس »
 ولعل المقام كان يتطلب تقديم صور لأغلفة ونسق صفحات بعض الأعداد ،
 وتسجيل ما إذا كان إخراج المجلة قد طرأت عليه تغييرات أم لا خلال
 أعوامها الثمانية .

وبما يتصل بهذه النقطة ما يذهب إليه بعض الدارسين من أن رفاة
 جعل « روضة المدارس » على نسق المجلة « الجريدة الآسيوية » ومجلة
 العالمين ، اللتين قرأهما في باريس (ومن هؤلاء د . أنور لوقا في كتابه
 « الرحالة والكتاب المصريون في فرنسا في القرن التاسع عشر » - بالفرنسية) .
 ومن ذلك قول فيليب دي طرازي (تاريخ الصحافة ٧٠/٣) إنه
 بعد وفاة رفاة « عام ١٨٧٣ خلفه (ابنه علي فهمي) في إدارتها - روضة
 المدارس - فوسع دائرة مباحثها وزادها تحسناً » .

وكنتم أود لو قارن المؤلف هنا بين « الروضة » والمجلات المعاصرة
 لها مثل مجلة « الوقائع المصرية » بعد أن أسند أمرها لرفاة (في ١١ يناير

١٨٤٢ الموافق ٢٧ من ذي القعدة سنة ١٢٥٧ هـ (ومثل مجلة « الجنان » التي ظهرت في بيروت سنة ١٨٧٠ .

ولم يذكر شيء عن عدد النسخ التي كانت تطبع من « روضة المدارس » ، وفي هذا المقال يفيدنا د . أحمد عزت عبد الكريم (في « تاريخ التعليم في مصر عباس وسعيد وإسماعيل » ، ص ١٥٣ ، ونقل عنه كثيرون مثل د . أحمد بدوي « رفاة .. » ص ٧٠ و د . عبد اللطيف حمزة « أدب المقالة » ١/١٢٦) أن ما كان يطبع منها ٣٥٠ نسخة ثم زبدت إلى الضعف بعد ذلك .

● يذكر المؤلف أن رفاة ترجم لفظة Journaux بـ « التذاكر اليومية » وهذا صحيح ، إلا أننا نضيف أنه في « تخلص الإبريز » لا يستقر على ترجمة نهائية للكلمة ، فهو ثارة يتحدث عن « أوراق الوقائع » وثارة أخرى يبقى على كلمة جرنال كما هي (ويجمعها على جرنالات أو يذكر صيغة الجمع الفرنسية جورنو) ويرد أحياناً كلمة كازيطة (ويجمعها على كازيطات) فيشير إلى « كازيطات السياسات اليومية » وإلى « كازيطات العلوم اليومية والشهرية » .. الخ (وانظر في ذلك د . محمود فهمي حجازي في « أصول الفكر الحديث عند الطهطاوي » ص ٤٩٩) .

● في ص ٧٧ : « وتقل مجلة عن مجلة هو الآن - كما كانت من زمان - جائر مباح ، على شرط أن تذكر المجلة أو الصحيفة المقول عنها ، وأظن أن في الجملة شيئاً من المبالغة ، فلمؤلف حقوق ، والنقل تحكمه شروط .

● في ص ٨٣ تقرأ : « . . . وهذه الملاحق (ملاحق « روضة

المدارس ، تذكرنا بما كانت تصدره مجلة « المقتطف » من ملاحق وهدايا ..
من مثل « عائشة التيمورية » لمي زيادة .

ولا نظن أن دراسة مي عن التيمورية صدرت في شكل ملحق أو هدية عن دار « المقتطف » أو غيره ، ولكن دراسة مي هذه نشرت على حلقات في المقتطف ، ولم تطبع على شكل كتاب إلا في الخمسينات ، ضمن سلسلة « كتاب الهلال » . وما بالنّا نكتفي بالظن والأستاذ محمد عبد الغني حسن نفسه يقول في كتابه عن « مي أدبية الشرق والعروبة » ، ص ١٢٩ :
« وتعترف مي في كلمتها في تأين الدكتور يعقوب صرّوف بفضلها عليها وتشجيعه لها على دراسة هاتين الأدبيتين - باحة البادية ووردة اليازجي - بما شجعها على متابعة الكتابة عن عائشة التيمورية في سلسلة من المقالات في « المقتطف » لم ينتظمها إلى اليوم كتاب واحد » .

● في ص ١٣١ تطالعنا أرجوزة مزدوجة منها :

أمر النبي المصطفى بالطاعة والسمع للسلطان كل الأمة
فاطلب رضا السلطان واعلم أنه عزّ من الله الكريم وظله

وهذا النوع من النظم تلتزم فيه قافية موحدة في كل شطرتين ، ولا توافق بين « الطاعة » و « الأمة » .

● يرى د. الدسوقي (ص ١٥٣) أن مقامات صالح مجدي « تعتبر بكل المعايير الفنية والفكرية ريادة حقيقية لفن الأقصوصة في لغتنا العربية ، ولسنا نرى في هذه المقامات أكثر من إرهاسة أو محاولة للتخلص شيئاً ما من قيود المقامة ، والاقتراب خطوة من مفهوم « الأقصوصة » ، وإذن فلا بأس من مصطلح « المقامة الأقصوصة » الذي يطرحه د. الدسوقي ،

ولكننا لا نستطيع أن نذهب إلى حد القول بأن صالح مجدي بمقاماته الاثني عشرة « يعتبر رائد الأقصوصة العربية الحديثة » ، ويا ليت د . الدسوقي يجمع هذه المقامات ويقدم لها بدراسة فنية تحليلية ، فربما يدفع نشرها إلى إعادة النظر في أمرها .

● في ص ١٦٢ : يرد ذكر لمصطفى الساعاتي ، وصواب الاسم « محمود صفوت بن مصطفى . . الساعاتي (وانظر عنه عمر الدسوقي في الجزء الأول من « في الأدب الحديث » ، ص ١٢٤ - ١٣٦) .

● في ص ١٧٦ يذكر اسم « شهاب الدين » في معرض الحديث عن الشيخ عثمان مدوخ ومقالاته في الأغاني والألحان .

ونضيف أن شهاب الدين (محمد بن إسماعيل) يعتبر أول من اهتم بالأغاني والألحان في هذه الفترة ، وكتابه « سفينة الملك » يضم عدداً ضخماً من الأدوار والتواشيح والأشعار المغناة ، وقد صدرها بمقدمة تعتبر من الوثائق الأساسية عن الموسيقى في مصر في منتصف القرن التاسع عشر .

● في ص ٣٢٥ اضطراب مطبعي فبعد السطر الرابع عشر ينبغي الانتقال إلى السطر العشرين من الصفحة التالية ، ونهاية ص ٣٢٧ يتمها السطر الخامس عشر وما بعده من ص ٣٢٥ .

● في ص ٣٤٤ نضيف إلى قائمة مؤلفات صالح مجدي كتاب « حلية الزمن بمناب خدام الوطن » في سيرة رفاعة الطهطاوي ، وقد حققه د . جمال الدين الشيال ، سنة ١٩٥٨ ، ويعتبر أهم المصادر في دراسة حياة الطهطاوي وإنتاجه .

● في ص ٣٤٦ قائمة بمؤلفات عبد الله أبي السعود من بينها كتاب يحمل عنوان « قناسة العصر في صلاحية تاريخ مصر » والاسم الصحيح هو « قناسة أهل العصر من خلاصة تاريخ مصر » . وفي القائمة أيضاً كتاب عنوانه « الدار التام في التاريخ العام » والصحيح « الدرس التام » ، ونضيف أن مكتبة بلدية الاسكندرية تضم عدداً لا بأس به من مخطوطات مؤلفات عبد الله أبي السعود .

* * *

ولا ينبغي أن يقف بنا الحديث عند هذا القدر ، بل ينبغي الإشارة في الوقت نفسه إلى بعض مناحي الجودة ، وما أكثرها هنا ، فالعمل شاق ومشعب ، ولكن المؤلفين قبلا التحدي وراحا يجمعان المادة العلمية في أناة وحذر ، حتى استقام البناء بعد لأي ، وإذا بنا أمام دراسة تمتع القارئ العام وتفيد الدارس المختص . ولقد كنت في الآونة الأخيرة عاكفاً على ترجمة « فن الشعر » لبوالو ، وكنت أظن أن هذا الأثر لم يترجم للعربية من قبل ، إذ لم نسمع بأمورها في كل المراجع الأساسية عن أدبنا المعاصر ، حتى وصلت إلي هذه الدراسة وإذا بها تحمل إلينا أن الأديب الشهير محمد عثمان جلال ترجم « فن الشعر » ترجمة تتميز بما هو مألوف عنده من ظرف ورشاقة ، غير أنه — كما تسجل الدراسة — لم يتقيد بالأصل الفرنسي فهو يستهل الترجمة بقوله :

لا تحسب المرء يكون ناظماً	ولا يعدّ في القوافي عالماً
ولا يكون في القريض عدّه	يعرف جزر بحره ومسده
إلا إذا أوحى في القوافي	إليه بالمعنى الرقيق الشافي

أما مستهل نص بوالو فيقول :
 و على ذرى البارئاس كان شاعر جسور .
 يدير الفكر - بلا طائل - في فن الشعر وإلى أي مدى يسمق
 وفي ما إذا كان لا يحس قط بالإلهام الخفي يأتي إليه من السماء
 وما إذا كان نجمه حين الميلاد لم يصنع منه شاعرا
 أو أنه سيبقى على الدوام أسيراً لكلال موهبته
 ويفكر فيما إذا كانت (فيوس) - أبولو - لن يعيره إلا
 أذنًا صماء .
 وفيما إذا كانت (بيجاز) - ملاك الشعراء الموهوبين - سيبقى
 حروناً معه .

* * *

ولقد جاء عرض النتائج - في خاتمة البحث - متواضعاً ببدءاً عن
 الإدعاء ، وبحسب الكتاب أنه قدم دراسة تحليلية نقدية عميقة لمجلة دروضة
 المدارس ، وأنه أزاح النقاب عن كنوز كانت مجهولة وأشار إلى مبادرات
 هامة في ميادين العلم والثقافة ، وعرض لسير عشرات من أعلام النهضة في
 بلادنا عرضاً رصيناً يجمع بين السهولة والدقة العلمية .

وبحسب هذه الدراسة أنها سلطت الأضواء على بعض النصوص الهامة
 لحسن العطار ورفاعة وعلي اللبني وعثمان جلال ، وهي نصوص ما كانت
 ليتهدي إليها الباحثون لولاها .

ولعل هذا العمل يكون فاتحة لدراسات على نسقه ، تتناول كبريات
 مجلاتنا الثقافية كالهلل والمقتطف والزهور وأبولو والرسالة والثقافة وغيرها .

محمد زكريا عناني

نقيب على نقد

« روضة المدارس »

الأستاذ محمد عبد الغني حسن

نشكر للأديب الناقد الدكتور « محمد زكريا عناني » اهتمامه البالغ بكتابنا « روضة المدارس — نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية » الذي أصدره المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والمعلوم الاجتماعية في مشروع المكتبة العربية .

فإن الكاتب الفاضل يبدو وقد قرأ صفحات الكتاب — التي أربت على ٤٤٠ صفحة كبيرة — قراءة فاحص واع أو باحث مدقق ، ولم يدع شيئاً في السطور أو بين السطور إلا قرأه ، ووقف عنده وقفة متأنية بصيرة .

والحق أن صبر الناقد على قراءة هذا الكتاب بهذه الصفة يعد ظاهرة سارة في قراءة الانتاج العربي الجديد أو في تلقيه بالبحث والمراجعة والمعاودة .

وهي ظاهرة طمأنتنا على أن دنيا العروبة لا تزال بخير ، وأن في الجيل الطالع اليوم خمائر طيبة لوعي ثقافي قرائي جديد .

كما نشكر للدكتور محمد زكريا عتاني هذا الشاء الكريم الذي أضفاه على مؤلفي الكتاب ، وعلى كاتب توطئته المفيدة الثمينة : الأستاذ الدكتور محمد مهدي علام عضو مجمع اللغة العربية بمصر .

وقد كان للناقد الفاضل وقفات في بعض مواطن من الكتاب ساقها على هيئة ملاحظات ، منها قوله :

● (ينقل الأستاذ مهدي علام في التمهيد عن فيليب دي طرازي قوله : « من دواعي الافتخار أن القطر المصري كان سباقاً في مضمار الصحافة العربية إلى نشر الجريدتين الأولين اللتين قرأهما أبناء الضاد ، وهما جريدة « التنبيه » التي صدرت في ٦ من كانون الأول سنة ١٨٠٠ في الاسكندرية . وجريدة « الوقائع المصرية » التي ظهرت في كانون سنة ١٨٢٨ في القاهرة . والذي نظنه أن فيليب دي طرازي لم يذكر بالمرّة جريدة باسم « التنبيه » في كتابه « تاريخ الصحافة العربية » ، بل ذكر صحيفة أسماها « الحوادث اليومية » ...) .

هكذا قال الناقد ، وهكذا أسرف في قوله أن فيليب دي طرازي لم يذكر بالمرّة جريدة باسم « التنبيه » في كتابه « تاريخ الصحافة العربية » . فإن النص الذي ساقه الدكتور مهدي علام موجود بأكمله في الجزء الرابع من كتاب « تاريخ الصحافة العربية » ، ص ٤٨٢ في كلمة أخيرة بالكتاب عنوانها : « الحاتمة » . ويبدو أن الناقد الفاضل لم تقع عينه على هذا النص الذي نقله الدكتور مهدي ، فأسس على ذلك ما أسس من أن طرازي (لم يذكر بالمرّة جريدة باسم التنبيه) .

وهذا النفي القاطع من الناقد يثير في النفس قضية الترفق في الاتهام ،

قبل إبداء الأحكام ، وهي قضية تتصل بالعلم من ناحية ، كما تتصل بالخلق من ناحية أخرى . ومن هنا نوصي بالنأي والتفرق والتثبت قبل النفي أو الإثبات . .

● يقول الناقد إننا أغفلنا الترجمة لحسن محمود ص ٨٣ . وهذا انمام آخر لأننا ترجمنا لهذا الطبيب العالم الرائد ترجمة بلغت صفحتين من قطع الكتاب ، وأتينا على عدد غير قليل من الكتب والرسائل التي ألفها أو ترجمها .

● ويقول الناقد أيضاً في ذلك المعرض إننا لم تقدم في الكتاب ترجمة للشيخ حسن العطار أستاذ رفاعة الطهطاوي . ولا أدري - وقد التزمنا مبدأ الترجمة لمن كتبوا مقالاتٍ وبجونا في مجلة روضة المدارس - كيف نجز الترجمة للشيخ حسن العطار بوصفه أستاذاً لرفاعة الطهطاوي ؟ لو أجزنا هذا الرأي لترجمنا لكل شيخ أو أستاذ لكاتب من كتاب الروضة . وذلك غير وارد ولا معقول .

● يظن الناقد أننا حين تحدثنا عن « مصطفى بكري الساعاتي » . كنا نريد التحدث عن الشاعر « محمود صفوت الساعاتي » . والحق أن الساعاتي الذي تقصده والذي دارت المحاوره بينه وبين حسن العطار هو أديب مصري سابق في الزمن على محمود صفوت الساعاتي . وقد نشر الطهطاوي المحاوره بينها بعد أن انتقلا إلى رحاب الله بزمان طويل ، أي قبل صدور روضة المدارس بعشرات السنين .. فالشيخ حسن العطار توفي سنة ١٨٣٥ ، وكذلك توفي الأديب الشيخ مصطفى بكري الساعاتي قبل صدور الروضة بزمان . وبهذه المناسبة أقول : إن هذا الشيخ ؛ مصطفى

بكري الساعقي ، ليس من بيت السادة البكرية بمصر ، ولا هو من الأشراف مثلهم ، وإن هناك في البيت البكري - أو بيت الصديق - من اسمه (مصطفى البكري) المتوفى سنة ١٧٤٩ م ، وهو بالطبع غير « مصطفى بكري الساعقي » تلميذ حسن العطار وصفته ومحاوره .

● كنا نود الترجمة أو التعريف بمن أسماهم الدكتور مهدي علام : « أصحاب الوحدات » أي الذين لم يزد إسهامهم على مقالة واحدة مدة صدور المجلة . من أمثال : محمد الطيب ، محمد قناوى ، عبد الحميد ثابت أحمد بليغ ، ولكن المصادر الكثيرة التي تحت أيدينا لم نزدنا بهم علماً إلا مجرد أسمائهم ، على الرغم من إسهامهم في الأدب أو الترجمة ، رحمهم الله .

ومها يكن من أمر فإن نقد الأديب الدكتور محمد زكريا عسائي لكتابنا « روضة المدارس » هو مبادرة كريمة أو مبادرة طيبة من الناقد الفاضل ، نكرر له الشكر خالصاً من أجلها ، ونرجو منه أن يكون باكورة لجهود طيبة موفقة في عالم النقد والبحث والتأليف . والله شاكره وحافظه . ومن دون شكر الله شكرنا الجزيل .

محمد عبد الغني حسن

« كتاب التحدث بنعمة الله »

جلال الدين السيوطي

تحقيق وتقديم اليزابث ماري سارتين

E. m. Sartain : Jalal al - din al - Suyuti, Vol.I Biography and Background & Vol.II. «Kitab al-Tahadduth binicmat Allah, PP . 242 & 383, Cambridge University Press , 1975, price : 8.00

(طبع القسم العربي وهو الجزء الثاني من الكتاب في المطبعة العربية الحديثة ، العباسية ، القاهرة ، مصر)

مراجعة الدكتور صفاء خلوصي

الأستاذ المتفرغ للبحث والتأليف

أنحفتنا مطبعة جامعة كمبرج مؤخرأ بمجلدين أحدهما بالانكليزية والآخر بالعربية ، فأما الذي بالانكليزية فيبحث في علم التراجم مع مقدمة ضافية عن مصر تحت حكم انجليك الشراكة (١٣٨٢ - ١٥١٧ م) ويتطرق إلى حياة السيوطي وإلى الحياة العلمية في أيامه ، وبذلك يختم القسم الأول من الكتاب ، أما القسم الثاني من المجلد الأول فيعرض على أدب التراجم الذاتية في الأدب العربي الكلاسيكي ، ثم يأتي على وصف المخطوطات التي استعين بها في تحقيق نص السيرة الذاتية للامام السيوطي ، وكان بودي لو أنه أدرج في المجلد الثاني بدلاً من الأول فهو إليه أقرب وبه ألقى . ويختم المجلد بملاحظات إيضاحية عن النص العربي .

وقد ذيل الكتاب - حسب الأصول - بثبت المصادر والمراجع ، فضلاً عن شرح بالانكليزية لطائفة من الألفاظ العربية وفهرست للموضوعات وأسماء الأعلام .

أما المجلد الثاني فتحقيق جاد لكتاب « التحدث بنعمة الله » ، لجلال الدين السيوطي ، وهو ككل كتب السيوطي يجمع بين المتعة والفائدة ، ويلقي ضوءاً على حياة عالم يعد من أكبر علمائنا في تاريخ التراث العربي ، ويكاد لا يمضي يوم دون أن نرجع إلى كتاب من كتبه أو مؤلف من مؤلفاته كمصدر ومرجع في بحوثنا ودراساتنا .

عاش السيوطي ستين عاماً مجيداً (١٢٤٥ - ١٥٠٥ م) فيكون بذلك قد عاصر الرينسانس أو عصر النهضة الأوروبية ، فكان هو جزءاً من هذه النهضة في العالم الاسلامي ، إذ اشتهر بالتفسير والحديث والمناقشات العلمية والمجالات الأكاديمية مع خصومه ومناوئيه ، وقد تضمنت ترجمته الذاتية الكثير من ذلك ، وباعتقاد المؤلفة السيدة سارتيين أن أسلوب السيوطي جرى على لغة الحديث اليومي الشائع يومذاك ، غير أننا لم نجد إلا القليل مما يؤيد هذا الزعم في مضامين الكتاب .

وليس من شك في أن المؤلفة الفاضلة مصيبة فيما ذهبت إليه من أن تحقيقها إسهام في الدراسات العربية الأساسية ، وأن الكتاب مصدر رئيسي لجميع الدراسات المقبلة عن السيوطي والحياة العقلية في أواخر عهد المماليك بمصر .

وأراني في غنى عن القول إن عنوان الكتاب مستوحى من الآية الكريمة : ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ . وهو في الحق عنوان مبتكر

لكتاب في موضوع السيرة « الترجمة الذاتية » .

ومن أمتع فصوله الفصل السابع عشر (ج ٢ ص ١٦٠) وعنوانه :
(ذكر نعمة الله عليّ في أن أقام لي عدواً يؤذيني وابتلاني بأبي جهل بضمي
كما كانت للسلف مثل ذلك) . وفي هذا أورد الامام السيوطي نقلاً عن
بعض المصادر ما يلي :

ما كان كبيراً في عصره إلا كان له عدو من السّيلة ، فكان لآدم
عليه السلام إبليس ، وكان لإبراهيم غرود ، وكان لموسى فرعون ، وكان
لمحمد ﷺ أبو جهل .

ومن المعروف في صحيح البخاري وغيره ما قاله سعد بن أبي وقاص ،
أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، من جهال أهل الكوفة ، وشكواهم إياه
لمر بن الخطاب ، حتى قال له عمر : شَكَوْتُكَ في كل شيء ، حتى قالوا
إنك لا تحسن أن تصلي : فانظروا بالله إلى الذين أسلموا البارحة يزعمون في
صاحب رسول الله ﷺ ، الذي كان يُسمى ثلث الإسلام أو ربعة ، أنه
لا يحسن الصلاة ، (ج ٢ ص ١٦٢) .

ولم يخل الكتاب من استطرادات ، على طريقة الأقدمين المألوفة ،
من نحو استطراده في مسألة زيادة العمر ونقصه ، ومن مسمّي من هذه
الأمة بعبد الرحمن .

وقد أوجدت الدواعي الفنية ، لطبع الكتاب في مجلدين أحدهما عربي
والآخر انكليزي ، صعوباتٍ للقارئ ، فمن ذلك مثلاً أن مستهل الفصل السابع
مخروم مع الإشارة إلى وجود هامش ، فإذا بحثت عن الهامش لم تجده إلا
في نهاية المجلد الثاني مشروحاً بالانكليزية ، مع أن النص يتطلب الشرح

بالعربية في الصفحة ذاتها ، ولا أدري متى سيقطع المستشرقون عن هذه المادة الغربية وهي وضع هوامش بالانكليزية لنصوص عربية ، بعد أن أفلحوا عن وضعها باللاتينية ، فإذا كان القارئ لا يفهم الشرح إلا بالانكليزية فمن باب أولى أنه لن يفهم النص العربي أيضاً ، فلا جدوى من مراجعته الكتاب ، ثم إن المقروض في المحقة أنها تحسن العربية وتحسن الشرح بها ، علاوة على أنها متزوجة من عربي ، فهي عقيلة الدكتور حمدي سكوت ، على ما تذكر في سلسلة من شكرتهم وأنت عليهم لمساعدتهم إياها في إعداد الكتاب .

هذه ملاحظة وددت أن أذكرها لتتخذ المطبوعات الاستشرافية في المستقبل منحىً جديداً في تحقيقها وطباعتها بهدف تسير مراجعة المصدر على القارئ ، لاتيسره .

وكان بالإمكان إخراج الجزأين في مجلد واحد ، فما هما من الضخامة بحيث يصعب ذلك ، وكثيرون هم القراء الذين يفضلون الطبقات ذات المجلد الواحد على ذوات المجلدات المتعددة ، إن سمح حجم الكتاب بذلك ، وأنا واحد منهم .

ولقد أوضحت المحقة الفاضلة طريقة تحقيقها لمخطوطة تيوبنجن Tübingen التي اعتمدتها أصلاً ، بالإضافة إلى خمس مخطوطات أخرى راجعتها ، غير أنها لم تصف لنا أيّاً من هذه المخطوطات ، حتى ولا المخطوطة الأم ، ولم نورد صورة ضوئية لورقة من ورقاتها لنرى مدى الصعوبة والدقة في التحقيق ، بالرغم من أن الكتاب الذي بين أيدينا هو في الأصل رسالة دكتوراه من جامعة كمبرج المقروض فيها - كما يبدو من كلمة الشكر الاستهلالية -

أنها درست أو على الأقل روجعت من لدن البروفيسور سارجنت Serjeant والدكتور هوبكنز Hopkins .

ومع أن المحققة تزعم أنها تحاشت الرسم الإملائي القديم للمخطوط ، فإنها لم تراع هذه القاعدة دائماً ، كما في لفظة (مسألة) مثلاً ، حيث وضعت الهمزة على كرمي الياء ، وحطها في الإملاء الحديث أن تكون على كرمي الألف ، وقد برعت - والحق يقال - في علامات التنقيط ، إلا في مواضع قليلة حيث كان الأفضل وضع الفارزة أو القاطعة بدل النقطة ، ولا سيما حينما يكون ما يليها مستهلاً بالفاء أو الواو .

وقد وقع سهو غريب في العنوان العربي للجزء الأول إذ جاء فيه (لجلال الدين السيوطي) والصواب بإسقاط حرف الجر ، وأكبر الظن أن الرقعة المخطوطة أو د الكليشيه ، التي أعدت في الأصل للجزء الثاني استعملت في الجزأين معاً ، فجاء هذا الخطأ الفاضح ، بيد أنه أياً كانت النواقص فإن الجهد جليل ولن يعدم بين جلة العلماء والباحثين من عرب ومشرقين الكثير من ألسنة الشكر والثناء والتقدير .

اكسفورد

د. صفاء خلوصي

آراء وأنباء

مخطوطات يتيمة في مكتبة شيستر بيتي بدبلن

Unique mss. at chester Beatty Library

Dublin (Irish Republic)

- ١ -

الدكتور صفاء خلوصي

عثر أثناء بحني عن المخطوطات النادرة على المجموعة التالية في مكتبة «چيستر بيتي» بدبلن ، أعتقد أنها يتيمة لأنني لم أعر على نسخ لها فيها دون من سجلات المخطوطات وفيما ذكره كارل بروكلمان في كتابه الضخم «تاريخ الأدب العربي» وإليكها :

(١) رقم المخطوطة ٣٠١٢ «العقيدة» لمحمد بن الحسن بن أصبغ ، ويبحث في العقيدة السنية ، عدد الأوراق ٢٥ ، مقاسها ٢٢٠١ x ١٦٠٢ سم بخط مغربي ، بلا تأريخ ، حوالي القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد .

(٢) ٣٠١٦ : «سير شهيرات النساء» لعلي بن محمد بن علي بن جميل المعافري الملقب «(ت ٦٠٥ هـ / ١٢٠٩ م) وهو مستودة بخط المؤلف ومن دون عنوان ؛ أوراقه ١٠٧ مقاسها ١٦٠٣ x ١٢٠٢ سم (بالنسخ) مؤرخ بدمشق ٥٨١ / ١١٨٥ م^(١) .

(١) وقد قامت السيدة الدكتورة عائدة الطيبي بتحقيقه للظفر بدرجة الدكتوراه من جامعة اكسفورد .

٣. (٣٠٢٩ : د. مختارات من كتاب الحاوي ، لداود بن أبي اليان
اليهودي المتطبب (عاش حوالي القرن ٨٧ / ١٣ م) وهو يضم مختارات
من كتاب أبي بكر محمد بن زكريا الرازي (ت ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م)
أوراقه ١٤٧ ، قياسها ٢٦٦٦ x ١٩٦٦ (بالنسخ) بخط عمر بن قاسم بن
منصور بن المؤدب . تأريخه ١٣ محرم ٦٥١ هـ (١٥ آذار مارس ،
١٢٥٣ م) .

٤ (٣٠٣٣ : د كتاب الأربعين الشاعيات ، لأبي الروح عيسى
ابن عمر بن خالد بن عبد المحسن بن الخشاب الشافعي الخزومي (ت ٧١١ هـ
١٣١١ م) [القسم الثاني من أربعين حديثاً مختاراً] أوراقه ١٦ ، قياسها
٢١٦٤ x ١٣٦٧ سم (بالنسخ) حوالي القرن ٨٧ / ١٣ م .

٥ (٣٠٤٥ : د رسالة في ضرورات التضاد ، لعمر الحيام ، ورقة
٣٧ / ب - ٤٢ / ١

د رسالة في إثبات الصانع ، لزين الدين صدقة بن علي ورقة : ٥٠ /
ب - ٥٢ / ١

د رسالة في علم الباري ، لزين الدين صدقة ، ورقة : ٥٢ /
ب - ٥٤ / ١

د تعليقات هندسية ، لأبي سعيد أحمد بن محمد بن عبد الجليل السجزي
(عاش حوالي ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م) ، ورقة : ٧٤ / ١ - ٨٩ / ب

٦ (٣٠٥١ : د البديع ، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه
(ت ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م) [رسالة عن مختلف القراءات القرآنية] أوراقه :
١٠٥ ، مقياسها ٣٢٥٥ x ٢٥٦٤ سم بخط فارسي - كوفي ، غير مؤرخ ، حوالي
القرن ٨٤ / ١٠ م

(٧) ٣٠٥٢ : د الحقائق والرقائق ، [مجموعة مواظ صوفية]
منسوبة خطأ إلى أبي القاسم القشيري (ت ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م) وقد ذكر
العنوان بشكل مقلوب أيضاً : د الرقائق والحقائق ، .

(٨) ٣٠٥٧ : د الثمر الرائق المجلد من الحقائق ، تلخيص مؤلف
مجهول لكتاب د الحدائق لأهل الحقائق ، مجموعة الأحاديث الشريفة
المختارة لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) أوراقه ١٩٦ بقياس ٢٧ x
١٧ و ٨ سم (بالنسخ) بخط علي بن الحسن بن علي المراقي الحنفي ، تاريخه
١٥ شعبان ٧٨٣ هـ (٤ تشرين الثاني / نوفمبر ، ١٣٨٢ م) .

(٩) ٣٠٥٩ : د منهاج البرادة ، لقطب الدين أبي الحسين سعيد بن
هبة الله بن الحسن الراوندي (ت ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م) وهو الجزء الثاني
من شرح لنهج البلاغة تصنيف ذي المجددين الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ
١٠٤٤ م) أوراقه ٢٨٥ ، قياسها ٣٠ x ١٩ و ٨ سم (بالنسخ) بخط محمد بن
أبي الفتح بن أبي الحسن بن أبي العباس ، تاريخه محرم ٦٠٣ هـ / آب
د أغسطس ، ١٢٠٦ م .

صفاء خلوصي

د للبحث صلة ،

نقيب

على مقال للدكتور حسني سبيع

قال الدكتور حسني سبيع في مقاله : (نظرة في معجم المصطلحات الطبية) المنشور في مجلة المجمع - عدد ربيع الأول ١٣٩٥ / إبريل ١٩٧٥ - معلقاً على الكلمات (لائط ولوطي وأوراني) ما يلي :

(والصحيح في اللفظة الأولى : لوطي ولواط وستان) ثم قال في الهامش : (في لسان العرب : ورجل سته : ملازم للأستاء . وفي تاج العروس : وستان كعثان : طالبها (أي الاست) أو الملازم لها كالسّته ككتف) ١٥١ .

لقد وهم الدكتور حسني في اعتباره لفظة ستان مرادفة لسته . والصواب أن لفظة ستان جمع أسته ، والأسته بمعنى السه . وعبرة القاموس : الستة - محرّكة - عظما . والأسته والستاها - كغرابي - العظيمها ج ككتب وستان ، وطالها كالسته - ككتف - والستهم - كزرم . وتقدير قوله : الأسته والستاها - والجمع سته وستان - والسته والستهم : عظيم الأست وطالها ، فلفظة ستان هنا معطوفة على سته لا على الأسته - وبما يدل على ذلك كونها نكرة بينا الكلمات المترجم لها كلها محلاة بال . وفي اللسان : رجل أسته والجمع سته وستان .

هذا ويفهم من كلام الفيروز أباذي أن الكلمات الأربع : الأسته والستاها والستهم والسته كلها تفيد المعنيين عظيم الاست وطالها . غير أن

المعجمات الأخرى تذكر للستاهي والستهم والأسته معنى واحداً وهو عظيم الاست ففي تهذيب اللغة (١١٧/٦) قال الليث : الستة : مصدر الأسته وهو الضخم الاست - ويقال للواسعة من اللبر ستها ، وستهم . قلت : يقال : رجل ستهم إذا كان ضخماً الاست وستاهي^(١) مثله والميم زائدة . وفي الصحاح : رجل أسته يثن الستة إذا كان كبير العجز ، والستهم والستاهي مثله . والمرأة ستها ابن السكيت : رجل أسته وستاهي عظيم الاست . والمرأة ستها وستهم والميم زائدة .

أما الستة فجاء في اللسان : وإذا نسبت إلى الاست قلت ستهى بالتحريك وإن شئت استي تركته على حاله وستيه أيضاً - بكسر التاء - كما قالوا حرح - قال ابن بري : رجل حرح أي ملازم للأحراج ، وستيه ملازم الأستاذ والسته : الطالب للاست وهو على النسب كما يقال : رجل حرح قال ابن سيده : التمثيل لسيبويه .

ويتضح من هذا ان الستة بمعنى اللوطي . أما الستهان فهو جمع الأسته ومعناه عند كثير من القنوين العظيم الاست ويفيد أيضاً معنى طالبها عند الفيروزآبادي .

المدينة المنورة .

ف . عبد الرحيم

مدرس بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

(١) جاءت كلمات أخرى على هذا الوزن منها : الرؤاسي لعظيم الرأس والأثافي للعظيم الأنف والأذاني للعظيم الأذنين

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الثالث من عام ١٩٧٦

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
د. مصطفى حمويلا	الأطباء	دمشق ١٩٧٦
د. صفوح خير	إقليم الجولان	" "
د. دوتودور شان	أمراض جهاز التنفس ١ - ٢	" "
د. منذر الدقاق	أمراض جهاز الهضم ١ - ٢	" ١٩٧٥
د. محمد بديع حمودة	أمراض الدم واللوحات الملونة	" "
د. يوسف صائغ	أمراض الكلية	" ١٩٧٦
المهندس نزار الجيرودي	إنتاج النفط والغاز	" "
د. المهندس محمود نوفل	إنشاء البيتون المسلح	" ١٩٧٦
أفلاطون. ترجمة فؤاد جرجي بربارة الدمشقي	البرمنيدس	" ١٩٧٥
د. محمد زهير البابا	تاريخ وتشريع وآداب الصيدلة	" ١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
تجارب في الفيزياء الحديثة	د. عدنان مصطفى و د. جان رومانوس	دمشق ١٩٧٥
تشخيص العقاقير - القسم النظري	د. هيام شهاب	" "
التكاثر النباتي في الزمر النباتية	د. أنور الخطيب	" ١٩٧٣
الجراحة العصبية	د. هشام بكداش	" ١٩٧٥
حول الانسان والتنمية - تقرير طوكيو ،	اللجنة التنفيذية لندوة روما ترجمة خليل شطا	" ١٩٧٦
حول التقاليد المسرحية	جان فيلار . ترجمة سعد الله ونوص	" "
الحيول (رواية)	أحمد يوسف داود	" "
شعر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب	عبد الحميد الراضي	" "
الشموس الثلاث (قصص وحكايا للأطفال)	عدد من المؤلفين . ترجمة ميخائيل عيد	" "
الصحافة	بيير ألبير . ترجمة خير الدين عبد الصمد	" .. "
الصناعات الغذائية - القسم النظري	د. سليمان المصري	" "
الصيدلة الصناعية - القسم العملي	د محمد تزار خوام	" ١٩٧٥
الطب الشرعي	د. زياد درويش	" ١٩٧٤
الطب الشرعي - القسم الثاني علم السموم	د. زياد درويش	" ١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
العروبة ومظاهر الانتماء الأخرى في الدساتير الراهنة الأقطار العربية	د. جورج جبور	دمشق ١٩٧٦
علم الأراضي	د. فلاح أبو نقطة	" "
علم تأثير الأدوية	د. نذير العظمة	" "
علم التحريك (ميكانيك الهندسة)	س. تيموشنكو ورفيقه ترجمة وجيه القدسي ورفيقه	" ١٩٧١
علم السكون (ميكانيك الهندسة)	س. تيموشنكو ورفيقه ترجمة وجيه القدسي ورفيقه	" ١٩٧٥
علم الصيدلة - الجزء الأول - القسم العملي	د. محمد نزار خوام	" "
علم الصيدلة - الجزء الأول - القسم النظري	د. محمد نزار خوام	" "
علم الصيدلة - الجزء الثاني - المراهم الدوائية	د. زياد منصور	" "
علم الصيدلة - الجزء الثاني - المراهم الدوائية - القسم العملي	د. زياد منصور	" "
علم الصيدلة - القسم النظري	د. عدنان حدة	" ١٩٧٦
علم المستحاثات (الباليونتولوجيا)	د. فؤاد العجل	" ١٩٧٥
الفيزياء الحديثة للجامعات - الضوء والاشعاع	جيمس أ. ريتشاردز ورفقاؤه. ترجمة عبد الرزاق قدورة ورفيقه	" ١٩٧٦

اسم المؤلف أو الناشر	اسم الكتاب	مكان الطبع وتاريخه
جيمس أ. ريتشاردز ، ورقة ساؤء ترجمة عبد الرزاق قدورة ورفيقه	الفيزياء الحديثة للجامعات - الفيزياء الحديثة .	دمشق ١٩٧٦
البيردو كروك . ترجمة وجيه السمان	قصة المادة السيبرنية والكون	" "
د. موفق شخاشيرو ود. عبد المجيد شيخ حسين	الكيمياء التحليلية العملية	" ١٩٧٤
د. دلال المنجد	الكيمياء التحليلية (القسم النظري)	" ١٩٧٤
د. محمود سعيد دلول	الكيمياء الحيوية العامة ١ - ٢	" ١٩٧٤
د. غياث سمينة	الكيمياء الزراعية العضوية - الحيوية - الجزء العملي	" ١٩٧٦
د. خضر حامد الأحمد	مبادئ التوبولوجيا العامة	" ١٩٧٦
د. هاني رزق	مقدمة في علم الخلية وعلم الجنين	" ١٩٧٦
سان جون بيرس ترجمة أدونيس	منارات	" ١٩٧٩
د. كنعان الجابي	موجز علم النسيج	" ١٩٧٦
وجيه القديمي	موجز الميكانيك ، الجزء الأول	" ١٩٧٤
د. محمد نصوح الحيمي	الوجيز في الجيولوجيا العامة	" ١٩٧٤

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الايضاح لناسخ القرآن ومد-وخه	مكي بن أبي طالب القيسي تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات	الرياض ١٩٧٦
تاج العروس (ج ١٥)	الزبيدي. تحقيق التري وحجازي والطحاوي والعزباوي	الكويت ١٩٧٥

تصويبات بعض الأخطاء المطبعية في هذا المجلد

ص	س	التصواب
٤٣٠	١٥	من العدد الثاني . يضاف إلى الجملة بعد كلمة نوبة :
		وإذا ثبت وجود نوبة بمعنى نية .
٧٣٧	٦-	لفظاً
٧٩٨	١١	إلى
٧٩٩	٦-	بني
٨٠٣	٧-	١٣٣٨
٨٢٢	٣	منهرة
٨٢٢	٧	هالتي
٨٢٤	الآخر	الأنور
٨٣٢	٢-	بأخبار
٨٣٦	٨-	لأبي العباس
٨٣١	رقم الصفحة	٨٣٨
٨٤٥	٥-	الأنديسون

**تصويبات مقالات : نظرة في معجم المصطلحات الطبية
الواردة في الأعداد الأربعة لهذا المجلد**

الصفحة	السطر	الصواب	الصفحة	السطر	الصواب
٢١٨	١٢	post - infarctoïd	٤٧٥	١١	جني
٢١٩	١٩	coating	٤٧٥	٢٠	intermediary
٢١٩	٢٠	on	٤٧٦	١٦	Walcher's
٢٢٠	٣	جذيعات	٤٧٦	١٩	lithotomy position in
٢٢٢	١٨	Syphylitic	٤٧٨	١٥ = ٩	حساء
٢٢٣	٢٣	plessimètre	٤٧٩	٢٢	afer potential (
٢٢٥	٦	pampiniforme	٤٧٩	٢٤	spike (
٢٢٦	١٨	puddental	٤٨٠	٢	d'ions
٢٢٧	٢١	crescentic	٧٠٤	١٧	مُرْتَجَّعٌ
٢٢٨	٢٠	درلند	٧٠٧	٥	معان
٢٢٩	١٤	pneumatose	٧١٢	٨	مُؤْتَبَبٌ
٢٢٩	١٩	pleuropneumonia	٧١٥	١٨	أنها
٢٣٠	١	insatiable	٧٤١	١	Rivière
٤٦٥	١	application	٧٤١	٢	عُلْبَة
٤٦٥	٣	amygdalien	٧٤١	٦	رش
٤٦٥	١٧	exudate, crypts	٧٤٢	١١	قافز
٤٦٥	١٨	crypts	٧٤٢	٣	à saupoudrer
٤٧٢	١٤	goût	٧٤٣	٢٠	characteristic
٤٧٢	٩	برفيرينية	٧٤٤	١١	pouponnière
٤٧٣	١٧	porphyriation, trituration			

الصفحة	السطر	الصواب	الصفحة	السطر	الصواب
٧٤٥	١٣	وجيقت	٧٥٠	١٤	قَبَص ، تناول
٧٤٥	١٦	السَّيْن	٧٥٠	٢٠	المُتَزَعَة قِيل
٧٤٥	٧	ou d'hôpital	٧٥١	٣	قِيل
٧٤٦	١١	دَقَّة	٧٥١	٣	أَخَذَ
٧٤٧	٥	الضِّمَاد	٧٥١	٥	عَيْنِيَّة
٧٤٨	٤	(d'une lentille)	٧٥١	١١	بَرْد ، أَصِيب
٧٤٨	٥	لعدسية	٧٥١	١٩	مُجْتَبِز
٧٤٨	٦	الْمِيَّة	٧٥٢	٣	البَضْع
٧٤٨	١٢	مُسَيِّخَة	٧٥٢	٢١	naturpräparat
٧٤٨	١٦	of a lens to give sharp pictures	٧٥٢	٣٢	kontakpräparat
٧٤٩	٢	لعدسية	٧٥٣	٥	وَمُحَضَّر
٧٤٩	٦	لعدسية	٧٥٤	٣	قُصُور
٧٤٩	٨	سُوكِيَّة Practicabilité	٧٥٤	١٢	يَتَن
٧٤٩	١٢	أداء	٧٥٤	١٣	بِالْقَعْدَة
٧٤٩	١٤	floculation	٧٥٤	١٦	بِالْقِيَّة
٧٤٩	١٧	تَرَشِب	٧٥٥	١	hypertenseur
٧٥٩	١٨	مُتَرَشِب	٧٥٥	٢	ضَاغِظ ، مُوَتِّر
٧٤٩	١٧	مُرَشَب ومُرَسَّبة	٧٥٦	١	هَيروفيِل
٧٤٩	٣٠	إِقْتَرَح	٧٥٦	٣	confluence of the sinuses
٧٥٠	٦	سَابِق ، بَدء	٧٥٦	١٨	principe

فهرس الجزء الرابع من المجلد الحادي والخمسين

المقالات

ص	
٦٩٩	الحياة في كتاب الأغاني الأستاذ شفيق جبيري
٧٠٣	نظرة في معجم المصطلحات الطبية . . الدكتور حسني مبيح
٧١٩	مزامع بناء اللغة على التوم الأستاذ محمد بهجة الأثري
٧٥٣	عبر التاريخ الدكتور محمد كامل عياد
٧٨٥	مجمي افتقدها : محمد بهجة البيطار . . الدكتور عدنان الخطيب
٨٢٧	ملاح من تطور المغرب العربي . . . الأستاذ محمد المتوني

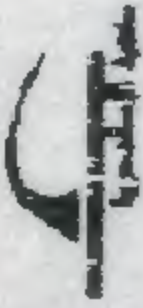
التعريف والنقد

٨٨٣	روضة المدارس : نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية الدكتور محمد زكريا هناني
٨٩٥	تعقيب على « روضة المدارس » . . . الأستاذ محمد عبد القني حسن
٨٩٩	كتاب التحدث بنعمة الله للسيوطي . . الدكتور صفاء خلوصي

آراء وأنباء

٩٠٤	مخطوطات يتيمة في مكتبة شستريتي « دبلن » الدكتور صفاء خلوصي
٩٠٧	تعقيب على مقال للدكتور حسني مبيح . . الأستاذ ف . عبد الرحيم
٩٠٩	الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية خلال الربع الثالث من عام ١٩٧٦
٩١٣	تصويبات بعض الأخطاء المطبعية في هذا المجلد
٩١٤	تصويبات مقالات : نظرة في معجم المصطلحات الطبية





Bibliotheca Alexandrina



0652695